الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر
باتنة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية والإسلامية
تاريخ وعلم الآثار



المغرب الأوسط في عهد الموحدين

دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية
(534هـ/1139م إلى 633هـ/1235م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

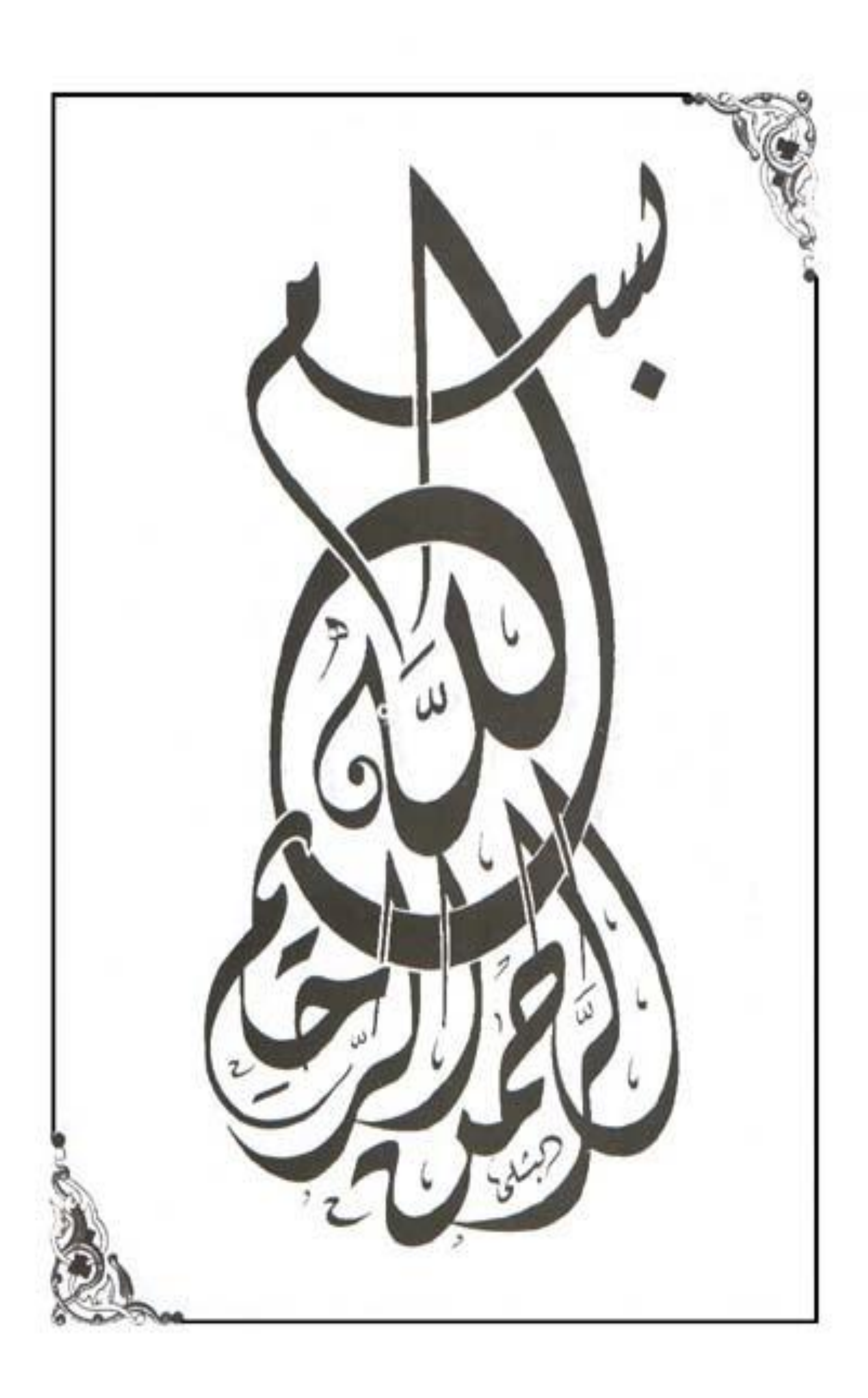
إعداد الطالب :
علي عشي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
مسعود مزهودي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة
رشيد باقة	رئيسا	أستاذ محاضر	باتنة
مسعود مزهودي	مشرفا و مقررا	أستاذ التعليم العالي	باتنة
اسماعيل سامعي	عضوا مناقشا	أستاذ التعليم العالي	قسنطينة
مسعود خالدي	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	قالمة

السنة الجامعية 1433- 1434 هـ / 2011 – 2012م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

بعد أن أكرمني الله ووفقني إلى إعداد هذه الرسالة، أشكره سبحانه وتعالى على ما أولى وأنعم، وأسأله الفلاح في الدنيا والآخرة

وأتقدم بخالص شكري، وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور: مزهودي مسعود، الذي منحني النصح والتوجيه وأرشدني إلى طرق البحث والتنقيب، ورافقني طوال حيثيات الموضوع، فله جزيل التقدير.

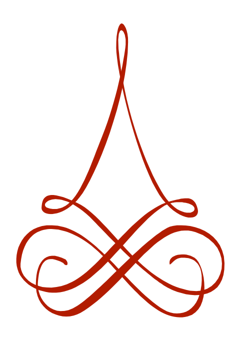
كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي النصح والتوجيه، وأخص بالذكر الأستاذ بولطيف لخضر، من جامعة المسيلة، والأستاذ الأديب، مصحح هذه الرسالة لغويا" فراح فراح " فلهما خالص تحياتي.

كما أنوه بالمساعدة التي تلقيتها في المكتبة الوطنية، وفي كل جامعات الوطن، خاصة جامعة الأمير ع القادر بقسنطينة، وجامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس، وكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بوهران، وجامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان .

كما أشكر كل من قدم لي يد المساعدة في المغرب الشقيق، خاصة عمال مكتبة جامعة محمد الخامس بالرباط، وكذلك قيمي الخزانة الملكية.

فلهم جميعا أسمى وأغلى التشكرات

مقدمة



غُرست بذور النهضة العلمية الكبرى، التي نمت وترعرعت على عهد الموحدين، في أيام المرابطين والحماديين، ولما قام المهدي بن تومرت بحركته كان يرمي إلى غاية أبعد من غاية سلفه وهي تجديد الدين، وهذه المهمة تقتضي من التوسع في العلم، فلذلك كانت العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية ألزم للدعوة الموحدية من أختها المرابطية.

فازدهار المعارف وتنوعها، كما يقول عزالدين عمر موسى من سمات العصر الموحدي البارزة" فقد استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة بفضل طابع الدولة العقائدي ... وما وفروا من جو من الحرية أرحب من الجو الذي وفره المرابطون..."[1].

ولقد ساعد أيضا على ازدهار الجوانب الثقافية والفكرية، ذلك الاتحاد السياسي الذي جمع بين المغرب والأندلس، في كيان واحد حتى نهاية عهد الموحدين، كما ساهمت هذه الوحدة في زيادة الرحلة من وإلى الأندلس التي كانت تمثل محل المشيخة الكبرى التي يقوم عندها الدرس وتتجمع لديها الرواية والإسناد[2].

الإطار المجالي والزماني للموضوع:

إن مقاربة الإطار المجالي الذي يهمنا في هذه الدراسة، يساهم بقدر كبير في بلورة العمل المنجز، لأنه من خلاله يمكن إبراز المواصفات الأساسية وتبسيطها،كما أن ضبط الحيز الزماني يُـمَكن من الوقوف عند ثنايا الموضوع ويوضح حيثياته ويجعلها أكثر تماسكا، عبر مقدمات بديهية ثلاث:

المقدمة الأولى فتتعلق بالمرتكزات الجغرافية الكبرى لموضوعنا، ونقصد بذلك المغرب الأوسط ومجاله المحدد في ظل الوحدة السياسية للدولة الموحدية، ولعل من المفيد أن نستحضر حدوده الجغرافية ومعالمه الطبيعية لأنها البوتقة التي تنصهر فيها الحياة الثقافية والفكرية.

أما المقدمة الثانية فهي الفترة الزمنية المحددة من 534هــ/1139م والتي تمثل بداية المناوشات الأولى بين المرابطين والموحدين على أراضي المغرب الأوسط-وسنورد ذلك بالتفصيل في الفصل التمهيدي-وهو إيذان ببداية عهد جديد، أما نهاية الموضوع فحددناها بسن ة633هــ/1235م حيث انتزع بنو عبد الواد المغرب الأوسط من السلطة الموحدية ومن خلاله فك الارتباط التاريخي معها وميلاد دولة جديدة هي الدولة الزيانية.

أما المقدمة الثالثة فهي طبيعة العنوان الذي سميته الأوضاع الثقافية والفكرية، حيث وجدنا مصطلح الفكر، هو الأكثر شيوعا في الفترة المحددة زمنيا، و لم نعثر على كلمة ثقافة، إلا في مواقف ومواضع معينة، و لم يكن يقصد بها ما هو عليه الآن، إذ أن مفهوم الثقافة لم يظهر إلا في العصر

---

1) أنظر: الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص53-54.

2) عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، المغرب، 1999، ص21.

الحديث، ورغبة منا في ربط الماضي بالحاضر وإيصال المعنى للقارئ، انطلقنا من الحاضر للوصول إلى الماضي.

أسباب اختيار الموضوع :

لقد حظي المجال السياسي باهتمام كبير من خلال مختلف الدراسات، وهو ما دفعنا إلى التركيز على الجانب الثقافي، و اختيارنا للعنوان **"للأوضاع الثقافية والفكرية"** هو مزج بن مصطلحين، مصطلح حالي وهو الثقافة، ومصطلح يخص الفترة الماضية التي أدرسها وهي الحياة الفكرية، فكان خطأ تاريخيا بأن نكتفي بالحياة الثقافية لعدم ظهور مصطلح الثقافة في حد ذاته كتعبير للجانب الحضاري في تلك الفترة، وإنما كان المصطلح الشائع هو"الفكر، والمفكر"[1].

وإن الغرض من هذه الدراسة استعراض أهم الأحداث الفكرية، وتقديم نبذة مجهولة من تاريخ وحياة علماء المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، وإخراج مساهماتهم الحضارية والثقافية، التي قدموها من كتب التراجم والمناقب، وإيصالها للأجيال.

و لم تكن رغبتنا في إبراز الدور العام والكلي الذي لعبته الدولة الموحدية، إنما إرادتنا نابعة من محاولة إظهار ما قدمه المغرب الأوسط لهذه الدولة ولهاته الحضارة، ثم انه لطالما شغلنا بفكرة أساسية ألحت على تفكيرنا وهي ما دور المغرب الأوسط الثقافي والفكري خلال مرحلة الوحدة تحت لواء دولة الموحدين؟

أما ما جعلنا نختار هذا الموضوع بعينه، فهناك عدة أسباب موضوعية وأخرى شخصية.

– فكون أغلب المؤرخين الجزائريين اهتموا بالتاريخ الخاص بالفترة الحمادية أو الزيانية وأهملوا الفترة الموحدية، ربما لكون الفترتين السابقة و اللاحقة تمتع فيها المغرب الأوسط بالسادة، عكس الفترة الموحدية التي اندمج فيها مع الوحدة المغربية الأندلسية، فذابت منجزاته وانصهرت في الوحدة الكلية.

---

1) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2005،ج2، ص349-352.

لم نجد عند علماء العربية والإسلام– في الزمن الماضي – مفهوماً اصطلاحياً للثقافة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في أيامهم، فلم نجدهم ينعتون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مميزةوحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لدينا مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافي،وعلى هذا جاء تعريف "الثقافة" بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً على يد المجمع اللغوي الذي عرفها بأنها: "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها".إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، اسطنبول، د ط، د ت، ج1، ص98.

-إضافة إلى اهتمام المؤرخين المغاربة الكبير بهذه الفترة دون إعطاء المغرب الأوسط حقه، فأغلب اهتمامهم منصب على المغرب الأقصى باعتباره مركز الدولة الموحدية ومقر الخلفاء ورغبة منهم في إظهار منجزاتهم دون التركيز على منجزات الآخرين.

-كما أن الدولة الموحدية مغربية الفكرة والدعوة والثورة، عكس بعض الدول التي قامت في المغرب الأوسط لكن على أيد وسواعد أجنبية، أو بتبنٍ لمبادئ وأفكار لرجال أجانب، وكونها لأول مرة في التاريخ يتحد المغرب الأوسط مع الأندلس في دولة واحدة، وتحت راية واحدة.

- ورغبة منا في إظهار القيمة الثقافية والفكرية التي ساهم بها المغرب الأوسط في الحضارة الموحدية وأهم مخلفات وإنتاج علمائه ومفكريه، وعكس صورة الجودة العالية التي قدمها للحضارة الإسلامية والفكر الإنساني في قالب من الإبداع، إضافة إلى أسباب أخرى منها :

-كشف اللثام عن كثير من تراث المغرب الأوسط في ظل الوحدة مع الأقطار الثلاثة في العهد الموحدي والتأثير والتأثر الحاصل بينهم.

- تسليط الضوء على جهود علماء المغرب الأوسط في جميع العلوم والميادين الثقافية والفكرية المتنوعة وأهم ما خلفوه من إرث حضاري.

- المساهمة ولو بالنزر القليل في إثراء التراث الوطني وإحيائه والمحافظة عليه ونقله للأجيال من خلال إظهاره والتركيز عليه، خاصة في فترة يمر عليها أغلبهم مر الكرام، لاعتقادنا أن عبء إحياء تراث أي منطقة يقع على كاهل أبنائها بالدرجة الأولى، بحكم انتمائهم إليها، و بحكم عيشهم فيها، إذ أن ذلك يساعدهم -أكثر من غيرهم -على اكتشاف الحقائق من أقرب السبل وأسلمها، وذلك بفضل احتكاكهم بالمنطقة، ومشاهدتهم لآثارها.

- إبراز خصوصية المغرب الأوسط في ظل الوحدة المركزية، وتعايشه مع وحدة بنيوية إبداعية فكرية ساهم فيها المغرب والأندلس معا، بالتأثير والتأثر مع المشرق الإسلامي.

- أما السبب الشخصي، فهو إعجابي بدولة الموحدين وما خلفته في كل المغرب والأندلس من آثار وعلوم، كان للمغرب الأوسط نصيب فيها.

ولهذه الأسباب مجتمعة، ولرغبتنا الملحة في الإطلاع على منجزات أسلافنا، عكفنا على إنجاز هذا البحث والدراسة، لعلنا ننفع بها بلادنا وتاريخنا.

وقد كان أملي الكبير أن أوفق يوما ما للمساهمة في الكشف عن خفايا تاريخ هذا الوطن العزيز، فاهتديت أخيرا إلى تناول الجانب الثقافي لفترة منسية من تاريخ المغرب الأوسط.

إشكالية الموضوع :

نهضت الدولة الموحدية على حلم عظيم أرادت أن تحققه بكل عزم وفي كل ميدان، ذلك الحلم هو الثورة على كل شيء، الثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية، الثورة على مناحي التفكير في

العقائد والأحكام والعلوم عامة ، الثورة بالتجديد في كل شيء، وبإعادة صرح الدولة الإسلامية الكبرى قويا شامخا عظيما مهابا [1] فما هي مكانة المغرب الأوسط من كل هذا التغيير، وكيف كان المشهد الثقافي والفكري له في ظل الوحدة التي فرضتها الدولة؟

أما الإشكالية الرئيسية للموضوع فهي هل يمكن اعتبار الحضور الثقافي والفكري في الساحة العلمية الموحدية للمغرب الأوسط إبان هذه الفترة مؤثرا وإيجابيا؟ مقارنة مع نظيرتها الحمادية والزيانية؟

وهذا الإشكال يجرنا إلى طرح تساؤل آخر: لماذا أهمل المؤرخون الدور الخفي والكبير للمغرب الأوسط—سواء السياسي أو الثقافي- خلال الفترة الموحدية؟

ولا يمكن أن نكتفي بسؤال حول مدى مساهمة المغرب الأوسط في إثراء الثقافة والفكر الموحدي؟ وإنما في طرح استفسار آخر، وهو ما هي أهم المؤلفات التي تركها علماء المغرب الأوسط كرصيد معرفي في جميع العلوم؟ وسوف نتساءل أيضا عن أهم الروافد الثقافية والفكرية التي ساهمت في ازدهار الحياة العلمية بالمغرب الأوسط ؟ وكيف ربط هذا الأخير علاقاته الثقافية مع مختلف الشعوب؟

ويبدو أن الخيط الواصل بين مختلف الحلقات للإجابة عن هذه التساؤلات هو التنظيم الجيد لسيرورة الموضوع من خلال خطة تبرز مختلف الجوانب الثقافية والفكرية.

خطة البحث:

وقصد الإحاطة بالموضوع وسعيا منا لحل الإشكاليات رسمنا له خطة متناسقة للإجابة عن مختلف التساؤلات من خلال تقسيمها إلى ثلاثة فصول وفصل تمهيدي ضروري للتعريف بالمغرب الأوسط مكاناً وتاريخاً، أي تحديد الإطار الجغرافي للبحث حتى يتم حصر المعلومات التاريخية المقدمة، ومنه ذكر كيفية ارتباط المغرب الأوسط تحت راية الدولة الموحدية ومراحل ضمها له، وأهم التقسيمات الإدارية والتنظيمات التي كان يسير عليها كمناخ لتطور العلوم والفكر.

ثم أفردت **الفصل الأول** للحواضر العلمية والمؤسسات الثقافية في المغرب الأوسط، من خلال تقسيمي له إلى مبحثين مهمين، الأول عن الحواضر العلمية التي نشأت في المغرب الأوسط في ظل الوحدة الموحدية (تلمسان، بجاية، قلعة بني حماد، قسنطينة، وهران، جزائر بني مزغنة، بونة، وارجلان).

وتطرقت في المبحث الثاني إلى أهم المؤسسات الثقافية السائدة في المغرب الأوسط، من المساجد، والكتاتيب، والرباط، والمدرسة، والمكتبات(العامة والخاصة)

أما في **الفصل الثاني** الذي عنونته بالنشاط الثقافي والفكري، روافده وتجلياته، فقد تناولت فيه مبحثان، الأول بعنوان روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية من خلال التطرق إلى الرحلة وطلب العلم، و المجالس العلمية والفكرية، والإجازة العلمية، واقتناء الأصول القديمة .

---

1) محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحدي، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة 11، العدد9– 10، غشت/ جمادى الأولى1968/ 1388، ص94.

والمبحث الثاني تطرقت فيه لتجليات الحركة الثقافية والفكرية من خلال إبراز كيفية التدريس وطرقه ومناهجه وبرامجه، وانتشار الوراقة في المغرب الأوسط .

وكان **الفصل الثالث** خاصا بالتأليف وأهم العلوم من خلال تقسيمه إلى مبحثين الأول حول العلوم النقلية ، من علوم القرآن-كعلم القراءات، وعلم التفسير-وعلم الحديث، وعلم الفقه وعلم الكلام والأصول وعلم التصوف، إضافة إلى العلوم الأدبية كالنثر والشعر والتاريخ والسير.

والمبحث الثاني حول العلوم العقلية كعلم الجغرافيا والفلك ، والطب و الصيدلة، وعلم الفلسفة و المنطق، وعلم الرياضيات.

وضمنت **الخاتمة**، بمجموعة استنتاجات تعتبر محصلة أهم النتائج التي توصلت إليها، محاولا إبراز كل الحالات التي صادفتها خلال ثنايا البحث.

وأتبعتها بملاحق اقتبستها من مختلف المراجع والبعض استنتجتها من ثنايا الدراسة محولا أياها إلى رسومات بيانية توضيحية وجداول، وصور وخرائط، وفهارس للأعلام والأماكن.

المناهج المتبعة:

نظرا لطبيعة الموضوع وتنوع فصوله تنوعت بطبيعة الحال المناهج المستخدمة، لأنه من مقتضيات البحث التاريخي الدقة والابتعاد عن التعميم وتمجيد الأشخاص، و منطلق هذا البحث هو مقاربة تاريخية وفق الأدوات المتاحة في القراءة والتحليل والتحري، حيث وظفنا المنهج الاستقصائي مع شيء من التحليل في الفصل التمهيدي نظرا لعدم توفر معلومات واضحة ودقيقة عن حدود المغرب الأوسط، وكيفية ارتباط جميع أجزائه بالدولة الموحدية، مما تطلب منا استقصاء المعلومات من ثنايا الكتب والمخطوطات لإعطاء صورة أدق عن حدوده الجغرافية، وهو نفس النهج المتبع من خلال الوصول إلى طبيعة التقسيم الإداري وأهم الولاة، باعتبار أن الكتب التاريخية لا تشير إليه صراحة.

كما وظفنا منهج الجمع والوصف والتحليل والإحصاء بدرجات مختلفة، في بقية فصول البحث وأثناء عرضنا أدوار علماء المغرب الأوسط وفقهائها خلال الفترة الموحدية وأهم العلوم التي نبغوا فيها، لأنه عندما تغيب المادة التاريخية يكون الميل للاستقراء والاستنباط مع الاستعانة بأدوات الإحصاء والمقارنة، ثم تركيب هذه الجزئيات لنقف على معنى تاريخي متماسك، وتفسيرات مقنعة.

وقد قمنا بمحاولة جمع كل علماء الفترة، وأهم المصادر التي تتحدث عنهم، ثم مزجناه بمنهج الوصف للبيئة التي عاشوا فيها وتأثيرها على توجهاتهم سواء السياسية أو الدينية، وأهم صفاتهم الخلقية والتربوية والعلمية، محللين لأفكارهم وآرائهم، مبرزين لكل منجزاتهم الفكرية، وحاولنا من خلال المنهج الإحصائي إنجاز تمثيلات بيانية لعدد العلماء وأهم مخلفاتهم العلمية.

كما وظفت في بحثي هذا مجموعة مهمة من المصادر واستعنت بعدد لا بأس به من المراجع، فقد أتاحت لي خاصة مصادر التراجم كالصلة والتكملة وعنوان الدراية وبغية الرواد والتشوف الفرصة

للغوص في ثنايا الموضوع من خلال نقلنا إلى الزمن المطلوب وعيشي حيثياته، أما أهم المراجع التي أعانتني فهي كتب الحضارات ككتاب المنوني حضارة الموحدين، وكتاب حسن علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، إضافة إلى المراجع المتخصصة في كل علم كعلم القراءات والحديث والعلوم الأدبية وغيرها، وسنورد دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

صعوبات البحث

لقد واجهتني خلال إعداد الموضوع عدة صعوبات حاولت التغلب عليها من خلال البحث والتنقيب والاستعانة بالمشرف الذي وجهني لما فيه تجاوزا لها.

ولاشك أن أول ما يلاقيه الباحث في مجال تاريخ وحضارة المغرب الأوسط من عقبات في سبيل انجاز بحثه مسألة المصادر المتخصصة في هذه الفترة وفي هذا القطر، إضافة إلى الصعوبات الخاصة بالموضوع في حد ذاته منها:

1 - أن طبيعة الموضوع جعلتني أعمل غالبا في عدة فنون في أوقات متقاربة، وهي الفقه واللغة والتصوف والعلوم العقلية، وهذا فيه شيء من التشتيت للذهن وتفرق للمعلومات.

2 - قلة ما يمكن اعتباره مادة علمية واضحة المعالم عن المغرب الأوسط في عهد الموحدين لغلبة مركز الدولة على بقية الأقطار.

3 - صعوبة تحديد الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة المغاربية الأندلسية تحت شعار واحد ودولة واحدة، وما زاد في الصعوبة هي الحدود الجنوبية التي كانت من الصعب تحديدها بدقة في جميع الدول المتعاقبة، منذ الدولة الرستمية.

4 - صعوبة تتبع توالي الولاة على كل من بجاية وتلمسان، نظرا لاختلاف المصادر، وتعدد الروايات، إضافة إلى كثرة المعارك التي ساهم هؤلاء الولاة فيها في ولايات غير ولاياتهم أو تحويل بعض الولاة من ولاية لأخرى.

5 - الاختلاف بين بعض كتب التراجم حول تواريخ الوفاة أو الميلاد لبعض علمائنا مما يصعب المهمة ويطيل عملية الإثبات بالنسبة للتاريخ الحقيقي.

6 - استمرار حياة بعض العلماء والفقهاء ليعاصر عهد دولتيين سواء الحمادية والموحدية، أو الموحدية والزيانية مما يجعلني في حيرة من أمري إن كان بالإمكان اعتباره من أعلام الفترة الموحدية.

7 - كما اصطدمت بصعوبة إحصاء علماء المغرب الأوسط الذين عاشوا في الفترة الموحدية، خاصة إذا كان أصلهم من المغرب الأقصى أو تونس والأندلس، لهذا ارتأيت أن أعرج على ذكر كل فقيه وعالم مر على المغرب الأوسط وترك فيه تراثه أو درس به وبالتالي ترك طلبة ساهموا في نشر أفكاره .

تلك بعض الصعوبات التي واجهتني عند كتابة هذا البحث، أحببت الإشارة إليها، من أجل أن يقدر القارئ هذه المحاولة اليسيرة مني للخوض والتخصص في غمار المغرب الأوسط، فليلتمس لي العذر حينما يجد بعض الهفوات، إذ هو عمل بشري، فلن يخلو من الخطأ والنسيان، والكمال لله وحده.

وفي الختام أتوجه بأغلى كلمات التقدير وأسمى تحيات الاحترام، وخالص شكري وعرفاني وامتناني إلى الدكتور الكريم"الأستاذ مزهودي مسعود"الذي كان لي خير العون والرفيق، وفتح لي صدره، واقتطع لي من وقته، وشجعني على المضي قدما مذ كنت طالبا عنده في السنوات الأولى من الجامعة، فأرشدني بتوجيهاته القيمة ومنحني تجربته الطويلة وخبرته العريضة في هذا الميدان حتى ظهر هذا البحث في صورته الحالية.

دراسة المصادر والمراجع

إن البحث في التاريخ الفكري للمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية ليس أمرا سهلا، فالمصادر التاريخية المباشرة في الغالب منها لا تفيد بالكثير منه، نظرا لتركيز مؤلفيها —في الغالب— على النواحي السياسية والعسكرية— وهي وإن أتت بشيء فإنها على سبيل الإيجاز والتلميح، مما يعطي الصدارة من الناحية المرجعية بالنسبة إلى مثل هذا البحث —إلى كتب التراجم والشخصيات، وكذا كتب الفتاوى والنوازل التي غالبا ما يستفاد من تراجم بعض شخصياتها، أنها كانت تدرس في مسجد أو مدرسة وأنواع هذه الدراسة، وطرق تدريسها.

وإن جمع المادة العلمية لمثل هذا الموضوع يقتضي إلماماً واسعاً جدا بمختلف المصادر الثقافية والفكرية لهذا اعتمدت في انجازه على عدد من المصادر منها المطبوع ومنها المخطوط على قلتها، واستفدت من المراجع سواء الكتب منها أو المقالات، أما مراحل العمل بالمراجع والمصادر، فقد صنفتها ورتبتها حسب أهميتها كما يلي:

1- المخطوطات

لقد استعنت ببعض المخطوطات رغم قلتها نظرا لعلاقتها الوطيدة بالبحث ومنها:

مخطوط"**الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة**" لأبي عبد الله محمد بن أبي العباس الأموي، المعروف بابن النقاش، وهو صاحب شرح على مرشدة ابن تومرت، واستفدنا منه توضيحه لاهتمام الناس بالمرشدة وانكباب فقراء ومتصوفة مدينة تلمسان على حفظها، والتبرك بها.

ومخطوط" **المجموع**"، لمحمد بن مرزوق الخطيب (ت780هـ/1378م)، ورغم أنه عاش الفترة الزيانية إلا أنه أفادنا بالحديث عن بعض البناءات السائدة في تلمسان وتحدث عن المدرسة، كموروث سابق لهذه الفترة، وعن كل الملحقات التي تتبعها كالجناح الخاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم.

إضافة إلى مخطوط حديث "**درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**" لصاحبه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت ق14هـ/19م) ورغم أنه متأخر جدا إلا أنه اعتمد على مخطوطات قديمة محلية من منطقة توات، حيث أفادني في استبيان وصول الدعوة الموحدية إلى هذه المنطقة وبالتالي تحديد حدود المغرب الأوسط في عهد الموحدين.

ومخطوط" **الاغتباط بتراجم أعمال الرباط**" لأبي عبد الله، محمد بن مصطفى بوجندار الرباطى (ت1345هـ/1926م)، ورغم أنه مخطوط حديث إلا أنه أفادني في الإطلاع على كيفية استدعاء عبد المؤمن للعلماء والمدرسين والفقهاء والقضاة، من كل البلاد، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم، وكيفية عقد ندوات علمية أسبوعية في قصره.

2-كتب الطبقات و التراجم والشخصيات

إن طبيعة الموضوع ساهمت في الرفع من شأن بعض المصادر ووضعها في مصاف المصادر الأساسية، على حساب المصادر التاريخية وعلى رأسها كتب التراجم والشخصيات، حيث تعتبر كتب التراجم مظان ما أبحث عنه، فهي تحوي ترجمة وافية عن حياة شخصيات مهمة من المغرب الأوسط وأهم منجزاتها، ومؤلفاتها، ورحلاتها، ومختلف علاقاتها بما فيها التصوف، فعليها العمدة خاصة في تراث هؤلاء الشخصيات وآثارهم، وهي أكثر المصادر التي اعتمدت عليها مقارنة بالبقية، نظرا لطبيعة الموضوع، حيث أبرزت هذه الكتب حياة ونشاط العلماء والفقهاء وأهل التصوف والصلاح، ورصدت كل مخلفاتهم، ومن أهم هذه الكتب التي استفدت منها في هذه الناحية :

"**التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**" ، لصاحبه ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحي(ت 628هـ/1230م) حيث ترجم للعديد من الزهاد من المغرب الأوسط وأمدنا بمعلومات مهمة عن عوامل الانعزال والابتعاد عن الدنيا، وعن كرامات العديد من المتصوفة في تلمسان وبجاية، وإسهامات هؤلاء في ازدهار الحياة العلمية والفكرية، كما لا ننسى أنه كان قاضيا من قضاة الموحدين[1] وهذا يعزز قيمة معلوماته.

وكتاب "**التكملة لكتاب الصلة**" لابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م)، وهو تكملة لصلة ابن بشكوال، يضم مجموعة هامة من التراجم لعلماء الأندلس و المغرب الأوسط الذين رحلوا نحو الأندلس أو العكس، مرتبة حسب حروف الهجاء، وتكمن أهميته في ذكر أهم العلوم والآداب التي نبغ فيها هؤلاء العلماء وأهم آثارهم الفكرية والمشايخ الذين تعلموا عليهم، ويعتبر ابن الأبار من العلماء الذين دخلوا بجاية ومكث بها مدرسا، منذ سنة 635هـ/1237م، فهو على دراية كاملة بالمشهد الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط.

إضافة إلى كتاب" **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**" لأبي العباس أحمد بن خلكان (ت 681هـ/ 1282م) وهو معاصر للدولة الموحدية فترجم لخلفائها تراجم طويلة نسبيا مستفيدا خاصة من روايات الرحالة المغاربة، كما أمدنا بمعلومات هامة عن العديد من العلماء والفقهاء الذين هاجروا إلى المشرق، والأندلس وأهم مؤلفاتهم وتراثهم العلمي والأدبي.

ومن كتب التراجم المعتمدة في البحث كتاب "**المغرب في حلى المغرب**" لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م)، وهو يقع في جزئين يحتويان تراجم لبعض الشخصيات

---

1) محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص22.

البارزة في الأندلس من الأمراء والوزراء والكتاب والشعراء، وحتى الغرباء عن الأندلس من الضفة الأخرى كالمغرب الأدنى والأوسط، مما ساعدنا على إعطاء صورة حسنة عن هذه الشخصيات وعن بعض مؤلفاتهم العلمية.

إضافة إلى كتاب " **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"** لابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت 703هـ/1303م) وهو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي(ت403هـ/1061م)، وكتاب "**الصلة**" لابن بشكوال(ت 578هـ/ 1182م) وهو يضم تراجم لرجال الأندلس والوافدين إليها من المشرق والمغرب، ويقع في تسعة أجزاء، إلا أن بعض أجزائه تعرضت للضياع، والأجزاء المعتمدة في البحث هي السفر الأول والرابع والخامس والسادس والسفر الثامن، وقد تضمن تراجم لعلماء من الغرباء على الأندلس وبالضبط من المغرب الأوسط رحلوا نحو مدن الأندلس للاستزادة من العلم وتركوا رصيدا معرفيا مهما، أو تراجم لرجالات مهمة أندلسية هاجرت إلى العدوة.

وأهم مصدر أفادني كثيرا في دراستي هو كتاب" **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"،** لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م) فهو أهم مصدر اعتمدنا عليه لأنه يضم تراجم لفقهاء ومتصوفة وشعراء وأدباء، ولا يمكن لأي باحث في هذه الفترة الاستغناء عنه كونه يحتوي الكثير من الآراء النقدية ويكشف عن الازدهار العلمي والفكري والأدبي الذي بلغته بجاية في القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد ذكر الغبريني سبب تأليفه للكتاب بقوله"لما كان طلب العلم الديني فرضنا على الكفاية حينا ومتعينا في الحال، و لم يكن بد في تحصيله من تلقيه عن الرجال"[(1)].

ومنهج المؤلف في تأليف الكتاب تاريخي بالدرجة الأولى، انحصر في ترجمته لمشاهير المائة السابعة ببجاية، سواء الأصليين الذين ولدوا ونشأوا بها، أو الوافدين عليها من شتى الأقاليم والحواضر الأخرى، وقد ترجم الكاتب لمائة وإحدى عشر شخصية، منها ما هو متعلق بالبجائيين، ومنها ما يتصل بهم و هم كثر، وبخاصة من مدينة جزائر بني مزغنة وتلمسان ووهران وقسنطينة والقلعة وغيرها، وثانيها تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها، وذلك بعد التدهور السياسي الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية سنة 430هـ/1038م، وثالثها تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق، وعددهم قليل، وقد أفادني كثيرا بذكر علماء المائة السادسة، أو بداية المائة السابعة، وهي الفترة المدروسة من خلال قوله"وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة، ذكر الشيخ أبو مدين والشيخ أبو

---

1) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2،الجزائر، 1981، ص 54.

علي المسيلي والفقيه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي رحمهم الله لقرب عهدهم بهذه المائة لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم"[1].

وبالتالي يمكن أن نبين ما استفدته من عنوان الدراية:

- الجانب الديني: كل تراجم الكتاب تدور حول الفقهاء الذين كانت تزدان بهم بجاية، حيث شاع في هذه الفترة الزمنية الفقه المالكي، رغم محاولة الدولة الموحدية لفرض المذهب الظاهري.
- الجانب الصوفي: من خلال ذكره لأهم المتصوفة والزهاد، مبرزا التصوف بنوعيه السني والفلسفي، أما السني فهو الذي سار متقيدا بالقرآن والسنة النبوية والاهتمام بالتعبد والزهد، أما التصوف الفلسفي فهو يخص المتصوفة الذين يدرسون نظريات المعرفة والوصول إلى الحقيقة الإلهية بالمقاييس العقلية .
- الجانب الأدبي: من خلال التعريف بأشهر أدباء وشعراء بجاية، ومنهم المدائح النبوية، وصفات الرسول(ε) ومعجزاته، إضافة إلى أشعار الطبيعة والزهديات، ومختلف الرسائل الإخوانية.

ومصدر آخر لا يقل أهمية عن عنوان الدراية وهو **"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"**، تأليف أبي زكرياء يحي بن خلدون (ت 780هـ/1378م) وقد أفادنا جزؤه الأول، الذي يعتبر مصدراً مهماً جدا من خلال سلسلة الأعلام التي يقدمها لنا من فقهاء تلمسان وأحوازها، خاصة عن علماء الفترة الموحدية، إلا أن ما يؤخذ عليه الاختصار الشديد في ذكر حياة هؤلاء الفقهاء، وإغفاله لتاريخ وفاة الكثير منهم.

وكتاب **"الإحاطة في أخبار غرناطة"** لابن الخطيب (779هـ/1374م) الذي ترجم فيه لأعلام غرناطة، وضمنه بعض تراجم المغرب الأوسط، ممن دخلوا غرناطة بها، أو بعض الغرناطيين الذين هاجروا إلى المغرب الأوسط، مع ذكر نشاطهم العلمي وأهم تآليفهم.

وكتاب **"الديباج المذهب"** لابن فرحون برهان الدين (799هـ/1395م) الذي يعد من أهم المصادر التي ألفت في ترجمة رجال المذهب المالكي، حيث استفاد منه البحث في الكثير من الشخصيات

التي برزت في المذهب المالكي من علماء المغرب والأندلس، خاصة في عنصر المذهب المالكي في عهد الدولة الموحدية.

1) الغبريني: المصدر السابق، ص55.

وكُتب أخرى ككتاب **"الوفيات"**لابن قنفذ القسنطيني(ت 809هـ/1406م) رغم ما أورده من اقتضاب في ترجمة الرجال،

أما مصدر **"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"** لصاحبه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني (ت 1014هـ/1605م) فهو مصدرا مهما لتاريخ المغرب الأوسط الثقافي، خاصة مدينة تلمسان، رغم تأخر صاحبه نوعا ما عن الفترة التي ندرسها، وقد أنهى تأليفه سنة1011هـ/1602م[1]

وقد ترجم فيه لواحد وثمانين ومائة(181) من الأعلام والفقهاء والمفسرين والمحدثين وغيرهم، وذكر ستمائة وستة وثلاثين636 مؤلفاً من المؤلفات التي ألفها علماء تلمسان أو درسوها للطلاب، وقد اعتمد على مصادر أخذنا منها أصلا كالديباج لابن فرحون وعنوان الدراية للغبريني وبغية الرواد ليحي بن خلدون ..وغيرها.

ورتب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء، وقد تفاوتت تراجمه في الطول تفاوتا كبيرا، فبعضها لا يزيد على سطر واحد بينما خصص ابن مريم لبعض العلماء عدة صفحات من كتابه نذكر منها على سبيل المثال، إحدى التراجم بلغت عشرين صفحة، وهي ترجمة الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان، وما يجب التنبيه إليه أن ابن مريم ترجم لبعض الأعلام من فقهاء المالكية ممن لم تكن لهم علاقة مباشرة بتلمسان كخليل بن إسحاق والإمام عرفة و البرزلي، كما لم يكثر المؤلف من إيراد الشعر إلا قليلا.

بالإضافة إلى جملة من المصادر المتأخرة نوعا ما،ككتاب" **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس"** ، لأبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي(ت 1025هـ/1616م)، والذي عرف فيه بعلماء فاس، وخصص قسماً للغرباء الوافدين إليها من فقهاء المغرب الأوسط وغيره، كما للمؤلف كتاب آخر هو **"درة الحجال في أسماء الرجال"**، تناول فيه التعريف بالعديد من الشخصيات والفقهاء خاصة من المغرب الأقصى وبعض الوافدين عليه من المغرب الأوسط.

وكتاب **"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"** لأحمد بابا التنبكتي (ت 1032 هـ/1627 م) فيعتبر إلى جانب كتاب الديباج المذهب موسوعة لتراجم علماء المذهب المالكي، وبالتالي أفادنا في التعريف بأغلب علماء المغرب الأوسط باعتبارهم كانوا على المذهب المالكي

وكتاب**"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** "لصاحبه أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م) ومن خلال استطراده لبعض التراجم قدم لنا معلومات قيمة عن الحياة العلمية والفكرية، وعن أعمال ومخلفات بعض الفقهاء والشيوخ.

---

1) ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص314.

إضافة إلى كتب بعض المتأخرين خاصة من علماء المالكية **ككتاب "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"** لابن مخلوف(ت 1350هـ/1931م) وكتاب **"تعريف الخلف برجال السلف"** لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت1361هـ/1942م).

3- كتب البرامج والمعاجم

مثل كتاب ابن الأبار(ت 658هـ/1260م) المعنون **"بالمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي"**، حيث قدم فهرساً كبيراً لكل شيوخه، وبالتالي استفدنا منه من خلال ذكره لبعض الفقهاء والعلماء الذين درس على أيديهم، وأصلهم من المغرب الأوسط، مع ذكره لأهم الكتب التي حملها عنهم.

و**"برنامج شيوخ الرعيني"**(ت666هـ/1267م)، الذي أفادنا في التعريف بحياة بعض الفقهاء والعلماء الذين درس على أيديهم الرعيني،من علماء المغرب الأوسط، وأهم ما درس على أيديهم إضافة إلى**"برنامج الغبريني"** الذي أفرده في نهاية كتابه عنوان الدراية، و **"برنامج التجيبي"** (ت730هـ/1329م) وبرنامج " **ابن جابر الوادي آشي"** (ت749م/1384م)و**"برنامج المجاري"** (ت862هـ/862م) الذي قدم لنا صاحب التحقيق معلومات عن تعريف الفهارس وأنواعها وتطورها، كما ترجم لنا حياة بعض العلماء والفقهاء ومنهم شيوخه بتلمسان، وكذلك الشأن بالنسبة **"لفهرس ابن غازي"** (ت919هـ/1513م) وفهرس **"أحمد المنجور"** (ت929 هـ/1522م) .

4-كتب الرحلات و الجغرافيا .

كانت سنداً قوياً في ثنايا البحث من خلال معاينة الرحالة للأماكن ومعايشة الأحداث، كما زودتنا بمعلومات قيمة عن الجوانب المعيشية والثقافية والفكرية ومنها:

كتاب **"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"** للإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت 560هـ/1164م) استفاد منه البحث في الفصل الأول أثناء التعريف بمختلف الحواضر، حيث عاش هذا الرحالة الفترة الموحدية وصال وجال مختلف الحواضر وقدم لنا وصفا دقيقا عن حالها.

أما مصدر**"الاستبصار في عجائب الأمصار"** لمؤلف مجهول عاش خلال الفترة الموحدية وقد كان حيا سنة(587هـ/1191م) أي حضر فترة حكم يعقوب المنصور، كما يحتمل أنه كان أحد رجالات الدولة، أو البلاط نظرا لحصوله على بعض الرسائل الرسمية، كما تدل التفصيلات التي يمدنا عن جغرافية مدن المغرب أنه ينتمي إليها، وقد أفادنا الكتاب كثيرا خاصة في التقسيمات الجغرافية بالنسبة للمغرب الأوسط، وكذا التعريف بأهم حواضره، زيادة عن المعلومات التي يقدمها عن بعض الحملات العسكرية

خاصة ضد بني غانية، وكذا يقدم لنا معلومات هامة عن سفارة ابن منقذ رسول صلاح الدين إلى الخليفة المنصور.

إضافة إلى **"رحلة ابن جبير"** تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" لصاحبه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي، (ت614هـ/1217م) الذي أفادنا في العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب وعن طريق الحج، وكذا عن هجوم ابن غانية، ومعلومات متفرقة عن بجاية وغيرها من مدن المغرب الأوسط.

وكتاب **"رحلة التجاني"** (ت717هـ/1317م) التي أفادتني خاصة في الفصل التمهيدي من خلال تتبعه لمدن المغرب الأدنى وكيف فتحها عبد المؤمن بن علي، وكيف تعرضت لحملة ابن غانية، كما تطرق إلى التنسيق الحاصل بين قرقوش وابن غانية زمن صلاح الدين، وكيف انفصل شرق المغرب الأوسط عن الموحدين وأصبح تابعاً للحفصيين.

ورحلة العبدري محمد بن محمد (ت 720هـ/1320م) المسماة **"الرحلة المغربية"** والتي اتجه من خلالها إلى الحجاز سنة866هـ/1289م، مارا بالعديد من حواضر المغرب الأوسط وبالرغم من تجنيه في بعض الأحيان إلا أنه ترك لنا معلومات مهمة عن أهم الحواضر ومعلومات مهمة عن الحياة العلمية والثقافية بتلمسان وبجاية.

وكذلك كتاب **"الروض المعطار"** للحميري، (ت 727هـ/1327م) الذي أفادنا في الفصل الأول والخاص بالحواضر الثقافية في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي، من خلال توضيح لجغرافية كل منطقة وظهورها ومختلف أنشطتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وكتاب **"رحلة القلصادي"** لأبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1486م) وتسمى بتمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، وأهميتها تكمن في أنها مثال رائع في الرحلات العلمية،كما أفادتنا في التعريف بمدن المغرب الأوسط التي مر بها وكذلك ببعض الشيوخ، وبمعنى الفهارس والإجازة.

إضافة إلى كتب المتأخرين كـــ **"صف إفريقيا"** للحسن الوزان المدعو ليون الإفريقي(ت بعد957هـ/1550م) وتعتبر رحلته هذه جزءا من كتابه"الجغرافيا العامة" الذي ألفه سنة933هـ/1526م وقد أفادنا هذا الكتاب خاصة في تحديد المدارس التي أنشأها الموحدون، وكذلك الحدود العامة للمغرب الأوسط ووصف بعض حواضره.

وكتاب **"إفريقيا"** لمارمول كربخال(ت أواخر ق 10هـ/16م) الذي يبدو أنه استفاد من كتاب الوزان كثيرا حيث يبدو نسخة طبق الأصل عنه، ويحيد عنه إلا في بعض التفاصيل.

5-كتب النوازل والفتاوى الفقهية .

كفتاوى البرزلي القيرواني(ت 841هـ/1438م) التي أصدرها بعنوان **"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"**، حيث أفادني كثيرا في إثبات ظاهرية ابن تومرت وعبد المؤمن، وموقف المالكيين منها ومن تحريق كتب الفروع، كما أفادني في التعريف ببعض طرق التعلم السائدة في المغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية باعتباره يجمع فتاوى العديد من الشيوخ منهم من عاصر هذا العهد.

وكتاب **"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"** لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ/1509م)، وكان هذا الكتاب مهما للدراسة بفضل ما تضمنه من فتاوى تعود بعضها إلى الفترة الموحدية، كما عالجت الحياة العامة للمغرب في نفس الفترة (كالتعليم والحج...) وتناولت بعض آراء الفقهاء في المذهب الظاهري.

إضافة إلى بعض المصادر ذات الأهمية التربوية، حيث اعتمدت على بعض المصادر المتقدمة أو المتأخرة عن الفترة التاريخية للموضوع، وهذا لا يقدح في صلاحيتها للتعبير عن واقع تعلمي تمتد جذوره إلى الفتح الإسلامي، فتغير الدول، أو الأوضاع السياسية لا يعني بالضرورة تغيرا في المناهج والتقاليد المدرسية، خصوصا إذا علمنا أن التأثيرات الموحدية لم تمتد و لم تتغلغل في الطبقات الشعبية.

ومنها كتاب **"آداب المعلمين"** لمحمد بن سحنون(ت 256 هـ/869م)، الذي أفادني كثيرا في طرق التربية وكيفية التدريس والتعامل مع الطلبة ، وأهم المواد والمناهج.

ورسالة القابسي أبو الحسن علي (ت 403هـ/1012م) المعنونة **"بالرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"**، حيث قدمت لنا طرقاً هامة للتعامل مع الطلبة، في ضوء الشريعة الإسلامية.

بالإضافة إلى**"رسالة في القضاء والحسبة"** لمحمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (ت ق 6هـ/12م) التي نشرها ليفي بروفنسال في كتاب عنوانه "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب "، وقد أفادتنا في الطرق التربوية كونها تخص الفترة المدروسة بالضبط.

6-كتب التاريخ

أما كتب التاريخ التي اعتنت بالدولة الموحدية فهي لم تقدم لنا المعلومات الوافية عن الجانب الثقافي والفكري، بل أعانتني على بلورة الفكرة وترابطها تاريخيا، أي أخذ صورة عامة واضحة متسلسلة تاريخيا عن أهم الأحداث، وعلاقتها بالشخصيات التي ساهمت في الناحية الثقافية، وإن كانت تعنى غالبا بالنواحي السياسية والعسكرية، غير أنها تجود علينا في كثير من الأحيان – بفضل استطراداتها– بمعلومات قيمة لا نكاد نعثر عليها في غيرها، أو نتيجة المحن التي تعرض لها بعض الفقهاء على يد الحكام السياسيين، ومن هذه الكتب:

كتاب"**أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**" لأبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت بعد 550هـ/1165م)، وهو من المصادر الهامة التي تحدثت بتفصيل عن سيرة المهدي وابتداء أمره بالمغرب، وهو المصدر الوحيد المعاصر لدعوة المهدي، فلقد كان البيذق تلميذا للمهدي ومرافقا له في رحلاته ويعمل على خدمته، وقد كتبه على الأرجح ما بين سنتي 547-550هـ/1152-1155م، وانتهى في تسجيل الأحداث عند سنة 547 هـ/ 1152م، ويجعلنا نميل إلى القول بأن تسجيل الأحداث التي تعرضت لموت عبد المؤمن وبيعة ابنه يوسف كانت من وضع غيره[1]، وقد اعتمد عليه مصدران آخران هما ابن القطان في كتابه نظم الجمان، وكذلك ابن عذارى في كتابه البيان المغرب وتكمن أهميته في التعريف بالجوانب الثقافية والعقلية والتفكيرية لابن تومرت، وذكره لبعض كتاب الدولة، وبعض رسائل المهدي إلى قبائل الموحدين والمرابطين، كما أفادنا كثيرا في الفصل التمهيدي عند التعريف بالارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بالموحدين .

كتاب "**المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**"، لمؤلفه ابن صاحب الصلاة " عبد الملك بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم الباجي"، المتوفي أواخر المئة السادسة للهجرة" وهو من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية، وذلك نظرا لمعاصرة مؤلفه لأحداث الدولة ومعاينته لها، بالإضافة إلى أن ابن صاحب الصلاة كان من بين كتاب الموحدين كما يذكر ذلك عن نفسه، الأمر الذي جعله يعتني بهذا الجانب، ويورد العديد من الإشارات المهمة عن المؤلفين والكتّاب، و لم يبق منه إلا مخطوط واحد يخص الجزء الثاني الذي يغطي المرحلة ما بين 550هـ/1155م و578هـ/ 1182م، أي السنوات الأخيرة من عهد عبد المؤمن وجل عهد يوسف الأول، كما يمتاز الكتاب بوصفه الدقيق للأحداث والأماكن، مما جعله مصدرا مهما عن الحياة الاجتماعية والثقافية إلى جانب تناوله الجانب السياسي، والكتاب غني بالرسائل الديوانية ذات الطابع الأدبي، كما يتضمن

---

1) ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان ، 1990، ص62.

الكتاب ديواناً من الشعر شارك فيه العديد من الشعراء، وأفادنا كثيرا في الفصل التمهيدي ، عند محاولتنا لشرح كيف تم ضم المغرب الأوسط إلى الحركة الموحدية.

ومن بين المصادر المهمة جدا والغنية بالجانب الثقافي، والفكري كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" لمؤلفه عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)، وهو مصدر ضروري جدا لعصر الموحدين، لأنه نشأ في كنف هذه الدولة وعاصر بعضا من أحداثها، حيث حرره خلال عهد يوسف الثاني، ورغم ما يعاب عنه بتناوله العهد الموحدي بنوع من السطحية سياسيا، واعتماده على ذاكرته الخاصة التي أصابها الوهن، إلا أنه خدم البحث كثيرا في جوانب مساهمة الخلفاء في الحياة الثقافية والفكرية، بالإضافة إلى قيمة هذا المصدر الأدبية من خلال إيراده لمجموعة من الأشعار مما ساعدنا في اكتشاف المستوى الثقافي لهذه الفترة.

كما يعتبر كتاب"**نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**" لأبي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان الكتامي(كان حيا سنة 650هـ/1252م) من بين المصادر المهمة في هذا البحث، الذي عاصر أواخر خلفاء الموحدين، وهو يعتبر قطعة من موسوعة ضخمة في تاريخ المغرب والأندلس ضاع جلها، ويتضمن الجزء السادس المتبقي أخبار ثلاثة وثلاثين سنة من 500هـ/1106م إلى غاية533هـ/1138م، لكن هويثي مرندا يعتبره الجزء الثامن [1] وتكمن أهميته التاريخية في نقله من بعض المصادر المفقودة ككتاب"فضائل المهدي"لأبي القاسم المؤمن، وكتاب المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي، أما أهميته بالنسبة للموضوع فقد ترأس طلبة العلم بمراكش ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة، وذكر العديد من الأشعار والمظاهر الحضارية الثقافية لدولة الموحدين، وما يؤاخذ عنه الغلو في رفع شأن آل عبد المؤمن، حتى أنه عد يعقوب المنصور في جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجه .

ومن المصادر الأساسية والتاريخية، التي تدمج ضمن الحوليات وهو كتاب"**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة712هـ/1312م)، في جزئه الرابع والخاص بالموحدين والذي اكتشف مؤخرا، فهو يعتبر مصدراً مهماً جدا لكونه يقدم لنا صورة واضحة ومفصلة عن الأوضاع السياسية للدولة الموحدية، وحياة بعض الخلفاء، ولا يغفل تقديم الإشارات الثقافية والأدبية، ونصوصا لها أهمية كبيرة في الجانب الثقافي والفكري، وما يعاب على هذا المصدر وجود بعض الاختلاف أو التحريف في القصائد، وربما يكون في الغالب راجع إلى النساخ، كما أفادنا بصورة كبيرة في الفصل التمهيدي نظرا لطابعه السياسي والعسكري.

---

1) أنظر: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة "مطبعة الزمن"، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص20. ويعود في جهة أخرى يصفه بأنه الجزء الثالث عشر، ص22.

وكتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**" لابن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة 726هـ/1326م)، أي عاش في العصر المريني، وأسلوبه جيد وهو أسلوب فقيه متوسط المعرفة بعلوم اللغة، أما عباراته فتختلف باختلاف الملقين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب إليهم كلامهم في أغلب الحالات، لهذا يوجد فيها البليغ والمتوسط والركيك، وطريقته في كتابة القرطاس ليست طريقة الحوليات، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول، واستفدت منه في موضوعي ما يتعلق بذكره للوفيات وبعض الشخصيات الفكرية والثقافية والسياسية لدولة الموحدين، إضافة إلى ما قدمه في الجانب السياسي عن حملات عبد المؤمن العسكرية على مدن وحواضر المغرب الأوسط.

وكتاب "**الحلل الموشية**" لمجهول(كان حيا سنة783هـ/1381م)[1]، وقد استفدنا منه كثيرا في الجانب الثقافي من خلال إيراده لأشعار مختلفة، وتوضيح لمستوى بعض الشخصيات المطلوبة، كما زودنا بمعلومات قيمة في الجانبين التاريخي والسياسي لكيفية سقوط دولة المرابطين وظهور دولة الموحدين رغم ميله الواضح للدولة اللمتونية[2].

ومن بين المصادر التاريخية التي لابد أن يعتمد عليه أي باحث وهو "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، أو تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) حيث قدم لنا معلومات غزيرة ومهمة عن أيام الدولة الموحدية، وكيف استطاعت ضم المغرب الأوسط وأهم أحداث تعيين ولاة تلمسان وبجاية وذلك في جزئيه السادس والسابع .

ولا يمكن أن نهمل كتابه" **المقدمة**" الذي عالج مواضيع عديدة وبطريقة رائعة حيث استفاد منه البحث في التعريف بمختلف العلوم والفنون وطرق التعليم .

إضافة إلى كتب بعض المشارقة كابن الأثير في كتابه "**الكامل في التاريخ**" الذي أمدنا بمعلومات هامة سياسية وعسكرية عن أهم مراحل ضم مدن المغرب الأوسط، وكذا كتاب "**البداية والنهاية**" لابن كثير رغم قلة الاستفادة منه، وكتاب أب و شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل(ت 665 هـ/1267م)" **الروضتين في أخبار الدولتين** " حيث قدم لنا معلومات عن العلاقات الثقافية مع المشرق خاصة منها سفارة ابن منقذ من قبل صلاح الدين .

---

1) وقد حاول الدكتور عبد القادر بوباية نسبة هذا الكتاب المجهول المؤلف إلى مؤلف معلوم وهو أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي (ت ق 8 هـ)، وقد صدر بهذا التحقيق والانتساب عن دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، سنة 2010.

2) حققه محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، صدر عن دار الغرب الإسلامي، 1985.

7- الوثائق الرسمية

لو لم يكن الموضوع ثقافياً وذا طابع فكري لكانت مرتبة الوثائق الرسمية في الخانة الأولى نظرا لأهميتها التأريخية، ولكن في الجانب الفكري نجد فيها نزراً قليلاً من الإشارات الخاصة بذلك، ومنها:

"مجموع رسائل موحدية"، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية الذي اعتنى بإصداره ليفي بروفنسال سنة 1941 وهي من المصادر المساعدة على فهم الأوضاع الثقافية وخاصة منها ذات الطابع الأدبي.

إضافة إلى **"مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية"**، نشرها أحمد عزاوي، وهي مفيدة جدا خاصة في تبيان كتاب الدولة المؤمنية ومستواهم الثقافي والأدبي.

8-المراجع الحديثة

لم يظفر المغرب الأوسط بدراسة خاصة خلال الفترة الموحدية، وهذا حسب علمي المتواضع، رغم كثرة الذين عالجوا التاريخ الموحدي، ضمن التاريخ العام للمغرب، بداية من كتاب **"الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى"** لأحمد بن خالد الناصري السلاوي(ت 1315هـ/1897م)، وما أورده عن تاريخ الموحدين وبعض الإشارات عن انجازات خلفاء الدولة الثقافية والفكرية منها، ويعد كتاب الأستاذ عبد الله عنان**"دولة الإسلام في الأندلس"**، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ،من المراجع الهامة جدا في بحثنا رفقة كتاب المنوني **"حضارة الموحدين"**، وكذا كتاب"الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس"، عصر المرابطين والموحدين لحسن علي حسن.

وكتاب **"باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان"**، للكاتب الحاج محمد بن رمضان شاوش، وكتاب**"معجم أعلام الجزائر"** لعادل نويهض حيث جاء بتراجم مختصرة حيث جمع 741 ترجمة، ورتبها حسب حروف الهجاء مع ذكر مصادره ومراجعه في الهامش، و **"كتاب العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية"**، لعمار هلال والذي أرشدنا إلى أهم العلماء ومساهماتهم وتنقلاتهم، وكتاب لخضر بولطيف**"فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي"** وغيرها من المراجع المهمة.

9- المراجع الأجنبية والمترجمة

وقد استفدت كثيرا من كتاب أشباخ يوسف **"تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين"**، وكتاب أمبروسيو هويثي ميراندا **"التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية"**،خاصة في الجانب السياسي والعسكري، أي في الفصل التمهيدي.

إضافة إلى كتابي بوروبية: ABD AL – MU’MIN flambeu des almohades و

Ibn Tûmart

10– الرسائل الجامعية .

إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية ، سواء داخل الوطن أو خارجه، أفادتني من خلال الإطلاع على آخر الانتاجات البحثية والدراسات المعمقة الأكديمية.

ونذكر منها رسالتي محمد مغراوي "**العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**" و "**خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية**" ، ورسالة بلقاسم فيلالي "**التعليم والدعوة الموحدية**" وغيرها من الرسائل التي أعانتني في ثنايا الموضوع.

11 - المقالات والدوريات

في الحقيقة أن الرجوع إلى المصادر برمتها يعد من الصعوبة بمكان، لولا ما أسهم به باحثون ومؤرخون مغاربة من أبحاث ومقالات على صفحات المجلات، وأحيانا أخرى في كتب مطبوعة كانت لي عونا وسندا في استكشاف بعض القضايا التي قد يكلف التنقيب عنها الشيء الكثير، وقد استفدت كثيرا من العديد منها خاصة في تقديم أفكار جديدة، ونظرة مغايرة عن القراءات السابقة، وهي كثيرة لا يمكن ذكرها الآن، إلا أنني سأشير إلى اثنين منها: الطاهر بونابي " **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**" وعثمان الكعاك " **تلمسان ونشأة الدولة الموحدية**" .

إضافة إلى ما ساهمت فيه بعض القواميس والمعاجم في شرح بعض المصطلحات والمفاهيم.

وعموما هذه أهم المصادر التي اعتمدت عليها وقد أكملتها والحمد لله منتظمة على نسقها من المهم إلى الأهم وحصل المراد منها والمرغوب، وبالله أعتصم وأستعين وهو خير عاصم ومعين وأياه أستهدي الصواب.

فصل تمهيدي

ارتباط المغرب الأوسط بالموحدين وتسييره الإداري

أولا : المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة.

ثانيا : الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بدولة الموحدين .

ثالث : المغرب الأوسط والتسيير الإداري الموحدي .

نظرا لأهمية المدخل من الناحية البحثية والفكرية ، إذ يعد لبنة مهمة في التعريف بثنايا الموضوع، وزرع أرضية ملائمة للقارئ وربط الأحداث وتسلسلها حتى نلم بكل ثناياه ومناخه، لأن الحركية الفكرية والثقافية تعتبر نتاجا لسيرورة من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، ارتأينا أن نستهل ذلك بفصل تمهيدي يشرح كل الأحداث.

لقد عم سلطان الموحدين جميع تراب الشمال الإفريقي من البحر المحيط غربا إلى طرابلس وبرقة شرقا ومن جبال الشارات "البرانس" بأقصى شرق الأندلس إلى تخوم صحراء إفريقية الكبرى [(1)]، فهو أكبر سلطان وأعظم مملكة شهدها الإسلام في الغرب الإسلامي.

كما للموحدين أكثر من سبب لكي يتقدموا شرقا ويضموا أملاك المغرب الأوسط لدولتهم، وأولها وحدة أمنهم باعتبارهم دولة ناشئة، وضعف الدولة الحمادية في التصدي للقبائل العربية والهجوم النورماندي.

ورغم صعوبة تحديد المغرب الأوسط جغرافيا، في ظل الوحدة المفروضة سياسيا وتنقل القبائل من منطقة لأخرى لسبب أو لآخر وامتزاج بعضها بالعنصر العربي إلا أننا سنحاول حصره من أجل إبراز المنجزات، والتعريف بشخصيات هذا القطر.

أما من الناحية الإدارية يجب التمييز بين نوعين من الإدارة الموحدية: الإدارة المركزية والإدارة الإقليمية ذلك أن النوعين اختلفا في نشأتهما والتغيرات التي طرأت عليهما، فبينما بدأت الإدارة المركزية بنظم قليلة تكاثرت وتطورت مع مر الزمن نتيجة الحاجات العملية، كانت الإدارة الإقليمية وريثة نظم الولايات المفتتحة (تلمسان[(2)]، بجاية، مراكش، القيروان)

---

1) يذكر عبد الواحد المراكشي امتداد الدولة الموحدية بقوله"فملك –أي عبد المؤمن– في حياته من طرابلس المغرب إلى السوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس، وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته"المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص162. كما يذكر مؤلف مجهول أن حدود كلمة التوحيد – أي يقصد وصول كلمة الموحدين – إلى بلاد الصحراء متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة وكوكو. أنظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ص111.

2) تلمسان بكسرتين فسكون مركبة من تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين التل و الصحراء .يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1980، ج1، ص85، أما عند أخيه عبد الرحمن تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين البر والبحر على لغة زناتة.ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، ط1، بيروت، لبنان، سنة 2000، ج7، ص102 كما يعود يحي ابن خلدون ليبين معنى آخرلها بقوله فالبعض ينطقها تلشان وهي مركبة من"تل" ومعناها لها، "وشان"ومعناها شأن أي لها شأن.المصدر السابق، ج 1، ص85؛ وعبد العزيز لعرج، وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية، 2007، ص9-12.

أولا: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة.

امتاز المجال الجغرافي بالتغير الشديد في حدود الدول، بل إننا في الكثير من المراحل التاريخية نجد أنفسنا أمام وحدة جغرافية لبلاد المغرب، إضافة إلى التركيبة القبلية لمجتمع المغرب الإسلامي خاصة في العهد الموحدي، حيث حدث تمازج كبير وتنقل واسع للقبائل العربية والبربرية.

لهذا يجب قبل الخوض في مناقشة مسألة المجال الجغرافي يبدو من المفيد التنويه إلى أن هناك أمرين يجب أخذهما بعين الاعتبار أثناء محاولة رسم الحدود بين المركز "عاصمة الخلافة" والمحيط "المغربين الأدنى والأقصى" باعتبار حدودهما بداية لحدود المغرب الأوسط.

الأمر الأول ذو بعد ثقافي حضاري له ارتباط بالشروط الاجتماعية والثقافية بحيث كانت الخلافة المركزية في مراكش تحاول قدر الإمكان إخفاء وإذابة الانتماء الجغرافي في إطار الوحدة الأم من خلال استدعاء بعض القبائل "كقبيلة كومية سنة 557هـ/1161م"[1] أو تحويل البعض منها كقبائل بني مرين من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى [2]، أو حتى الأدنى، أو استدعاء العلماء والكتاب لتولي مهام في العاصمة المركزية، وهذا ما ساهم في إذابة المغرب كله في بوتقة واحدة حتى مع الأندلس.

الأمر الثاني له ارتباطات بالناحية السياسية حيث حاولتِ الخلافة الموحدية تعيين الولاة على مختلف الأمصار والأقاليم مركزيا مع الحرص على تعينهم من الأسياد "لقب السيد" أو ذو علاقات متميزة مع بيت بني عبد المؤمن [3]، وبالتالي كان أغلب الولاة أصلهم من المغرب الأوسط خاصة خلال

---

1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص201-202.

2) بنو مرين: هم فخذ من زناتة وهم ولد مرين بن وتاجن بن ما خوخ بن جيج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن يصليتن بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيح بن واسين بن يصليتين بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر، ابن رجيح بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهم عرب الأصل.ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دتح، دار المنصور للطباعة، دط، الرباط ، المغرب، 1972، ص14.
يرجح صاحب الذخيرة السنية سبب هجرة بني مرين إلى المغرب الأقصى لحرب بين بني عبد الواد وبين بني مرين بسبب امرأة، إضافة إلى خلو المغرب الأقصى من الناس بعد موقعة حصن العقاب، وإهمال الأراضي واهتمام خلفاء الموحدين بالملذات وانشغالهم عن العمل في الفلاحة .ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص25-26.

3)هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الندرومي، ولد بقرية تاجرة بناحية بني عابد قرب مدينة ندرومة وعلى نحو ثلاث أميال من هنين مولده يتراوح بين 487هـ/1094م و500هـ/1106م، وكان والده المسمى بعلي أو يعلو قاضيا حسب بعض المؤرخين، وصانع الأواني حسب بعضهم الآخر، ويحاول البعض رفع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقد تعرف على ابن تومرت وبدأ معه رحلة إنشاء الدولة، حيث تولى قيادتها سنة 524 هـ/1126م، بعد وفاة المهدي، ليستطيع تكوين امبراطورية تمتد من الأندلس إلى أعماق الصحراء ومن ليبيا إلى البحر المحيط، وتوفي سنة 558هـ/1162م.عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص 139-

السنوات الأولى، أي أن تحديد المغرب الأوسط يتطلب الإلمام بالجانب الجغرافي والسياسي، باعتباره في هذه الفترة مصطلح جيو سياسي.

لذلك يجب الاقتراب منه أكثر والخوض في أدق التفاصيل السياسية والجغرافية وحتى الثقافية للوصول إلى استنتاجات حاسمة يمكن أن نتحدث من خلالها عن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية.

إذن كيف يمكن أن ترتسم حدود المغرب الأوسط في ظل وحدة سياسية محت الحدود الحقيقية التقليدية وحتى الجغرافية المتعارف عليها؟.

هل يمكن أن نعتبر حدود المغرب الأوسط هي نفسها الحدود الموروثة عن الدولة الحمادية؟ أم نعتمد على الحدود التي كانت في نهاية الدولة الموحدية أثناء انقسامها؟ أم نحاول المزج بين الحدود المتعارف عليها قديما وحديثا باعتبار وجود وحدة حقيقية وتقسيم افتراضي فقط؟.

ويمثل ضبط المجال الجغرافي وتحديد طبيعة الوعاء الثقافي والفكري اللذين نشطت ضمنهما الحركة العلمية ، ضرورة ملحة ، لأنه يعكس مستواها وطبيعة أفكارها التي تلونت بالعادات والتقاليد وبالطابع المحلي[1].

يقسم ابن سعيد(685هـ/1287م) المغرب إلى سبعة أقاليم، منها إقليمان في المغرب الأوسط، وهما الإقليم الرابع، وفيه الجزء الأول ويشمل تلمسان، والجزء الثاني وفيه بجاية [2].

ويأكد الغبريني(ت 704هـ/1305م) في أثناء حديثه عن الفقيه محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت675 هـ/1277م) استعمال مصطلح المغرب الأوسط، عندما قال عن الفقيه" لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله "[3].

166.للمزيد عن هذه الشخصية انظر عزالدين ميدون: عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري، مؤسس الدولة الموحدية، سلسلة إصدارات الجمعية الموحدية، ندرومة، أعمال ملتقى 1998، دار السبيل للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2011، ص9-36، وصالح بن قربة:عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991؛ و

Rachid Bouruiba.ABD AL – MU’MIN flambeu des almohades .SNED.1982.PP 12-57.

1)الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2008- 2009، ص 100.

2)أنظر: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط 2، 1982، ص140.

الجزء الأول ويبدأ من جزر السعادات الأربع وفيه سبتة ومراكش وتلمسانوصولا إلى جبال ونشريس، والجزء الثاني يبدأ من مدينة تنس وبجاية وقسنطينة وبونة وصولا إلى مدينة بترت وتونس، والجزء الثالث يبدأ من جزيرة جربة إلى الاسكندرية، أما الجزء الرابع فهو يبدأ من بحيرة تنيس شرق دمياط إلى مدينة الموصل .ابن سعيد: المصدر السابق، ص137-158.

3) أنظر: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981، ص 88.

وهذا دليل على أن بجاية [1] كانت ضمن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط حتى في الفترة الحفصية. أبو الفداء(ت 732هـ/1331م) فيقسم المغرب إلى ثلاث أجزاء بقوله"وبلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا ...والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق"[2].

كذلك ابن خلدون(808هـ/1405م) يحدد المغرب الأوسط بديار زناتة وكل قبائلها وبطونها، وقاعدتها اليوم تلمسان، بالإضافة إلى ديار زواوة وهوارة و كتامة الممتدة على إقليم بجاية وقسنطينة [3] وهذا يصعب على الباحث في ميدان التاريخ الثقافي والفكري تأطير عمله ضمن إطار جغرافي واضح نظرا لتنقل تلك القبائل وانتشارها على مساحات واسعة، مما يسبب في التغير المستمر في حدود المجالات الجغرافية المحددة.

ويشير الطاهر بونابي إلى أن هذا التمييز بين المغربين الأقصى والأدنى يدل على أن المغرب الأوسط ضارب في العمق الممتد من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا[4].

عموما يمكن الحديث عن حدود تقريبية من **الناحية الشرقية** حددها الزهري(كان حيا سنة 541هـ/1154م):"وكذلك غربي هذا الصقع –أي مقاطعة افريقية–في البر مدينة مليانة وزواوة وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك"[5]

كما يصف المراكشي(ت 647هـ/1249م) المعاصر للفترة الموحدية –عندما تغلب عبد المؤمن على بجاية–بقوله:"...حتى أتى مدينة بونة وهي أول حد بلاد إفريقية..." [6] ويضيف قوله"فحد بلاد

---

1) **بجاية** بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين (454-481 هـ/1062-1078م)في حدود سنة 457 هـ/1064م كانت قديما عبارة عن ميناء ثم بنيت المدينة. ياقوت الحموي: معجم البلداندار صادر، بيروت، 1977،ج1، ص339.كما يسانده ابن الأثير في تاريخ بناء بجاية بتحديده سنة 457 هـ/ 1064 م.أنظر: الكامل في التاريخ ، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصدر، دت، ج8، ص349 .و يقول ابن خلدون في تسميتها "وفي سنة 460هـ/1067م ، افتتح الناصر جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسماها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية". أنظر: المصدر السابق، ج6، ص231-232 ومن الواضح أن بجاية أخذت اسمها من القبيلة التي كانت تسكنها.

2) أنظر: تقويم البلدان، اعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص 122.

3) أنظر: العبر، ج 6، ص 134.

4)أنظر: التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ/12و13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص33.

5) أنظر:كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب ، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دت، ص107.

6) أنظر: المعجب، ص144.

إفريقية مما يلي المغرب المدينة المعروفة بقسطنطينية الهواء، وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها" [1]، وأيد ذلك ابن سعيد بأن أول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة [2]كما أكد "أن بجاية قاعدة المغرب الأوسط"[3] أي أن بجاية جزء من المغرب الأوسط.

وأوردها التجاني(717هـ/1317م) عندما تكلم عن مصطلح المغرب الأوسط في أثناء حديث عن بجاية وأحوازها[4]،كذلك حيث كانت بجاية تابعة للمغرب الأدنى سياسيا.

وبالتالي يمكننا أن نرسم خطا افتراضيا عموديا يبدأ من بونة ويصل إلى قسنطينة كحد للمغرب الأوسط من ناحية الشرق، حيث يحدده المراكشي بطول خمس مراحل من خلال قوله"ومن مدينة بونة إلى مدينة قسطنطينية التي هي أحد حدي إفريقية خمس مراحل"[5].

أما بخصوص **الحدود الغربية** فيحددها المراكشي دائما بقوله"...وحد عَمَلِ المغرب عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم، من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة مكناسة الزيتون..." [6] أي أن إقليم تلمسان كان جزءا من المغرب الأوسط، رغم ما أضيف له من مدن تابعة للمغرب الأقصى، كوجدة وتازا، مما تسبب في نزاع بين المرينيين(616هـ/1219م-869هـ/1406م) وبني عبد الواد(633هـ/ 1235م- 924هـ/1518م)بعد تفكك الدولة الموحدية[7].

ويدعم الإدريسي(ت 560 هـ/1165م) اعتبار تلمسان نهاية المغرب الأوسط بتأكيده أن "تلمسان قفل بلاد المغرب" [8]، كما حدد صاحب الاستبصار(كان حيا سنة 587 هـ/1191م) أن تلمسان تقع ضمن حدود إقليم المغرب الأوسط، الذي جعلها عاصمة لهذا الإقليم، وجعلها تمتد إلى حدود وادي ملوية غربا، وبذلك تكون المدن التي تقع شرق هذا النهر، وشمال جبال درن الشرقي، تابعة لهذا الإقليم، ويضم مدينة وجدة إلى غاية تازا[9].

كما ذهب في منحاهم ابن سعيد عندما بدأ بوصف المغرب الأوسط باعتباره الإقليم الرابع "...أعدل الأقاليم وأحسنها حيوانا ونباتا، وهو أوسط الأقاليم السبعة،الجزء الأول...ومنه أرشقول

---

1) أنظر: المعجب، ص250.

2) أنظر: كتاب الجغرافية، ص142.

3) نفس المصدر والصفحة.

4) أنظر: الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1981، ص343.

5) أنظر: المعجب، ص 252.

6) نفسه، ص181؛ و هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب، في القرون الوسطى، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص69.

7) قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987- 1988، ج 2، ص 308.

8)أنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قسم المغرب العربي، تحقيق محمد حاج صادق، د ط، الجزائر، 1983، ص102.

9) أنظر: المصدر السابق، ص176؛ والزهري: المصدر السابق، ص 113؛ وقدور أحمد: المرجع السابق،ج2، ص323.

فرضة تلمسان"[1] وأما أبو الفدا فيتحدث عن تلمسان ووهران ويصفهما أنهما آخر المدن في المغرب الأوسط والمحاذية للمغرب الأقصى"، ومن فاس إلى تلمسان عشرة أيام، ومن تلمسان إلى وهران على البحر مرحلة، وهي آخر المغرب الأقصى من جهة المغرب الأوسط"[2].

ليؤكد ذلك ابن خلدون من خلال قوله"هذه المدينة -أي تلمسان- قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن"[3].

ويذهب في هذا المنحى المؤرخ مارمول بقوله:"ومملكة تلمسان...يحدها غربا مملكة فاس، إذ يقصل بينهما نهران، أحدهما يسمى زيز والنهر الآخر ملوية...وتمتد هذه المملكة إلى مصب نهر آخر يفصل هذه الإمارة عن جيجل آخر مدينة بحرية بإقليم بجاية"[4].

ليعود ابن خلدون عندما يتحدث عن قبيلة بني ومانو وبني يلومي [5]-التي سيكون لها دور في حروب عبد المؤمن مع المرابطين-التي تتركز على الحدود مع المغرب الأقصى يصفهم بقوله"وموطنهم جميعا بالمغرب الأوسط"[6]، ورغم صعوبة اتخاذ القبائل كدليل للضبط الجغرافي نظرا لتنقلهم المستمر فإن ذلك لا يغني عن الاستعانة به، ويدعم طرحنا هذا المؤرخ هويثي مراندا عندما يكتب عنوان"الحرب في المغرب الأوسط"حيث يبدؤها بالحديث عن قبيلة بني ومانو[7].(**لاحظ الملحق رقم 1**)

كما أن ابن خلدون نفسه يرجع ويبين حدود المغرب الأقصى ولكن هذه المرة جغرافيا—حدود المغرب الأقصى الشرقية هي بداية حدود المغرب الأوسط من ناحية الغرب-بقوله "فأما المغرب الأقصى فهو مابين وادي ملوية من جهة الشرق، إلى آسفي حاضرة البحر المحيط...وأما نهر ملوية فهو آخر المغرب الأقصى..."[8]ويجعل الزهري مدينة وجدة ومدينة تازا ضمن إقليم تلمسان[9].

---

1) أنظر: كتاب الجغرافية، ص140.

2)أنظر: تقويم البلدان، ص 129.

3) أنظر: العبر، ج7، ص 102.

4)أنظر: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرف، الرباط، 1984، ج1، ص 291.وأما نهر ملوية فمساحته من خروجه إلى أن يقع في بحر الروم مائة وعشرون فرسخا.الزهري: المصدر السابق، ص140.

5) هما قبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الأولى، ولم نقف على نسبهما إلى جانا ، إلا أن نسابتهم متفقون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين أخوان وأن مديون أخوهما للأم، ذكر غير واحد من نسابتهم، وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب، ويوجبون لهم العصبية له، ووبنو ومانو في الجهة الشرقية عن واد ميناس وبنو يلومي بالعدوة الغربية منه، وكانوا في كثير من الحالات في عداء مستمر. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص74-75.

6) أنظر: المصدر نفسه، ج7، ص74-75.

7) أنظر: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة "مطبعة الزمن"، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص120-121.

8) أنظر: العبر، ج6، ص 133.

9)أنظر: كتاب الجغرافية، ص 113.

لقد خرج بخلاصة أحد الباحثين في تحديد المغرب الأقصى من الناحية الشرقية"أن الحد الشرقي للمغرب الأقصى في عهد الموحدين كان يوجد ضمن إقليم تلمسان"[1].

أما **الحدود الجنوبية** للمغرب الأوسط في العهد الموحدي، فمن الصعب تحديدها، سوى من خلال الاستنتاجات والمقاربات، حيث يعتبر الجغرافي الزهري مدية وركلان كحد تبدأ منه الصحراء الكبرى[2].

يذكر ابن خلدون أن حدود المغرب بصفة عامة هي مدينة وركلان [3] أما يوسف أشباخ فيقول"وغدت دولة الموحدين أعظم من دولة المرابطين، وكانت تحد عندئذ من الجنوب بالصحراء الكبرى"[4].

وقد كانت وركلان التي تعتبر إقليما إباضيا، من أملاك الموحدين، نظرا لأهميتها الاقتصادية، باعتبارها ممر نحو السودان الغربي والأوسط في تجارة الذهب والرقيق [5] حيث يحدثنا الدرجيني عن وصول دعوة الموحدين بقيادة رجل يدعى"العيتروسي"فاستجابوا لها والدخول في طاعتهم[6].

أي أن دعوى الموحدين قد وصلت في عهد الفقيه أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الورجلاني (500-570هـ/1106–1174م)وهو ما يوافق عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1129-1162م) وابنه أبي يعقوب يوسف(558-580 هـ/1162-1184)[7].

كما عثرنا في مخطوط يتحدث عن إقليم توات وسبب التسمية، حيث يسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري(ت القرن 14هـ/19م)إذ يقول"في سنة 518هـ/1124م غلب المهدي الشيعي

---

1) قدور أحمد: المرجع السابق، ج2، ص 306.

2) ويحدد في موضع آخر المسافة بين ساحل بحر الروم ومدينة وركلان بخمسة وثلاثون يوما وهي ثلاثمائة وخمسون فرسخا.أنظر: الجغرافية، ص137.

3) أنظر: العبر، ج6، ص134.

4) أنظر: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1996، ج2، ص49-50.

5) ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص62.

6) أنظر: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، ط 2، د ت، ودار نشر، ج 2، ص315. عكس ما قاله الدكتور عزالدين موسى: في كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي"ولا يُعرف-أي الموحدين-أنهم دخلوا وركلان"دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2003، ص41، ربما لعد إطلاعه على الكتب الإباضية.

7) إبراهيم بحاز: صور من الإباضية في عهد الموحدين، مجلة الحياة، جمعية التراث، غرداية، العدد 2، 1999، ص149.

أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولد بتنمل بالمغرب في شهر رجب سنة 533هـ/1138م، وتولى السلطنة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن مؤسس الدولة، في جمادى الآخرة سنة 558هـ/1162م, وقد واجه في بداية حكمه بعض الاعتراضات من إخوانه الأكبر سنًا ولكنها زالت سريعًا، جرح في معركة شنترين الشهيرة بالأندلس، فمات في 18ربيع الآخر 580هـ/29 يوليو 1184م.ولمزيد من المعلومات أنظر: المعجب، ص166-185.

سلطان الموحدين على المغرب، فبعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات ،فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات –أي أهل إقليم نبات التوت–لأن السلطان قبله منه في المغرم"[1] وإن دل هذا القول على شيء فهو يثبت وصول الدعوة الموحدية إلى إقليم توات، مما يمكننا من رسم خط إفتراضي لحدود المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية من الجنوب وهو الخط المستقيم الممتد من إقليم وركلا إلى إقليم توات.

غير أن الباحث لي تورنو في حديثه عن قبائل بني مرين، يفند ذلك بقوله"...وهذا يدل في جملة ما يدل على أن إمبراطورية الموحدين في المغرب الأوسط لم يتجاوز سلطانها المنطقة الساحلية المعروفة بالتل"[2].

ويظهر من خلال كل هذه الإشارات التي ذكرها الجغرافيون والمؤرخون أنه لم تضبط حدود المغرب الأوسط بصورة واضحة المعالم رغم اختلاف بعض الآراء، لكنه مكننا من حصر دائرة البحث في مجال معين.

إذن على العموم تبقى المسألة كلها نسبية، باعتبار مختلف الشروط المحيطة من سياسة واقتصاد وتاريخ وكلها تتدخل في تحديد ورسم معالم المغرب الأوسط الجغرافية، كما يمكن الوصول إلى نتيجة، وهي أن خضوع المغرب والأندلس لسلطة سياسية واحدة"السلطة الموحدية" سمح للمغرب الأوسط بالاستقرار وكسب أكبر قدر ممكن من المساحة بفضل المسالمة مع الجيران"المغرب الأدنى والأقصى" نظرا لطبيعة الدولة والحدود المفتوحة.

---

1) محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ورقة 6. ولا يستبعد وصول دعوة المهدي إليها لأنه نظم نفسه منذ سنة 514هـ/1120م بمنطقة إجليز الجنوبية (إيكلي هرغة) التي أعلن منها مهدويته سنة 515هـ/1121 م؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص52-53؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص38-39. فدخلت دعوته مرحلة التوسع بالسلاح مما يرجح امتداد دعوة المهدي إلى منطقة توات التي لها خط افتراضي موازٍ لإجليز.

2) أنظر: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 2، الدار البيضاء، 1998، ص90.

ثانيا : الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بدولة الموحدين .

إن الأحوال التي ترويها لنا مصادر الموحدين عن ظروف وإرهاصات بداية الدعوة، يجب أخذها بحذر ، وعدم الاعتماد عليها كنبراس للتعرف على المناخ السياسي السائد، والمساهم في بلورة العمل الفكري الموحدي.

ويعد البيدق(ت555هـ/1160م) رفيق ابن تومرت أحد رواة هذه الظروف، حيث يكشف عن مدى ما كان عليه المغرب أيام الحماديين، و المرابطين من البعد عن تيارات الحرية الفكرية، التي كان يتميز بها المشرق الإسلامي، والتي اغترف من مناهلها العذبة محمد المهدي بن تومرت [(1)]، ثم لم يقف به الأمر عند الحدود العلمية، فقد اكتسب آراء وأفكارا جديدة في السياسة، إذ جال في أنحاء الخلافة الفاطمية التي كاد يمزقها الخلاف بين السنيين والشيعيين، وعاش في أحضان الخلافة العباسية، وهي تقترب من نهايتها، فلمس بنفسه ما عليه العالم الإسلامي من ضعف ووهن [(2)].

لنتساءل هنا هل يمكن الحديث عن كيفية الارتباط التاريخي للمغرب الأوسط بالدولة الموحدية بالطريقة الكلاسيكية المعروفة؟ أم عن تحول مستمر في المواقع بين المغرب الأوسط، والصراع الدائم مع المغربين الأدنى والأقصى [(3)] حيث كانت هنا الغلبة للمغرب الأقصى، ولكن بأيادٍ ذهبية بيضاء من المغرب الأوسط"عبد المؤمن وأبنائه"؟

---

1) أنظر: أخبار المهدي، ص 29، ص31-32، ص40–44،ص46–48؛ ومجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص104-105.

المهدي بن تومرت: أصله من هرغة من بطون المصامدة، يسمى أبوه عبد الله وتومرت، وكان يلقب في صغره أيضا أمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وجليد ابن بامصال بن حمزة بن عيسى، وذكر بعض مؤرخي المغرب أنه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا ابن سفيون بن الكلديس بن خالد، وزعم الكثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي إدريس الأكبر.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301.

2) المصدر نفسه، ج6، ص 302.كما التقى ابن تومرت في جولته العديد من العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الإمام الغزالي حيث أكد العديد من الباحثين هذا اللقاء

mart, 2eEd, Alger ,S.N.E.D ,1982, p27.ûBourouiba ,Rachid :Ibn T

بينما ينفي البعض هذا اللقاء من أساسه كجوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر،1983،ج2، ص 124.

3) اعتبر أندري جوليان حركة الموحدين هي مقاومة للمدرسة الفقهية العتيقة، و لم يكن انتصارهم سوى فوز قبائل الجبليين على الرحل الصحراويين وانتقاما متأخرا حققته زناتة المستوطنون بالمغرب الأوسط على صنهاجة.أنظر: المرجع نفسه، ص123.

ألا يمكن أن نعيد تصحيح التاريخ واعتبار الدولة الموحدية دولة مغرب أوسطية، أو نصبح نطلق عليها بالدولة المؤمنية فقط نسبة إلى عبد المؤمن وأبنائه، لتوضيح الدور الكبير للمغرب الأوسط في قيام الدولة وحضارتها؟ .

كان حضور المغرب الأوسط في حياة الدولة الموحدية منذ الخطوات الأولى لداعيتهم المهدي بن تومرت، من خلال نزوله على قسنطينة قادما من تونس، حيث نزل عند الفقيه عبد الرحمن الميلي، وكان أميرها سبع بن العزيز [1]، ثم اتجه من قسنطينة إلى بجاية، ونزل بها بمسجد الريحانة، وكان يحث الناس دائما على الخير وينهى عن المنكر، وبنى مسجدا في ملالة [2]، لتدريس الطلبة، وهناك التقى بعبد المؤمن بن علي(ت 558هـ/1162م)[3]، فاصطحبه في رحلته نحو المغرب مارا بمتيجة، ثم مليانة، ثم نحو وانشريس، أين التحقت بهم شخصية أخرى سيكون لها وزن مهم فيما بعد وهو عبد الله بن محسن الوانشريسي المكنى بالبشير، ليواصلوا السير نحو الشلف، ثم إلى تلمسان، ومنها نحو وجدة [4]، ولا تهمنا كثيرا الأحداث التي جرت في المغرب الأقصى وظهور أمر الدعوة الموحدية لبُعد الوقائع عن المغرب الأوسط.

لقد انتظر عبد المؤمن بن علي مدة عشر سنوات بعد وفاة المهدي [5] وذلك قبل أن يشرع في فتح شرق المغرب سنة 533-534هـ/1139م، بعد أن انتصر في العديد من المعارك ورأى الفوضى التي وصلت إليها بلاد المغرب بسبب القبائل العربية، وكذا الغزو النرماندي [6]،كما تأكد عبد المؤمن أنه

---

1) البيذق: المصدر السابق، ص30.

2) ملالة قرية صغيرة عظيمة الأهمية تبعد 7كلم جنوب بجاية وهناك التقى عبد المؤمن بن علي والونشريسي، وتعاهدا على بناء الدولة. عثمان الكعاك: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية– أوت، 1975، ص121.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 127-128؛ وابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان (الجزء السادس منه فقط)، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1990، ص176 ؛ومجهول: الحلل الموشية، ص106؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص173 ؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972،ج5، ص 48؛ وابن عذارى: البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ص80؛ والسلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ج2، ص73.

4) البيذق: المصدر نفسه، ص37-40؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص74.

5) اختلف المؤرخون في ضبط تاريخ وفاته حيث يذكر البيدق أنه يوم الأربعاء، وقيل الخميس 25رمضان من عام524هـ .البيذق:أخبار المهدي، ص 64. بينما يحدده ابن أبي زرع بيوم الخميس 25 رمضان 524 هـ أو الثالث عشر من رمضان. أنظر: الأنيس، ص180-181؛و السلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص87 بينما يحددها ابن القطان بيوم الاثنين، 14رمضان524 هـ. أنظر:نظم الجمان، ص167.

6) روبار برونشيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص32. ويعتري الفترة التي تبدأ من 528هـإلى533هـ الكثير من اللبس والتناقض عند البيدق الذي خانته الذاكرة كثيرا فنسب قيادة جيش المرابطين إلى تاشفين بن علي غير مرة في الفترة التي كان فيها تاشفين واليا على الأندلس. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص111.

لايمكن تحقيق النصر على المرابطين بالإمكانيات التي يتوفر عليها في المغرب الأقصى لهذا قرر البحث عن دعم زناتة ومنها قبيلته الأصلية كومية لهذا قرر القيام بحملة نحو الشمال[1].

ثم خرج عبد المؤمن وابنه أبو محمد عبد الله بجيش حيث سار نحو الشمال"في حملته الطويلة الأعوام"[2] **(لاحظ الملحق رقم 02)**.

عندئذ غادر عبد المؤمن الريف وتوجه إلى ناحية بادس –على الحدود مع المغرب الأوسط– ثم منها إلى ناحية تلمسان، أين دخل ندرومة بلاد كومية، فدخل أهلها في الدعوة الموحدية سلما، نظرا للقرابة مع عبد المؤمن بل وحصل على الدعم اللآمشروط من أبناء قبيلته، ثم قام باستعراض قواته[3].

وأرسل سرايا في جهات مختلفة منها نحو ساحل وهران، وكذا تلمسان [4]، حيث قسم الجيش إلى ثلاث فيالق وضع على رأس الأول عبد الرحمن بن زكو الذي قام بهجوم مباغت على وهران، وعاد على إثرها محملا بالغنائم، ووضع على رأس الثاني إسماعيل يكيك الذي شن غارة على قبيلة بني وانون، بينما وضع على رأس الثالث يوسف بن وانودين الذي هاجم قبيلة مديونة بمنطقة تلمسان[5].

وفي مطلع538هـ/ صيف1143م عين تاشفين بن علي الموجود بتلمسان الربرتير[6] على رأس قوات مرابطية لمعاقبة بني ومانو، غير أن هؤلاء تمكنوا من الفرار والتوغل في الجبال مع قوات موحدية وزناتية[7]، ولما لاحظ تاشفين بن علي انضمام عدد من شيوخ مسوفة وزناتة إلى قوات الموحدين، بعث

---

1) هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص113.

2) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 16؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص186حيث دامت سبع سنوات إذ بدأت في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة إلى إحدى وأربعين وخمسمائة. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966، ص7؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص 93؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص113؛ وعزا لديني عمر موسى: المرجع السابق، ص42.

3) يتحدث عبد الواحد المراكشي عن زيارة أخرى قام بها عبد المؤمن إلى مسقط رأسه بعدما أصبح خليفة. أنظ: المعجب، ص163.

4) حيث بعث إليهم عبد المؤمن قائد ه يوسف بن وانودين، الذي هزم القائد المرابطي على تلمسان محمد بن يحي ابن فانو وقتله بوادي الزيتون. البيذق: المصدر السابق، ص81-82.

5) البيذق:المصدر نفسه، ص 82؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 19؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 113. ومديونة قبيلة من إخوة مغيلة ومطماطة، من ولد فاس، ومواطنها منطقة تلمسان. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص165.

6) **الربرتير EL Reverter**: فارسا نصرنيا وهو روبرتو القطلوني قائد جند الروم أو النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي أيام علي بن يوسف بن تاشفين، وقد قتل في معركة سنة 539 هـ/1144م.عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990، ج2، ص147 وقع في أسر علي بن ميمون قائد الأسطول المرابطي فأسلم فخدم للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين.البيذق: المصدر نفسه، هامش، ص71.أما هويثي ميراندا فيشير أنه كان منفيا في بلاد المرابطين من قبل الكونت رامون بيرينغر الرابع ببرشلونة.أنظر: المرجع السابق، ص108.

7) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص75؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص19 بوصول عبد المؤمن إلى هذه المنطقة التي ينتمي إليها بدأ ميزان القوى في صراعه ضد المرابطين يميل لصالحه خصوصا بعد أن خضعت له قبيلة بني ومانو –من زناتة المغرب الأوسط–ذات الثقل الكبير بالمنطقة. هويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص113.

برسائل إلى أنحاء دولته يطلب فيها إرسال إمدادات عسكرية، فوصلته من سجلماسة وكذا بجاية التي وصل منها فيلق كان على رأسه ظاهر بن قباب قائد صنهاجة بني حماد، كما وصلته قوات من الأندلس ، فجمعها تاشفين بن علي بمراكش في استعراض كبير[1].

واستطاع عبد المؤمن قتل الربرتير [2] قائد جيش المرابطين بالتواطؤ مع قبيلة جزولة التي خانته [3] وأوقع بالزناتيين في سيرات سنة 539 هـ/1144م[4]، ثم وضع مخيمه في منطقة الصخرتين [5] بهدف محاصرة تلمسان، فرد عليه تاشفين بن علي بوضع مخيمه في حصن سطفسيف [6]، فوقعت ولمدة شهرين كاملين مناوشات يومية بين الطرفين، انتهت بهزيمة تاشفين بن علي و لقائد جيش بجاية المرابطي[7].

بعدها أدرك تاشفين بن علي خطورة ترك مخيمه في سطفسيف المجاور لتلمسان، قرر تركها والاتجاه إلى حصن بوهران ليواصل من هناك محاربة الموحدين وذلك في نفس السنة 539هـ/1144م[8] وأرسل ولي عهده إبراهيم إلى مراكش[9].

في تلك الأثناء وقعت انشقاقات داخل الجيش المرابطي، مع جو كبير من التشاؤم، رغم مدة الإقامة بوهران التي لم تتجاوز الشهر الواحد [10]،كما انضم المغراويون وبنو مرين إلى عبد المؤمن، و

---

1) مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص20.

2) أو الزبرتير عند ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص307 .

3) البيذق:المصدر السابق، ص 84-85؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص 264؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص20؛ ومجهول:المصدر نفسه، ص130-132؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص 94. ويقدم لنا ابن خلدون رواية أخرى عن مقتله حيث قاد الربرتير حملة ضد بني سنون وزناتة السهل الخاضعين للموحدين ، وأنه بعد أخذ غنائمهم وأثناء عودته اعترض طريقه الموحدون وقاموا بقتله وصلبه.أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص307-308.

4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط 3، بيروت، لبنان، 1983، ج 4، ص98؛ وابن خلدون: المصدر نفسه،ج 6، ص326؛ وإبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط 3، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ج 1، ص261.مدينة سيرات الموجودة بغرب المغرب الأوسط على الحدود مع المغرب الأقصى. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6 ، ص307، ج7، ص74.

5) **جبل الصخرتين:** هو جبل مطل على تلمسان حيث ضريح الشيخ أبي مدين الغوث وضريح الصالحة لالة ستي، وقرب مدينة المنصورة التي بناها بنو مرين.البيذق: المصدر السابق، هامش ص 39؛ وابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، د تح، مطبعة المامونية، ط1، الرباط، 1952، ص8.

6) **سطفسيف:** هو واد يجري شمال تلمسان ويصب في نهر يسر، يعرف اليوم بواد الصفصاف.البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، د ت، د ط، ص77.

7) البيذق: المصدر نفسه، ص85-86؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص308 وقد أرسل عامل بجاية حمادي ميمون أثناء ذلك برسالة إلى عبد المؤمن يخبره بأخذه بعقيدة الموحدين ويعده بتسليم بجاية عند مجيئه وهو ما تم بالفعل. هويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 124.

8) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص21؛ و مجهول:الحلل الموشية، المصدر نفسه، ص132.

9) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص308؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 124.

10) البيذق: المصدر نفسه، ص86.

الموحدون من الوصول إلى حصن تاشفين ومحاصرته وإضرام النار فيه، فهلك في 27رمضان سنة539هـ/1144م وهو يحاول النجاة بفرسه ليلا[1].

وواصل عبد المؤمن وقائده أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي حصار وهران [2]، حتى جهدهم العطش فنزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن في عيد الفطر من نفس السنة [3] وقتل خاصة تاشفين بن علي وأهله وهم حوالي ثلاثمائة نفر من خدم وحشم وجند غير نظامي[4].

وكانت تلمسان على هذا العهد مقسمة إلى مدينتين، القديمة وتدعى أكادير –في الجهة السفلى- والثانية شيدها يوسف بن تاشفين وتدعى تاكرارت [5]، وهي التي كانت توجد بها المؤسسات الإدارية والحامية العسكرية[6]، حيث فتح عبد المؤمن تاكرارت دون مقاومة [7]، ثم حاصر أكادير ودام حصارها مدة سبعة أشهر من شوال 539هـ إلى ربيع الثاني 540هـ/1145م[8]، وقاد دفاع المدينة فقيه يدعى عثمان، وكان عبد المؤمن قبل إتمام فتح أكادير قرر التوجه إلى فاس التي التجأ إليها المرابطون

---

1) حيث وصلت إمدادات بحرية من مدينة ألمرية بقيادة محمد بن ميمون، وكان تاشفين يحاول التسلل إليها ليلا أثناء الحصار واندلاع الحريق، غير أنه سقط فرس تاشفين ويدعى ريحانة في أحد الخنادق مما تسبب في وفاته في ليلة القدر سنة 539هـ/1144م. البيذق: المصدر السابق،ص87؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص21؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص133 ويورد عبد الواحد المراكشي خطأ مقتله سنة 540هـ/1145 م.أنظر: المعجب، ص143 أما بن خلدون فيقع في تناقض في تحديد تاريخه حيث يجعله أحيانا 539 هـ/ 1144 وأحيانا 541 هـ/ 1146 م.أنظر: المصدر السابق، ج6، ص308؛ والزركشي: المصدر السابق، ص 8؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص125.

2) مجهول:المصدر نفسه، ص133؛ و روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص43.

3) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص22؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (طبعة دار الثقافة)، ج4، ص125-126؛ و عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 143؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 187؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص308؛ و الزركشي: المصدر نفسه، ص8؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص95.

4) مجهول: المصدر نفسه، ص34.ويذكر ابن عذارى أنه عند انهزام أهل وهران قام عبد المؤمن بقتلهم واستئصالهم عن آخرهم. المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص22. غير أن هويثي مرندا يشير إلى أن سبب الاستسلام بعد أربعة أيام من مقتل تاشفين ليس العطش، ولكن بسبب انهيار معنوياتهم. المرجع نفسه، ص126.

5) تقع في الجهة العليا من تلمسان القديمة وسماها المرابطون بتاكرارت التي تعني المعسكر والمحلة باللغة الصنهاجية.ابن أبي زرع: الأنيس، هامش، ص186.وهي حصن في الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق.ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص166.

6) هويثي مرندا: مرجع نفسه، ص126.

7) يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج 1، ص170، ص 176. عند اقتراب عبد المؤمن من تاكرارت خرج أعيانها وطلبتها لطلب العفو، غير أن السفاح الموحدي يصلاسن قتل عدد من سكانها على مرأى من عبد المؤمن، ثم هاجموا تاكرات وقتل من كان فيها.ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 23؛ وابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج 6، ص309؛و ابن أبي زرع: الأنيس، ص188؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص95 .

8) ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج6، ص309؛ و ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187 و يخلط المؤرخ الأشيري الذي ينقل عنه ابن عذارى بين فتح وهران وتلمسان، بحيث يجعل سقوط هذه الأخيرة بيد الموحدين في 30رمضان539م/1134م.البيان المغرب، المصدر نفسه(قسم الموحدين)،ص22. وهذا التاريخ هو في الحقيقة تاريخ احتلال وهران. هويثي مرندا: المرجع نفسه، ص127.كما يذكر محقق بغية الرواد أن تاريخ فتح أكادير هو شوال541هـ/1146م.يحي ابن خلدون، المصدر نفسه،ج1، ص176.

الفارون من وهران وتاكرارت [1]، فكلف يوسف بن وانودين –عضو أهل الخمسين وأحد الأوائل في الدعوة الموحدية– مواصلة حصار أكادير مستخدما كل التقنيات من السلالم والأبراج المتحركة، وكان فتحها عنوة في ربيع الثاني540هـ/1145م[2].

فيما نقل بعض المؤرخين أنه لم يزل محاصرا لتلمسان –أكادير–تلقى البيعة من عاملها المرابطي اللمتوني"يحي بن إسحاق أنكمار"وبقربها تلقى بيعة أهل سجلماسة [3]، ثم قصد فاس سنة541هـ/1146م للقضاء على كل التمردات في المغرب الأقصى [4]، فاحتل فاس، ومراكش، ثم صعد إلى الأندلس، وقام بإنشاء مدينة رباط الفتح، فخلص الأمر لعبد المؤمن عام 544 هـ/1149م[5] مما جعله يرسل في بعض الأحيان سرايا كما حدث في سنة 544هـ/1149م حيث ملك الموحدون مدينة مليانة[6].

وفي سنة 546هـ/1151م عزم عبد المؤمن بن علي على فتح إفريقية [7] وبقية مدن المغرب الأوسط، وكان يجهز العساكر في سرية تامة، وأرسل إلى كل المدن التي في طريقه إلى بجاية، ليكونوا على استعداد للتحرك متى أشار عليهم بذلك في مهمة سرية دون أن يعرفوا الوجهة ولا الزمن المقصود

1) البيذق: المصدر السابق، ص88؛وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص23.

2) عندما رأى أهل أكادير مهاجمة الموحدون لتاكرارت وقتل من بها دفع سكانها إلى إقفال أبوابها ومقاومة الحصار إلى آخر رمق.هويثي مرندا: المرجع السابق، ص127.وعندما تأكد عثمان من أن الموحدين لن يبرحوا مكانهم حتى يدخلوا أكادير، أرسل من يفاوضهم، وتم الاتفاق على فتح الأبواب، ولكن ما إن دخلوها حتى حولوها إلى مجزرة بقتل أهلها وسبي حريمها، وبلغ عدد القتلى مئة ألف أو أزيد حسب ابن اليسع المعاصر للأحداث–وهو رقم مبالغ فيه–مجهول: الحلل الموشية، ص135.

وصف الوهراني الخليفة عبد المؤمن بأنه"مؤيد من السماء، خواض للدماء...حكم سيفه في المعمم، وأعمه في رقاب الأمم"منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968، ص11؛ وعن العنف الدموي الذي اتهمت به الدولة الموحدية عامة وعبد المؤمن خاصة، أنظر محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، دار جذور للنشر، ط 1، الرباط، 2006، ص71-89، وص 155-177.

3) ابن عذارى: المصدر نفسه (طبعة دار الثقافة)، ج 4، ص126؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص309 ؛ والزركشي: المصدر السابق، ص8؛ والإيلاني: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط 2، الرباط، المغرب، 2008، ص164؛ و إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص261.

4) البيذق: المصدر نفسه، ص88؛ وعزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص43.

5) لمعرفة جميع أعمال عبد المؤمن بعد توجهه إلى فاس اثر الانتهاء من فتح وهران لاحظ البيذق: المصدر نفسه، ص 88-104؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 25-45؛ ومجهول: المصدر نفسه، ص 137-148؛و ابن أبي زرع: الأنيس، ص186-193؛ وعزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص43.

6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص191؛ والتجاني: المصدر السابق، ص343.لكن ذلك يبدو غير صحيحا حيث أن مليانة سقطت مع الحملة الكبيرة لاحتلال بجاية و الجزائر سنة547 هـ/1152م.

7) ابن أبي زرع: الأنيس، ص193.

حتى أن الناس ظنوا أنه يريد عبور البحر إلى الأندلس[1] فاتخذ طريقه عبر ملوية وتلمسان، ثم دخل مدينتا الجزائر سنة 546 هـ/ 1151م صلحا[2]، فالتجأ أميرها القائم إلى والده"يحي بن عبد العزيز بن المنصور"بجاية[3](**لاحظ الملحق رقم 03**)

ثم تملك عبد المؤمن المدية في نفس السنة[4]، وفي 24 جمادى الأولى547هـ/27 أوت1152م، لم يشعر الملك الحمادي على بجاية"يحي بن عبد العزيز بن المنصور" بتحرك الجيوش الموحدية نحو مملكته، وقد تعددت الروايات التي تناقلتها كتب التاريخ عن قائد المعركة التي دارت بين الحماديين والموحدين، وكذا المكان الذي التقى فيه الجيشان [5]، إلا أن الروايات جميعها اتفقت على غلبة الجيش الموحدي بسهولة، لكثرته عدة وعتادا، وسقطت مدينة بجاية في ظرف يومين [6] تفرق بعدهما جيش"يحي بن عبد العزيز بن المنصور" وهرب برا ثم بحرا، وانتشرت بعد ذلك الجيوش الموحدية

---

1) البيذق:المصدر السابق، ص105-106؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص148-149؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 193؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص382؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص107؛ وعبد النور إبراهيم: إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفي الإسلامي، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول"الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21- 22 نوفمبر2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، ج1، ص55. ويرجع المؤرخون توجه عبد المؤمن إلى الناحية الشرقية أي ملك المغرب الأوسط وبني حماد إلى رغبته في تخليص إفريقية من الوضعية السيئة التي آلت إليها بسبب دخول العرب الوافدين عليها من مصر وتدخل النورمانديين الذين استولوا على المهدية وبعض نواحيها.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص315؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص151؛ و إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص261.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص193؛ و ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص315.

3) حيث يذكر أنه عند احتلاله للجزائر وجد هناك الحسن بن علي صاحب المهدية التي احتلها النورمان وهو من بني زيري، وقام هذا الأخير بتحريض عبد المؤمن على احتلال بجاية حسدا لابن عمه يحي ورغبة لخروج الملك من يده ليتساووا في ذلك.أنظر التجاني: المصدر السابق، ص343؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص108؛ وهويثي مرندا: المرجع نفسه، ص 152؛ و إبراهيم حركات: المرجع نفسه، ص262.

4)ابن أبي زرع: الأنيس، ص193.أما عبد الواحد المراكشي فيذكر أنه تملكها سنة540هـ/1145م.أنظر: المصدر السابق، ص144.

5)صاحب الحلل الموشية يذكر أنه كانت هناك مراسلات بين عبد المؤمن بن علي، ووزير صاحب بجاية وهو ميمون بن حمدون، مما جعل هذا الأخير يفتح أبواب المدينة سلما له وفر يحي بن العزيز منها.أنظر:المصدر نفسه، ص 149.وأيده في هذا الطرح ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص46. وقد ذكر البيدق قبل ذلك أن يحي بن العزيز تدخل في الصراع الذي كان قائما بين المرابطين والموحدين سنة539هـ/1144م حيث أمد تاشفين بن علي بجيش يقوده ميمون بن حمدون، وانهزم هذا الأخير مما جعله يقبل دعوة التوحيد.أنظر: المصدر نفسه، ص86. فبذلك دخل عبد المؤمن بجاية ولم يتعرض إلى مال أهلها، ولا غيره حيث استأمنه بني حمدون فأمنهم. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج 9، ص382. و قد كافأه عبد المؤمن ومجموعة من التجار والطلبة حيث عين عدد منهم في مناصب مهمة. هويثي مرندا: المرجع السابق، ص152.

6)يذكر ابن خلدون أنه اعترضت جيوش صنهاجة الموحدين في منطقة أم العلو، لكنهم انهزموا بسهولة.أنظر: المصدر نفسه، ج 6، ص315.

في أنحاء بجاية[1]، على أن دخول الموحدين إلى القلعة كان عنوة حتى أنهم قتلوا بها ما يناهز ثمانية عشر ألف شخص[2].

أما فيما يتعلق بالأمير الحمادي"يحي بن عبد العزيز بن المنصور" فاتجه إلى مدينة بونة ثم إلى قسنطينة في ذي القعدة من عام 547هــ/ فبراير1153م[3]، أما ابن خلدون يذكر أنه ركب البحر إلى أخيه"الحارث ببونة" فاستنكر عليه تركه للبلاد وخروجه عنها، فتركه واتجه صوب أخيه"الحسن" بقسنطينة، وتحصن هناك [4].

فكاتب عبد المؤمن شيوخ قسنطينة يحثهم على الإقتداء ببجاية والاستسلام، ويعدهم في المقابل بإلغاء الضرائب غير الشرعية[5] (**لاحظ نص الرسالة في الملحق رقم 04**)

فدخلوها في10شعبان547هــ/10نوفمبر1152م[6]،واعتقلوا يحي بن عبد العزيز، فتقبل دعوة عبد المؤمن، وصحبهم إلى بجاية أين أقام بها عبد المؤمن لمدة شهرين حيث هادنها وفتح أحوازها وعين عليها طلبة الموحدين—أي ولاتهم ووزراءهم–[7]، وعين عبد المؤمن ابنه عبد الله واليا على بجاية[8].

---

1) البيذق:المصدر السابق، ص106-107.كان قائد الجيوش الحمادية هو ميمون بن حمدون، والتقى فقط مقدمة جيش عبد المؤمن وهي تزيد عن عشرين ألف فارس، فانهزم أهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين، وتفرق جميع عسكر يحي بن العزيز، وعن خيانة بني حمدون، أنظر مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص20؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 193؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 382؛ و عبد النور إبراهيم:إسهامات القيروان وبجاية، المرجع السابق، ج1، ص55.

2) حيث قاد الجيش الموحدي عبد الله بن عبد المؤمن فاستباح من كان بها وأضرم النار في مساكنها وقتل أميرها جوشن بن عبد العزيز أخي يحي وكذا الشيخ الدحاس سيد قبيلة أثبج العربية وقتل بها ثمانية عشر ألفا وامتلأت أيادي الموحدين من الغنائم والسبي.ابن خلدون:المصدر السابق،ج6، ص316؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص108؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 152. والبعض يوصلها إلى عشرين ألف شخص.إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص262.

3) البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص107؛وعبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص144؛وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص193. أما التجاني فيذكر أنه كان يريد التوجه إلى برقة ومنها إلى بغداد نحو الخليفة العباسي.الرحلة، المصدر السابق، ص344.

4) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص316؛ والتجاني: المصدر نفسه، ص344؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص108؛ و عبد النور إبراهيم: المرجع نفسه، ج1، ص55.

5)عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص144؛ ومجموع رسائل موحدية، المصدر نفسه، ص 17-22؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج 2، ص108.

6) روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، هامش، ص33.

7)ابن أبي زرع: الأنيس، ص194.ويذكر التجاني أن عبد المؤمن عفا عن يحي بن العزيز وكذا عن والي قسنطينة الحسن بن العزيز .أنظر: الرحلة، ص344.

8) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت، لبنان، السفر الثاني، 1987، ص113. وكان ذلك سنة551 هــ/1156م حيث لم يكن سن عبد الله حين عينه تجاوز الخامس عشر أو السادسة عشر، ولما بويع أخاه يوسف بن عبد المؤمن بالخلافة رفض مبايعته واشترك في العصيان مع أخيه السيد محمد صاحب قرطبة، ولكنه لم يلبث أن أعلن الولاء والتوبة معا وتوجه عبد الله إلى مراكش لإعلان البيعة.ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص 170؛و ابن أبي زرع:الأنيس،

كان سقوط القلعة سببا في إثارة القبائل العربية من الأثبج ورياح وزغبة وغيرها [1] وذلك بسبب طردهم من الأراضي التي استولوا عليها سابقا في ظل ضعف الدولة الحمادية، وقد جهز عبد المؤمن لقتالهم جيشا جعل على قيادته صهره عبد الله بنواندين، فهزمه العرب وقتلوه [2] فحشد عبد المؤمن وابنه عبد الله قوته فنشبت معركة كبيرة بسطيف دامت ثلاثا [3]، هُزم فيها العرب شر هزيمة وقتل ألمع زعمائهم فلجأوا للاستسلام والدخول في الطاعة في ربيع548 هـ/ يونيو1153م[4].

بعد أن تكللت حملة عبد المؤمن على المغرب الأوسط بالنجاح قرر العودة إلى مراكش واصطحب معه يحي بن عبد العزيز وأنزله قصرا بديعا بها، وكان يكرمه ويحترمه [5]، لأن الموحدين أبناء عمومة للصنهاجيين[6] فلا يستغرب أن يعيش يحي الحمادي في المغرب بعد انتصار الموحدين معززا مكرما إلى أن وافته المنية[7].

وواصل عبد الله بن عبد المؤمن غزواته بضم كل شرق المغرب الأوسط كمدينة بونة التي ضمها إلى أملاك الدولة سنة 551هـ/1156م وقبضوا على عاملها الحارث وقتلوه لأنه استنجد بالنورمانديين[8]، ويعتبر الاستيلاء على بونة بمثابة ضم كل أملاك المغرب الأوسط للدولة الموحدية وإيذان لبداية عهد جديد.

لكن ما إن استتب له الأمر في المغرب الأقصى ومراكش، توجه عبد المؤمن مرة أخرى نحو الشرق لطرد النورمانديين، من المهدية وتونس، وكان ذلك الفاتح من شوال سنة 553هـ/26 أكتوبر

ص209. لكن هويثي مرندا يورد أن الذي تمرد مع عبد الله هو عثمان صاحب قرطبة وأن عبد الله توفي مسموما في الطريق. أنظر: المرجع السابق، ص211؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص11.

1) مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص71.

2) البيذق: المصدر السابق، ص 107-108؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص108؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص 153؛ ومصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص72.

3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص316. أما البيذق فيحددها بيوم وليلة. أنظر: المصدر نفسه، ص 108. وأما مصطفى ضيف فيذكر أنه دامت أربعة أيام. المرجع نفسه، ص72.

4) مجموع رسائل موحدية، ص29-34؛ والسلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص108.

5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص382؛ وإبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص262. وقد قتل من الأمراء المخلوعين من بني حماد الأمير جوشن بن العزيز في القلعة، و أخوه الحارث في عنابة نظرا لمقاومتهم الموحدين. روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، هامش، ص35.

6) وفي تلك الفترة كانت أواصر القرابة محترمة، وقد ذكر ابن خلدون أنه خلال إحدى غزوات صنهاجة الحمادية في المغرب الأقصى، قامت أميرة مرابطية كانت مدينتها محاصرة تطلب العفو باسم القرابة الدموية بين الشعبين الصنهاجيين، وقد قبل المنصور الحمادي طلبها بشهامة.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص234.

7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 382.

8) مجهول: الحلل الموشية، ص154؛ والتجاني: المصدر السابق، ص348-349.

1158م[1]، حيث مر على تلمسان، أين انضم إليه عاملها ابنه السيد أبو حفص، وبعدها انتقل إلى بجاية حيث انضم إليه عاملها وابنه الآخر السيد عبد الله ، ثم على بونة التي استرجعها من النورمان[2]، ثم وصل إلى مشارف تونس سنة 554هـ/1159م[3] وبالتالي أعاد ضم كل أملاك المغرب الأوسط وفرض الأمن[4].

وبالتالي لأول مرة في تاريخ الغرب الإسلامي توحدت تلك البلاد على يد البربر [5]،كل هذه الأحداث تخبرنا عن نهاية عهد الدول الإسلامية البربرية المستقلة التي دام إشعاعها السياسي أكثر من سبعين سنة، فصارت إحدى أقاليم الدولة الموحدية، كما تنبؤنا بظاهرة الوحدة الكلية ولأول مرة بين المغرب الإسلامي الكبير مع العدوة الأندلسية.

لكن علي ابن غانية اللمتوني[6] لم يدع الأمور تهنأ حيث قام باحتلال بجاية ومحاولة استئصال شأفة الدولة الموحدية الغاصبة حيث احتل بجاية في شعبان 580هـ/13نوفمبر 1184م[7]، فولى على بجاية أخاه يحي بن غانية ومولاه رشيد الرومي، وسار يحتل المدن الواحدة تلو الأخرى فاستولى على الجزائر،

---

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 161؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 76.أما الزركشي فيجعلها في 12رجب554 هـ/1159م .أنظر: المصدر السابق، ص11.

2) مجهول: الحلل الموشية، ص154.

3) هويثي مراندا: المصدر السابق، ص 173.لكن ابن أبي زرع نقلا عن ابن جنون ذكر أنه دخل تونس على منطقة الزاب وهو مستبعد.أنظر: الأنيس، ص198.

4) روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1، ص32.

5) روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص59.

6) ينتسب بنو غانية إلى أمهم غانية، وكان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمهاتهم بسبب تعدد الزوجات تميزا لهم داخل البيت الواحد، وهناك من يرى أنه متى كانت الأم ذات خصال شريفة ومكانة سامية بين القوم نسب الأولاد لها تشريفا لهم، وهذا كله يدل على المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع التارقي، ويرى بعض المؤرخين أن أصل أمهم يعود إلى مملكة غانة لذا عرفوا بهذا الاسم، ويحتمل أن يكون اسما بربريا، وبنو غانية ينتمون إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكانت مضاربها تمتد في الصحراء بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب أي ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريطانيا، وكانوا معدودين بطن من بطون صنهاجة.مراجع عقيلة الغناي:سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي، ليبيا، 1988، ص167-183؛ وواعظ نورة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008، ص5-6.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 189؛ ومجهول:الاستبصار، ص131.ونجد بعض المصادر تشير إلى تاريخ 19 صفر581 هـ/21 ماي 1185 م.ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 175-176؛ وابن خلدون:المصدر السابق، ج 6، ص332-333؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص15. أما المرجح هو التاريخ السابق أي 580هـ/1184م ويستدل على ذلك بما كتبه ابن جبير في رحلته عن وصول أخبار استيلاء الميورقي على بجاية في 8 شوال أي بعد سقوطها بحوالي شهرين، وليس من المعقول أن لا تصل إليه أخبار الغزوة إلا بعد 9 أشهر.أنظر: الرحلة، دار صادر، بيروت، 1959، ص310؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص41؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص149.

وولى عليها ابن أخيه طلحة [1] ثم استولى على مليانة وولى عليها بدر بن عائشة، ثم على قلعة بني حماد، ثم سار إلى قسنطينة ونازلها لكنها استعصت عليه[2].

وبدا أن دولة المرابطين بتحالفهم مع العرب سوف تبعث من جديد معتمدة هذه المرة على العصبية العربية وليس على العصبية اللمتونية[3].

غير أن الخليفة المنصور أمر بتجهيز حملة برية قوامها اثنا عشر ألف جندي على رأسها ابن عمه السيد أبو زيد بن أبي حفص [4]،كما قام الموحدون ببعث رسائل إلى أهل المدن المحتلة يعدونهم بالأمان والصفح، فقام الأهالي بالوثب على بني غانية[5]، ففي الجزائر وثب الأهالي على حامية بني غانية وقبضوا على عاملهم يحي بن طلحة [6]، ثم ما لبث أن وصل الأسطول الموحدي فدخلها، وبلغ ذلك عامل بني غانية على مليانة فحاول أن يفر تحت جنح الظلام، لكن أهلها اقتفوا أثره وقبضوا عليه وقتلوه بعد معركة طاحنة بالشلف[7].

وما إن لحق الأسطول الموحدي بجاية سنة 581هـ/1185م حتى ثار الأهالي على بني غانية وفتحوا الأبواب لجيش الموحدين وعمت حالة من الفوضى العارمة وكثر السلب والنهب [8]، وبعدها سقطت بجاية في يدهم وفر علي بن غانية إلى أخيه يحي الذي كان محاصرا لقسنطينة حتى كادت تسقط

---

1)مجهول: الاستبصار، ص131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 176؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ص 326؛ والتجاني: المصدر السابق، ص14؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص313؛ وعبد الله عنان: المصدر السابق، ج3، ص149.

2) مجموع رسائل موحدية، ص 170؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 193؛و مجهول: الاستبصار، ص 131؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص176؛ وابن خلدون:المصدر السابق، ص326-327؛ وابن قنفذ: الفارسية، في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص103؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص314؛ وواعظ نورة: المرجع السابق، ص17.

3) مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص78.

4) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص178؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص314.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 193؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 177؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ص327. لقد كان أحد أجداد بني غانية وهو أبو علي يحي المسوفي من أوائل الداخلين في طاعة الدولة المرابطية، كما كانت تربطهم علاقة مصاهرة، فقد تزوج ابنه علي الأميرة غانية اللمتونية إحدى قريبات أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فولدت منه محمد ويحي الذين عاشا تحت رعاية يوسف بن تشفين وكنفه، ثم توفي علي فتزوجت أمهم غانية القائد المرابطي محمد بن الحاج اللمتوني، وعاش محمد وأخوه تحت رعاية زوج أمهما في الأندلس وولي يحي على مدينة بلنسية، كما ولى علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي محمد بن علي بن يحي المسوفي المعروف بابن غانية على جزيرة ميورقة، فعبر محمد إلى ميورقة ومعه أولاده عبد الله وعلي وإسحاق والزبير وإبراهيم وطلحة. مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص167-183؛ وواعظ نورة: المرجع نفسه، ص5-8.

6) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص178؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص315.

7) ابن خلدون: المصدر نفسه، ص327.

8) مجموع رسائل موحدية، ص 170؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 178؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص327. ومن المرجح أنهم استعادوا بجاية في شهر ماي 581هـ/1185.مهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص 316؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص38.

في يده[1]، ففك الحصار عنها وفر قبل وصول الموحدين إليها نحو نقاوس والأوراس ثم الصحراء، ليعود ويلتف ويحتل مدينة أشير[2].

وبعد أن تمكن الموحدون في النهاية من استرجاع أشير وقتل علي بن غانية سنة 583هـ/ 1187م[3]، توغل أخوه وخليفته يحي بن غانية في صحراء الجريد بتونس وتحالف مع قراقوش الغزي الأرميني[4] مملوك تقي الدين شاهنشاه أخو صلاح الدين الأيوبي[5].

وبقي ابن غانية في مناوشات ومعارك مع الموحدين في إفريقية وطرابلس [6]، إلى غاية عودتهم نحو الجنوب الغربي حيث وقعت معركة بين جيش الميورقي يحي بن غانية وجيش الموحدين بقيادة السيد أبي الحسن بين قسنطينة وبجاية، سنة 596 هـ/1200م، فانهزم هذا الأخير شر هزيمة [7] فتمكن ابن غانية من احتلال بسكرة، وتبسة وبونة سنة598 هـ/1202م[8].

---

1) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 179؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص327؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص103.

2) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص181؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص327؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص317.

3) هرب علي بن غانية جريحا حيث مات في خيمة لعجوز أعرابية. مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص82.

4) قراقوش الأرميني هو شرف الدين قراقوش التقوى مملوك تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين الأيوبي وهو شخصية أخرى غير بهاء الدين قراقوش الأسدي وزير صلاح الدين ونائبه ومملوك أسد الدين شيروكوه. مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص 187-188، ص199؛ ومصطفى أبو ضيف: المرجع نفسه، هامش، ص 80.وقد أفرد عزالدين عمرو موسى، مقالة بعنوان الصلات السياسية بين المشرق والمغرب في عهد الأيوبيين والموحدين، خلص فيها أن قراقوش قام بعمله هذا بدافع شخصي، وكسبا للاعتراف كان يخطب لصلاح الدين وتقي الدين، وعندما كتب لصلاح الدين بأن بلاد المغرب"سائبة على تعبيره" تبنى صلاح الدين أعماله، كما أنه لا غرابة بأن يأمره بالتعاون مع الميورقيين، وخاصة أنهم عباسيون.عزالدين عمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص23-24.

5) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 181؛ وابن قنفذ: المصدر نفسه، ص 103-104؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص327؛ والتجاني: المصدر السابق، ص103-104، ص112؛ وابن قنفذ: المصدر نفسه، ص104؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص352؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص38-39.

6) انهزم الموحدون في موقعة عمرة سنة583هـ/1187م بين قفصة التونسية من أعمال الزاب الكبير بالجريد.ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص187؛ والتجاني: المصدر نفسه، ص 136-139، ص162، ص244.ثم عاد الموحدون وانتصروا في موقعة الحمة سنة 583هـ/1187م واستعادوا كل مدن الجريد.عقيلة مراجع الغناي: المصدر نفسه، ص218-219.

7) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 187؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص329؛ ومصطفى أبو ضيف:المرجع نفسه، ص84-85؛ وواعظ نورة: المرجع السابق، ص37.

8) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 187، ص238 ؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص333؛ والزركشي: المصدر السابق، ص17؛ و روبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص39.

كما احتل يحي بن غانية بجاية سنة 599هـ/1202م، وبسط نفوذه عليها لمدة سنتين [1] حيث أعد الخليفة الناصر [2] حملة كبيرة لمواجهته برا وبحرا في شهر جمادى الثانية سنة 601هـ/12 فبراير1204م، واستطاع تحرير هذه المدن وكل مدن إفريقية[3]

ثم ولى الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية سنة 603هـ/ 1206م، وأعطاه صلاحيات واسعة [4] وارتحل إلى المغرب مارًا بتلمسان، ثم نحو فاس ومراكش [5] وأثبت الوالي الجديد جدارته من خلال هزم ابن غانية في عدة معارك[6].

لكن اليأس لم يدخل نفسية ابن غانية الذي أعاد الكرة هذه المرة بالهجوم على ولاية تلمسان وبالضبط على مدينة تيهرت، حيث تغلب على عاملها أبو عمران يوسف وقتله سنة 605هـ/16يوليو 1208م[7] لكن عاد وهرب إلى الصحراء مرة أخرى، واستغل وفاة الخليفة الناصر

---

1) محمد بن الشماع:الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص49؛ والسعيد عقبة:الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع هجري/ 13 م من خلال كتاب عنوان الدراية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008-2009، ص5.

2) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسفبن عبد المؤمن الملقب بالناصر حكم سنة595هـ/1199م بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور، في عصره لم يشهد إنجازات كالتي شيدها أبوه ، وانهزم أمام الفونسو الثامن في معركة حصن العقاب قرب جيان ، في يوم الاثنين منتصف صفر 609هـ/1212م، توفي سنة 610هـ/1213م.ولمزيد من المعلومات أنظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 219-231.

3) مجموع رسائل موحدية، ص250-259؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص243-244؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص232؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص334؛ والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص125- 126. حيث استرجع الموحدون تونس والمهدية وتاجرا وقابس كل المدن التي أخذها ابن غانية. الزركشي: المصدر السابق، ص 17-18؛ والتجاني: المصدر السابق، ص 110، ص147؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص394-400؛ و روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص40.

4) ابن عذارى: المصدر نفسه(قسم الموحدين)، ص 284-285؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص374؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص18. أما ابن أبي زرع فيجعلها سنة 602 هـ/1205م.أنظر: الأنيس، ص233 هويثي ميراندا: المصدر نفسه، ص401؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص82.

5) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 249؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص334.ويقدم صاحب الروض القرطاس كرونولوجية مغلوطة عندما يؤكد أن يحي بن غانية اعترض الناصر على ضفتي نهر الشلف سنة 604 هـ/1207م وكان يقود حسبه جيشا جرارا، هزم به الخليفة الناصر. ابن أبي زرع: الأنيس، ص233.

6) ابن عذارى: المصدر نفسه(قسم الموحدين)، ص 290.وأهمها معركة شبرو بناحية تبسة حيث انصر جيش ابن أبي حفص على يحي ابن غانية في 30ربيع الأول سنة 604هـ/24أكتوبر1207م.ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 334-335، ص 374؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص19؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص404؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص46.

7) الحميري: المصدر نفسه، ص127؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 253؛ وابن خلدون: المصدرنفسه، ج6، ص 375.

سنة610هـ/1213م[1]، ليعود في الظهور من جديد من خلال احتلاله لبسكرة سنة 618هـ/ 1220م، لكن الموحدين بقيادة أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن سرعان ما استرجعوها سنة 620 هـ/ 1222[2].

بتولي الخليفة العادل وتعيينه أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي"الوالي السابق لإفريقية مكان ابن عمه أبو زيد"سنة 623هـ/1226م كان إيذانا ببداية إفريقية في التفكير بالانفصال [3]، حيث استبد أحد أبناء الوالي على افريقية وهو أبو زكريا يحي سنة 625هـ/1228م حيث سمى نفسه بالأمير[4]، وما إن شعر بالقوة حتى زحف على قسنطينة وبجاية سنة 628 هـ/ 1230م وقبض على واليها السيد أبو عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني بن يوسف العشري وعين عليها ابنه أبا يحي [5]، كما قبض على شيخ قسنطينة ابن علناس الصنهاجي [6] بل ولاحق ابن غانية حتى مدينة ورقلة حيث لقي هذا الأخير حتفه هناك سنة 631هـ/1234م واستولى أبو زكرياء على الجزائر وعلى الزاب ووصل حتى منطقة الشلف[7].

كما استغل ضعف السلطة المركزية في مراكش والصراعات الدائرة بين بني عبد المؤمن وبعض الولاة في المغرب الأوسط، على غرار أبو سعيد عثمان بن يعقوب-أخ أمير المؤمنين إدريس المأمون-والي تلمسان حيث أساء التصرف مع بني عبد الواد [8] وأثقل كاهل السكان بالضرائب، و لم ينقذ الموقف

---

1) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 265؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 241 ؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص426.

2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص376؛ و روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص47.

3) الزركشي: المصدر السابق، ص 21؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص 106-107؛ وابن غازي: المرجع السابق، ص 14؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص446-447؛ و روبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص48.

4) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 293. لكن ابن خلدون يحددها بسنة 626 هـ/1229م .أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص381؛ والزركشي: المصدر نفسه، ص 23؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج 1، ص49-50؛ ومراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص280.

5) ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص109.

6) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 6، ص382.لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص.أنظر: تاريخ الدولتين، ص25-28 أما ابن قنفذ فيرد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور. أنظر: المصدر نفسه، ص108؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص51.

7) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص199؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص382-383؛ والزركشي: المصدر السابق، ص28؛ وابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، ط 1، 2001، ص9؛ وروبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص51.

8) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص 99 وبني عبد الواد هم فرع من زناتة الطبقة الثانية وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورسيك بن جانا. أنظر: المصدر نفسه، ج 7، ص97. أما يحي ابن خلدون فيقول بأنهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا عرفوا تغليبا وأصله عابد الوادي ، رهبانية عرف بها جدهم من ولد

سوى شخصية قوية هو"جابر بن يوسف" كبير قوم بني عبد الواد، بفضل مرونته ومواقفه الجريئة ضد الوالي، وتفوقه على جيش بن غانية[1]، مع إرساله الولاء والطاعة للخليفة الموحدي، فثبته الخليفة حاكما شرعيا على إقليم تلمسان سنة 627 هـ/1230م[2]، ومنذ ذلك بقيت في أيدي بني عبد الواد،حيث خلفه ابنه "الحسن بن جابر" لتظهر شخصية قوية هو يغمراسن بن زيان الذي بويع سنة 631هـ/ 1233م[3] ليعلن انفصاله بتلمسان عن الدولة الموحدية سنة 633هـ/1236م وبدأ يستقل بشؤون المغرب الأوسط في عهد الخليفة عبد الواحد الرشيد بن المأمون[4].

وهكذا تفككت الإمبراطورية التي سعى لتكوينها عبد المؤمن، رغم الانطباع الجيد الذي تركته من خلال فترة من الوحدة والقوة، إلا أن شعوب المغرب لم تكن قد اكتسبت بعد عادة العيش معا[5].

سجيح ابن واسين بن يصليتن بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.أنظر: المصدر السابق، ج1، ص186.

1) ذكر يحي بن خلدون أن الحسن بن حيونا لكومي المعابدي عامل وطن تلمسان نافر بني عبد الواد وأساء جوارهم، ثم أغرى السيد أبا سعيد عثمان والي المدينة بالقبض على كبارهم ، ففعل واعتقلهم بدار النارنج من القصر القديم لكنه شفع لهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي شيخ مترجلة لمتونة ، وهذا ما دفعهم إلى اغتيال الحسن بن حيون واعتقلوا أبا سعيد عثمان، فخلا الجو لجابر بن يوسف زعيم بني عبد الواد الذي بايع المأمون فثبته هذا الأخير على حكم تلمسان.أنظر:المصدر نفسه، ج1، ص199؛ ويحي بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 6، 1975، ص13.

2) يحي ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص200؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص99.

3) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص30؛ ويحي ابن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص200.

4) ابن الأحمر: المصدر نفسه، ص 30؛ ويحي ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 1، ص204-205؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص106.

5) روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص 62.

ثالثا: المغرب الأوسط والتسيير الإداري الموحدي.

لم يكن تنظيم الدولة الموحدية، التي تضم المغرب وجزءا من الأندلس بالأمر الهين بالنسبة لعبد المؤمن وخلفائه، هذا من ناحية:أنه يجب توحيد عدد كبير من الإمارات المستقلة، ومن ناحية أخرى أن المؤسسات التي أعطاها المهدي إلى المجتمع الموحدي، لا تناسب إمبراطورية بهذا الوسع[1].

امتاز العصر الموحدي بالاعتناء بالجانب الإداري، حيث أقام الموحدون إدارة محكمة، وبرعوا في جانب التخطيط والتنظيم، ويعتبر ذلك من أسباب نجاح الحركة الموحدية، ثم الدولة بعدها، ومن مظاهر التجديد الذي شكل عنصرا من الطابع الثلاثي الموحدي(العظمة، الدين، التجديد)[2]

خلال هذه الفترة استكمل المغرب الأوسط تشكله التام كوحدة إدارية مقسمة إلى عمالتين "ولايتين" هما بجاية وتلمسان، فأصبح جزءا هاما من كيان الدولة الموحدية ليس من باب الانتماء السياسي فقط بل حتى الحضاري (الثقافي والفكري)، بل عاش بكل جوانبه التغيرات والتطورات التي استحدثتها الدولة الموحدية واندمج في ظل وحدة تامة محاولا أن يكون متميزا من خلال علمائه وإسهاماته بل وقيادته للدولة وعلى رأسها خلفاؤها من بني عبد المؤمن الكوميين.

كان الخلفاء الموحدون يمثلون أعلى سلطة في دولتهم ويحملون لقب"أمير المؤمنين" [3] يساعدهم موظفون كبار في شكل أفراد كالوزراء والكتاب والقضاة، أو في شكل هيئات مثل هيئتي العشرة والخمسين، أو ما يعرف فيما بعد باسم الأشياخ[4].

---

1)عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص319.

2) محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص13؛ والطاهري عبد الحق: بنية الحكم الموحدي ووسائله، دكتوراه في التاريخ الوسيط، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، 2004-2005، ص269.

3) وهو مقتبس أصلا عن عمر بن الخطاب كما تذكر الرسالة رقم 18 التي أوردها أحمد عزاوي في رسائل موحدية، مجموعة جديدة، مطبعة النجاح، ط 1، الدار البيضاء، 1995، ج 1، ص112. وأول من تسمى به في الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي سنة 528هـ/1133م. ابن أبي زرع: الأنيس، ص 187.واعتبره جورج مارسيه تحرر من الوصاية المشرقية ونهاية احتكار المشارقة لهذا اللقب.بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، دار المعارف، الإسكندرية ،دت، ص288.

4) يتكون المجلس الاستشاري من جماعة العشرة، وجماعة الخمسين، فجماعة **العشرة** تم تكوينها مباشرة بعد البيعة.مجهول: الحلل الموشية، ص107-108.ويقول عنهم عبد الواحد المراكشي بأن عددهم عشرة وهم الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته ثم جعل منهم الخمسين.أنظر: المصدر السابق، ص133.ويتحدث البيدق عن سبعة عشر شخصا كانوا أول من بايع المهدي.أنظر: المصدر السابق، ص34-35.أما المؤرخين المتأخرين يرون أن جماعة **الخمسين** تشكلت بعد جماعة العشرة، غير أن هذا يجانب الصواب على اعتبار أن هذه الهيئة تم تشكيلها في وقت لاحق وبالضبط عند انضمام هنتاتة إلى هرغة من أجل تقديم الدعم له في إيجليز.هويثي مرندا: المرجع السابق، ص93؛ وهوبكنز: المرجع السابق، ص123-124.وعموما مجلس الخمسين يتكون من القبائل المؤسسة لحركة الموحدين أي تلك القبائل التي ساندت المهدي بعد استقراره في تنملل.روجر لي تورنو: المرجع السابق، ص36.

فعندما كانت الدولة الموحدية في بدايتها في حاجة إلى الأشياخ ذوو العصبية فقد ولاهم عبد المؤمن ليكونوا عونا له في ضبط أطراف الدولة ، أما بعد أن أعلن الحكم الوراثي وأصبح حكمه مطلقا فقد عين أبناءه ولاة على الأقاليم ، وهو خطوة نحو تركيز الحكم الوراثي [1]، فالدولة المترامية الأطراف كهذه لا بد من أن تقسم إلى ولايات يكون على رأسها سياسيون محنكون مخلصون، ولهذا عمد عبد المؤمن إلى أشياخ مصمودة الذين يتوفر فيهم على الأقل الإخلاص، ولما استتب له الأمر قرر أن يجعل على رأس الولايات رجالا أكفاء سياسيا وثقافيا وإخلاصا[2].

من المعلوم أن عبد المؤمن ينتسب إلى قبيلة كومية البترية، التي كانت تستوطن المغرب الأوسط وقد حدث أن بعض أقرباء ابن تومرت وهم آيت ومغار-أبناء الشيخ- [3] فكروا في اغتيال عبد المؤمن بحجة أنه لا ينتمي إلى المصامدة، ولكنهم قتلوا مكانه شيخا يدعى أبا إبراهيم، وكان قد أشعر عبد المؤمن بخطتهم وبات في خيمة عبد المؤمن، بينما اختفى هذا عن خصومه، ثم اعتقل المتآمرون وقتلوا بأمر عبد المؤمن، ومنذ أن قرر عبد المؤمن أن يحتمي بقومه من كومية، فاستقدمهم سرا، وكان عددهم يبلغ أربعين ألفا، فاتخذ منهم بطانته وحراسه[4].

كما كانت ولايات الدولة الموحدية في طور ازدهار الدولة نفسها الموروثة عن الدول التي ضمتها إلى سلطانها، إذ أن ولاية إفريقية هي مملكة بني باديس في المهدية بالإضافة إلى المناطق التي فتحها الموحدون إلى الشرق منها في ذلك طرابلس، وولاية بجاية هي مملكة بني حماد نفسها، وأما ولايات المغرب الأقصى فهي ولايات المرابطين ذاتها باستثناء سلا التي جعلها الموحدون ولاية قائمة بذاتها[5].

وعمدت السلطة الموحدية إلى تقسيم الغرب الإسلامي إلى ولايات وأقاليم كي يسهل بذلك التحكم في إدارة شؤونه السياسية والعسكرية، وعددها ثمانية من بينها المغرب الأوسط الذي قسم إلى ولاية تلمسان، ثم أضيفت ولاية بجاية سنة 551هـ/1156م[6] لتفصل عنه إفريقية كولاية مستقلة في

---

1) الطاهري عبد الحق: المرجع السابق، ص293.

2) محمد طمار: تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص72.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص164.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص201؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص127؛ وإبراهيم حركات:المرجع السابق، ج1، ص267.

5) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص178.

6)ابن القطان: المصدر السابق، هامش ص206؛ والزركشي: المصدر السابق، ص12.قسم الموحدون في البداية المغرب إلى سبع ولايات هي: فاس، سجلماسة، تلمسان، الصحراء، أما سبتة وطنجة تكونان إقليما واحدا، إضافة إلى إقليم الريف.حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط 1، مصر، 1980، ص127.كما كانت الأندلس باعتبارها قطرا من أقطار الدولة الموحدية الكبرى تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات هي الغرب" شلب وأحوازها"وباجة ويابرة، وبطليوس، وماردة وأحوازهل، وإشبيلية، وكانت أعظم رقعة وتشمل على قواعد شريس وشذونة وقرمونة، وهناك إقليم قرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وغرناطة، وتشمل على عدة مدن رئيسية وإقليم مالقة وأحوازها وكانت عمالتها تضم أحيانا إلى سبتة والجزيرة الخضراء.محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص339، ج2، ص461.

عهد الخليفة المنصور، بداية من سنة 583هـ/1187م ويعين عليها أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص بن عبد المؤمن[1] وكانت إمارة أو ولاية إفريقية عظيمة المساحة تمتد من أنطابلس –برقة- في ليبيا إلى قسنطينة في المغرب الأوسط[2]. (**لاحظ الملحق رقم05**)

اتسمت التنظيمات الموحدية بالإبداع والتطور عبر أطوار الدولة، وبالتكيف مع أهداف ومتطلبات كل طور، كما عرفت تغيرات جوهرية بين عهدي ابن تومرت وعبد المؤمن، مع العلم أن ابن تومرت هو واضع الأسس التنظيمية الموحدية[3] وعبد المؤمن طورها لتتلاءم مع اتساع الدولة[4].

حيث في عام 550هـ/1155م قرر عبد المؤمن إنشاء مركز تربوي إداري فريد من نوعه لتخريج الطلبة والإداريين، لهذا طلب من كل مدنه إرسال مجموعة من الشبان للتكون لمدة ستة أشهر، فبلغوا ثلاثة آلاف شاب [5]، وكان منهم أبناء عبد المؤمن الثلاث عشر، الذين تخرجوا كلهم بلقب الحفاظ، فخطط لتعيينهم على رأس الولايات والمناطق والمراكز الحساسة[6].

كان الوالي أو السيد في اصطلاح الموحدين، يعتبر أكبر موظف في هذه الولايات الكبرى، يعينون غالبا من طرف الخلفاء في العاصمة مراكش، وكان الخليفة يختارهم من ذوي التجربة في العمل وبعد تكوينهم على شؤون الإدارة والسياسة قبل تولي الوظيفة وهؤلاء الأسياد من بني عبد المؤمن [7] كما يساعدهم"الطلبة"[8]، والحفاظ [9]، والقضاة والأمناء [10]، وكان الأشياخ في الولايات يمثلون الجهاز

---

1) رسائل موحدية، مجموعة جديدة ، ج1، ص176.

2) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص322.

3) بالرغم من أن ابن تومرت جاء بتنظيم لم يسبقه إليه أحد، أظهر من خلاله قدرته التنظيمية الكبيرة، فلا يستبعد أنه استفاد من التنظيمات القبلية التي كانت قائمة في المجتمع المصمودي البربري خاصة، إلا أن وجه الجدة والإبداع في هذا التنظيم أكثر من الموروث.هوبكنز: المرجع السابق، ص123-124؛ وابتسام مرغي خلف الله:العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، 1985، ص81.

4) عبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص269.

5) مجهول:الحلل الموشية، ص150-151؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص163.

6) مجموع رسائل موحدية، ص61-67؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص164.

7) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص104؛ وابن الأثير: المصدر نفسه، ج9، ص415.

8) هم أعلى مكانة من الحفاظ بل إن الوالي كان يعد أحد كبار الطلبة ، لهذا تكون صيغة الرسائل الموجهة من مركز الخلافة إلى الولايات"إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة..."وقد يقصد بالطلبة قادة الجيش.رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص227؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص77-78.

9) الحفاظ يقومون بعمل صاحب الشرطة والمحتسب فمن مهامهم رفع المستحدثات ومحق الرسوم التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب وما لا تجيزه السنة والكتاب ومن ذلك الحد على الزنا وشرب الخمر.المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص218.

10) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص226-231.

الاستشاري[1] لهيئة الطلبة وعلى رأسهم الوالي، وهذه سنة وضعها عبد المؤمن عند تعيين أبنائه الطلبة على الولايات، حيث وجه مع كل منهم شيخا قصد المشورة [2]، وفي حالات قليلة كانت تجمع إدارة ولايتين متجاورتين تحت نظر وال واحد[3].

هذه الإدارات المحلية في عواصم الولايات —أي نقصد ولايات المغرب الأوسط، وهي بجاية وتلمسان— مقسمة بنفس تقسيم العاصمة مراكش من حيث الموظفين والخدم ورؤساء الجند والطلبة والحفاظ والقضاة، أي أنها كانت تؤلف حكومات محلية [4]، وكان نظام الاتصال بين العاصمة والولايات يتم بواسطة البريد الذي صحح نظامه عبد المؤمن[5]، كما قسمت كل ولاية إلى أقسام إدارية صغرى كان على حكمها أحد الحفاظ[6].

ونجد المراكشي يتحدث عن ولايات المغرب الموحدي، في عهد الخليفة يوسف، فيقسمه من حيث الخراج بقوله"كان يرتفع إليه خراج إفريقية، وجملته في كل سنة وفر مائة وخمسون بغلا، هذا من إفريقية وحدها، خلا بجاية وأعمالها، وتلمسان وأعمالها ، والمغرب .."[7].

لقد كانت سلطة الأسياد وغيرهم من العمال محدودة نسبيا، وخاصة في بداية الدولة وقوتها فقد كانوا يمنعون حتى من تنفيذ الأحكام الخطيرة كالإعدام دون استشارة الخليفة، وقد يتعرض الوالي والعمال-من عهد عبد المؤمن إلى عهد الناصر- للمحاسبة[8].

عموما يمكن حصر مهمة الوالي في الجانب الأمني بالمقام الأول، ثم المهام التنموية للدولة ولولايته من خلال توسيع وتطوير التجارة، والقيام بإنشاء وتوسيع العمران، وتشجيع الحياة الثقافية والفكرية [9]، أي أن مهمة الوالي تتمثل في حفظ الأمن الداخلي بالقضاء على التمردات، كما يمد يد المساعدات المالية وحتى العسكرية للولايات المجاورة في حالة تعرضها للغزو الخارجي، فكثيرا ما كان ولاة بجاية يمدون يد المساعدة لأهالي قسنطينة، بالإضافة إلى إشرافه على بناء الحصون والقلاع، كما له الحق في إبرام

---

1) بخصوص هذه الهيئات راجع البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص30-35؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص 108؛ والمعجب، ص 133؛ وهويثي مرندا: المرجع السابق، ص93؛ وهوبكنز: المرجع السابق، ص123-124؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص36.

2) مجهول:المصدر نفسه، ص151؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415.

3) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص177.

4) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص642.

5) أنظر الرسالة رقم 25.رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، ص124-126.

6) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص177.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص181؛ وهوبكنز: المرجع السابق، ص68.

8) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص229؛ وأحمد عزاوي: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، طبع دار ربا نيت، ديور الجامع، ط1، الرباط، المغرب، 2010، ص14.

9) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص231-232؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص184- 185.

اتفاقيات وعقود تجارية، وقد يقوم بتعمير الولاية من حيث البنية التحتية اللازمة لها ، وكان الولاة يخضعون للمراقبة والمحاسبة الدقيقة من قبل الخلفاء[1].

لذلك كان الخلفاء الأوائل يشرفون على تعيين الهيئة الإدارية والاستشارية المساعدة للولاة في ولايتهم، وهذا ما نلمسه في قول ابن عذارى في معرض حديثه عن تعيين عبد المؤمن بن علي لأبنائه على الولايات إذ يقول:"...ولي السيد الأعلى أبو حفص مدينة تلمسان، وتوجه معه أبو محمد صهر الخليفة، وعبد العزيز بن عياش الكاتب...وتوجه السيد الأسمى أبو محمد عبد الله إلى بجاية..."[2].

وفي حالات قليلة يقوم نائب الخليفة –يستخلفة على مراكش أثناء غيابه في حملة عسكرية أو غيرها– بتولية بعض الولاة كما فعل أبو الحسن بن عم المنصور الموحدي بتولية أحد الولاة على تلمسان وذلك في سنة585هـ/1189م[3].

أما طريقة تعيين الولاة فقد كانت ترجى وفق مراسيم معينة، حيث كان قبل أن يقع الاختيار على وال من الولاة، كان الخليفة يقوم باستشارة من حوله في ذلك الاختيار وقد تجلى ذلك حين استشار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أخاه في اختيار والٍ لبجاية سنة 561هـ/1165م، يقول ابن صاحب الصلاة"نظر الأمير أولا بمشاورة أخيه السيد الأعلى أبي حفص في حديث بجاية وأنظارها إذ كانت دون وال"[4].

وعلى العموم كان تعيين الولاة في مرحلة التأسيس من أشياخ الموحدين وسلالة الحكام السابقين في الحقبة التي سبقت إعلان الحكم الوراثي، ولم يرد ذكر إلا لوال واحد من أبناء عبد المؤمن، وفي مرحلة الازدهار وإعلان الحكم الوراثي كان خمسة وسبعون بالمائة من الولاة من"السادة"وفي مرحلة الضعف تساوت تقريبا نسبة تعيين السادة والأشياخ[5].

---

1) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 185؛ وأمينة بوتشيش:بجاية دراسة تاريخية وحضارية، بين القرنين 6 و7 هجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007– 2008، ص41.

2) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 11؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 50؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص151؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص203،194؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415.

3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص83.

4) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص217؛ وحسن علي حسن: المرجع نفسه، ص135.

5) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص182.

1 ولاية تلمسان

شهدت الحياة السياسية والإدارية بتلمسان تذبذبا ونزاعات، وفوضى أحيانا، بسبب سوء تسيير حكامها وولاتها من جهة أخرى، فتولى عليها مجموعة من الولاة كانوا يتغيرون حسب تغير الخلفاء، وعموما يمكن ترصد تطور هذه الولاية وأهم عمالها (**لاحظ جدول الولاة في الملحق رقم 06**).

قام عبد المؤمن بتعيين أبنائه على الولايات في سنة 549هـ/1154م فعين ابنه السيد أبا حفص عمر على تلمسان وأحوازها [1] خلفا لسليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي الذي كان مكلفا فقط [2] وأصحبه أبا محمد عبد الحق بن واندين، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك بن أصبغ بن عياش [3] و بعث معهم أشياخ الموحدين كمستشارين[4].

وقد توفي أبو حفص سنة 571هـ/1175م إثر الطاعون الذي ضرب المنطقة [5] فعين الخليفة يوسف بن عبد المؤمن السيد موسى بن عبد المؤمن، لكنه لم يلبث طويلا فعين وال جديد هو أبو علي الحسن بن عمر بن عبد المؤمن [6] ثم عزله وعين السيد أبا زكريا بن عمر بن عبد المؤمن إلى غاية 580هـ/1184م[7]، فخلفه الوالي السيد أبو إسحاق بن عبد المؤمن عم المنصور إلى غاية سنة 584 هـ/1188م أثناء عودة المنصور من غزوة قفصة، حيث غضب عليه وعزله و لم يلبث كثيرا حتى مات[8]، ثم تولى أبو الحسن بن عمر بن أبي حفص منذ 585 هـ/1189م[9] حيث أضيفت إليه بجاية فترة قصيرة[10]، إلى604هـ/1207م أين عزله الخليفة الناصر [11] بسبب مرض وكبر أبا الحسن [12]،

---

1) البيذق: أخبار المهدي، ص76، 110؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص151؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص316.

2) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص23. وقيل خلفا ليوسف بن وانودين.ابن خلدون:المصدر السابق، ج6، ص309.

3) مجهول:الحلل الموشية، ص151؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2 ،ص110.

4) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 113؛ وابن القطان: المصدر السابق، هامش ص 206؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص50، حيث تخرج ثلاثة عشر من بنيه من مدرسة الحفاظ فولاهم الولايات ، وهي خطوة لتثبيت الحكم الوراثي أكثر. مجهول:المصدر نفسه، ص150.

5) مجهول:المصدر نفسه، ص158.

6) البيذق:أخبار المهدي، ص 110؛ ومجهول:المصدر نفسه، ص 151؛ورسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج 1، ص124؛وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص132.

7) عزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص321.

8) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 198.قيل بسبب حسده للمنصور والتطاول عليه وتسفيه أرائه.حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص143-144.

9) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص201.

10) المقري: المصدر السابق، ج3، ص108-109؛ وعزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص323.

11) ابن عذارى: المصدر نفسه(قسم الموحدين)، ص253.

12) نفسه، ص252.

أسندت تلمسان إلى والي سجلماسة مؤقتا وهو أبو الربيع سليمان لكنه سرعان ما توفي سنة ثم 604هـ/1207م[1] فولى عليها الوالي أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن[2].

لكن أبا عمران تعرض لاغتيا ل من قبل ابن غانية في نفس العام من سنة 605هـ/1208م، فعين الخليفة مكانه السيد أبا زيد بن يوجان[3]، وبقي في منصبه إلى تولي الخليفة المأمون حيث بايعه سنة 624هـ/1226م مما جعله يثبته في منصبه [4] لكنه رجع وعين عليها أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور، لكنه أساء التصرف مع بني عبد الواد [5]، مما جعل بني زيان يثورون عليه فعزله وعين مكانه محمد بن أبي زيد بن يوجان 630هـ/1232م[6]، لكن ذلك لم يمنع بني عبد الواد أن يعلنوا الانفصال بتلمسان، مع الإبقاء بالولاء الاسمي للموحدين، وهو بداية عهد جديد من ظهور الدول المستقلة بغرب المغرب الأوسط.

كان الخليفة المنصور إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم، فإذا أثنوا خيرا قال: "اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقا"[7].

كما قام الخلفاء الموحدون بمراقبة عمل الولاة، حيث يستدعونهم إلى العاصمة لمحاسبتهم على أعمالهم، حيث فعل ذلك الخليفة الناصر الموحدي في سنة 604هـ/1207م حين استدعى العمال والكتاب لمحاسبتهم، يقول ابن عذارى"ونظر بعد استقراره في مراكش إثر رجوعه من إفريقية في وصول العمال إلى الحضرة بأعمالهم وكتابهم المقيدين لأشغالهم، فبادر من عين الوصول لما أمر به ووصلوا مستعدين على ما حد به فشرع في تصفح بعضها"[8].

وعموما نستنتج أنه عندما كانت شؤون الدولة الموحدية منحصرة لدى الأسرة الحاكمة شهدت أوج ازدهارها لأن الناس كانوا ينظرون لولاية أبناء عبد المؤمن باحترام ويعتبرونهم رمز الطاعة، لكن بعد

---

1) ديوان الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله: تحقيق محمد بن تاويت وآخرون، منشورات كلية الآداب، الرباط، دت ، ص 13؛ وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص328.

2) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص335 .

3) الحميري: المصدر السابق، ص 127؛وابن عذارى: المصدر نفسه(قسم الموحدين)، ص 253؛وابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص104.

4) الزركشي: المصدر السابق، ص22؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص460.

5) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7، ص99.وبني عبد الواد هم فرع من زناتة الطبقة الثانية وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورسيك بن جانا.ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص97.أما يحي ابن خلدون فيقول بأنهم فخذان أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا عرفوا تغليبا وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح ابن واسين بن يصليتن بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. بغية الرواد، ج1، ص186.

6) عزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص327.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص203 .

8) ابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص251؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص139.

مشاركة عناصر أخرى أبناء الخليفة حكم الولايات بدأ الطابع الأخلاقي يضمحل مما سمح بالفوضى واستغلال النفوذ وإهمال شؤون الرعية[1].

كما كان لتعيين السادة على رأس الولايات دورا مزدوجا، إذ بقدر ما أسهم تعيينهم في عصر الازدهار في تركيز حكم أسرة بني عبد المؤمن في الأقاليم وفي القضاء على استبداد أشياخ الموحدين بحكم الولايات، بقدر ما أضر وجودهم على رأس الولايات في فترة الضعف بوحدة الدولة ضررا بليغا، حيث وجد بعض الأسياد الولاة الطامعين في الخلافة في جنود الولايات ومواردها سندا مكنهم من الاستقلال بمناطقهم، وإعلان الخلافة ، فبدأت الولايات البعيدة تنفصل الواحدة تلو الأخرى[2].

أما من حيث الجانب الثقافي فقد اهتم الولاة بالعل م والمعرفة ومنهم من اشتهر بالشعر وتقريب الكتاب، بل كان هو أيضا شاعرا بليغا، السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، الذي لقبه ابن سعيد"بسلطان المغرب الأوسط"[3]، فقد كان واليا على بجاية ثم تلمسان في عهد المنصور، وربما في بداية عهد الناصر[4].

---

1) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص40.

2) مجهول:الحلل الموشية، ص 167-169؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 187؛ وعبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص294.

3) أنظر: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، د ت، ج1، ص427.

4) ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص13؛ وبغدادي غربي: المرجع السابق، ص55-56.

2- ولاية بجاية

بعد أن آلت بجاية إلى أملاك الموحدين تبعت لفترة قصيرة الولاية القديمة تلمسان، لكن سرعان ما عين عليها الخليفة عبد المؤمن السيد أبا محمد عبد الله بن عبد المؤمن [1]، وأصحبه أبا سعيد يخلف بن الحسن[2]، وكان ذلك بعد انتهاء عمليات الموحدين من أجل فتح إفريقية سنة 555هـ/1160م[3] حيث ظل المسؤول الرئيسي عن شؤون إفريقية صاحب بجاية الوالي السيد أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن[4] إلى وفاته سنة560هـ/1164م[5].

وفي جمادى الأولى من السنة التالية561 هـ/1165م عين عليها الخليفة يوسف أخاه السيد أبا زكرياء يحي بن عبد المؤمن [6]، وسيظل بولايته إلى سنة 566هـ/1170م حين قدم مراكش بالعرب الراغبين في الجهاد من الأعراب في الأندلس [7]، لكنه توفي إثر الطاعون الذي ضرب المدينة سنة571هـ/1175م[8]، فخلفه الوالي السيد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن إلى سنة576هـ/

---

1) البيدق: أخبار المهدي، ص 76؛ و عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 145؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 151؛ والغبريني: المصدر السابق، ص140.وقد اتهمه بعض المؤرخين بفساد الأخلاق وشرب الخمر، كما عرف باختلال الرأي وكثرة البطش وحبه لنفسه. عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص166.

2) عبد الواحد المراكشي:المصدر نفسه، ص 145؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 194؛وابن خلدون:المصدر السابق، ج 6، ص316؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص110.

3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص198.يحددها ابن خلدون بسنة 554 هـ/1159م.أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص226-227.

4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص415.

5) حيث رفض مبايعة أخيه يوسف، واكتفى هذا الأخير بمراسلته في محاولة لإقناعه بذلك، ونجح بعد سنة ونصف من التردد بالانتقال إلى مراكش لمبايعته لكن بعد بضعة أيام على مغادرته بجاية فاجأته المنية.ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 170؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص 84؛ وابن خلدون:المصدر نفسه، ج 6، ص319.وتوفي بجبل زكار بمليانة ودفن به عام ستين وخمس مائة.ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص5.و يشير هويثي مراندا أن أخويه يوسف وعمر دبرا مؤامرة لاغتياله فقامت بتنفيذها إحدى جواريه، والتي استعملت في ذلك قماشا مسموما.أنظر: المرجع السابق، ص213.

6) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص217. وكانت ترافقه حاشية تضم عددا من المنحدرين من أهل العشرة، بالإضافة إلى الحفاظ والجنود. هويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص218؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص20؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص132.

7) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، ص124.

8) مجهول:الحلل الموشية، ص 158.ظهر الطاعون في المدينة في أول شهر ذي القعدة 571هـ/1175م، وبلغت ضحاياه نحو مأتي شخص يوميا ومات أربعة من السادات إثره منهم السيد أبو عمران، ثم أخوه السيد أبو سعيد ، فأخوهما السيد أبو عبد الله، ثم أخوهما السيد أبو زكريا والي بجاية والعديد من أشياخ الموحدين، ودام مدة عام من الزمن. عبد الله عنان: المرجع نفسه، ج3، ص94-95.

1179م[1]، ثم عين الخليفة عليها أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن إلى غاية وفاة الخليفة يوسف 580هـ/1183م[2].

إذن نجد الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن انتهج نفس الطريقة في تعيين إخوته وأبنائه على الولايات، إذ يقول ابن عذارى"...ونظر الأمير أولا مشورة أخيه أبي حفص في ولاية بجاية وأقطارها وجمع جهاتها وأقطارها، إذ كانت دون وال، وعلى حالة إغفال فاختاروا لها من الإخوة السيد أبا زكريا يحي بن عبد المؤمن فتوجه إليها من الحضرة غرة جمادى الأولى من سنة إحدى وستين في جملة متعينة من أبناء الحفاظ والموحدين..."[3].

كما لم يغير خلفاء عبد المؤمن طريقة التعين للولاية إذ قام يعقوب المنصور(ت 595هـ/ 1198م)[4] بتعيين ثلاثة من أبناء عمومته [5] كولاة، ثم سار على نهجه الخليفة الناصر، فقد أبقى قريبيه في منصبيهما[6].

ومن الوزراء الإقليمين –أي المساعدين للولاة – عبد الحق بن واندين وزير عامل تلمسان وهو عمر بن عبد المؤمن، وكذا الوزير يخلف بن الحسن وزير عامل بجاية[7].

لكن الخليفة الجديد المنصور وعين أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن واليا على إفريقية [8] سنة 580هـ/1183م[9] وعين مكانه على بجاية عمه أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، وقد تمتعت بجاية في عهده بشبه استقلال [10] والذي وقعت في عهده بجاية في يد بني غانية [11]، وبقيت في

---

1) عزالدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص322.

2) أمينة بوتشيش:المرجع السابق، ص19.

3) ابن القطان: المصدر السابق، هامش، ص208؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص218.

4) أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله ثالث خلفاء الموحدين،خلف والده أبو يعقوب يوسف. في الحكم من 580هـ/1184 حتى وفاته في مراكش عام 595هـ/1199م، تميز عهده بالمشاريع الكبيرة وهزم ألفونس الثامن القشتالي، في معركة الأرك في 18 يوليو 1195/ 591هـ بعد هذا النصر اتخذ لقب "المنصور بالله".ولمزيد المعلومات أنظر عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص184-219.

5) هم أبو زيد عبد الرحمن في بجاية ثم تونس، وأبو عبد الله، وأبو الحسن.

6) روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص40-41.

7) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص323.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص192.

9) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص19

10) ديوان الأمير أبي الربيع: المصدر السابق، ص 6 لهذا سماه ابن سعيد سلطان المغرب الأوسط.ابن سعيد المغربي: المغرب، ج 1، ص427.

11) حيث فر إلى أخيه نحو تلمسان التي كان واليا عليها أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن، ثم توجه بعد ذلك إلى مراكش حيث التقى الخليفة يعقوب. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 192؛ وابن خلدون:المصدر السابق، ج6، ص326-327؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص131؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص312.

يدهم لمدة ستة أشهر عين عليها أخاه يحي بن غانية [1]، وفي هذا الظرف كلف المنصور السيد أبا زكريا بن عمر بن عبد المؤمن تسيير أمور بجاية مؤقتا [2]،وقد مر على بجاية في ظرف 21سنة أربعة ولاة، حيث اتسمت أوضاعها على عهد الخليفة يوسف خاصة بالاستقرار، عكس عهد الخليفة يعقوب المنصور، الذي شهدت في عهده هجومات بني غانية[3].

فكان الخلفاء الموحدون يغيرون الولاة حسب الأحداث، وحسب الظروف إضافة إلى قدراتهم السياسية والتسييرية[4]، وربما كان هذا الإجراء المقصود منه هو إحلال عناصر جديدة تتميز بالولاء والإخلاص للخليفة الجديد مكان عناصر خدمت في ظل خليفة سابق[5].

بعد استرجاع بجاية من ابن غانية سنة 581هـ/1184م، تولاها مدة أبو زيد عمر بن أبي حفص، لكن الخليفة يعقوب المنصور استوزره وعين مكانه على بجاية أخاه أبا عبد الله بن أبي حفص سنة 582هـ/1185م[6].

ثم عين عليها محمد بن أبي سعيد الجنفيسي مؤقتا، ورجع وعين عليها وال آخر هو السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص سنة 584هـ/1188م[7]، وبقي بها إلى غاية وفاة المنصور، وبتولي الخليفة الناصر الذي عينه مرة أخرى على بجاية سنة 596هـ/1199م[8]، وبقي بها إلى أن توفي سنة 604هـ/1208م[9].

ليعود وينصب عليها أبا عبد الله بن يغمور الذي بقي إلى 623هـ/1226م، حيث خلفه يحي بن العطاس التنمالي بن أخي العادل[10]، وبايع هذا الأخير الخلفية الجديد المأمون مما جعله يثبته في منصبه سنة624هـ/1226م[11]، لكنه رجع وعين أبا عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني أحد أحفاد

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 192؛ وابن خلدون:المصدر نفسه، ج 6، ص326؛ وابن الأثير: المصدر نفسه، ج 10، ص131؛ وهويثي ميراندا: المرجع نفسه، ص312؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، هامش، ص40.

2) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص323.

3) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص19.

4) المرجع نفسه، ص39.

5) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص142.

6) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص327.

7) المصدر نفسه، ج6، ص328.

8) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص237. أما عزالدين عمر موسى فيقول أن الوالي هو السيد أبو زيد الحسن بن السيد أبي حفص.أنظر: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص324.

9) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص335.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص 228.وقد أورد اسمه يرمور عوض يغمور.روبار برونشيك: المرجع السابق، ج 1، هامش، ص48.وذكر ابن خلدون الوالي الجديد على بجاية بيحي الأطاس التينمللي. أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص379.

11) الزركشي: المصدر السابق، ص22؛ وروبار برونشيك: المرجع نفسه، ج1، ص48.

يوسف بن عبد المؤمن، والذي سقطت بجاية في عهده بيد الحفصيين سنة 626هـ/1228م[1]، وبذلك انقطعت الدعوة المؤمنية من شرق المغرب الأوسط، ليصبح تحت إمرة الدعوة الحفصية[2].

وعليه فإن النظام الإقليمي في الولايات الموحدية-وعلى رأسها المغرب الأوسط، المقسم إلى ولايتين هما بجاية وتلمسان-كان تقريبا نسخة طبق الأصل للنظام المركزي في العاصمة مراكش، إذ كان الخليفة يعين لكل وال وزيرا إقليميا وكاتبا خاصا به[3].

كما نلاحظ أن صلاحيات الولاة لم تبق كما كانت، فقد اتسعت في فترة ضعف الدولة، أو في بعض الولايات البعيدة حتى في عهد القوة[4] ويدل على ذلك ما فرضه الشيخ عبد الواحد الحفصي على الخليفة الناصر الموحدي(595-610هـ/1198-1213) من شروط لقبول ولايته على إفريقية، إذ اشترط عليه حرية التصرف في اختيار الكاتب والوزير والقاضي ورؤساء الجند [5]، كما اختص كاتب الوالي أحيانا بالجمع بين الكتابة والوزارة لمستخدمه من ولاة بني عبد المؤمن[6].

لقد اختص الولاة الموحدون كل واحد منهم بكاتب أو مجموعة من الكتاب يعملون على خدمته والكتابة عنه، واختلف عددهم في بلاط الوالي حسب حاجة الإدارة إلى ذلك [7]، فقد كان أبو حفص عمر بن عبد المؤمن والي تلمسان [8]،كاتبا بليغا استوزره أبوه، وصدرت عنه عدة رسائل من إنشائه [9]، إلا أنه اختص به بعض أعلام الكتّاب ومشاهيرهم، وعلى رأسهم الفقيه الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن عياش، ومحمد بن إبراهيم بن خيرة، والكاتب أبو القاسم بن المواعيني[10].

واشتهر من ولاة المغرب الأوسط السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص بن عمر، فقد حلاه ابن سعيد بقوله:كان من أجل بيته قدرا وأطيبهم ذكرا وأسفحهم يدا وأمنعهم سندا، وكان مألفا للشعراء والأدباء، ومدحه هناك ابن الفكون، ثم ولاه الخليفة بعد ذلك تلمسان، وبنى بها المباني[11].

---

1) لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص. المصدر نفسه، ص25-28 ؛والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص5.أما ابن قنفذ فيرد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور.أنظر: المصدر السابق، ص108.

2) لأن الدعوة الموحدية مؤمنية وحفصية.ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص108.

3) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص323.

4) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج2، ص229.

5) الزركشي: المصدر السابق، ص18؛ والتجاني: المصدر السابق، ص331-332.

6) بغدادي غربي:خطة الكتابة على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006-2007، ص53.

7) بغدادي غربي: المرجع نفسه، ص54.

8) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص113؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص50.

9) رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1، ص23.

10) بغدادي غربي: المرجع نفسه، ص55.

11) المقري: المصدر السابق، ج3 ، ص108-109؛ ومحمد طمار: المرجع السابق، ص77.

الفصل الأول

الحواضر العلمية والمؤسسات الثقافية في المغرب الأوسط

أولا : الحواضر العلمية

ثانيا : المؤسسات الثقافية

استعادت الثقافة بالمغرب الأوسط نشاطها في العهد الموحدي، في ظل الوحدة السياسية، فظهرت حواضر مهمة بلغت العشر، في كل من تلمسان وبجاية ووهران وقسنطينة وقلعة بني حماد و بونة وجزائر بني مزغنة، وورجلة وهذا فضلا عن بعض المراكز الأقل أهمية خلال هذه الفترة، مثل أشير، وزواوة[1]، و مازونة و بسكرة، و تاهرت...

يقول ابن خلدون:"إن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت، مثل البصرة والكوفة، إلا أن الله قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق، ثم إلى القاهرة، وما إليها من المغرب، فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما"[2].

ورغم استمرار الحواضر العلمية [3] الأولى في المغرب الإسلامي"كفاس"، و"بجاية"، و"القيروان"، إضافة إلى المراكز العلمية المشرقية، كدمشق وبغداد، وبصفة خاصة"القاهرة"المملوكية، التي كانت محور ارتكاز سياسي، وملاذا آمنا للكثير من الشخصيات المغربية البارزة، حيث وجدوا في بلاط السلاطين الرعاية و الحظوة على غرار، الرحالة ابن جبير (ت614 هـ/1217م)[4].

أما الحواضر الأم التي حوت أقطاب العلم في المغرب الأوسط، وشهدت أزهى عصورها العلمية، وتلألأت كالكواكب العلمية في مختلف أنحاء المغرب الأوسط الموحدي، هي تلمسان وبجاية، بفضل

---

1) سميت بزواوة لكثرة جموعهم، إذ أن معنى زواوة بلغتهم جمع الشيء فهو زاو، وأزوي تعني جاء ومعه غيره، وهي إشارة إلى اتحادهم وتحالفهم أمام الأخطار، أو هي تصحيف للاسم لبربري قواوا أو زواوا نسبة لأحد أبناء يحي بن تمزيت بن ضريس، ويدعى زواو ومنه أخذت القبيلة تسميتها وهي من البتر.مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص50-51.

2) أنظر:المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2005، ج2، ص353. اعتبر ابراهيم حركات أن أهم عنصر سلبي في الثقافة المغاربية هو أنها لم تكن متاحة للجميع أو لأكبر عدد ممكن، مهما كان من التغطية الكبيرة التي قامت بها على الخصوص، الرباطات والزوايا، فضلا عن جهود السلطات المركزية، وفي جميع الأحوال لم تصل التغطية إلى مستواها في الأندلس، حيث كانت نسبة الأمية متدنية جدا بينما هي في المغارب مرتفعة جدا، لأن المراكز الحضارية والعمرانية بالأندلس متقاربة ومستواها الحضاري غير متفاوت بشكل كبير.مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م، دار الرشاد الحديثة،ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ج1، ص55-56.

3) و**الحاضرة** لغة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار والبادية يمكن أن يكون اشتقاق اسمها من بدا يبدو أي برز وظهر ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه وأهل الحضر وأهل البدو والحاضرة والحاضر الحي العظيم أو القوم المجتمع...وحاضرة صفة طائفة أو جماعة يحضرون إلى مكان ما.ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت، ج2، ص907.

4) عرفت رحلته باسم"تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" أو برحلة ابن جبير.

العلم والدين، محور هذا الحراك، إضافة إلى التجارة، حيث نادرا ما تجد مدرسة أو زاوية أو رباطا يخلوا من كتب العقائد.

فنشطت العلوم الدينية كالفقه والحديث وعلم الكلام، والعلوم اللغوية والتصوف والطب، انتشار المجامع العلمية في هذا العصر كالربط والزوايا والمساجد والمدارس العسكرية لتخريج الجند البارعين، وكثرت دور العلم والمعرفة في أغلب المدن المغربية والأندلسية، وأنجبت كل حاضرة رجالها وفطاحل من الأدباء والشعراء والفقهاء والمفكرين[1].

ساعد في نمو وازدهار الحواضر العلمية انتشار مراكز علمية ومؤسسات ثقافية مهمة كان لها الدور الكبير في إبقاء المشعل الثقافي متقدا، وأعني بالمراكز العلمية المساجد أولا، فقد ظل المسجد دائما على امتداد التاريخ الإسلامي هو المركز الأهم للدراسات العلمية والثقافية إلى العهود التي نعيشها، وقد تتبعها كتاب، وزوايا، ثم بعد ذلك المدارس وربما كان إنشاء المدارس ابتدأ أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع كما سنعلم فيما بعد، ثم بعد ذلك المكتبات.

كما ساهم في ظهور الحواضر العلمية انتشار التعليم في وسط مجتمع المغرب الأوسط وطبقاته وفئاته، لأن التعليم أساس نهضة الشعوب والأمم، فكان بهذه الحواضر نوعان من التعليم:الاحترافي، والتعليم التطوعي الشعبي، فكان هذا العامل جديرا جدا بتطوير العملية التربوية التعليمية، مما سمح بازدهار مراكز علمية هامة وحواضر فكرية[2].

عموما ظهرت شبكة مزدهرة لحواضر ثقافية، متعددة المشارب،ميزها التوجه الديني والمذهبي الواحد خاصة في المغرب الأوسط عكس، حواضر العهود السابقة، فقد نجد منها ما كان على الاعتزال وبعضها على مذهب الشيعة وبعضها على مذهب الخوارج، وبعضها على شعائر ومعتقدات زائغة — ولكن تحت مظلة الموحدين— أصبحت جميعها على تعدد أهوائها تحمل ثقافة واحدة.

كما ارتبطت حواضر المغرب الأوسط في ظل الوحدة بمراكز ثقافية أخرى بالأندلس والقيروان، وحتى مع المشرق الإسلامي–ولعل السبب الرئيسي في ذلك تعدد مذهب ابن تومرت مؤسس الدولة–

1) صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، بين القرن 6-7هـ/12-13م، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص 42-43.

2) عبد العزيز فيلالي: تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد 3-4، أفريل–ماي2011، ص9.

أولا : الحواضر العلمية.

مثلت الحياة العلمية مظهرا مهما من مظاهر الحضارة الموحدية، وقد كانت هناك عوامل وراء ازدهار الحركة العلمية،كان أولها انتشار المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب الإسلامي عموما،والمغرب والأوسط خصوصا.

الحواضر العلمية في المغرب الأوسط متعددة وكثيرة، ومن أبرزها:بجاية، وتلمسان، والقلعة، وقسنطينة، ووهران، ووركلا، وجزائر بني مزغنة، في الفترة الأخيرة.

فانتابت المدن المغربية والأندلسية حركة علمية نشطة، خلال العهد الموحدي، باعتبار الوحدة السياسية التي تمت، فقد كانت مراكش كعبة العلماء والفلاسفة، و فاس بعدها مباشرة في الترتيب [1]، لتأتي بعدها مدن أخرى في المغرب الأوسط لا تقل عنها أهمية واجتذابا للعلماء كتلمسان وبجاية.

كما تبين لنا ذلك كتب البرامج والفهارس، الحياة التعليمية والثقافية في هذه الحواضر العلمية، بذكر المراكز النشيطة في نشر العلم، من خلال كثرة الشيوخ، وتوفر المدارس، وتركز فهارس القدماء بالدرجة الأولى، كما تبين لنا البرامج والفهارس أهم التجمعات العلمية للشيوخ في العدوتين [2]، وأهمها على الإطلاق فاس ومراكش وتلمسان وبجاية، حيث يجتذب بريقها مختلف فئات العلماء والطلبة، لما يتوافر فيها من ظروف الحياة أولا، ولما تحظى به من ظروف التهيؤ المشجعة لذلك.

فكان كلما مر العلماء بعد رحلة الحج على حواضر المغرب الأوسط، إلا واستقروا بها ودرسوا بمساجدها، اختصاصات شتى، وأملوا مؤلفاتهم على طلبتها، ومثال ذلك الفقيه عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (ت628 هـ/1230م) الذي كان قاصدا البقاع المقدسة، فمكث ببجاية متفرغا للتدريس والتأليف ونشر العلم[3].

لن نبالغ إذا قلنا بأن كل مدن المغرب الأوسط ومناطقه كانت مراكز يؤمها الطلاب، والمتعطشون للمعرفة، حيث يجدون بغيتهم في حلقات المساجد والمدارس التي انتشرت في المدن والقرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، غير أن بعضها كان لا يقدم غير دراسة متوسطة المستوى، تتطلب البحث والرحلة والتنقل إلى أماكن وحواضر أخرى أكثر مستوى ورفعة علمية.

---

1) عبد القادر عثمان: الموحدون بإفريقية إلى سنة 627 هـ، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991-1992، ص245.

2)عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تيطوان، المغرب، 1999، ص424.

3) الغبريني:المصدر السابق، ص193.كما كانت العودة من الحج بحرا أيضا تمر على بجاية.ابن جبير: المصدر السابق، ص 277؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص101.

على أن بعض هذه المراكز الحضرية كان لها الأثر السياسي في إغراء القادمين إليها من الأندلسيين الذين وفدوا عليها كبجاية وتلمسان، خدمة للدولة الموحدية، باعتبارهما حاضرتين كانتا تمثلان مركز ثقل مهم سياسيا من خلال اعتبارهما ولايتين رئيسيتين في الدولة، وقد يكونوا مجرد عابرين استقر بهم المقام للحظة في هاتين الحاضرتين، فطال أو قصر بهم المقام، أو ممن طوحت بهم ظروف الأندلس القاسية[1]، فترلوا إلى المغرب الأوسط لاجئين يبحثون عن مستقر آمن.

و لم تنل العواصم الثقافية القديمة في المغرب الأوسط مكانتها خلال العهد الموحدي حيث فقدتها لصالح مراكز علمية أخرى برزت بدور فاعل في الساحة السياسية والفكرية، ومن بين هاته المدن التي فقدت مكانتها نجد مدينة أشير، وتاهرت، حيث لم تنل عناية عبد المؤمن وخلفائه [2] ربما بسبب تجاهل الدول التي جاءت بعد الرستميين لها باعتبارها مدينة الخوارج، أو لتعارضها العقدي مع مبادئ تلك الدول، غير أن عبد المؤمن وخلفاءه نشروا بتاهرت مبادئ الموحدين ونشطوا تحفيظ القرآن الكريم[3].

إن تلمسان وبجاية، وهما من حواضر المغرب الأوسط السياسية والفكرية تمثل كلتاهما، في نظر الجغرافيين المسلمين طرفا المغرب الأوسط، فبجاية تمثل البداية، وتلمسان تمثل النهاية أو القفل على حد تعبير بعض الجغرافيين المسلمين[4].

كما أن في كثير من الأحيان، كان العلماء يختارون بجاية أو تلمسان للإقامة، ويختاروهما أيضا لمثواهم الأخير[5] فتربعت تلمسان وبجاية على صدارة تاريخ المغرب الأوسط أكثر من ثلاثة قرون، ازدهر خلالها الفكر وأخصبت الحضارة، وتطور العمران وانتعش الاقتصاد والتجارة؛ فاستهوت العديد من رجالات الفكر والدين والسياسة، وجلبت الرحالة والجغرافيين والمهاجرين ، فكانتا بحق همزة وصل لتواصل ثقافي بين المغرب الأقصى والأدنى ، خلال فترة كانت فيها الوحدة هي الغالبة.

وليست نهضة بجاية وتلمسان العلمية من مآثر الموحدين ل وحدهم، فقد كانتا ذات شهرة عالمية فائقة في عهد الحماديين، والمرابطين [6]،كما برزت حواضر أخرى كان بها إشعاع علمي مهم مثل قسنطينة، وهران، وجزائر بني مزغنة، وقلعة بني حماد، وبونة، ووركلا.

---

1) مثل ما حدث خلال ظروف الفتنة الحادثة أواخر دولتي المرابطين، و عهد ملوك الطوائف .

2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص105.

3) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص286.

4) موسى لقبال: زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، 1975، ص91-92.

5) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، سلسلة الفن والثقافة، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص100.

6) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص286-287.

أ- تلمسان[1]

استمرت الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي والأندلس عموما خاصة في العهد الموحدي، وبالمغرب الأوسط خصوصا، بالنمو والازدهار في كل ميدان، وظهر العلماء في كل فن، فشهدت الدولة الموحدية حركة فكرية نشيطة، أدت إلى ازدهار المدن وتطورها ثقافيا وعلميا، فانعكس ذلك بظهور حواضر ومراكز علمية مهمة، منها تلمسان وبجاية.

و لم يكن قدوم العلماء إلى عدوة المغرب مقصورا على من انتقاهم الخلفاء للتدريس بالمؤسسات العلمية، أو المساجد الكبرى فالعلماء المشهورون، استهوتهم مناصب التدريس الشاغرة في المساجد والمدارس والزوايا المنتشرة في كبريات المدن الموحدية، كبجاية، وتلمسان[2].

فقد كانت مدينة تلمسان مشتلة للعلم والمعارف، وخزانا للعلماء والفقهاء، ومنبرا للدعوة الإسلامية، وعاصمة للزهد والتصوف الإسلامي، ومزارا كبيرا لطلاب العلم وأصحاب الرحلة في طلبه، ومحجا للأولياء الصالحين ومريديهم، لأخذ التصوف ولبس الخرقة[3].

وبلا شك أعطت تلمسان دفعا قويا لتكوين علاقات متينة مع غيرها من المراكز الفكرية، سواء تأثيرا أو تأثرا، مما جعلها دائمة الحراك الثقافي تأخذ وتعطي، مساهمة في النمو المضطرد في الحركية الثقافية بالمغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية فأصبح ت منارة مشعة لا في الغرب الإسلامي فحسب بل في كل العالم الإسلامي.

لم تحمل المدينة اسم تلمسان إلا في مصادر القرن الثالث للهجرة[4]، ولا ندري من استعمله لأول

---

1) تقع تلمسان في سفح جبل بني ورنيد المار جنوبا و يسمـــى قابلتها بالصخرتين و ينحدر منه نهر سطيف المار بشرقها ليلتقي بنهر يسر ثم بنهر تافنا .البكري: المصدر السابق، ص76.وتلمسان تحريف لصيغة جمع وهو تلمسان أو تلمسين بكسر فسكون ومفرده تلماس ومعناه جيب أو ينبوع، فيكون اسم تلمسان مدينة الينابيع، وأجادير اسم فينيقي، دخل هذا الاسم في لغة البربر ومعنى أجادير بجيم مصرية الجرف أو الهضبة ويفق هذا وموقعها.محمد بلفراد: تلمسان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26 جويلية– أوت، 1975، ص299.

2) صفية ديب: المرجع السابق، ص100-101.

3) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص7. كما كانت تلمسان منذ القديم تتبنى فكرة المذهبية المستقلة بدءا بالنحلة الصفرية ممثلة في أبي قرة اليفريني، ثم الشيعة العلوية، ثم الحركة السنية المرابطية، وصولا إلى المهدوية التومرتية.موسى لقبال: المرجع السابق، ص92.

4) ذكرها ابن عبد الحكم (ت 257 هـــ/ 870م) حينما تكلم عن موسى بن أبي خالد مولى معاوية بن حديج سنة 123هـــ.فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص96 كما ذكرها اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـــ/ 897 م باسم تلمسان وقال بأنها"المدينة المشهورة بالغرب وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة.البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 192.كما جاءت الكلمة بصيغة تلمسين عند.وذكرها ابن حوقل(ت 367 هـــ/977م) باسم تنمسان وبأنها مدينة أزلية ولها سور من آجر حصين.صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص88.

مرة، في حين احتفظ بلفظ أقادير [1] ليطلق على المدينة القديمة في الجهة الشرقية من تلمسان، ويصفها الإدريسي بأنها "مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور[2].

تأسست مدينة تاجررات أو تلمسان الجديدة من قبل يوسف بن تاشفين [3]، سنة (473هـ/ 1081م) و عرفت الحركة الفكرية بها نشاطا منذ عهد المرابطين، فأصبحت تلمسان مقرا لولايتهم في المغرب الأوسط إذ شيدوا القصر و جعلوه مقرا للتواصي ، و بنوا المسجد الأعظم أو الجـــامع الكبير ، وجعلوا لها خمسة أبواب، و أصبحت تلمسان حاضرة من حواضر الغرب الإسلامي وقاعدة المغرب الأوسط[4].

كما يقول عنها البكري(ت 487 هــ/ 1094م)"..و لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمة الله عليه..."[5]

وتلمسان[6] كما يصفها الإدريسي (ت 560هــ/1165م) الذي عاش في القرن السادس هجري أي عاصر الموحدين، بقوله هي مدينة أزلية-ويقصد مدينة أكادير- [7]، ولها سور حصين،

---

1) معنى كلمة أقادير حسب اللهجة المحلية الحصن أو الصخرة المنيعة وهي مشتقة من أغادير ، أي جدار المدينة الحصين ، ومن هنا تسمى المدينة بمدينة الجدار.نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن7إلى10هــ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص3.ويذكر الوزان (ت 957هــ/ 1550م)أن تلمسان مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة لم يذكر التاريخ مؤسسها وكل ما يقال أنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب أرشكول.وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص17.

2) أنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج 1، د ت، ص248.

3) بناها يوسف بن تاشفين غرب المدينة القديمة أغادير، واتخذها معسكرا له لهذا سماها تاجرارت وتعني المحلة أو المعسكر بلسان صنهاجة.حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2011، ج4، ص37؛ وعبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول،1993،ص37؛ ويحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985، ص33.وهي التي تمثل اليوم وسط مدينة تلمسان ومركزها الجامع الأعظم المرابطي والساحة المحاذية له.نصر الدين بن داود: المرجع السابق ، ص5.

4) البكري: المصدر السابق، ص 76.

5) أنظر: المصدر نفسه، ص77.إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص133-139.

6) وهذه المدينة يسميها القدامى تيميسي، ويجعلها بطليموس في الدرجة الثالثة عشر وخمسين دقيقة طولا، والثالث والثلاثين وعشر دقائق عرضا، وتسمى تلمسان بلغة البلاد، وتقع على بعد سبعة فراسخ من البحر في جهة الجنوب، ويرجع تأسيسها إلى قبيلة مغراوة من قبيلة زناتة، و لم تكن إذ ذاك إلا مدينة صغيرة بمثابة قلعة ضد أفارقة الصحراء، ثم اتسعت بعد ذلك.مارمول كربخال: إفريقيا، طبع دار المعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص298.لا يصدق القول بأن مؤسسي أقادير أو تلمسان هم الرومان لأنها أقدم منهم بكثير والمؤسسون الحقيقيون لها هم بنو يفرن الزناتيون.يحي ابن خلدون: المصدر السابق،ج 1، ص91؛ وابن خلدون:العبر، ج7، ص 24، ص 102؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 17.

7) أجادير أو أقادير أو أغادير مدينة بناها بنو يفرن الذين كانوا يقطنون بهذه المدينة.ابن خلدون:العبر، ج 7، ص 24، ص 102.وقال عنها يحي ابن خلدون وتلمسان تعرف بأجادير.أنظر: المصدر السابق، ج 1، ص91. كما سماها الرومان باسم بوماريا والذي يعني البساتين.نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ص 3؛ ومحمد بلفراد: المرجع السابق، ص 299.يصفها الزهري بأنها مدينة

الوثائق، وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور، وإحدى المدينتين بناها المرابطون، وهي تاقرارت، ثم وصفها بالخصب ورخص المعيشة وكثرة الخيرات، وقال عنها لم يكن في عصره بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرق منهم حالا [1]. ويضيف الجغرافي المجهول (كان حيا سنة 587هـ/ 1191م) "ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، و لم تزل دار العلماء والمحدثين..."[2].

تدعى تلمسان أيضا مدينة السور أو الجدار لكونها محاطة بأسوار كبيرة وطويلة قليلا ما نجد مثلها في العالم الإسلامي، حتى أن ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) نقل في معجمه مزاعم خاطئة عن جدارها حيث يقول:"...ويزعم بعضهم أنه -تلمسان-البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن[3].

وتقع تلمسان المشهورة حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنان وأربعون دقيقة، كما يصفها ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) بأنها" مشهورة...والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها.." [4]، وقد وصف يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م)، مؤرخ ملوك بني عبد الواد، تلمسان بقوله :" اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص أفيح معد للفلاح"[5] ويضيف قائلا"ولها خمسة أبواب: قبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة، وشمالا باب الحلوي، وباب القرميدين، وغربا باب كشوطة "[6].

إلا أن أبو الفداء (ت 732هـ/1331م) يبالغ فيذكر لها ثلاثة عشر بابا [7]، وأطنب لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1378م)في وصفها قائلا:" تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف، كأنّها ملك على رأسه تاجه، وحواليه من الدوحات حشمه

عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة وهي كثيرة الزرع والضرع، ولها أعمال كثيرة، وهي دار مملكة...وأهلها ذو طرف وأدب.أنظر: المصدر السابق، ص113- 114.

1) أنظر: المصدر السابق، طبعة (مكتبة الثقافة الدينية)، ج 1، ص238. وأعاد الحميري (ت727هـ/1327م)ذكر الأوصاف السابقة مع تأكيده على أهمية تلمسان بقوله:"تلمسان قاعدة المغرب الأوسط...وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة..."أنظر :الروض المعطار، ص135.

2) أنظر: الاستبصار، ص177.

3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 95؛ و ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج1، ص4؛ ويحي بن خلدون: المصدر السابق، ص90.ويُكذب ابن خلدون كل هذه المزاعم لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب وبنو إسرائيل لم يمتد ملكهم إلى المغرب.العبر، ج7، ص 102.

4) أنظر: كتاب الجغرافية، ص140.

5) أنظر: البغية، ج1، ص 86.

6) أنظر: المصدر نفسه،ج1، ص90.

7) أنظر: تقويم البلدان، ص137.

وأعلاجه، عبّادها يدها وكهفها كفها، وزينتها زيانها، وعينها أعيانها، هواها المقصور بها فريد، وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب، فلا نحول فيها ولا شحوب"[1].

أما محمد العبدري (ت 720هـ/1320م)فقد وصفها في رحلته قائلا:"تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية، جميلة المنظر، مقسومة بإثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة، ولا بأس بأخلاقهم" [2]، ويذكر الحميري القبائل التي تستوطنها بأنها قبائل زناتة...ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة[3].

كما امتدحها المقري (ت 1041هـ/1632م) بقوله"وقد تخرّج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخاراً دفن وليّ الله سيدي أبو مدين بها، وهو شعيب بن الحسين الأندلسي، شيخ المشايخ، وسيد العارفين، وقدوة السالكين..."[4].

ويعود سبب ازدهارها الفكري والثقافي إلى عدة عوامل منها موقعها الجغرافي الرابط بين الشرق والغرب والأندلس، والشمال"التل"والجنوب، فهي عقدة المواصلات لطرق القوافل التجارية بين التل والصحراء، كما تعد منبت ومحط أنظار العلماء والمفكرين وطلاب العلم، كما أنها محطة لعبور قوافل الحجاج الذين يغدون ويروحون بين بلدان المشرق من جهة وبلدان المغرب والأندلس من جهة أخرى[5].

وإذا كان خط التطور الفعلي لمدينة تلمسان بدأ مع المرابطين، متجهة معهم إلى التحول التدريجي إلى مركز حضاري كبير، فإن هذا الخط واصل سيره ليبلغ مستوى عاليا من الازدهار في العهد الموحدي، ضاهى في ذلك المراكز العلمية الإسلامية الكبرى كالقيروان وفاس وقرطبة [6] كما أن تلمسان كانت ولاية مهمة من ولايات الدولة الموحدية، وقريبة إلى المركز"العاصمة مراكش"وهذا ما جعل الخلفاء الموحدين يستدعون علماءها لاستعمالهم في مختلف الوظائف الإدارية والقضائية[7].

---

1) نقلا عن المقري: المصدر السابق، ج7، ص135.

2)أنظر: الرحلة المغربية، تحقيق بن جدو، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1964، ص9.

3) أنظر: الروض المعطار، ص176.

4) أنظر: نفح الطيب، ج7، ص136.

5) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص6-7.

6) عبد العزيز لعرج: تلمسان، عمرانها وعمارتها الدينية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أفريل- ماي، 2011، ص24.

7) عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975، ص137. وأنا لا أوافقه في اعتبار استدعاء الفقهاء والعلماء مثبط للتطور الفكري على قوله"وكان من شأن هذا الوضع بطبيعة الحال أن يقيد تطور الحياة الفكرية بتلمسان في عصر الموحدين، ويحد من ازدهارها، ويجعلها تابعة إلى حد بعيد للحياة الثقافية السائدة بمراكش".نفس المرجع والصفحة والعكس على نقيض ذلك حيث أن الاحتكاك بمختلف العلماء والفرق والمذاهب والأفكار ساهم في تطوير الحياة الفكرية وزرع المنافسة، بل والإطلاع على ما أنتجه الغير وعدم التقوقع داخل تلمسان.

فبذلك هيأت تلمسان مناخا ملائما للموحدين، لكي تتبوأ مركزا إقليميا هاما له وزنه السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، ومكانة مرموقة في المغرب الأوسط منذ الاستيلاء عليها[1].

لقد ضمها عبد المؤمن بن علي سنة 534ه/1139م وخربها نتيجة الحرب، ثم رجع وأعاد بناءها وتعميرها[2] حيث شرع أبو الحسن علب بن عمر عام 561هـ/1170م في تجديد السور، و لم ينته منه سوى سنة 580هـ/1184م على يد أبي عمران موسى [3] فتزايد التوسع العمراني بها موازاة مع تزايد النشاط التجاري من جهة و انتشار التعريب و الثقافة الإسلامية من جهة أخرى لهذا أبقوا عليها كمقر لولايتهم و مركز إشعاع و أعطاها عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي [4] نظرا لما آلت إليه المدينة من تطور و ربما لكونها قريبة من مسقط رأسه بتاجرا[5].

فجعل الموحدون تلمسان مقر ولاية المغرب الأوسط، فشيدوا قصرا ومقرا للوالي، ورمموا وبنوا المسجد الأعظم سنة 536هـ/1141م وأصبحت المدينة تستقطب العلماء والأدباء، كما لقيت نفس العناية المدن الموحدية الأخرى من خلال إنشاء أسوارها لتحقيق حصانتها[6].

كما اعتنى بها عبد المؤمن بصفة خاصة، وعناية خلفائه من بعده، فقد جدد عبد المؤمن مسجد تلمسان الجامع، وبنى لنفسه بها قصر المشور سنة540هـ/1145م[7] .

وعقد بها مجالس العلم، ونشر التعليم الإجباري، وربما يكون سبب اعتناء عبد المؤمن بتلمسان، هو أن هذه المدينة تضم كثيرا من بطون زناتة وكومية" عشيرته الأقربين"كما كانت سوقا يعرض فيها والده بضاعته، وكانت تلمسان من الحصون الموحدية الهامة، كما كانت مركزا هاما لنشر دعوتهم بالمغرب الأوسط[8].

---

1) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 8-9.لكن العبدري يظهر تحاملا واضحا من خلال ما ذكره في رحلته عن تلمسان بقوله"ومبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن ومنازل بغير نازل، ومعاهد أقفرت من متعاهد...وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد وغاضت أنهاره فازدحم على التمادي...وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس.أنظر: المصدر السابق، ص10، ص11. لكن في الحقيقة غير ذلك حيث كانت تلمسان -رحلة العبدري سنة688هـ/1289م -في العهد الزياني قمة في التطور والازدهار العلمي، وأكيد هناك لبس فيما قال، أو حدثت له حادثة هناك جعلت قلبه يتحامل عليها بهذا الشكل.

2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص104.

3) محمد طمار : المرجع السابق، ص 73.

4) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص37.

5) تاجرا أو تاجرة المدينة التي ولد بها عبد المؤمن وتعني بالبربرية الحوض والجفنة، وهي تقع في داخل جبال وفي منتصف الطريق بين هنين المرسى ومدينة ندرومة القاعدة العلمية لعبد المؤمن.الحميري: المصدر السابق، ص125؛وعثمان الكعاك: المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، جامعة الدول العربية، 1984، ص121.

6) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص37.

7) ابن أبي زرع: الأنيس، ص189.

8) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص287.

فبذلك شهدت تلمسان خلال العهد الموحدي تطورا هائلا في الحضارة والعمران، حيث صرف ولاة الموحدين السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها وتحصينها، فشيد بها الوالي أبو عمران موسى بن يوسف عددا من الأبنية سنة 556 هـ/ 1261م وأحاطها بسياجين، وفعل على غراره أبو الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن، خاصة عندما ظهر الثائر الميورقي عام 581هـ/1185م واكتسح المغرب الأوسط وهدد تلمسان عدة مرات وأحدث بها تخريبات[1].

فأصبحت تلمسان في العهد الموحدي معدن العلماء والأعلام، والأولياء المشاهير، نجابة في الدرس والعبادة، تشهد بذلك المزارات المحبوبة من مختلف الأقطار [2]، فكانت في طليعة المراكز العلمية بالغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، منافسة بذلك مراكز أخرى في المغرب الأقصى و العدوة الأندلسية، وظهرت أهميتها في الدراسات الفقهية من خلال جلة من العلماء منهم الفقيه علي بن أبي قنون (ت577هـ/1181م)[3] و الفقيه ميمون بن جبارة (ت 584هـ/1188م)[4]، والفقيه عبد الله بن محمد الفهري (ت644 هـ/1246م)[5] وغيرهم.

كما برزت المدرسة التلمسانية في التفسير من خلال عدة علماء مفسرين بلغوا درجة مهمة منهم عثمان بن صاحب الصلاة(582هـ/1186م) وهو شارح كتاب"الأحكام الصغرى في الحديث"، لعبد الحق الإشبيلي المشهور بابن الخراط [6]ومحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي(ت بعد 654

---

1) يحي بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية—أوت، 1975، ص7.

2) يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ص34.

3) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1989، ص294-295؛ وابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر فرانسيسكو قوديرا، مطبعة روخس، مدريد، 1886 م، السفر الثاني، ص685. كما يلقبها ببهتون. ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ص159. والحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م ، ج2، ص253.

4) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق(طبعة مدريد)، السفر الثاني، ص 396؛ وابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ومراجعة محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م ، ص294؛ وشكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج3، ص183.

5) الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص421.

6) محمد بن جعفر الكتاني : الرسالة المستطرفة، لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، ط5، 1414هـ/1993، ص178-180؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص 418.

هـ/1256م)[1]، الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ [2] حيث ألف كتابا مهما في تفسير القرآن[3].

هذا ما جعل لتلمسان القابلية لاستقبال كل جديد من مختلف العلوم، فلم يكن يظهر فيها، أو في غيرها أي علم جديد، إلا وكان لها منه أو فيه نصيب، ففي علم الحديث برزت فيه تلمسان بشكل لافت، نافست فيه حتى الحواضر المشرقية، من خلال مجالسها العلمية ومختلف العلماء الذين خرجتهم، أو الذين كانت بيت ضيافة لهم، فوجدوا فيها خير الحسن والاستقبال، فأفادوا واستفادوا من الزخم المعرفي والعلمي السائد بها، ونذكر منهم أبا عبد الله الفازازي اليجعشي التلمساني (ت621هـ/1224م)[4] ومحمد بن عبد الحق اليفرني (ت بتلمسان عام 625هـ/1227-1228م)[5] و عثمان بن صاحب الصلاة (ت 582هـ/1186م) السابق الذكر الذي كان له باع طويل في عدة علوم[6].

وبعد مجيء ابن تومرت (ت 524هـ/1129م)،الذي عني بالأصول [7] وبالتأويل العقلي، أكبر من عنايته بالفروع، وبظواهر النصوص وحرفيتها، برزت تلمسان كحاضرة علمية تختص في علم أصول الكلام، خاصة لقربها من المغرب الأقصى والعدوة الأندلسية التي ازدهر بها هذا العلم، فبرز بها عدة علماء منهم الحسن بن أبي زُكُون التلمساني (ت 553هـ/1158م)[8] ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي استقر أخيرا بتلمسان، حيث توفي عام 610هـ/1214م[9] ومن الذين تأثروا بطريقة أبي الحسن

---

1) ابن أبي العيش: التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهيباوي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1، الرباط، المغرب، 2008، مقدمة المحقق ص31.

2) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

3) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

4) ابن الأبار:التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص751.

5) ابن الزبير: غرباء القسم الثاني من صلة الصلة، نشر محمد بن شريفة، بذيل السفر الثامن من الذيل والتكملة، لابن عبد الملك، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ص508.بينما يذكره ابن عبد الملك باليعمري في الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص317. لكن إذ أدخلنا في اعتبارنا أن محقق صلة الصلة نبه على أنها وردت"النفزي"في النسخة المخطوطة، وأن محقق الذيل والتكملة رجح أن تكون"اليفرني"اعتمادا على ذلك تدعم اقتناعنا بأنها اليفرني. بولطيف لخضر: الفقيه محمد بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي، صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان، مجلة عصور الجديدة، العدد 2 ،جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص104-105.

6) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص171 .

7) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص72-73.

8) ابن الأبار:التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص25.

9) المقري: المصدر السابق، ج2،ص379 ،505، ج5، ص231.

الأشعري، و مقالات الغزالي وإمام الحرمين[1]،محمد بن علي بن رمامة (567 هـ/1171م)[2]، وعلي بن أبي قنون"كنون"التلمساني(ت577 هـ/1181م)[3].

عموما المغرب الأوسط وتلمسان خصوصا خلال الفترة الموحدية اعتمدوا على دراسة موطأ مالك بن أنس (ت 179هـ/795م)[4] ودراسة كتب الحديث الأخرى كصحيح مسلم (ت261هـ/867م) وكتاب صحيح البخاري (ت256 هـ/869 م)[5].

كما لا ننسى المشاركة الفعالة للحاضرة تلمسان خلال الفترة الموحدية ولو بقسط في علم القرآن وقراءاته المختلفة، وبرز فيها عدة علماء ساهموا في فرض قراءة ورش عن نافع، وبالتالي ترسيخ المذهب المالكي والتصدي لمختلف المذاهب الأخرى خاصة الظاهري منها الذي مال إليه بعض خلفاء الدولة الموحدية، ونذكر من علماء تلمسان في القراءات الفقيه المقرئ أبو بكر بن سعادة الاشبيلي التلمساني (ت600 هـ/1203 م)[6] و أبو نصر فتح بن عبد الله المرادي(ت أوائل القرن السابع الهجري) أحد تلاميذه شيخ تلمسان علي بن عبد الكريم، وكان من جله المقرئين بالمغرب [7] إضافة إلى عالم مقرئ كبير هو أبو محمد المحاصي عبد الله بن عبد الواحد البكاء، توفي سنة641هـ/1234م[8].

إضافة إلى ازدهرت علوم اللغة في تلمسان في الفترة الموحدية، ووجدت مدارس نحوية تفردت بآراء خاصة، في مسائل الإعراب وغيره حيث يقول عبد الله كنون"فهذه مدرسة تلمسان التي سيختلف أهلها مع مدرسة فاس، في مسألة صرف أبي هريرة ،... وهذه مدرسة طنجة التي توجه أسئلة نحوية لمدرسة اشبيلية..."[9].

وهذا يبين ما وصلت إليه الحاضرة تلمسان في المجال اللغوي والشعري والأدبي من خلال تسجيل الحضور حتى في البلاط الموحدي مثل محمد بن أحمد السلمي التلمساني (كان حيا 557هـ/1162م)

1) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص20.

2) ابن الأبار:التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص371؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص327؛ وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، ط 4، 1983، ص152-153؛ وعمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين9-20م/ 3- 14 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص147.

3) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسمائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمئة.ابن الأبار: المعجم، ص294.

4) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1986، ج2 ،ص 139؛ وابن خلدون:المقدمة، ج2، ص370.

5) ابن خلدون:المقدمة، ج2، ص372.

6) يحي بن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص129؛ والجزري:غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ج2 ،ص251-252.

7) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص420.

8) ابن مريم: المصدر السابق، ص121؛ و المقري:المصدر السابق، ج5، ص229-231.

9) عبد كنون: النبوغ المغربي، في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961، ج1، ص126.

[1] له في الشعر، وقد كتب لولاة بلده، ولربما لولاة تلمسان كذلك [2] ومحمد بن عبد الحق اليفرني (ت625هـ/1227-1228م) [3] ولمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654 هـ/1256م)[4] الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ[5].

على أن نشاط مركز وحاضرة تلمسان في هذه الحقبة قد غذاه أيضا كثير من الأندلسيين الذين استقروا بها حينا من الدهر، فشغلوا دروسها، وكونوا جانبا من الهيئة التعليمية، وأسسوا لمجالس علمية هامة، نتج عنها مشيخات، للكثير من العلماء، وكتب التراجم غنية بذكرهم، منهم أبو بكر بن سعادة الاشبيلي (ت600هـ/1203م)[6]و أبو عبد الله الفزازي (ت 621هـ/1224م)[7] ومحمد بن أحمد السلمي (كان حيا سنة 557 هـ/1162م)[8] وغيرهم كثير سنذكرهم في أبواب أخرى .

---

1) هو أبو بكر محمد بن أحمد السلمي، من بني سفيان أعيان لقنت-ميناء أندلسي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو مرسى مدينة مرسية.الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 459.وبها نشأ وتعلم، ثم ارتحل إلى تلمسان وسكنها، وكان على قيد الحياة بها عام 557 هـ/1162م، حسبما ذكره ابن الأبار في التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص210- 211.

2) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1993، ج2، ص274.الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص459.

3) السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1998، ج4، ص184؛ والزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2006، ج6، ص186.

4) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333- 335.

5) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

6)الجزري : المصدر السابق، ج2، ص251 -252.

7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص751؛ والمقري: المصدر السابق، ج4، ص468.

8) أبو سعيد: المصدر نفسه، ص 274 ؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص459.

ب- بجاية [1]

بما أن الثقافة عطاء الأجيال بعضها لبعض، وإن كان بحثنا حول الحياة الثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن6و7هجريين، إلا أن الحركة الثقافية خلالها إنما هي عطاء القرون السابقة، خاصة في بجاية الحمادية والحركة العلمية التي عاشتها هذه المدينة والتي كانت من أزهى عصورها، فاحتفظت بجاية الموحدية بالموروث الفكري والعلمي لتطوره وتصبغ عليه طابع الثقافة الموحدية .

ورغم أن بجاية لم تكن في منتصف القرن الحادي عشر، حسب البكري، سوى ميناء صغيرا محتشما يسكنه الأندلسيون [2] لكن في نفس السنة التي أنهى فيها البكري تأليفه (1067–1068م) شهدت هذه البلدة المغمورة انبعاث حياة جديدة باختيار موقعها من طرف أمير قلعة بني حماد الناصر، وهو نتيجة من نتائج الحملة الهلالية[3].

كما يصف الإدريسي المعاصر للفترة الموحدية بجاية بقوله"بجاية مدينة على البحر، لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو، وهي في وقتنا هذا عاصمة المغرب الأوسط وأهلها مياسرة تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد" [4] ويسانده العبدري بقوله"بأنها مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني، موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب"[5].

---

1) بالإضافة إلى ما قدم في الفصل التمهيدي عن أصل تسميتها يقول عنها الحميري"وهي محدثة بناها ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي الطويل المعروفة بقلعة حماد، وكان سبب بنائها أن العرب لما دخلوا افريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية... فلما جاء المنصور بن علناس (481-498 هـ/1088-1104م)إلى تلك القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا بلاده...فطلب موضعا يبني فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب، فدل على موضع بجاية...فبناها المنصور وسماها المنصورية ...وبينها وبين قلعة حماد أربعة أيام...ورأيت في خبر آخر أن الناصر بن عالناس صاحب القلعة هو الذي بنى بجاية وصيرها دار ملكه ولهذا تسمى الناصرية وأظن ذلك سنة سبع وخمسين وأربعمائة.أنظر:المصدر السابق، ص 81.ومن خلال بعض الدراسات حول بجاية اتضح أن تاريخ تأسيسها بداية من457هـ/1064م وانتهوا منها سنة 460هـ/1067م وللمزيد عن ذلك لاحظ.بعيزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

وبجاية تلفظ بالفرنسية بوجي، وقد سمي الفرنسيون الشمعة بوجي نسبة إلى مدينة بجاية، التي كانت تشتهر بهذا النوع من الشموع، كما كانت تصدر شمع النحل إلى جنوه بجنوب إيطاليا، حيث توجد مصانع هامة للشمع.وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص14.

2) البكري: المصدر السابق، ص 82.لكن مارمول كربخال يعتبرها قديمة جدا تعود إلى العهد الروماني حيث كان بها عشرين ألف من الدور العامرة، وقد جعلها بطليموس عند اثنين وعشرين درجة طولا وعند اثنين وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة عرضا.أنظر: المصدر السابق، ج2، ص376.

3) روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص410.

4)الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

5) أنظر: الرحلة المغربية، ص23.

ويضيف الإدريسي حول المدينة"وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد"[1]

وبالتالي فبجاية عاصمة المغرب الأوسط ومدينة عظيمة على ضفة البحر، هي قطب لكثير من البلاد[2]، كما يدعم قوله صاحب الاستبصار"وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة، قد أحاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات" [3] وهي قاعدة المغرب الأوسط حيث الطول اثنتان وعشرون درجة والعرض أربع وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة، ولها نهر في نهاية من الحسن على شاطئيه البساتين[4].

لقد برزت بجاية بفضل موقعها الاستراتيجي الذي شكلته هذه المدينة بالمغرب الأوسط حيث كانت تتوسط عدة مدن مهمة كبونة وقسنطينة وجزائر بني مزغنة وقلعة بني حماد، كما كانت محطة تجارية[5] ومعبر للرحالة والحجاج والعلماء للتوجه نحو الشرق أو الأندلس والعودة منها[6].

يحدد عبد الواحد المراكشي(ت 647هـ/1249م) بأن المسافة من قسنطينة إلى بجاية خمس مراحل على الرفق، وبجاية هذه دار ملك بني حماد الصنهاجيين سابقا[7].

كما وصفها لنا حسن الوزان (حي سنة 957هـ/1550م)"بأنها مدينة عتيقة بناها الرومان، وتناهز كوانينها ثمانية آلاف في القسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دورا لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين ألفا"[8] وان دل عدد الكوانين فيدل على التركز السكاني الكبير بها لأنها منطقة جذب للإقامة، ويضيف الوزان دائما بقوله"ودورها كلها جميلة وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة..."[9].

لهذا تملكت الدهشة والإعجاب عبد المؤمن الموحدي، عندما شاهد الناصرية، فأرسل صناعه لتعلم الفسيفساء، وهكذا تبقى بجاية مثلا فريدا في التألق ومن أغنى مراكز الحضارة في ذلك العصر [10]
وقد كان ببجاية أسواق كثيرة منها السويقة التي كانت تقع بالغرب من باب تاطُنت، والتي مر بها

---

1) أنظر: نزهة المشتاق، ص117.
2) الحميري: المصدر السابق، ص80.
3)أنظر: المصدر السابق، ص129.
4) ابن سعيد : المصدر السابق، ص 142.
5) السعيد عقبة: المرجع السابق، ص3.
6) ابن جبير: المصدر السابق، ص277.
7) أنظر: المعجب، ص253.
8) حسن الوزان: المصدر السابق، ج2 ، ص50؛ ووزارة الإعلام والثقافة:بجاية، ص44.
9) حسن الوزان: نفس المصدر والصفحة.
10) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص64.

الخليفة الموحدي عبد المؤمن رفقة وجهاء دولته، فأمر بشراء جميع دكاكين تلك السويقة، وأوقفها عليهم، وأمر لأصحابها بمال كثير[1].

بهذا كانت بجاية مواتية من حيث موقعها الجغرافي، ونشاطها الاقتصادي، ومناخها الطيب على طلب العلم والمعرفة، أين كان يجد بها القاصدون متعة الإقامة، وراحة العقل، وطمأنينة القلب، مما كان يساعدهم على التأليف، فاشتهر بها الكثير من المتصوفة ورجال الفلسفة، وعلماء الكلام[2].

كما بقيت بجاية قبلة للعلماء ومحج للفقهاء في العهد الموحدي[3] وليس أبلغ من قول ابن تومرت لعبد المؤمن عند لقائهم الأول في بجاية"العلم الذي تطلبه بالمشرق، قد وجدته بالمغرب" [4] وهنا يقصد به شخصه أولا، وازدهار بجاية بالعلماء ثانيا .

ومما حافظ على ازدهارها، أن الزحف الهلالي لم يصل إلى الشاطئ، فقد توقف الزحف أمام حاجز جبال القبائل الكبرى، واندماج الشعبين الكبيرين لم يحصل إلا بعد زمن طويل، من دون اصطدام[5]، فحافظت بجاية على تراثها وعلمها، بل أصبحت المنافسة لتلمسان وفاس ومراكش في العهد الموحدي.

يدعم هذا القول ما وصفه العديد من الكتاب والرحالة لبجاية عاصمة المغرب الأوسط في القرن السادس، عهد الأمراء الموحدين، لما لها من نشاط تجاري، وبري وبحري، ورفاهية وازدهار، ومن نشاط ثقافي أساطينه علماء من المغرب الكبير، وأعلام وفدوا إليها من الأندلس كقول أبي مدين شعيب، عندما وقعت من نفسه موقعا حسنا حتى قال فيها بأنها"تعين على طلب الحلال"[6] وقضى بها خمسة عشر عاما يدرس بعض كتب التصوف وذلك بزاوية أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة[7]، فقال عنها الغبريني"كان الناس بها على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد"[8].

---

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص253؛ وأمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص69.

2) عبد النور إبراهيم: إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفي الإسلامي، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول"الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي"21-22 نوفمبر 2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، ج1، ص 54.

3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176.

4) مجهول:الحلل الموشية، ص106؛ وابن خلدون:العبر، ج6، ص302-303؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص74؛ وروجر لي تورنو: المرجع السابق، ص24.

5) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص82.

6) ابن صعد: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق محمد أحمد الديباجي، دار صادر، ط 1، بيروت، 2011، ص395؛ والمقري: المصدر السابق،ج7، ص140.

7)عيسى ميقاري: سيد العارفين وشيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي التلمساني، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4 أفريل- ماي 2011، ص139.

8) أنظر: عنوان الدراية، ص85.

فأصبحت بجاية واحدة من أهم الحواضر الثقافية والفكرية بمنطقة المغرب الأوسط، إذ كانت عامرة بالفقهاء والأدباء، كما تعد من أكبر مراكز العلوم الإسلامية واللغوية على غرار ما يوجد منها بالمشرق والأندلس، فقد كان يهاجر إليها باستمرار رجال من أولى العلم والأدب للاستزادة من علوم الدين والحديث واللغة[1].

فبجاية كانت من حواضر المغرب الأوسط التي كان لها نصيب من النمو والتوسع العمراني، فيذكرها العديد من المؤرخين والشعراء أنها كانت تكسوها مبانٍ في غاية الإبداع والجمال [2] حتى أضحت في تلك الحقبة تنافس مدن العراق والشام في العمارة، فهاهو الشاعر القسنطيني الحسن بن الفكون(كان حيا سنة 602 هـ/1205م) الذي زار بجاية في أوائل القرن 6هـ/12م يؤكد ذلك بقوله:

دع العراق وبغداد وشامها فالناصرية ما من مثلها بلد[3]

لقد ضم الموحدون مدينة بجاية سنة 547هـ/1152م[4] بدون أن توفر لهم ما كانت هذه الحملة تصبوا إليه من استقرار وهدوء فأعاد الموحدون حملة أخرى سنة 554هـ- 555 هـ/1159-1160م وأفضت إلى ضم كل أملاك الحماديين إليهم بل وحتى حدود إفريقية [5] وبقيت تحت إمرتهم إلى غاية استيلاء بنو غانية عليها[6] في 6شعبان580هـ/12نوفمبر 1184م[7]حيث أجبر قائدهم علي بن إسحاق أهلها على مبايعته [8] إلا أن الموحدين استرجعوها في السنة الموالية 581 هـ/1185م[9]

---

1) عبد النور إبراهيم: المرجع السابق، ج1، ص43.

2) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص62.

3) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص129؛ ورشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد1، محرم 1391 هـ/مارس 1971، ص81.

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص308؛ و روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص32.

5) روبار برنشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص32.

6) واعظ نورة: المرجع السابق، ص5-6 .

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 189؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 95- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص139-140.أما ابن خلدون فقد حدد تاريخ ذلك ب 19 صفر 581 هـ/21 ماي 1185م .العبر، ج 6، ص254؛ وابن عذارى : المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص176.

8) ابن أبي زرع: الأنيس، ص95؛ وابن خلدون:المصدر نفسه، ج6، ص326.

9) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 193؛ وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 179؛ وابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص255-256.

وفي سنة599هــ/1202م أعاد بنو غانية الإغارة على بجاية بقيادة يحي بن غانية، حيث بسط نفوذه عليها سنتين من الزمن إلى أن استردها الناصر الموحدي سنة 601هــ/1024م ونصب عليها عبد الواحد بن حفص جد الحفصيين[1].

لقد ذَكرتُ دَور الميورقين"أو بني غانية"لما لهم من آثار جمة على الحياة الثقافية والفكرية من خلال إرغام العديد من الفقهاء على مبايعتهم [2] والدخول في طاعتهم، كما تسببت في عرقلة الكثير من الأنشطة التربوية كالدراسة، وحتى الرحلة العلمية، وكذا الحج [3] وبذلك انعكست آثار ثورة بني غانية على كل الجوانب بما فيها الجانب الفكري، لكن بعد انقضاء فتنة الملثمين عادت بجاية على ما عليه من ازدهار وتقدم.

يؤكد ذلك الغبريني عند تعريفه بالفقيه عمارة بن يحي (ت ق6 هــ)بأن عمران بجاية الموحدية قد تجاوز بكثير السور الحمادي حيث كان الناس يترلون إلى حومة المذبح لشراء السبي [4] كما يوضح ذلك في موضع آخر بأن أهل بجاية يدفنون موتاهم خارج بجاية برابطة المتمني [5] وإن دل ذلك على شيء فهو يبرز اتساع بجاية وازدهارها كحاضرة كبيرة بالسكان خلال العهد الموحدي من خلال كثرة أبوابها[6].

أما يدل على أهمية بجاية كحاضرة كبرى وكعاصمة لولاية موحدية هو العدد الضخم من العلماء الذين ترجمهم أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدراية، في مختلف العلوم والفنون [7] وحسب رواية أبي حامد الصغير، الحسن بن محمد المسيلي فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس هجري [8].

وقد حدثنا العبدري في الرحلة المغربية، حيث بدأت رحلته سنة 698هــ/1298م، فقال في معرض الحديث عن بجاية"وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة...وثيقة البنيان عجيبة الإتقان...ولها جامع

---

1)ابن الشماع: المصدر السابق، ص49 .

2) كما فعلوا مع الفقيه أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الذي يعرف بأبي حامد الصغير. الغبريني: المصدر السابق، ص 68.و محمد بن عبد الحق الاشبيلي (ت581هــ/1185م)الذي استوطن بجاية، وكان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء، فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة 580هــ/ 1184م سارع لتأييدهم، وتولى القضاء لهم، فحنق عليه الموحدون وراموا سفك دمه، فعصم الله دمه وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية.ابن أبي زرع: الأنيس، ص 95؛ والغبريني: المصدر نفسه، ص75.

3) ابن جبير: المصدر السابق، ص277.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص76.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص412.

7)عبد القادر بوباية: طرق التدريس في المغرب الإسلامي، فاس وبجاية نموذجا، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد 1، 2011، ص53.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص85.

عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع بين سحرها ونحرها" [1]، كما قال"وهذا البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل جلة من العلماء الأعلام"[2].

كانت تشتمل على واحد وعشرين حيا، واثنين وسبعين مسجدا، وقد أصبحت مركزا ثقافيا هاما، فقصده عدد مهم من الشعراء والكتاب والعلماء المضطلعين في جميع مجالات المعرفة، أين أقام بها العالم الصوفي الأندلسي"سيدي بومدين الغوث"المدفون بتلمسان، حيث درّس ببجاية وقتا من الزمن، وكما مكث بها مؤسس دولة الموحدين"ابن تومرت"[3].

كما يكشف لنا برنامج الغبريني عن الأجواء العلمية التي كان يعيشها مركز بجاية، وعن مجالس الدروس القائمة بها، وأنواع العلوم التي تدرس آنذاك، فتحدثنا عن الهيئة التعليمية التي نشط معها هذا المركز خلال القرنين السادس والسابع الهجريين [4] وتجاوزت فهرسته هاته في حديثه عن علماء بجاية حتى القرن الخامس الهجري، مبرزا شيوخ، أشياخه ومعلميهم، وتكشف لنا الكثير من الأنشطة العلمية التي كانت تعيشها هذه الحاضرة العلمية التقليدية –الموروثة عن بني حماد–وتعرفنا على مجمعات الشيوخ الذين تعاطوا التعليم بها وترسم لنا اتجاهاتهم، واهتماماتهم الثقافية، وهو بين حديثه عن هذا الشيخ أو ذاك يتعرض لذكر ما تعرفه بعض المراكز الحضارية الأخرى كتلمسان، وغيرها [5].فقد استفادت بجاية من أبنائها الأبرار، ومن رجال العلم والأدب الذين دخلوا إليها قادمين من المشرق وصقلية ومدن الأندلس، وقاموا بتدريس العلوم الإسلامية والعربية بها، فنشأت بذلك العديد من الآراء الفكرية، التي ساهمت في نشر الثقافة وتوسيع رقعتي العلم والمعرفة بها، منذ خلفت العاصمة القديمة للدولة الحمادية، القلعة[6].

بهذا برزت الحركة العلمية في الحاضرة بجاية بروزا واضحا، وظهر خلالها أعلام، خاصة في الدراسات القرآنية والحديثية، بروزا لم يكن بنفس الحجم الذي كان قبل ذلك، فكان لبجاية الحظ الأوفر بوجود طائفة من أعلام الدارسين لكتاب الله وقراءته وتفسيره، ونلمس هنا الدور الذي قامت به

---

1) أنظر: الرحلة المغربية، ص23.

2) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص100.

3)ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وعبد النور إبراهيم : المرجع السابق، ج1، ص53- 54.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

5) المصدر نفسه، ص309؛ وعبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص53-54.

6) عبد النور إبراهيم: المرجع نفسه، ج1، ص43

الدولة الموحدية في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصلين:الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهم من أقوال وآراء[1].

إن الازدهار الشامل للحياة الثقافية ببجاية جعل منها أحسن الحواضر التي عرفها المغرب الأوسط، وظلت بجاية رافلة في حلل السعادة في عهد الموحدين منذ عام 547هـ/1153م أين استولى عليها عبد المؤمن بن علي وخلع السلطان"يحي"من على العرش، ونصب مكانه أحد أبنائه، وأصبحت بجاية منذ ذلك الحين عاصمة إقليم بأكمله[2].

قال الشيخ أبي علي المسيلي[3] "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا" [4] وهذا يدل على أن العطاء السابق في القرن الخامس الهجري خلال الدولة الحمادية قد استمر في القرنين اللذين يليانه، فبقيت بجاية من المراكز العلمية التي كان لهما الشأن الكبير في نشر العلم وفي خدمة العلماء وطلاب العلم بهذه المدينة.

لنجد في مقدمتهم الفقيه عبد الحق الاشبيلي البجائي (ت 581هـ/1185م)[5]، وكان فقيها مالكيا[6] حافظا عالما بالحديث [7] و علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت 637هـ/ 1239م)[8] الذي قدم إلى بجاية[9].

ونذكر كذلك شخصية مهمة مشاركة في كل العلوم تقريبا هو ابن دحية السبتي (ت633هـ/ 1235م)[10] نزيل تلمسان وبجاية[1] حيث كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله [2] وهذا يدل على أن بجاية أصبحت قبلة للعديد من العلماء، بسبب المنافسة ورواج العلم بها، كما ساعدها الوحدة

1)إسماعيل الخطيب: الحياة الثقافية في سبتة في القرن السابع الهجري، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، جمعية الثقافة الإسلامية تطوان، المغرب، 1979، ص100.

2) عبد النور إبراهيم: المرجع السابق، ج1، ص53.

3) هو فقيه مالكي (ت 581 هـ/1185م)حافظ، متكلم، من القضاة، أصله من مدينة المسيلة كان يسمى أبا حامد الصغير نشأ ببجاية، وهو من أصحاب الولي المتصوف الشيخ أبي مدين التلمساني.الغبريني: المصدر السابق، ص66.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص85.

5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985، ج20، ص466-467.

6) أحمد بابا التنبوكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989، ص279.

7) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 1996، ص277؛ وخالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، من النشأة إلى نهاية القرن 7 هـ (جذورها آثارها، مناهجها)، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، المغرب، 2006، ج1، ص205-207.

8) ابن العماد:شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1991، ج7، ص330.لكن الغبريني في نهاية ترجمته أورد تاريخ آخر هو 638هـ/1240م. أنظر: المصدر نفسه، ص155.

9)نفسه، ص146؛ والمقري: المصدر السابق، ج2، ص189.

10) الشيخ الفقيه المحدث المتقن، النحوي، اللغوي، التاريخي، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي.الغبريني: المصدر السابق، ص 228.الداني، السبتي ولد سنة 547هـ/1152م بالأندلس، وتوفي في 14ربيع الأول سنة 633هـ/1235م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع.المقري: المصدر السابق، ج2 ، ص104.

السياسية التي كانت قد حققتها الدولة الموحدية، إضافة إلى كونها همزة وصل بين شرق الدولة وغربها، وقاعدة كبرى خاصة للقسم الشرقي للدولة الموحدية توازي تونس والقيروان،كما أنها معبر بحري مهم للمتجه من الأندلس أو المغرب الأقصى للحج أو للرحلة أو للتجارة.

أما الفقه فقد برز فيه علماء مالكية كبار تحدوا توجهات الدولة السياسية والدينية وحافظوا على هذا المذهب منهم الفقيه الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة البجائي(حيا سنة 585هـ/1189م)[3] و علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي البجائي(ت637هـ/1239م)[4] والفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري(ت675هـ/1276م)، ولد ببجاية وقرأ بها[5].

في هذا الصدد ترجم الغبريني لمائة وخمسين عالما من علمائها، أو من من استقروا بها [6]، كما يعتبر المسجد رمز الحاضرة، فقد تباهت بجاية كثيرا بجامعها الكبير، المعروف بمسجد أبي زكرياء الزواوي الذي يقع بحومة اللؤلؤة، خارج باب المرسى، وكان هذا المسجد موجودا في القرن 6هـ/12م يتردد عليه أبو مدين شعيب الأنصاري (ت594هـ/1197م)، ولا ندري اسمه خلال هذه الفترة[7].

---

1) الغبريني: المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط 18، بيروت، لبنان، 1955، ج4، ص1420.

2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280.

3) السلاوي: المصدر السابق، ج2 ، ص143؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص241- 242.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص154، والمقري: المصدر نفسه، ج2، ص387؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص318.

5) الغبريني: المصدر نفسه، ص85؛ والتنبوكتي : المصدر نفسه، ص 280.

6) ووزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص100.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص59، ص82، ص135؛ رزيوي زينب: مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط مابن القرنين السابع والتاسع الهجريين(13-15م)، مذكرة ماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009-2010، ص50-51.

ت- قلعة بني حماد

يقول عنها البكري (ت487هـ/1094م)"قلعة أبي طويل هي قلعة كبيرة ذات مناعة وحصانة، وتمصرت عند خراب القيروان –أي سنة 448 هـ/ 1056م- انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم– يقصد القرن الخامس هجري – مقصد التجار، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة"[(1)].

أما الإدريسي (ت 560 هـ/1165م) المعاصر للدولة الموحدية فيقول عنها"ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكن وخصبا" [(2)] ويذكرها أحد الجغرافيين المعاصرين له ا كذلك ، ضمن أهم مدن المغرب الأوسط وهو الزهري (ت بعد541 هـ/1154م)[(3)].

و القلعة أسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، إلى الشمال من مدينة المسيلة وتتفق كل المصادر بأن تاريخ تأسيسها كان عام 398هـ/1007-1008م[(4)] باستثناء ياقوت الحموي (ت626 هـ/1228م) الذي قال عنها"هي مدينة متوسطة بين أكم لها قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربوست، وتشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية، وهي قاعدة بني حماد وأول من أحدثها هو حماد في حدود سنة 370هـ/ 980م...وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء ولها شجر مثمر كالتين والعنب في جبالها وليس بالكثير ويتخذ بها لبابيد الطيلقان جيدة، وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسج، الحسنة المطرزة بالذهب ولصوفها من النعومة والبصيص، بحيث يترل مع الذهب بمترلة الإبريسم، ولأهلها صحة مزاج ليس لغيرها[(5)].

---

1)البكري: المصدر السابق، ص49.أما الجغرافي المجهول فيقول" قلعة أبي الطويل وهي قلعة بني حماد، وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم"أنظر: الاستبصار، ص 167.والأكيد بقوله مدينة قديمة أزلية يقصد قلعة أبي الطويل التي بنيت بجوارها قلعة بني حماد.

2) أنظر : نزهة المشتاق، ص 109.

3) أنظر: كتاب الجغرافية، ص107.

4)الإدريسي: المصدر نفسه، ص109، ص117. وتسمى بقلعة أبي الطويل بينها وبين المسيلة 12 ميلا، وبينها وبين بجاية مسيرة أربع أيام.الحميري: المصدر السابق، ص469-470؛ والبكري: المصدر نفسه، ص49؛ ومجهول: الاستبصار، ص167.

Amara Allaoua : La Qal'a des Bani Hammad , l'histoire d'un déclin , archéologie islamique, 11, (2001) ,p p.91-110.

5) أنظر: معجم البلدان، ج 4، ص390.

أما ما يبين أنها كانت من أهم مدن المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي-رغم تبعيتها إداريا لعمالة أو إقليم بجاية-احتلالها من قبل ابن غانية سنة 580هـ/ 1184 م[1] لكن سرعان ما استرجعها الخليفة المنصور.

وبها القصور والمساجد، وبقيت منافسة لبجاية، بعد تأسيسها، لكن تراجع دورها في العهد الموحدي، مقارنة ببجاية، حيث تراجعت عمرانيا وحضاريا وسياسيا[2]، ونُسب إلى القلعة عدد كبير من العلماء، والفقهاء والأدباء، خلال العهد الموحدي، منهم علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي(ت 551 هـ/1156م)، من كبار فقهاء الشافعية[3] وإبراهيم بن حماد، أبو إسحاق القلعي(ت ق 6 هـ/12م) الفقيه المالكي[4]، وبعض الفقهاء المخضرمين الذين عاشوا الفترة الموحدية والحفصية منهم محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور، وقيل ابن المنصور، القلعي(ت نحو 665 هـ/1270م)[5] والفقيه المالكي عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي(669 هـ/1271م)[6]، والعالم النحوي محمد بن الحسن بن علي بن ميمون أبو عبد الله، التميمي القلعي(ت 673 هـ/1274 م)[7]والفقيه الشافعي محمد بن علي بن جعفر القلعي المعروف بابن الرمامة (ت 567هـ/1171 م) والمؤرخ المشهور أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي القلعي(ت حوالي 628 هـ/1230م) صاحب أخبار بني عبيد وسيرتهم [8]، وغيرهم سنذكر كل واحد منهم في العلم الذي اختص فيه .

كما نشطت الدراسات القرآنية والحديثية بقلعة بني حماد خاصة، وبرز خلال القرن السادس الهجري جماعة من الأعلام القلعيين المفسرين والمحدثين بدراستهم وكتاباتهم فيها ونشرها بين الطلبة والناس،أذكر على سبيل المثال محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي(ت 581 هـ/1185م)[9].

---

1)ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، مصدر سابق، ص176؛ وابن خلدون:العبر، ص326.

2) رابح بونار: هامش، عنوان الدراية، ص188.

3) ابن العماد: المصدر السابق، ص263؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

4)ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر ابن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا الشرقية، 1919، ج1 ، ص212؛ وابن الأبار: المعجم، المصدر السابق، ص68.

5) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص488؛و وعادل نويهض:المرجع نفسه، ص267-268.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص93؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص216.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص94؛ والحفناوي: المرجع نفسه، ج2، ص359-360.

8) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، السفر الثامن، ص323.

9) الغبريني : المصدر نفسه، ص 140.

ث- قسنطينة[1]

لم تلعب قسنطينة [2] إلا دورا ثانويا منذ بداية الفتح حتى العهد الفاطمي [3]، ثم نمت وازدادت أهميتها خلال العهد الحمادي والموحدي [4] وتؤيد كتب الجغرافيين والكتابات المعلومة التي يزودنا بها المؤرخون، وتبين لنا نمو المدينة، هذا وإن لم تذكر، مدينة قسنطينة في كتب الجغرافيين العرب الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي وهم ابن خرداذبة (ت 272 هـ/885م) في كتابه المسالك والممالك، وكذلك لم يذكرها ابن الفقيه الهمذاني (ت 290هـ/903م)، صاحب مختصر كتاب البلدان، وابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر، ت بعد291هـ/903 م)في كتابه الأعلاق النفيسة[5].

كما ذكرها المقدسي (ت 379هـ/989م)صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وهو جغرافي عاش في القرن العاشر وسماها القسطنطينية، ولاحظ أنها"مدينة جاهلية على يومين من المصر"[6] أي القيروان.

ويبين البكري الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، الأهمية التي أخذتها قسنطينة التي يلقبها باسم قسنطينة، وموقعها المنيع، فقال:"قسنطينة مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها، تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار تفسيره سود وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد، قد عقد في أسفله

---

1)قسنطينة:بضم أوله، وفتح ثانيه ثم نون، وكسر الطاء، وباء مثناة من تحت، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء:مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد...وتزاور عنها قلعة بني حماد ذات الجنوب.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص349.أو قسطينة:بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين، وسكون المثناة من تحت ونون وهاء، وعند بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نون وحينئذ بضم السين وسكون النون.أبو الفداء: المصدر السابق، ص138.

2) كانت تسمى سيرتا أو قرطة وقد تأسست خلال العهد النوميدي منذ القرن 3ق م، وأعطاها الإمبراطور قسطنطين اسمه في سنة 313 م.روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص418. لم تبرز هذه المدينة في الفترة التي تلت الفتح الإسلامي، ولم يكن لها دور يذكر في القرون التالية.الطاهر الطويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من منتصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس، نشر المتصدر للترقية والثقافة والعلمية والإعلامية ، ط 1، الجزائر، 2011، ص258.وكما ذكره ابن حوقل ضمن المدن المتوسطة الحجم رفقة سطيف والمسيلة وميلة. أنظر: صورة الأرض، ص 93.

3) يذكر مارمول أن اسمها قديم وهو عند بطليموس نوميديا الجديدة ، ويحدها من جهة الغرب إقليم بجاية عند موقع جيجري، وتحده من الشرق البلاد التي تسمى بإفريقية وفي الجنوب تشمل الجزء الذي يمر بها من جبل الأطلس وتمتد ما وراءه إلى نوميديا وجيتوليا، ويحدها شمالا البحر المتوسط وخليج نوميديا ما بين جيجري ومصب مجردة عند بترت.أنظر: إفريقيا، ج 3، ص5.

4) يذكر الدكتور عبد العزيز فيلالي والدكتور بحاز:لقد انحطت مدينة ميلة وانحط شأن سكانها على عهد الموحدين والحفصين، الذين اتخذوا من مدينة قسنطينة بديلا عن ميلة، فكما طغت ميلة على قسنطينة منذ الفتح حتى العهد الحمادي أي ما يقارب من ستة قرون كاملة، فلقد رأينا كيف أن قسنطينة طغت وهيمنت على ميلة بعد ذلك.أنظر : مدينة ميلة في العصور الوسطى، دار البلاد للاتصال والخدمات، قسنطينة، 1998، ص68.

5) رشيد بورويبة: قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص55.

6) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1909، ص30.

قنطرة على أربع حنايا ثم بنى عليها قنطرة ثانية، ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاثة حنايا، ثم بنى فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر إليه إلى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه"[1].

لقد كانت مساحة قسنطينة كبيرة ضاربة إلى الساحل، حتى مدينة القل، حيث يقول عنها صاحب كتاب الجغرافية:"..وفي شرق بجاية القل، وهي فرضة مشهورة في ساحل قسنطينة الهوى، وبينهما أربعون ميلا، وموضع قسنطينة في جنوبها، حيث الطول ست وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة، ولها نهر ينصب في خندقها العظيم...وهذه المدينة على آخر سلطنة بجاية"[2].

بهذا فلها موقع مهم جدا حيث أنها مدينة داخلية بعيدة عن أي هجوم بحري، كما أنها تتوسط الطرق التجارية الرابطة بين القيروان وبسكرة، كما أنها محاطة بحماية طبيعية"الواد المحيط بها"وصعوبة تضاريسها، كما أنها تبعد عن القل على مسافة يومين، وعن بجاية مسافة ستة أيام، منها إلى مجانة يومان وأكبر من ذلك بقليل تبعد عنها قالمة[3].

كما يخبرنا البكري أيضا عن سكان قسنطينة وعن أهميتها التجارية قائلا:"ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلة، وهي لقبائل من كتامة، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"[4]، حيث أصبحت في هذا العصر—أي الحمادي— من أهم حواضر المغرب الأوسط، وستعرف ازدهارا أكثر في معمارها الديني، خاصة المساجد في القرن السادس هجري[5].

ويصفها الإدريسي(القرن الثاني عشر/السادس هجري) الذي عاش الفترة الموحدية"بأنها عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب"[6].

ويضيف الإدريسي(ت560 هـــ/1165 م)أننا قسنطينة الهواء، وقال وهو يحدثنا عنها:"وليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة إلا من جهة باب ميلة وللمدينة بابان، باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق"ويذكر الإدريسي أن هذا الباب الأخير يؤدي إلى جسر قديم يستعمل كقنطرة ماء، وأن المقبرة كانت موجودة بالقرب من باب ميلة[7].

---

1) أنظر: المغرب، ص63؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص55.ويظهر أن هذا الواد قد جف الآن ولا أثر لمياهه.

2) ابن سعيد : الجغرافية، ص 142.

3) الإدريسي: المصدر السابق، ص121-123.

4) أنظر: المصدر نفسه، ص63؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص55.

5) الطاهر الطويل: المرجع السابق، ص 260.

6) أنظر: نزهة المشتاق، ص 121.

7) نفسه، ص122؛ ورشيد بورويبة: قسنطينة، ص55.

كما يبين ذلك جغرافي ورحالة آخر هو ياقوت الحموي (ت 626 هـ/ 1228م) أن حولها مزارع كثيرة وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلأ...وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن، قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار..."[1].

إضافة إلى ما ذكر عنها عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م) بأنها حد المغرب الأدنى أو ما يعرف بإفريقية هو قسطنطينية الهواء، وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها، والمسافة بينها ومدينة أنطابلس—برقة- خمس وخمسين مرحلة "[2]، ويضيف العبدري في رحلته وبين قسطنطينة والبحر مرحلتان أو أكثر من ذلك قليلا[3].

ويفيدنا بوصف الجسر الذي ذكرناه، ويبين الثروة ناحية قسنطينة قائلا:"إن في كل دار مطمورتان، وثلاث وأربع منقورة في الحجر ولذلك تبقى الحنطة...في مطامرها مائة سنة لا تفسد"[4].

لكن العبدري دخلها خلال رحلته المعروفة، وتأسف لحاله ا بقوله:"جبر الله صدعها...وهي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة...وبها للأوائل آثار عجيبة ومبان متقنة الوضع غريبة وأكثرها من حجر منحوت، وقد دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر أحاط بها كما يحيط السوار بالمعصم"[5].

كما يذكر الجغرافي المعاصر له بأن قسنطينة مشهورة في هذه الفترة، وهي مدينة عامرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول...وهي حصينة في نهاية من المنعة، لا يعرف بإفريقية أمنع منها، وليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس...وهي من عجائب العالم، قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها، وهي على نظر واسع وقرى كثيرة عامرة آهلة، وهي كثيرة الخصب والزرع [6]، ويسميها جغرافي آخر عاش في القرن الثامن هجري —أي بعد تفكك الامبراطورية الموحدية-بقسطينة حيث يقول:"بها نهر يصب في خندقها العظيم ويسمع لذلك دوي هائل، ويرى النهر في قعر الخندق مثل ذوابة النجوم لشدة ارتفاع قسطينة"[7].

---

1) أنظر: معجم البلدان، ج 4، ص349.

2) أنظر: المعجب، ص250.

3) أنظر: الرحلة المغربية، ص29.ورغم أنه يعود ويتحامل مرة أخرى عليها وعلى علمائها ربما لغرور في نفسه بقوله"ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون العلم أرب سوى الشيخ أبي علي حسن بن القاسم بن باديس.أنظر: نفس المصدر والصفحة.

4) نزهة المشتاق، ص 122.

5)الرحلة المغربية، ص29.

6)الحميري: المصدر السابق، ص480.

7) أبو الفداء: المصدر السابق، ص139.

لقد دخلت قسنطينة في أحضان الدولة الموحدية سنة 547هـ/فبراير1153م[1] استقبلت قسنطينة للأمير الحمادي يحي، الذي لجأ إليها بعد فتح بجاية من قبل الجيوش الموحدية، فتخلى له أخوه الحسن عن منصبه، وقام الأخوان بتنظيم الدفاع عن قسنطينة[2].

وهناك رسالة بعثها عبد المؤمن إلى موحدي تلمسان في سنة 547هـ/1153م تروي لنا تفاصيل حملة الموحدين على قسنطينة، ومن بين المعلومات التي تفيدنا بها، هي أن الأمير الحمادي يحي بن العزيز، بعد المعركة الدامية، التي انتهت بانتصار الموحدين، قرر أن يبعث وفدا إلى بجاية ليتفاوض مع عبد المؤمن، وكان هذا الوفد يحتوي على أحد إخوة يحي، قد يكون الحسن، مع شيوخ من قبيلة صنهاجة وشيوخ قسنطينة، فاستقبله الخليفة الموحدي استقبالا حسنا، وهكذا فتحت المدينة أبوابها لعبد المؤمن بعد رجوع الوفد إلى قسنطينة[3].

أصبحت قسنطينة في عهد الموحدين أقل أهمية مما كانت عليه في العهد الحمادي، حيث أصبحت تابعة لإقليم بجاية، ولكنها كانت مع ذلك مسرحا لأربعة أحداث هامة:

فالحدث الأول كان نزول عبد المؤمن بالقرب من قسنطينة في ناحية غنية المراعي اسمها وادي النساء، عندما رجع من غزوة إفريقية، فاستقر بها عشرين يوما، ومن ذلك المكان بعث ابنيه، أبا محمد، وأبا حفص على رأس جيش يحتوي على ثلاثين ألف جندي ليحارب بني هلال بإفريقية لأنهم بعدما وعدوه بالسير إلى المغرب الأقصى في صحبته، خانوه عند وصولهم إلى مضيق جبل زغوان[4].

أما الحدث الثاني، حصار المدينة من طرف علي بن غانية، الذي كان قد استولى على بجاية، ففشلت هذه العملية لأن سكان قسنطينة بقوا أوفياء للموحدين وكبدوه خسائر كبيرة، قال ابن قنفد"أشرف علي بن إسحاق بن غانية المايورقي على أخذ قسنطينة بقطع الماء عنها، ولجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف ، فسأل الله المطر فترل، وكانت حملة عظيمة في الوادي فخرقت سد الميورقي و لم يقدر على قطعه"[5].

وكان الحدث الثالث، الزيارة التي قام بها الخليفة الموحدي المنصور إلى قسنطينة وهو في طريقه إلى إفريقية على رأس جيش مكلف بقمع ثورة ابن غانية[6].

---

1) البيذق:أخبار المهدي، ص107؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص144؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص193.

2) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص53.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 144؛و مجموع رسائل موحدية، ص 17-22؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص108.

4) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص62.

5) ابن قنفذ: المصدر السابق، ص103؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص193.

6) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص 62.

أما الحدث الهام الرابع فهو إقامة الناصر، ابن المنصور وخليفته بقسنطينة قبل أن يسير لمحاربة ابن غانية، وأثناء إقامته بالمدينة، نظم الشاعر أبو علي حسن بن علي الفكون[1] قصيدة تشريفا له[2].

لكن احتلها الأمير الحفصي الأول أبو زكريا في سنة 628 هـ/ 1230م و ذلك بعد مدة قصيرة من إعلانه الاستقلال عن السلطة الموحدية، وقبض على شيخها ابن علناس الصنهاجي [3] ضمت قسنطينة في سنة 633هـ/1235م إلى ناحية بجاية التي كان على رأسها أبو يحي بن أبي زكرياء، وكانت هذه الناحية تضم، بجانب بجاية، الجزائر، وبونة، والزاب"بسكرة "[4].

ويبرز مكانة قسنطينة كحاضرة ثقافية لها وزنها، بروز بعض العلماء الذين أنجبتهم خلال العهد الموحدي ومنهم المحدث أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي،أبو العباس القسنطيني(كان حيا سنة 537هـ/ 1142م)[5]، والنحوي عبد الله بن محمد بن عبد الغفار، بليغ الدين أبو محمد، القسنطيني(ت خلال القرن7هـ/13م)[6].

كما انتصب قائما بقسنطينة، جامعها الكبير، ولعب دورا ثقافيا مهم ا ، ويعود عهده إلى يحي بن العزيز آخر ملوك بني حماد (515-547هـ/1121-1152م)، بناه سنة 530هـ/1135م[7]، وبالتالي ازدهر في العهد الموحدي[8].

1) هو حسن بن علي بن عمر القسنطيني أبو علي، الشهير بابن الفكون، كان حيا سنة 602 هـ/ 1205م، شاعر المغرب الأوسط في وقته، من أهل قسنطينة، رحل إلى مراكش، ومدح خليفة بني عبد المؤمن.الغبريني: المصدر السابق، ص 280؛ والعبدري: المصدر السابق، ص30-35.

2) رشيد بورويبة:قسنطينة، ص62.

3)ابن خلدون:العبر، ج 6، ص 382. لكن الزركشي يورد اسم أبو عبد الله اللحياني ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص.أنظر: تاريخ الدولتين، ص25- 28 أما ابن قنفذ فيرد الوالي هو أبا عمران بن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور.أنظر: الفارسية، ص108؛ و روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، ص51.

4) رشيد بورويبة: قسنطينة، ص63.

5) عادل نويهض:المرجع السابق، ص261.

6) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 2، القاهرة، مصر، 1979، ج1، ص263؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2000، ج17، ص300-304.

7) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، ط1، الجزائر، 1980، ص280.

8)رزيوي زينب: المرجع السابق، ص52.

جزائر بني مزغنة[1]

لم يتعرض لها الجغرافيون في الفترات الأولى بعد الفتح الإسلامي، حيث لم يتحدث عنها اليعقوبي، الذي زار جل بلدان المغرب الإسلامي سنة 208هـ/823م، ولم يتعرض لها كذلك ابن خرداذبة (270 هـ/888م) في كتابه المسالك والممالك، ولا ابن الفقيه الحمداني (ت 290هـ/902م) في كتابه البلدان، ولا ابن رسته (ت289 هـ/901م) في كتابه الأعلاق النفيسة[2].

لقد أخذت مدينة الجزائر تسترجع مكانتها وتفرض دورها العمراني في عهد الدولة الصنهاجية، حيث أعيد تجديد بنائها على يد بلكين بن زيري بن مناد سنة 339هـ/960م[3] واستعادت مكانتها أكثر خلال الدولة الحمادية والمرابطية بسبب وجود أسطول بحري للدولة [4]، حيث أُنشئ خلال القرن 5هـ/11م جامعها الكبير من قبل يوسف بن تشفين المرابطي[5].

وتؤيد المصادر ذلك حيث زار محمد بن تومرت سنة 513هـ/1119م وهو عائد إلى المغرب قبيلة الثعالبة التي كانت تستوطن المنطقة، وساعد الثعالبة الموحدين في تأسيس دولتهم، لذلك حماهم عبد المؤمن وأبناؤه، وجعلوا منهم السيادة على مدينة الجزائر وضواحيها سنة548هـ/1153م[6].

كما ازدهرت مدينة الجزائر أكثر خلال العهد الموحدي ويؤكد ذلك صاحب نزهة المشتاق بقوله عنها:"مدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار، وهي عامرة

---

1) أول من وضع فيها مستوطنات تجارية هم الفنيقيون باسم إيكوسيم خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ثم بعد الاحتلال الروماني، استوطنوا بها وغيروا اسمها إلى مدينة إيكوسيوم.علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص183- 194.

وردت باسم جزائر بني مزغناي عند ابن حوقل(ت367 هـ/977 م) وصاحب الاستبصار(كان حيا سنة 587 هـ/1191 م) وعند ياقوت الحموي(ت 626 هـ/ 1228م).صور الأرض، ص77؛و مجهول، ص132؛ ومعجم البلدان، ج2،ص132.أما عند البكري (ت487هـ/1094م) جزائر بني مزغني .أنظر: المغرب، ص66. ووردت عند الإدريسي (ت560هـ/1165م) باسم الجزائر.أنظر: نزهة المشتاق، ص114.وقد أوردها المقدسي(ت665هـ/1267) جزيرة بني زغناية. أنظر: أحسن التقاسيم، ص28.

وبني مزغنة من بطون قبيلة صنهاجة، والتي تنتشر مواطنهم من المسيلة إلى حمزة بالجزائر ومتيجة ولمدية ومليانة.ابن خلدون: العبر، ج 6، ص202-203.

2) علي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص199-200.

3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص204.

4) علي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص202.

5) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ج2، ص749.

6) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 203 ؛ وعلي عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص160.

آهلة، وتجارتها مربحة، وأسوارها قائمة، وصناعتها نافقة" [1] ومن حديث الإدريسي يظهر أن المدينة بلغت أوج ازدهارها، حيث توسعت ضواحيها وزادت مبانيها، وكثر عمرانها، وراجت تجارتها.

أما في أواخر الدولة الموحدية أي بعد زوال نفوذ بني غانية على الجزائر –حيث ساهم في تخريبها سنة580هـ/1184م، وولى عليها ابن أخيه طلحة بن غانية [2]–أخذت مدينة الجزائر تنحدر نحو التقهقر إذ زارها في هذه الفترة عبد الواحد المراكشي، الذي ذكر عنها بعض السطور في كتابه المعجب بقوله:"من مدينة بجاية إلى مدينة صغيرة، تدعى الجزائر، وتنسب إلى قوم يقال لهم بنو مزغنة"[3].

لكن إداريا بقيت تابعة لعمالة بجاية، حيث يؤكد ذلك ابن سعيد خلال حديثه عن مدينة تنس:" ...وفي شرقها مدينة الجزائر، وهي فرضة مشهورة من عمل بجاية، حيث الطول عشرون درجة وثمان عشره دقيقة والعرض ثلاث فرضة مشهورة"[4].

كما أن العبدري(ت 720هـ/1320م) فيوضح هذا التقهقر جيدا في كتابه الرحلة المغربية حيث يذكر عن المدينة ما يلي:"ثم وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف لحسنها نظر الناظر، ويقف على جمالها خطر الخاطر، قد حوت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، يسرح فيها الطرف حتى يمل، ولكنها أقفر من المعنى المطلوب...فلم يبق بها من هو أهل العلم محسوب" [5]، ويبدو أن مدينة الجزائر انحط وزنها بعد زوال الدولة الموحدية وتطاحن الدولتين الزيانية والحفصية عليها[6].

لكن هذا لا ينفي بروز علماء أجلاء خلال العهد الموحدي، ومنهم الأديب النحوي عبد الواحد بن محمد بن حبيب أبو محمد اللخمي الجزائري(كان حيا 537هـ/1142م)[7]، ومعاصره المحدث عبد المنعم بن عشير الجزائري(كان حيا سنة 537هـ/1142م)[8]، والفقيه المالكي حجاج بن سكاتة أبو يوسف الجزائري(ت بعد 561هـ/1166م)[9]، والمحدث عبد المحسن بن ربيع الجزائري(ت القرن6هـ/12م)[10]

---

1) الإدريسي: المصدر السابق، ص 114.

2)وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص176؛ وابن خلدون:العبر، ص326.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص203.

4) أنظر: كتاب الجغرافية، ص141-142.

5) أنظر: الرحلة المغربية، ص23.

6) علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 204.

7)عادل نويهض: المرجع السابق، ص105.

8)ابن عبد الملك:الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، 1965، ج5، ص122.

9)نفس المصدر والصفحة.

10) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص545.

م- وهران[1]

يقول عنها محمد بن يوسف الزياني:"اعلم أن أول من اختط وهران هو المغراوي خزر بن حفص بن صولات في عام290 هـ/902م، أو291هـ/903م وبعد تأسيسها استبحر عمرانها، وعدت من أمصار المغرب ومن أحسن معاقلها، وقصدها العلماء والتجار، وأرباب البضائع فكانت مقصد العفاة والوفود، والعساكر والحشود"[2].

كما وصفها ابن حوقل (ت367هـ/977م) بأنها مدينة ساحلية مرساها جيد ولها علاقات تجارية مع الأندلس وبها نشاط كبير وذلك خلال القرن الرابع هجري، حيث كانت تابعة للدولة الزيرية[3]،حكمها الخزريون المغراويون، الذين كانوا يخضعون للفاطميين وأحيانا للأمويين بالأندلس، حتى سنة473هـ/1081م احتلها المرابطون، واتخذوها قاعدة بحرية لأسطولهم الحربي والتجاري[4].

ووهران بفتح أوله، وسكون ثانية، وآخره نون، هي مدينة حصينة كما يصفها البكري في القرن الخامس هجري، وهي ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين، ولها مسجد جامع، وقد أسس هذه المدينة محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين كانوا ينتجعون مرساها باتفاق مع نفزة وبني مُسقن، وهم من ازداجة، وذلك سنة 290 هـ/902 م[5] ويسميهم صاحب الاستبصار بني مسكين بدل من مسقن[6].

وقد قرر عبد المؤمن الموحدي ضمها، فاصطدم بقوات تاشفين بن علي سنة 539هـ/1144م[7] لكنه تغلب عليه وفتحها بعد حصار قصير[8] وحولها إلى قاعدة بحرية

---

1) وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون بناها السكان الأصليون على الساحل، كانت تسمى في عهد الرومان أونيكاكولونيا، تقع على إثني عشرة درجة وثلاثين دقيقة في خطوط الطول وعلى أربعة وثلاثين درجة من خطوط العرض، وعلى بعد عشرين فرسخا من تلمسان، ومدينة وهران معدودة دائما في مملكة تلمسان مارمول كربخال: المصدر السابق، ج 2، ص329.

واختلف في سبب تسميتها وهران، فقيل أن مؤسسها خزر المغراوي لقبه وهران، وقيل أن الرجل الذي يبني فيها اسمه وهران، وقيل مركبة من كلمتين"وه"ومعناها الضعف وران بمعنى نحنو وبجمعها نحن في ضعف عندما كانوا في حرب مع بني يفرن، وقيل أن اسم الثعلب بالزناتية وهران. محمد بن يوسف الزياني:دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص32-33.

2) أنظر: دليل الحيران، ص31، ص35-36.

3) أنظر: صورة الأرض، ص 79.

4) يحي بوعزيز: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985، ص38.

5) أنظر: المغرب، ص70.

6) أنظر: المصدر السابق، ص133-134.

7) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص21؛ و مجهول:الحلل الموشية، ص132.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص143؛و ابن أبي زرع: الأنيس، ص187.

لأسطوله[1].

لهذا يصفها الجغرافي المجهول"بأنها مدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرحاء وعيون، وهي من أعز البلاد، ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة" [2] لكن الإدريسي ذكرها بأن مرساها صغير، لا يستر شيئا، رغم أنه وصفها من الداخل بأن أسواقها مقدرة، وصنائع كثيرة وتجارة نافعة، وعليها سور تراب متقن، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس[3].

ووصفا جغرافي آخر عاصر الفتر ة الموحدية بأنها"مدينة على البر الأعظ م من الغرب، بينها وبين تلمسان سُرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها تجار" [4] وهذا يدل على تراجع دورها بسبب تخريبها في فترات سابقة.

كما تأسست بها خلال العهد الموحدي عدة مدارس، ونشطت بها الحركة الثقافية، وتوسعت وظهر بها عدة علماء منها أبو محمد عبد الله بن الجبل، الذي كان أحد أعضاء مجلس أعيانها [5] وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (ت 569 هـ/ 1173م) الحمزي الوهراني، المعروف بابن قُرقُول[6]، ومنهم أبو عبد الله محمد الوهراني، الملقب ركن الدين، الذي دخل مصر حوالي سنة(570هـ/1174م، واشتهر فيها بالعلم والأدب، وحسن الفهم، ومنهم أبو تميم وذكره الغبريني أبو تمام الوهراني [7]، والفقيه محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني(ت 601 هـ/1205م)[8] والنحوي علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني (ت 615هـ/1219م)[9]، وغيرهم كثير سنذكرهم في الفصل الموالي.

---

1) يحي بوعزيز: وهران، ص38.

2)أنظر: الاستبصار، ص134؛ و الحميري: المصدر السابق، ص612.

3) أنظر: نزهة المشتاق، ص 105.

4) أنظر: معجم البلدان، ج5، ص385.

5) يحي بوعزيز: وهران، ص43.

6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص521.

7) عنوان الدراية، هامش، ص179؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5 ،ص386.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص374؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص349.

9)السيوطي: المصدر السابق، ج 2، ص172.إسماعيل باشا البغدادي:هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة 1951، ج1 ، ص 705؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص349.

خ- بونة

أو هيبون [1] قال عنها جغرافي من القرن الرابع هجري"هي مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رقعتها كالأربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة" [2].

وهي مدينة قديمة من بناء الأول، وفيها آثار كثيرة مبنية على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها[3] وبها آثار قرطاجية وشيد الرومان بها قصورا وقلاعا، غير أن الخراب قد امتد لها، بعد خروجهم، و لم يبق منها إلا الآثار [4] ومرساها اسمه الأزقاق، تسكن حولها قبائل كثيرة من البربر كمصمودة وأوربة، ومعظم العاملين بالتجارة فيها من الأندلسيين [5].

يسميها عبد الواحد المراكشي(ت 647هـــ/1249م) بالمدينة الصغيرة، ويشير إلى أن اسمها مشتق من اللفظة الإفرنجية جيد وبينها ومدينة تونس ست مراحل [6]،وذكر أنها كانت موجودة رغم أنها لم تنل حضوه كبيرة نظرا لتبعيتها لبجاية[7].

كما يذكر ابن سعيد بأن أول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة، وهي من حيث الطول ثمان وعشرون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ولها نهر متوسط ينصب في البحر بغربيها[8] وهذا يدل على أنها كانت مصر مهم في المغرب الأوسط .

لقد تأثرت بغزو الهلاليين لإفريقية وخاصة مناطقها الزراعية التي هجرت إلا القليل منها الذي قاوم أصحابه العرب بقوة السلاح [9] وفي547هــ/1152م ملكها الموحدون[10] لكن في عام548هــ/ 1153م امتلكها رُجار حاكم صقلية، ثم خرجت عن حكمه بعد وفاته، وتولى ابنه

---

1) يقول عنها مارمول:بناها الرومان شرقي المكان الذي توجد عليه اليوم بمسافة فرسخ واحد على نهر يدوغ، كانت في القديم تسمى هيبون، وموقعها على على ساحل البحر المتوسط أنظر : إفريقيا، ج2، ص7.ويؤكد ذلك البكري بقوله ومدينة بونة أولية وهي مدينة أقشتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال ولها مساجد وأسواق وحمام وهي ذات ثمر وزرع، وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة. أنظر: المغرب، ص 54-55.

2) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص 77.

3)مجهول:الاستبصار، ص127؛ والإدريسي: المصدر السابق، ص133؛ والحميري: المصدر السابق، ص115.

4)حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61؛ ومرمول كربخال: المصدر نفسه، ج2، ص7.

5) البكري: المصدر نفسه، ص 54-55؛ والحميري: المصدر نفسه، ص115.

6) أنظر: المعجب، ص 252.

7) المصدر نفسه، ص 144.

8) كتاب الجغرافية، ص142.

9) حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61.

10) روبار برونشيك: المرجع السابق، ج1، هامش، ص33.

غليام من بعده، ودخلت في حكم الموحدين سنة551هـ/1156م وقبضوا على عاملها الحارث وقتلوه لأنه استنجد بالنورمانديين [1]، لكن ابن غانية تمكن من احتلال عدة مدن،من المغرب الأوسط منها مدينة بونة،سنة 598هـ/1202م[2] وتمكن الموحدون فيما بعد من استرجاعها، وهذا يدل على المكانة التي حضت بها مدينة بونة في العهد الموحدي.

كما يعتبرها صاحب معجم البلدان مدينة العلماء، حيث وصفها أولا بـ"مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين، وبها معدن حديد، وهي على البحر...ينسب إليها جماعة منهم:أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني، فقيه مالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي..." [3].

وقد اشتهر ببونة جامع سيدي مروان الذي بني سنة425هـ/1033م واستمر هذا المسجد يقوم بوظيفته خلال العهد الموحدي[4]، ومن علماء وفقهاء بونة في العهد الموحدي، المحدث علي الترشكي البوني، أبو الحسن(كان حيا سنة536هـ/1141م) ارتحل إلى الأندلس[5] و إبراهيم بن يوسف بن محمد البوني(ت612هـ/1215م)، المحدث، من كبار المقرئين، كان مالكيا وتحول للمذهب الحنفي بالمشرق[6] والفقيه الصوفي أحمد بن علي بن يوسف، تقي الدين أبو العباس البوني(ت622هـ/1225م)[7] والقاضي علي بن عبد الله الأنصاري البوني أبو الحسن(ت في القرن السابع هجري13م)[8]، وغيرهم كثير سنذكرهم فيما هو قادم .

لكنها لم تنل الازدهار الكافي حيث يقول عنها العبدري"ثم وصلنا مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة "[9].

---

1) مجهول:الحلل الموشية، ص154؛ والتجاني: المصدر السابق، ص348-349.

2ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص187، ص238 ؛وابن خلدون:العبر، ج6، ص333؛ والزركشي: المصدر السابق، ص17.

3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص512.هو الشيخ أبو مروان عبد الملك بن علي أصله من قرطبة بالأندلس وسكن بونة واعتبر من فقهائها، شرح الموطأ .عادل نويهض: المرجع السابق، ص52.

4)هو أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني الأندلسي المالكي(ت440 هـ/1048م).رزيوي زينب: المرجع السابق،ص52.

5) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص553.وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص51.

6) الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص110؛ وابن أبي الوفاء: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، ط2، القاهرة، مصر، 1993، ج1، ص118؛ وتقي الدين بن عبد القادر التميمي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970، ج1، ص292.

7) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسمي الكتب والفنون، تحقيق شهاب الدين الحسيني النجفي المرعشي، مكتبة المثنى، ط1، بغداد العراق، 1941، ج2، ص1161، وإسماعيل باشا البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص90؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص47- 49.

8)الغبريني: المصدر السابق، ص218.

9) ورغم أن العبدري يقر بأنه لم يدخلها، أو لم يستطع المكوث بها بقوله"وقد أزعج السفر عن حلولها ، فلم أقض وطرا من دخولها " المصدر السابق، ص33. إلا أنه تحامل مرة أخرى، وهذا يدعونا إلى تحليل شخصية ونفسية العبدري التي تبدو معقدة ومتشائمة على

ء- وارجلان

أو وركلان[1] وهي مدينة تقع في الجنوب من مدينة توقرت، وصفها البكري، على أنها سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى"أغرم أن يكامن" أي حصن العهود، وبينها وبين قلعة بني حماد مسيرة ثلاثة عشر يوما[2].

ويسميها الحميري واركلا، ويقول بأنها في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض...وتضرب ببلد واركلا دنانير على نوع المرابطية" [3] وهو دليل على أهميتها خلال الفترة المرابطية، وواصلت على نفس النهج خلال الفترة الموحدية .

أما ابن خلدون فيقول"أن الاسم يرجع إلى القبيلة وهم بنو واركلا، إحدى بطون زناتة، من ولد فرني بن جانا ...وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطو المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنو قصورا متقابلة الخطة، ثم استبحر عمرانها فَأْتَلَفَت وصارت مصرا واحدا"[4].

ولاشك أن الموحدين قد سيطروا على حواضر المغرب الأوسط والأدنى(بني حماد وبني زيري)، وهذه الانتصارات جعلت الأقلية الإباضية في ورجلان وتوقرت، تعلن ولاءها وتبعيتها، وما جعل الموحدين يعلنون اهتمامهم بورجلان هو وقوعها في الطريق الشرقي للتجارة مع السودان الغربي والأوسط المتمثلة في تجارة الذهب والرقيق[5].

ويذكر الدرجيني متحدثا عن قدوم الموحدين إلى ورجلان"...أن أول داع وصل إلى وارجلان من دعاة الدعوة المهدية:العيتورسي، وصلها في خيل، فلما قدم إليهم دعاهم إلى إجابة الدعوة، فتشاوروا فيما يأتون وما يذرون...فقال لهم –أي الفقيه يوسف ابن إبراهيم الورجلاني – هؤلاء لا يخربون بلدكم

قول الشاعر: أيّها الشّاكي وما بك داء*** كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟

إن شرّ الجناة في الأرض نفس*** تتوقّى قبل الرّحيل الرّحيلا

1) ورد ذكر ورجلان في أعمال الجغرافيين العرب بأشكال متعددة منها واركلا، وارجلان، ورجلن، ورجلان، وارقلان، وضبطها ياقوت الحموي: ورجلان، وقال عنها"كورة بين إفريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر، كثيرة النخيل والخيرات"أنظر: معجم البلدان، ج5، ص371.وقد دخلها الإسلام في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105-125هـ/ 724-743 م).الزهري: المصدر السابق، ص126.

2) أنظر: المغرب، ص182.

3) أنظر: الروض المعطار، ص600.

4) أنظر: العبر، ج7، ص69.

5) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص147.

بل تنالون في أيامهم عزا وإقبالا، وتلقون منهم في بلادكم خير لقاء، وإكراما وإحسانا، أكثر مما تلقونه في بلادكم، فأجيبوا دعوتهم تفلحوا فليس بالذين يخربون بلدكم"[1].

ولا نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ انضواء اباضية ورجلان تحت راية الموحدين، إلا من خلال قولنا أنه كانت في أيام الفقيه أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الورجلاني [2] (500-570 هـ/1106-1174م)، وهو ما يوافق عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558 هـ/1129-1162م) وابنه أبي يعقوب يوسف(558-580 هـ/1129-1184م)[3].

كما تزهو وركلا بجامعها الكبير، والذي كان مقرا للعلم والتشاور، ومولدا للعلماء والفقهاء، ورغم أن التاريخ الذي وجد في أعلى مئذنته وهو 636هـ/1228م[4]، إلا أنه الأكيد كان له الدور الفعال خلال العهد الإباضي الموحدي.

هكذا أظلت دوحة العلم الوارفة الظلال الطيبة الثمار بلاد المغرب الأوسط، في أزهى ما تكون نهضات البلدان، وتطول باعه علوم الدين والدنيا، فيرتوي من مشاربها المختلفة، وتتنافس المدن و الحواضر في تشييد الأندية العلمية الزاخرة بطلاب العلم حتى صارت المدن نفسها أندية تنبعث أصوات العلم وطلبته في آفاقه الرحبة.

---

1) الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص315.

2) عن أبي يعقوب أنظر: مصطفى باجو: أبو يعقوب الورجلاني وفكره الأصولي، مقارنة بأبي حامد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة الأمير ع القادر، قسنطينة، 1993، وكذلك انظر باكير بن سعيد أوعوشت:أبو يعقوب يوسف الورجلاني، المطبعة العربية، غرداية، 1978.

3) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص148- 149.

4) رزيوي زينب: المرجع السابق، ص 53.

ثانيا : المؤسسات الثقافية

أولى المغرب الأوسط اهتماماً كبيراً بالتعليم منذ دخول الإسلام إليه في أواخر القرن الأول الهجري فالتعليم تعتمد عليه حركة نشر الدين وبدونه سوف لن يكون هنالك استيعاب لمبادئه ولن يجد فرصته في الانتشار وسط السكان وهذا ما حدا بكل الدول المتعاقبة عليه، الاهتمام به وتطويره.

فعرفت الثقافة في المغرب الأوسط على عهد الدولة الموحدية ازدهارا عظيما —بالرغم مما يوجه لهذه الثقافة من انتقادات في بعض مناحيها — ومهما يكن، فإن مجرد ذكر أسماء المفكرين والكتاب الذين اشتهروا بما ألفوه من كتب في مختلف العلوم، وكذا ذكر تعدد المراكز العلمية وانتشارها في الحواضر والبوادي ، ليكفي للحكم لهذه الثقافة بما وصفتها به، وتتجلى مظاهر هذا الازدهار في كثرة التآليف"الخصوبة الفكرية"[1] وكذا في تعدد المراكز العلمية .

لقد استمدت المؤسسات الثقافية في المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا مقوماتها وأصولها من المشرق الإسلامي، بدءا من الفتح الإسلامي، إلا أن المغرب الأوسط سرعان ما مازجها مع ثقافات أخرى، تحت التأثير الأمازيغي والأندلسي والإفريقي [2] وكان التعليم يمارس بالمساجد والزوايا و المدارس.

إلى جانب هذا اهتم الموحدون بإنشاء المراكز التعليمية، وأولوا عناية بالغة للتعليم، لأنه يعد من العوامل الأساسية المساهمة في الحركة الثقافية الفكرية في أي مصر من الأمصار، كما يعتبر مرآة عاكسة للازدهار الثقافي والعلمي.

انتهج عبد المؤمن لسياسة تعليمية مهمة، ورث بعضها عن معلمه، ابن تومرت [3]، ولكن لم تبلغ من القوة في زمنه، بحيث تظهر نتائجها، ما بلغته زمن يوسف ابنه، ويعقوب حفيده، ومن بعدهما، إذ قد أزهر غرس ابن تومرت وعبد المؤمن، بتعهد خلفائه له بالسقي والري، فتفتحت الأفكار، وتنورت العقول، واتسعت المدارك، وبلغ الناس درجة عالية من الثقافة العلمية[4].

لقد أسس الخلفاء الموحدون المعاهد والمدارس للتعليم بمراكش وفاس، وباقي مدن الدولة، حرصا منهم على التعلم والتثقيف لكل شرائح المجتمع، وبسطوا المساطر لكل من أراد ولوج هذه المعاهد

---

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص41.

2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص254-255.

3) كان مؤسس الدولة الروحي ابن تومرت عالما متبحرا في العلم يشهد بذلك استهلاله كتابه" أعز ما يطلب" بتلك العبارات الداعية إلى العلم وضرورة تحصيله" أعز ما يطلب وأفضل ما يكسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال".المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997، ص33.

4) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1 ، ص114.

والمؤسسات التعليمية للنهل منها والجلوس إلى علمائها الراسخين في العلم المبرزين في التعليم والتربية [1] وعندما نتحدث عن خلفاء الدولة الموحدية فإننا ننسبهم دائما إلى منجزات المغرب الأوسط باعتبارهم من تلمسان من قبيلة كومية ، وهذا فخر كبير ، ولهذا ندعوا لتسميتها بالدولة المؤمنية بدل الموحدية .

كان عبد المؤمن يستدعي العلماء والمدرسين والفقهاء والقضاة، من كل البلاد، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم، وكان يعقد ندوات علمية أسبوعية في قصره[2].

كذلك يوسف بن عبد المؤمن، الذي قا ل عنه صاحب المعجب"كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن الكريم، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية...هذا مع إيثار للعلم شديد، وتعطش مفرط له، صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين..وكان له مشاركة في علم الأدب...ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة"[3].

كما كان الخليفة المنصور من حفاظ الحديث، محبا للعلماء والأدباء محسنا إليهم، مقربا لهم، مصغيا إلى المديح، مثيبا عليه، وكان محبا للفلسفة، فبعد اضطهاده للفيلسوف ابن رشد، عاد واستخلصه لنفسه، يطلعه على أسرار صناعة الصنائع[4].

فتعددت مؤسسات التعليم في المغرب خلال العهد الموحدي(6-7هـ/12-13م)وكان في مقدمتها المترل[5] والكتاب والمسجد، التي تعتبر المراكز التعليمية الأولى آنذاك، ثم تلتها المدارس فيما بعد علاوة على أنها كانت هناك أيضا الربط والمكتبات[6].

بذلك جرى التعليم في عهد الموحدين بالمغرب الأوسط على الطريقة التقليدية في المراكز التي تخصص للتدريس وهي في الغالب كانت تتوزع إلى الكتاتيب القرآنية، والمساجد والزوايا والرباطات وأخيرا ظهرت المدرسة[7].

والمؤسسات الثلاث الأولى كانت تعتبر كمؤسسات للدراسة الأولية المتوسطة، أما التعليم العالي فكان يتم في الحواضر الكبرى كتلمسان وبجاية، أو عن طريق الرحلة العلمية للأندلس والمشرق أو نحو مراكش وفاس.

---

1) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص 73؛ وعلية الأندلسي: نماذج من المعاهد والمجتمعات التعليمية الموحدية، مجلة ميثاق الرابطة الإلكترونية، العدد17 بتاريخ 21/ 5 / 2010، ص1.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 142؛وبوجندار محمد مصطفى: مخطوط الاغتباط بتراجم أعمال الرباط،الخزانة العامة الرباط، رقم 1287.د، ج1، ورقة 215.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص167.

4) المصدر نفسه، ص 172.

5) يذكر الغبريني أن أبا عبد الله محمد صمغان القلعي من أهل قلعة بني حماد ورحل إلى بجاية كان له مجلس دراسة يعلو سقيفة داره فيجتمع إليه الطلبة.الغبريني: المصدر السابق، ص 189.

6) صفية ديب: المرجع نفسه، ص218- 219.

7) شفيق محمد عبد الرحمن الرقيب: شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984، ص32.

إلى جانب ذلك يمكن نظريا استنتاج مراحل التعليم في المغرب الأوسط في هذه الفترة، وهي تسمية تجاوزية فقط لإسقاطها على واقع اليوم:

مرحلة التعليم الابتدائي:كان الهدف منها هو تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة واكتساب الخط"لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق في ذلك أو ينقطع دونه.."[1].

وقد تم مزاولة هذا التعليم في المساجد و الكتاتيب، حيث أن الصبيان يدخلون الكتاب في سن معينة تتراوح ما بين الخامسة والسابعة، والمؤدب يكون حريصا على تحفيظ هؤلاء القرآن والتلاوة الحسنة، ثم يتفقد حفظهم في أيام معينة [2] هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء والصلاة، والتشديد عليهم من أجل استيعابها دون إفراط في التأديب والضرب[3].

أ- المساجد

كان المسجد هو النواة الأولى للتعلم في حضارتنا العربية الإسلامية، فليس هناك جامع أو مسجد في مدينة من المدن الإسلامية يخلو من حلقات العلماء والمدرسين [4] وقد حث الإسلام على بناء المساجد والعناية بها، ومن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:سمعت رسول الله ε يقول﴿من بنى مسجدًا يُذْكَرُ فيه اسم الله بنى الله له بيتًا في الجنة﴾ رواه أحمد وابن ماجة.

وبناء المسجد أمر من الله سبحانه وتعالى لجميع المسلمين، وحدد القرآن الكريم الوظيفة الأساسية للمسجد، قال تعالى :﴿في بيوت أذن الله أن تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمه يُسبِّح له فيها بالغدو والآصال﴾[5].

ارتبط تاريخ التعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ارتباطا وثيقا بالمسجد قبل تأسيس المدرسة، حيث قامت فيه حلقات الدرس منذ أن أنشئ لأول مرة، واستمر لقرون، وفي شتى أنحاء العالم الإسلامي دون توقف[6] كما كانت مراكز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، و محلاً للقضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة.

---

1) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص220- 221.

2) محمد بوشقيف: المرجع السابق ، ص59.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص224؛ وابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، تحقيق، الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974، ص116 ؛ وابن سحنون محمد: كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص89-91؛ والقابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986، ص33.

4) مروان عبد الملك محمد: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج 29، العدد1، 2001، ص27-28.

5) سورة النور، الآية 36.

6) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، دار الإتحاد العربي للطباعة، ط5، مصر، 1976، ص102.

فكانت المساجد والجوامع باعتبارها الخلية الأولى والأساسية في المجتمع الإسلامي، ولكنها مركز للعبادة والتثقيف والتعليم والتوجيه، قامت بدور عظيم وكبير في نشر السنة وإشاعتها، وتركيز الدراسات الحديثية وتأصيلها، وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه[1].

إن تاريخ المؤسسات الثقافية والتعليمية في المغرب الأوسط، وعلى رأسها المسجد ما زال يكتنفه الكثير من الغموض، خاصة في الفترة الموحدية، حيث سادت الثقافة الوحدوية على حساب الثقافة القطرية–أشبه ما يعرف اليوم بالعولمة– العولمة الموحدية–، كما غطت الأنشطة الثقافية والتعليمة المتواجدة في عاصمة الدولة مراكش، والمدن المحاذية لها، كفاس على نشاطات بقية المدن، خاصة البعيدة عن العاصمة.

وعموما ساعد في تطور وظيفة المسجد بالمغرب الأوسط، الاهتمام بالعلم والعلماء، وكما يقول المقري عن مكانة العلماء في الأندلس ينطبق على المغرب الأوسط"فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتاع حاجة، وما أشبه ذلك"[2].

كما يذكر البيذق أن ابن تومرت أقبل على بناء المساجد في العديد من المناطق، وعند حلوله ببجاية قصد مسجد الريحانة[3] ثم حل بتينملل[4] فبنى مسجده للتدريس ومنه انطلقت الدعوة الموحدية[5] كما يذكر الغبريني عدة مساجد أخرى في بجاية منها كمسجد الفقيه أبي زكريا يحي الزواوي (ت611 هـ/1214م)[6]، وكان هذا المسجد ذائع الصيت ومحل مقصد العلم خلال الفترة الموحدية، حيث زاره الأندلسي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي(ت 637هـ/1239م) الذي خطب فيه سنة 611هـ/ 1214م[7].

لقد اهتم الموحدون ببناء المؤسسات الدينية وخاصة منها المساجد، فاحتوت كل مدينة من المدن الموحدية على مسجد، وربما جامع كبير على غرار بجاية وتلمسان وقسنطينة، وجزائر بني مزغنة،حيث

---

1) يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان،د ت، ج2، ص474.

2) أنظر: نفح الطيب، ج1، ص220. لمزيد عن مساجد المغرب الأوسط، لاحظ رسالة رزيوي زينب: المرجع السابق، ص36-53.

3) أنظر: أخبار المهدي، ص13، ص19 .

4) **تينملل** أو تانملت، وقد رسمه أحيانا ابن صاحب الصلاة كلمتين: تين ملل وهي فعلا مؤلفة بالبربرية من تين بمعنى ذات وبمل بمعنى الحواجز التي توضع في سفوح الجبال يجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهو الجبل الذي كان مهد دولة الموحدين و بها بنى الإمام داره ومسجده.ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص149.و بها قبري عبد المؤمن والمهدي بن تومرت.مجهول:الحلل الموشية، ص112. السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص78.

5) السلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص78.صفية ديب: المرجع السابق، ص241؛ وكارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب بنية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968، ص325.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص151.

7) المصدر نفسه، ص151-152؛ ورزيوي زينب: المرجع نفسه، ص 51.

أصدر عبد المؤمن أوامره"بإصلاح المساجد وبنائها في تاجرا [1] بتلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر"[2] لذلك بنى الموحدون عدة مساجد في المغرب الأوسط، ورمموا الأخرى ووسعوها، و تجديد القديم و منها الجامع الكبير بتلمسان و ندرومة [3] ومسجد درب الموحدين [4] ومسجد حومة اللؤلؤة المعروف بمسجد المرجاني، حيث كان يجتمع فيه الصلحاء والأفاضل والمتعبدون[5].

كما كان الشيخ أبو مدين شعيب (594 هـ/1197م) يقيم مجالسه العلمية والصوفية بمسجد أبي زكرياء الزواوي[6] وكان الشيخ أبو علي حسن المسيلي يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد[7] وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري يجتمع إليه الناس بالجامع الأعظم لحضور دروسه العلمية[8] وذكر ابن الأبار في معجمه أن الحافظ أبو يوسف الأغماتي التلمساني (كان حيا سنة523هـ/1128م كان يدرس بجامع تلمسان القديم[9].

ويضاف مسجد آخر ببجاية هو مسجد المرجاني، نسبة إلى الشيخ الفقيه أب و زكرياء المرجاني الموصلي، الذي زار بجاية وتردد على هذا المسجد، واجتمع بالناس ليعلمهم أمور دينهم، فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى بلاده بالموصل في بلاد المشرق، ويقع بحومة اللؤلؤة ببجاية[10].

إلا أن طرق التجديد الموحدية على المساجد في بدايتها تركزت على البساطة والتقشف، فأزالوا كل النقوش الذهبية، وكل المناظر الفنية، وذلك بدءا من سنة540 هـ/1145م[11].

---

1) **تاجرة** بفتح الجيم والراء بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هُنَيْن من سواحل تلمسان، بها كان مولد عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب.ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص5؛ وابن أبي زرع : الأنيس، ص183.

2) ابن أبي زرع : المصدر الأنيس، ص189 .

3) رشيد بورويبة:عبد المؤمن، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976، ص11.وندرومة مدينة قديمة أسسها الرومان، وبنوها على بقعة واسعة في سهل، بعيدة بنحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا عن البحر ويمر قربها نهر قليل الأهمية وسميت بذلك لكي تكون ند لروما.الوزان: المصدر السابق، ج2، ص13.بل إن الرومان لم يتواجدوا بها نهائيا و الاسم جاء من قبيلة كومية قديمة تقطن بها. تعليق لمترجمي الكتاب، نفس الصفحة.

4) عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص34.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص165؛ وبرنشفيك: المرجع السابق، ج1 ، ص414.

6) توفي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة 14رمضان611 هـ/1214 م، وتوفي فجأة من غير علة، ويضيف الأستاذ بونار، في شرحه على هامش عنوان الدراية، أن أبو زكرياء يعرف الآن بأبي قبرين عند عامة بجاية، وهو مدفون بشاطئ البحر.الغبريني: المصدر نفسه، ص136-137.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص67.

8) نفسه، ص265؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص51.

9) أنظر: المعجم، ص330.

10) الغبريني: المصدر نفسه، ص165؛ رزيوي زينب: المرجع السابق، ص51.

11) بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية(ت 265هـ/880م) وقد شرع في حفر أساسه سنة 245هـ/859 م. السلاوي: المرجع السابق، ج 1، ص76-77؛ وعمر رضا كحالة: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994، ج4، ص136-137.

كانت من عادة الموحدين أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبرى إلا من انتهت إليه المهارة والرسوخ في العلم والدين في وقته، فيلقون دروسهم ويجيزون الطلبة المتفوقين بإجازات مازالت بطون الأمهات من الكتب والمصادر المختلفة تشهد بها على عظمة العصر الموحدي الزاخر بالعلم والعلماء[1].

وكانت طريقة التعليم في المساجد تتم بجلوس الأستاذ أو الفقيه على كرسي حتى يراه جميع الطلبة، أو مستندا على ظهره على عمود أو ركن من أركان المسجد وحوله يجلس التلاميذ أو الطلبة في شكل حلقة محيطين به، وكانت الأبواب تفتح والحضور مباح للجميع[2].

بقيت المساجد على عادتها تقوم برسالتها التقليدية، فامتلأت بالطلاب والعلماء والفقهاء، يدرسون العلم، ويقصدهم الناس للشورى أو قراءة القرآن، كما قصد هذه المدارس الصلحاء والعباد [3]، وقاموا بدورهم في تقديم الفتوى والعلم للناس على اختلاف مستوياتهم[4].

لقد كان المسجد عبارة عن معهد علم قائم بذاته، خاصة إذا علمنا أن المساجد الجامعة كان يدرس بها أكثر من معلم واحد، ويقتسم الدور فيها بين الفقهاء، وكان هناك أكثر من مجلس للمعلمين في أنحاء المسجد الواحد، وهذا يجعلنا نستخلص أن عدد حلقات الدرس كثيرة خلال الفترة الموحدية [5].

والسبب الذي جعل المسجد يلعب دورا تربويا كبيرا، هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم وتوضيح تعاليم الإسلام، وكذا اتخاذه مكانا لدراسة وحفظ القرآن، والفقه، والاشتغال بالآداب [6] ويقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة[7].

حيث يبدأ التلميذ بحفظ القرآن كاملا —التعليم الابتدائي–وقد استحسن ابن خلدون هذه الطريقة في التعليم، حيث رأى أن تعلم القرآن وحفظه هو أصل التعليم، وهو أول ما يجب تعلمه للصبيان لأن به يبنى ما يحصل بعد ذلك من ملكات حسب تعبيره [8] وبين أنه نتيجة لاقتصار أهل المغرب على تعليم أولادهم القرآن وقراءاته المختلفة والكتابة أحيانا جعلهم يكونون أقوى على حفظه وإدراك رسمه، من سواهم عن بقية الأمصار[9].

---

1)إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص64؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص1.

2) السعيد عقبة: المرجع السابق، ص51.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1 ، ص126.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص136.

5) صفية ديب: المرجع السابق، ص247.

6) محمد منير موسى: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص221.

7) المقري: المصدر السابق، ج1 ، ص220.

8) ابن خلدون:المقدمة، ج 3، ص222؛ والقابسي: المصدر السابق، ص 33.

9) ابن خلدون:المقدمة، ج3 ، ص222.

أما -التعليم الثانوي أو الاحترافي- فيدرس مبادئ الدين، ويتدرج بعد ذلك في دراسة العلوم التي يميل إليها، وقد سلك الموحدون نوعا من التعليم الإجباري حيث كان لا يستحق عندهم الدخول في مذهبهم إلا من درس عقائد المهدي، إلى جانب أحاديث في الجهاد والقرآن الكريم[1].

كانت دروس هذه المرحلة تتم في المساجد الجامعة، كالجامع الأعظم بتلمسان [2]، وندرومة، و القصبة ببجاية [3]حيث يذكر الغبريني عن الجامع الأخير أنه جلس فيه محمد بن عبد الله بن محمد المعافري(أواخر ق6هـ/ 12 م) للأستاذية، وانتفع الناس به[4].

ومن خلال قراءتنا لتراجم المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية نجد أن المسجد كان مركزا علميا لا يخلو طوال النهار، بل حتى أجزاء الليل من حلقات للدراسة والتعليم والوعظ، و لم تكن حلقات الدرس تقتصر على المسجد الجامع أو الجامع الكبير فأبو عبد الله الشوذي الاشبيلي الحلوي، نزيل تلمسان، كان يدرس في مسجد صغير عند خندق عين الكسور(أو عين النسور حسب تصحيح المحقق) بخارج باب القرمدين[5].

كما أن أبا زكريا يحي بن علي [6] الشهير بالزواوي[7] من نواحي بجاية، ما من ناحية إلا وله فيها مسجد ومعلم[8]كما كان ابن دهاق المعروف بابن المرأة(ت 611 هـ/1215م)يدرس كتاب الطهارة من المدونة بالجامع الخاص بتلمسان[9].

أما موسى بن حجاج، أبو عمران الأشيري صال وجال في الأندلس والمغرب، ثم عاد إلى مدينة الجزائر بعمالة بجاية، وأمّ بها صلاة الفريضة بجامعها[10].

---

1) إبراهيم حركات: لمغرب عبر التاريخ، ج1، ص346.

2)التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط 3، الدار البيضاء، 2010، ص111؛ ويحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108؛

3) الغبريني: المصدر السابق، ص140.

4) نفس المصدر والصفحة.

5) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص127، ص159.

6) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر نفسه، ص428.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص 59؛ ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1349 هـ/1930، ص184-185.

8) الغبريني: المصدر نفسه، ص59، ص136-137 ؛والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص51.

9) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مديد)،السفر الثاني، ص379؛ وعبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994، ج2 ، ص36؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص17.

ب- الكتاتيب[1]

لقد أُسس إلى جانب المسجد مراكز تعليمة، ومؤسسات ثقافية لا تقل أهميتها عن دور المسجد، إلا كونه يخصص للصبيان لتعليمهم القرآن وأحكامه وتفسيره، عرف هذا المرفق الثقافي بالكتاب أو الكتاتيب.

وهي عبارة عن قاعات واسعة يعلم فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار القراءة والكتابة على ألواح مختلفة [2] يكتب التلاميذ فيها جزءا من القرآن كل يوم ويختمونه، و الكتاتيب هي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين الكتابة و يأخذون بعد ذلك في حفظ القرآن الكريم، ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين و اللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد[3].

كما تعتبر من المؤسسات التعليمية الهامة بالمغرب الإسلامي ، ظهرت عند عجز طاقة استقبال المسجد أو بسبب نجاسة الأطفال للمسجد بل أفتى بعضهم بعدم جواز تعليم الأطفال بها [4] ونهى ابن عبدون عن ذلك بقوله:"ويجب أن لا يؤدب فيها الصبيان، فإنهم لا يتخظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولا بد ففي السقائف"[5].

والكتاتيب جمع كُتاب، أنشأت ليُتعَلم فيها القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وقد اشتق اسمها من علم الكتابة، وقد كان ظهورها مع الرسالة المحمدية، عندما جعل فداء بعض أسرى معركة بدر من الذين يحسنون الكتابة[6].

يطلق على الكتاب القرآني في بعض الحواضر بالمغرب عامة والأوسط خاصة بالمسيد، وهو تحريف لكلمة مسجد[7] وفي البوادي جامع لأن تعليم القرآن للصغار كان يقع منذ أيام الموحدين في المسجد

---

1) **الكُتّابُ**: موضع تعليم الكُتابِ والجمع الكتاتيب والمكاتب، والــمُكْتِبُ هو المعلم ،وقال اللحياني هو الذي يعلم الكتابة، وقال الحسن:كان الحجاج مُكْتِبا بالطائف، يعني معلما، وقال المبرد الــمَكْتَبُ موضع التعليم، والــمُكْتِبُ المعلم، والكُتّابُ الصبيان.ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص3817.

2) المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي، ورابح بونا ر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص18.

3) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص191.

4) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، ومحمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، 1981، ج7، ص83.

5)ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص24.

6) مروان عبد الملك محمد: المقال السابق، ص38- 39.

7) عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985، ص13؛ والسعيد عقبة : المرجع السابق ، ص 51.

الجامع، والكتاتيب بهذا المعنى كانت تعتبر كمدارس أولية للصغار، حيث يحفظون القرآن و يتناولون مبادئ اللغة[1].

كانت الكتاتيب معروفة قبل الموحدين بالمشرق ، والمغرب و الأندلس، حيث بدأت مع الفتح العربي، أواسط القرن الأول للهجرة، فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطّوا قيروانهم، أول ما أنشأوا الدور والمساجد، ثم التفوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلا"كتابا"بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن وأمور دينهم[2].

عندما هرب ابن تومرت من بجاية خائفا واتجه إلى ملالة—على بعد فرسخ من بجاية– [3] وبها يومئذ بنو ورياكل"من قبائل صنهاجة"فآووه، وأخذ ابن تومرت يدرس العلم أياما من حمايتهم له، وكان يجلس تحت فرع شجرة على صخرة بقارعة الطريق، قريبا من ديار ملالة، على شكل كتاب ليس للصغار فقط بل لكل طالب علم، وهناك لقيه عبد المؤمن بن علي[4].

والمغرب الأوسط كغيره من أمصار المغرب الإسلامي، لم يخرج عن هذا الوضع التعليمي العام، حيث يذكر لنا الغبريني أن بجاية كانت بها كتاتيب لها دور نشط باعتبارها حاضرة من حواضر المغرب الأوسط في العهد الموحدي، وبين ذلك في ترجمته للشيخ أبي الحسن علي بن محمد الزواوي، حيث ذكر أنه لقيه وفرح به، حيث مسح على رأسه وقرأ عليه، وكان الغبريني آنذاك تلميذا في الكتاب[5].

عمل عبد المؤمن على نشر مبادئ الموحدين، فعم التعليم بالكتاتيب و الرباطات التي كانت تعتبر من المعاهد العلمية و الحربية الهامة بالمغرب[6] فكان أول من فرض على شعبه إجبارية و مجانية التعليم في المغرب الإسلامي،بل ربما كان" أول حاكم فعل هذا في العصور الوسطى"[7].

فبقي شأن الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في عواصم المغرب الأوسط والمدائن الكبيرة كبجاية وتلمسان والقلعة، وقسنطينة، حتى لم يخلو منها درب من الدروب أو حي من الأحياء، وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات، و"لا عجب أن اعتبرت

---

1) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص13-14؛ وعثمان الكعاك: المراكز الثقافية ، ص51 مثل الجامع الكبير بتلمسان وبجاية.

2) مقدمة محمد العروسي المطوي، لكتاب آداب المعلمين لابن سحنون، دار الكتاب الشرقية، تونس، 1972، ص33؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط1، القاهرة ، مصر، 1995، ص78.

3) مجهول: الحلل الموشية، ص105-106.وملالة بعيدة حوالي سبعة كلم من بجاية.

Rachid Bouruiba.ABD AL – MU'MIN ,op.P 10.

4) ابن أبي زرع:الأنيس، ص183.ابن خلدون:العبر، ج 6، ص302-303؛ و السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص74.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص134؛ و السعيد عقبة، المرجع السابق، ص53.

6) مجموع رسائل موحدية، ص137.

7) عبد الله علي علام : المرجع السابق، ص291؛ والطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص11-12.

الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل أنها وجدت أيضا في دور الأعيان والأغنياء وبالأحرى في قصور الولاة والخلفاء"[1].

وقد كان الآباء لا يختارون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته وظهر عفافه وطيبته في الوسط الذي يعيش فيه، إلى درجة أنهم كانوا لا يولون الأعزب تعليم أطفالهم [2] كما يشترط في معلم القرآن المعرفة التامة بقواعد قراءة وتلاوة القرآن"المعلم الذي لا يعرف إلاظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم، والترقيق، وغير ذلك، وأحكام القرآن لا تجوز له الحذقة "[3].

إضافة إلى ذلك سُمح للبنات بالتعلم بالكتاتيب وأخذ شيء من القرآن والأحاديث النبوية، وهذا ليس بجديد عن المغرب الإسلامي[4].

ولمعلم القرآن أجره الخاص وهو ما يعرف بالحذقة، وهو ما حدده الفقيه المغراوي (ت920هـ/1514 م) بقوله"أن الصغير إذا انتهى إلى حد الكتب في اللوح بالقلم، وقبل أن يتلقى ما يلقى، وأحسن الكتب، فلمعلم الحذقة ثمانية دراهم.."[5] ورغم أن المغراوي عاش بعد الفترة الموحدية إلا أنه استشهد بآراء فقهاء عاشوا الفترة المعنية كابن الحاجب جمال الدين أبو عمران (ت 646هـ/ 1248م)[6].

وكما كان الطالب النجيب يكافأ، كان المعلم يقوم بالإصلاح والزجر للطالب الكسول أو المخل بالسلوك الحسن، دون تجريح أو انتقام أو تشفي" ينبغي على المعلم أن يؤدبهم على الكذب والسب والهرب من المسجد واليمين بالطلاق والحرام وغيره..." [7] حيث كان المعلم الأكبر للموحدين والمنظر لهم وهو ابن تومرت متشددا حازما في أسلوبه التعليمي، إذ يذكر ابن القطان إصداره أمرا بتعذيب من لم يحفظ حزبه من الحضور بالسياط، ومن أظهر عنادا ورفض الامتثال قتل[8].

---

1) ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص33.

2)ابن عبدون: المصدر السابق، ص 25 ؛ و ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 47-50 ؛ والمغراوي: المصدر السابق، ص35؛ ورشيدة برادة: الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب الإسلامي، مجلة الجامعة المغاربية، اتحاد المغرب العربي، طرابلس، ليبيا، العدد1 ، السنة الثانية، 2007، ص103.

3)المغراوي: المصدر السابق، ص24.

4)القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص501.

5) أنظر: جامع جوامع الاختصار، ص18-24.

6) إلا أنه أورد آراء لبعض الفقهاء ترفض الإجارة على تعليم القرآن. المغراوي: المصدرنفسه، ص31- 33.

7) هذا قول الجزولي صاحب دلائل الخيرات (ت 870 هـ/ 1465م) نقلا عن المغراوي: المصدر السابق، ص 39؛ وابن عبدون: المصدر السابق، ص25.

8)ابن القطان: المصدر السابق، ص82-83.

أما بالنسبة لمواد الدراسة وهي تعليم القرآن والصلاة وما يصحب ذلك من معرفة القراءة والكتابة، وبعض النحو والعربية[1] فكانت بذلك المادة العلمية ترتكز على نص القرآن الكريم، فتأخذ به حفظا وضبطا ورسما وتجويدا، لمختلف روايات قرائه، وأخيرا شرحا لغريبه، وتفسيرا لمضمونه، واستخلاصا لأحكامه، مع معرفة الناسخ والمنسوخ منه، وغير ذلك [2] ويضيف الرعيني-وقد عاش في العهد الموحدي-في برنامجه أنه تعلم في الكتاب على يد شيخه أبي علي عمر بن أحمد بن عمر بن موسى الأنصاري المعروف بالزبار"القرآن برواية ورش ختمات لا يحصيها تدريسا وتجويدا...وتدربت عنده في شيء من الحساب والفرائض، وقرأت عليه جملة من اختصاره لكتاب مسلم بن الحجاج"[3].

هذه هي العلوم الأساسية، وهناك الفنون التي استحسن ابن سحنون(ت 256 هـ/869م)[4] تعليمها الصبيان في الكتاب—لكن لم يجبر المؤدب عليها ما لم يشترط أولياء الولدان دراستها واتفقوا معه عليها وهي الحساب والعلوم الأصولية الضرورية شرعا، ثم الشعر، ثم أخبار العرب وأنسابهم[5].

والمواد التي كانت تستخدم للكتابة، فبالإضافة إلى الألواح هناك، الأقلام الخاصة، المصنوعة تقليديا، والمداد أو الحبر الصمغي المصنوع بطرق بسيطة[6].

أما بخصوص أوقات الدراسة، والتدريس، فتذكر كتب التراجم، عندما تعرف ببعض الشخصيات، أن أغلب أوقاتها بعد صلاة الصبح، حيث يذكر الضبي أن عبد الحق الأزدي الاشبيلي (ت581 هـ/1185م) خطيب بجاية قسم نهاره على أقسام، حيث كان إذا صلى الصبح في الجامع أقرأ إلى وقت الضحى، وكان لا يدخل بجاية أحد من الطلبة إلا سأل عنه ودرس عليه[7].

---

1)صفية ديب: المرجع السابق، ص71.

2)ابن عبدون: المصدر السابق، ص 25؛ والونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص244، ص252؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص430-431.

3) الرعيني: برنامج شيوخه، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ص7-8.

4) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون (202-255هـ/817- 868م)، وسمي بسحنون نسبة إلى طائر حديد لحدته في المسائل.ابن مخلوف: المصدر السابق، ص70.

5) ابن سحنون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص44.

6) المغراوي: المصدر السابق، ص37-38.

7) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1989، ج2، ص508 .

ت- الرباط[1].

تؤكد كتب التاريخ والكتابات المتعلقة بموضوع التصوف، أن الرباط والزوايا لعبا دورا هاما في نشر التعليم وتلقينه، لفئة كبيرة من المريدين، وذلك إلى جانب ما كانت تقوم به من وظيفة دينية محضة، فالرباط كلمة أطلقت في أول الأمر على بناية مستقلة يرابط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله، ورغم الطابع العسكري والدفاعي فقد كانت هذه الرباطات تقوم بأدوار دينية وتعليمية [2] فبذلك كان للرباط دورٌ مهم في التدريس والعبادة ومنطلق للقضاء على الفتن، فهو بحق مدرسة ومعهدُ ومهدُ للدولة[3].

والرباط مدرسة ثانوية والتّعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشّريف وكتب الفقه وشعر المواعظ التي تسمى(الرقائق) والتي تعقد لها مجالس خاصة في يومي السبت والخميس من كل أسبوع[4].

كما لا يخلو الرّباط من أناشيد دينية تسمّى العادة والعمل فأما العادة، فهي أناشيد متّحدة بين جميع الأربطة أصلها بيزنطي كما يقول عثمان الكعّاك وهي التي تولدت منها أناشيد الصوفية وأمّا العمل فأناشيد خاصة بكل رباط أو بمجموعة من الأربطة[5].

فكان الرباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب الإسلامي، و زادت أهميته في عهد المرابطين و الموحدين من الوجهتين الحربية و العلمية،و رغم أن الأربطة نشأت في أول أمرها بالمشرق في مطلع الدولة العباسية غير أن أربطة المغرب الإسلامي كانت أكثر نفعا، فإلى جانب مهمة الرباط الحربية فهي مكان للعبادة و معهد تدرس به شتى العلوم، و كان على سواحل المغرب الإسلامي و لاسيما البحر الشامي ما يقارب من ألف رباط [6] و أربطة صحراوية و مع مرور الزمن تطور بعضها إلى مدن و قرى

---

1) **الرَّباطُ** والمرابطة هي ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا، والرَّباطُ هو المواظبة على الأمر ،ومنه قوله تعالى"وصابروا ورابطوا"قيل معناها المحافظة على مواقيت الصلاة، وقيل ترابط الماء في مكان كذا إذا لم يبرحه، وقيل الرباط هو الفؤاد كأن الجسم ربط به، ورجل رابط الجأش أي شديد القلب والصبر.ابن منظور:لسان العرب، ج3، ص1561؛ إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص24.

2) أنشأت الرباطات أول الأمر بالمشرق في مطلع الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن ثغور الدولة ودفع المغيرين والمهاجمين من النصارى، غير أن أربطة المغاربة كانت أكثر نفعا وأبعد أثرا إذ مهمته لا تقتصر على التربص بالعدو على الثغور، بل أصبح معهد علمي تدرس به سائر العلوم وخاصة الدينية، كما يعتبر مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب وهو دار لنسخ الكتب ومستشفى للمرضى. يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 2 ،ص479؛ ومحمد الأمين بلغيث: الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987، ص267؛ ورشيدة برادة: المرجع السابق، ص112.

3) صفية ديب: المرجع السابق، ص250.

4) عثمان الكعّاك: المراكز الثقافية، ص18.

5) نفس المرجع والصفحة .

6) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص292-293.

تجمّع فيها السكان لتوفر الأمن و كسب العيش و طلب العلم [1] و تحول بعضها إلى زوايا دينية للصوفية.

وقد تقام بجانب الرباط أسواق للبيع والشراء وقد تشيد به الدور والمرافق وقد يبلغ من اتساع المرافق والمنشآت إلى أن يتحول إلى مدينة قارة كما حصل في رباط الفتح عاصمة المغرب اليوم التي كانت بالأساس رباطا أقامه عبد المؤمن الموحدي على ساحل الأطلسي وكمدينة تازة التي أسسها أول ما أسسها عبد المؤمن نفسه رباطا ثم أصبحت فيما بعد مدينة[2].

هذا واختلف دور الرباط بين عصري المرابطين والموحدين في تكوين ثقافة الإنسان، فقد كان في عصر المرابطين مؤسسة فرعية ثانوية، بينما في العصر الموحدي تطورت وظيفته من مهام الجهاد إلى الدعوة الموحدية، ونشر الأفكار التومرتية، بل تعدت مهمته لصناعة الحبر والرق والكاغط التي توزع مجانا لطلبة العلم[3].

فالتعليم الرباطي عمليا فوق برنامج الكُتاب، ودون برنامج الجوامع، أي انه جملة من التعاليم البسيطة كالتعاليم السلفية، فالتفسير ظاهر مقيد بخصوص اللفظ لا بمطلق المعنى[4].

ساهم ابن تومرت(ت 524هـ/1129م)بمنهجه التربوي السديد في عصر الموحدين إكمال رسالة الربط التي بدأها أهله المصامدة [5] وطور بساطة التعاليم الرباطية، إذ جعل علم الكلام وعقيدة التوحيد أساسا للثقافة الموحدية، وأنشأ رابطة في بداية دعوته الإصلاحية لتكون مقرا للعلوم [6] حيث عوض ابن تومرت الشيخ الفقيه عبد الواحد عمر التونسي الذي اتجه إلى رباط تلمسان على رباط ملالة[7].

ولا يخفى أيضا ما قامت به الرُّبُط(جمع رباط) في الجانب الثقافي في القرنين السادس والسابع الهجريين خاصة رباط أولاد أمغار الصنهاجيين في تيط، ورباط تينمل دار الموحدين، وأهل مدينة العباد قرب تلمسان حيث مدفن أبي مدين الغوث، في ميدان تثقيف الجماهير المغربية ونشر تعاليم الدين القويم ولغة العرب في مجاهل الأطلس والصحراء[8].

---

1) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء،جامعة قار يونس، ط1، بنغازي، 1998، ص114.

2) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص479.

3) محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص279 ،ص282.

4) عثمان الكعّاك: المراكز الثقافية، ص45.

5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص301.حيث يضيف ابن خلدون أن ابن تومرت كان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة. أنظر: العبر، ج6، ص305.

6) ابن خلدون: العبر، ج6 ،ص303؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص252.

7) ابن القطان:المصدر السابق، ص77؛ وابن خلدون:العبر، ج6، ص166؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص47.

8) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، ط3، الرباط، 1963، ج1، ص129.

أما في المغرب الأوسط فإ ن ببونة(عنابة ورباط أبي مروان العابد الشهير) ومرسى الخزر وشرشال وهنين ووهران(رباط صلب الفتح) [1] بها رباطات واضحة المعالم إضافة إلى رباط بجاية أو ملالة الذي كان فيه عبد الواحد عمر التونسي[2] وزاوية أو رباط الزواوي[3] أما المدينة التي يتضح فيها دور الرباط العمراني فهي مدينة تلمسان[4]من خلال رابطة العباد وزاوية شالة[5].

عرفت المدينة على عهد الموحدين تحصينات ومعاقل حتى أصبحت من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره ووفد عليه الناس من كل أنحاء الغرب الإسلامي فأضحت تلمسان وارثة لحواضر الساحل والداخل كأرشقول وتيهرت، وأهم أماكنها قرية أو رباط العباد، حيث مساجدها عامرة ولها مشاركة في الحياة الدينية والثقافية بقسط كبير فأنجبت الأخيار فكان لها بالبلاد شأن عظيم[6].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الغبريني أن قبر عبد الحق الاشبيلي البجائي(ت 581 هـ/1185م) الموجود خارج باب المرسى، وهو من القبور المزارة المتبرك بها، وكثيرا ما رأيت الطلبة يقرأون تآليفه عند قبره رضي الله عنه، وأما الشيخ المبارك أبو علي الأركشي، فإني ختمت قراءة العاقبة — وهو أحد مؤلفات عبد الحق البجائي— بين يديه على قبره رحمهما الله[7].

كذلك وجد هناك رباط معروف في مدينة أخرى لا تقل عن تلمسان أهمية في العهد الموحدي هي مدينة بجاية، بل ضاهى رباطه رباط العباد استقطابا للطلبة والعلماء وهو رباط أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي، عرف بابن يبكى، من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكى، بداخل باب أمسيون، من أعلى سند ببجاية [8] و بها قبره رحمه الله وقد توفي في القرن السابع الهجري [9] وكان لكل رباط مكتبة مقامة في الجدار على هيئة طاقات في الحائط بها النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف[10].

---

1) لما نزل تاشفين بن علي وهران سنة 539هـ/1145م صعد رباط صلب الفتح، الذي عرف في العهد المرابطي برباط صلب الكلب. مجهول: الحلل الموشية، ص132.

2) ابن القطان: المصدر السابق، ص77؛ ومجهول:الحلل الموشية، ص106.

3) ابن الحاج: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص128.

4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص28.

5) العبدري: المصدر السابق، ص9-10.

6) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص92.

7) أنظر: عنوان الدراية، ص75.

8) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص222.

9) عادل نويهض: المرجع السابق، ص352.

10) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص 293؛ ومحمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 293؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص253.

إضافة إلى رابطة ابن الزيات التي كان يقيم بها عدد من طلبة أبي مدين ، يؤدون فيها أورادهم ومجاهداتهم مثل الصلاة[1] ومع ازدهار الرباطات وانتشار التصوف، كثر الشيوخ و المريدون وأصبح من الضروري بناء زاوية لإيواء الزوار وطلبة العلم، ومن ثَمَّ حلَّ لفظ الزاوية [2] محل الرباط، ويعرف هذا النوع بالزاوية الشعبية التي تعلم وتأوي الزوار وتطعمهم أثناء إقامتهم بها[3].

وأهم الزوايا التي نعرفها في العهد الموحدي الزاوية التي ذكرها الغبريني المعروفة بزاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت 622 هـ/1263م)، حيث كانت تأوي الطلبة ومريدي الشيخ [4] وزاوية أبو حجلة عبد الواحد بتلمسان[5] وزاوية أبو زكريا يحي الزواوي ببجاية (ت611هـ/1215م)[6].

إضافة إلى الزوايا التي أسسها الشيخ أبو محمد صالح الماجري(ت 631 هـ/ 1234م) والتي انتشرت من المغرب إلى مصر وبلغت ستا وأربعين زاوية [7] منها الزاوية الحسناوية ببجاية[8]، التي كانت منارة يتلقى فيها المريدون التصوف على تعاليم أبي محمد صالح الماجري، إضافة إلى زاوية سيدي موسى أو يحي بمنطقة سيدي عيش، التي تأسست بين القرنين 6و7هجريين[9]، وزاوية العلامة الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي(ت670هـ/1271م) بتوات وقبره معروف يزار له بأولاد أوشن، وقد أسس الزاوية سنة581 هـ/ 1185م[10].

فأصبحت الزوايا منبعا للعلم والفقه، ومنبرا للأخلاق والفضيلة وعاملا من عوامل تثقيف المجتمع وتربيته وتهذيبه وإصلاحه [11] هذا و لم يعرف المغرب الزوايا بهذا المعنى إلا بعد القرن الخامس الهجري ف"[12].

---

1)ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي، مطبعة أكدال، الرباط،1965، ص37.

2) الزوايا مفردها زاوية وهي من الانزواء ومعناها الانعزال والخلوة، وزويت بمعنى جمعت ، أو قربت منها، وزاوية البيت ركنه، والزاوية موضع بالبصرة.ابن المنظور: المصدر السابق، ج3، ص1894-1895.

3) رشيدة برادة: المرجع السابق، ص 113.ويضيف بلغيث أنه إثر المنافسة المحتدمة بين الرباط والمؤسسات الأخرى من زاوية ومدرسة ومسجد وجامعات انزوت الرباطات على نفسها، وتحولت إلى مأوى للصوفية. المرجع السابق، ص282.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص162-163؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص57.

5) محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص282.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص137، ص138.

7) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص482.

8)هو أبو الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي مؤسس الزاوية خلال النصف الأول من ق7هـ/13م.الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص131.

9) أمينة بوتشيش: المرجع السابق، ص67.

10) محمد بن عبد الكريم البكري: درة الأقلام، ورقة 6.

11) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص7.

12) يوسف الكتاني : المرجع السابق، ج2، ص481-482.

ث- المدرسة[1]

المدارس هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم و يتولى التدريس فيها معلمون و أستاذة و علماء ويعود سبب ظهور المدرسة إلى كثرة العلوم المتداولة في المسجد، وتشعب مهامه من اجتماعية، ودينية، وعسكرية، وسياسية، فتم إنشاؤها للتكفل بالمهام التعليمية[2].

المصادر التاريخية متضاربة حول فترة ظهور المدارس بالمفهوم الدقيق في بلاد المغرب، فالبعض يرجعها إلى القرن(5هـ/11م)[3] وآخرون إلى القرن(6هـ/12م)، وفريق ثالث للقرن (7هـ/13م)[4] وقد ظهرت المدارس في المشرق ثم انتشرت في كل من بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى بلاد

---

1) **الـمِدْراسُ والـمِدْرَسُ**:الموضع الذي يدرس فيه، والـمِدْرَسُ: الكتاب، والـمُدارِسُ:الذي قرأ الكتب ودرسها، والـمِدْراسُ، البيت الذي يدرس فيه القرآن وكذلك مَدارِسُ اليهود.ابن منظور: المصدر السابق، ج2، ص1360.

2) محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص58.

3) ظهرت أولا في المشرق حيث عرف هذا النوع من المرافق التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور، وذلك بتشييد المدرسة البيهقية في أوائل القرن5 هـ/11م، لكن مع هذا كله أجمعت الدراسات التاريخية على أن الإنشاء الحقيقي للمدارس، واهتمام الدولة بها، لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي نظام الملك(456-485 هـ/ 1064- 1092م) الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد. تقي الدين ابن زيد الجراعي: تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، تحقيق صالح سالم النهام وآخرون، طبع المراقبة الثقافية، الفروانية، ط 1، الكويت، 2004، ص327- 329. كما بنى عدّة مدارس في كل من البصرة والموصل وبلخ وهرات...وعُرفت جميعها بالنظامية لأنها أول مدرسة قُرر فيها للفقهاء رواتب وأجور معلومة.المقريزي:كتاب الخطط، مكتبة الثقافة الدينية، ط 2، القاهرة، 1987، ج2، ص163.أما في بلاد المغرب قام وجاج بن زللو اللمطي(ت 451هـ/1059م) ببناء دار لطلبته في السوس. التادلي: المصدر السابق، ص89. أما في المغرب الأوسط فقد أنشأ الناصر بن علناس في بجاية مدرسة أو معهد للتعليم العالي"التواتي" وكان يضم حوالي 3000 طالب وتدرس فيه كل المواد..مزهودي مسعود وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر، خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص125.

4) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002، ج1، ص141.صفية ديب: المرجع السابق، ص256. أما في المغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية القرن8 هـ/14م حين قلد بنو زيان سلاطين بني مرين في تشييد المدارس والاعتناء بها، والإشراف الشخصي عليها كتعيين المدرسين فيها .عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، 1993، ص111؛ ومحمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص72-73.

بداية من القرن 7هـ/13م سجلت كتب التاريخ أن السلطان الحفصي أبو زكرياء (647 هـ/1249م) قد أنشأ أول مدرسة بالمغرب الأدنى عرفت بالمدرسة الشماعية، والتي سميت فيما بعد بأم المدارس، وكان ذلك فيما بين سنتي(663-674 هـ/1235-1249م). الزركشي: المصدر السابق، ص33.ثم انتشرت حركة تأسيس المدارس إلى المغرب الأقصى، فتم بناء مدرسة الصفارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 675 هـ/ 1276م.الزركشي:المصدر نفسه، ص33؛ والقلصادي: الرحلة ، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص115؛ والونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص162.

المغرب[1].

إلا أننا نؤرخ لفترة مزدهرة علميا وثقافيا وفكريا، نؤكد اعتناء الموحدين ببناء المدارس قبل الحفصيين والزيانيين والمرينيين، وما قامت به تلك الدول ما هو إلا نتاج لتراكم معارف وخبرات سابقة من المرابطين والموحدين[2]، ولو أن مدارس الموحدين"لم يبق لها أثر مادي، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل أسماء ملوكهم وطابعهم الخاص"[3].

ورغم نفي بعض المراجع لظهور المدرسة قبل القرن السابع بالمغرب الإسلامي عامة، إلا أن هناك من يؤكد تأسيسها في العهد الموحدي، وبالضبط على عهد الخليفة المرتضي، الذي أسس مدرستي"القصبة"وجامع المرتضى"وهو جامع ابن يوسف بمراكش" [4]، ومنه انتشرت المدارس بالحواضر الكبرى للدولة الموحدية ومنها المغرب الأوسط.

بل هناك من يذهب أبعد من ذلك حين يذكر أن عبد المؤمن بن علي هو الذي أسس المدارس بمراكش، ثم عممها على كافة المغرب، ومنها المدرسة العامة لتخريج الموظفين وتكوين الإطارات الإدارية"مدرسة الحفاظ بمراكش" [5] والمدرسة التي أسسها في الرباط لتعليم فن الملاحة [6] ولعل هذه المدرسة البحرية هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي[7].

وأقام الموحدون المجمعات العلمية التي تفردت بها مدينة مراكش، عاصمة الموحدين، وهو"مجمع الطلبة"أو ما يطلق عليه"بيت الطلبة"أو"مملكة الطلبة [8]، الذي وضع لَبِنَته الأولى الخليفة عبد المؤمن الموحدي، وهو بيت شبيه"ببيت الحكمة"الذي كان ببغداد، مما ساهم في تنوير العقول وتفتح الأفكار

---

1) لكن في رأيي أن نظام المدرسة عرفه المجتمع الاباضي في المغرب الأوسط قبل غيره من المجتمعات، حيث يقول الشيخ البكري في مقدمة طبقات المشايخ " كانوا يسافرون في قوافل من العلماء بتلاميذهم، ومعهم مدرستهم المتنقلة وهي عبارة عن حمولة 12 بعيرا من الحصر ينصبونها كلما نزلوا مكانا فسيحا آهلا، وتتألف هذه المدرسة من أقسام: قسم للصلاة، وقسم للشيخ، وقسم للنساء، وبيوت للتلاميذ".الدرجيني: المصدر السابق، المقدمة، ص د.

2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص251، 252.

3) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص26-27؛ والمغرب عبر التاريخ، ج1، ص345.

4) اكتشف محمد المنوني وقفية كتابين حبسهما الخليفة المرتضى على مدرستين بمراكش هما مدرسة القصبة ومدرسة جامع المرتضى إلا أن ندرة المعلومات في المصادر الحالية لا تسمح بتكوين فكرة عن هذه المدارس فلا نعرف تاريخ تأسيسها ، بل كل ما نعلم هو تاريخ تحبيس الكتابين على المدرستين المذكورتين سنة 658هـ/1259م.صفية ديب: المرجع السابق، ص 259؛ ورشيدة برادة: المرجع السابق، ص119-120.

5) مجهول:الحلل الموشية، ص150-151؛ والمنوني: المرجع السابق، ص17.

6) إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ، ج1، ص345.

7) صفية ديب: المرجع السابق، ص259.

8) المنوني: المرجع السابق، ص17.

والمدارك للوصول إلى الدرجات العليا من الثقافة العلمية، وإذا علمنا أنه كانت هناك وظيفة يسمى صاحبها رئيس الطلبة، فغير بعيد أن يكون هو عميد هذا البيت[1].

يقدم لنا ابن القطان دليلا على إنشاء عبد المؤمن لمدرسة للطلاب فيها حتى النظام الداخلي، وأجرى على طلبتها الفقراء منحا خاصة بقوله"ومن مكارمه العظيمة...حضه الناس على العلم، وإرادته لهم ولبنيهم ما يريده لنفسه ولبنيه، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان، من أبناء اشبيلية ، وقرطبة، وفاس، وتلمسان، إلى حضرته العليا ليعلمهم، ويحفظهم القرآن وحديث النبي (ε)، فانتخب الأولاد النجباء الحفاظ من كل بلد...فكان عدد الذين توجهوا من اشبيلية خمسين صبيا" [2] و لم يذكر عدد صبيان تلمسان إلا أنه الأكيد يضاهي هذا العدد أو يفوقه.

كما يضيف ابن القطان مبينا إقامتهم في نظام داخلي بقوله"وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة وجباية بالغة، وأستاذاهم المذكوران –أي أبو الحسن نجبة و الأستاذ أبي بكر الحصار –معهم ستة أشهر، حتى بدا عليهم نور الإمامة، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة" [3] رغم أن أغلبها كان يرمي إلى تخريج الجند البارعين، وتثقيف العقول[4].

إضافة إلى قيام يعقوب المنصور ببناء المدارس، في الأندلس والمغرب [5] واختط بعضها خارج مراكش، حيث أنشأ بها خزائن الكتب، ومدرسة المسجد الأعظم بطالعة سلا [6] والمدرسة التي سلمها لأبي العباس السبتي، كما ألحق بالمدارس بيت الطلبة بمراكش والذي امتحن فيه ابن عات(ت 609هـ/ 1212م)في كتاب مسلم، وهو يفيد أنه كان معهدا للمناظرة، وامتحان الواردين من طلاب العلم على مراكش[7].

و يدعم ابن الخطيب مساهمة يعقوب المنصور في إنشاء المدارس، من خلال القصيدة التي أوردها في ذكر ملوك الموحدين كما سماهم، عندما أتى على ذكر المنصور:

وكان ذا علم شهير وعمل   ونال من فعل التقى كل أمل
وشـــيد الآثار والمدارسا   ونــــــــوه القصور والمجالسا[8]

---

1) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص138.

2) ابن القطان: المصدر السابق، ص178- 179.

3) المصدر نفسه، ص 179.

4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص152.

5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص217؛ ومحمد المنوني : المرجع نفسه،ص18.

6) السملالي: المرجع السابق، ج1، ص83.

7) عبد الهادي حسيس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 2، 1981، ص315.

8) ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1895م، ص55.

وفي هذا السياق حرص الموحدون على تشييد المنشآت الثقافية المختلفة ومنها المدارس، ونظموا الحياة العلمية بها ويؤكد كلامنا هذا، ما يشير إليه الحسن الوزان أو ليون الإفريقي عن آثار مدينة مراكش بقوله"في هذه المدينة مساجد ومدارس وحمامات وفنادق على الشكل الإفريقي، من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة –أي المرابطين–ومنها ما بناه من خلفهم ملوك الموحدين" [1] ويدعم قوله مرمول المعاصر للوزان بقوله" توجد قرب هذا الجامع مدرسة عتيقة تدعى أيضا مطرقة العلوم، بناها أيضا عبد المؤمن، كان فيها قديما عدد كبير من الطلبة، مع أساتذة كثيرين، يلقنون الفلك والتنجيم مع فنون أخرى وعلوم الطبيعية، كما كانت تدرس بها العربية والشريعة الإسلامية"[2].

و يضيف الوزان في وصفه لآثار مراكش الموحدية"وفي القصبة أيضا مدرسة في غاية الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة، وسكنى مختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة، وقاعة في الطبقة الأرضية، كانت تعطى فيها الدروس فيما سبق، وكان كل طالب مقبول في المدرسة، يُنْفق عليه، ويكسى مرة في السنة، ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة مثقال حسب نوع الدروس المطوقين بإلقائها"[3].

هذا و لم يكن يُقبل في هذه المدرسة إلا من كان يعرف مبادئ العلوم معرفة تامة، وهذه البناية –أي المدرسة–مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وحيث لا توجد فسيفساء تغطى الجدران الداخلية بزليج من الطين المشوي اللماع المقطع على شكل أوراق رقيقة أو بمواد أخرى بدل الفسيفساء، وذلك على الأخص في قاعة الدروس والممرات المسقوفة، وفناء المدرسة المكشوف كله مفروش بالزليج اللماع...وكان بالمدرسة قديما–أي في العهد الموحدي– حسبما سمعت عدد كثير من الطلبة لكنهم اليوم لا يتجاوزون خمسة"[4].

كما يذكر المراكشي ما ناله الطلبة في عهد المنصور، من عناية –وحسد من شيوخ الموحدين لتقريبه أياهم وخلوته بهم بدونهم– فقال لهم المنصور:"يا معشر الموحدين، أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته، وهؤلاء–يعني الطلبة–لا قبيل لهم إلا أنا، فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلي فزعهم وإلي ينتسبون، فعظم ذلك اليوم أمرهم، وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم"[5].

---

1) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1 ، ص127.

2) مرمول كربخال: المصدر السابق، ج 2، ص49.

3) المصدر نفسه، ج1، ص131-132.

4) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص132. وما يؤكد قولنا أن المدرسة التي كان يصفها تعود إلى الفترة الموحدية استمراره في الحديث عن الخلفاء الموحدين بقوله:"ورغم قلة آثار الماضي الباقية بهذه المدينة، فإنها تدل على الفخامة والعظمة السائدتين في عهد المنصور...لقد كان المنصور الموحدي حقا ملكا عظيما..".نفسه، ج1، ص134.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص199.

ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالمطاعة في سلا، وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة، ثم مدرسة بمراكش حبسها المنصور مع دار للسكنى على أبي العباس السبتي[1] ولا نستبعد أن تكون في كل جامع أعظم في الولايات الرئيسية مدرسة تابعة له، كجامع تلمسان، وبجاية.

ولعلها المدرسة التي وصفها الوزان بمراكش بقوله"ويوجد أيضا بعيدا من هنا قصر جميل آخر، كان يستعمل مدرسة لأبناء الملك، وأبناء أسرته، ترى فيه قاعة مربعة في غاية الحسن، يحيط بها ممر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملون، وحول القاعة خزانات كثيرة مصنوعة من الخشب المزخرف بنقوش مذهبة"[2].

هذا إضافة إلى مدارس أخرى كانت منتشرة في المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط، خلال هذه الفترة، نظرا لعدم شهرتها كمدارس حاضرة الموحدين لم تتطرق إليها كتب التاريخ، أو لتركيز أغلب المؤرخين على عاصمة الموحدين، وقد تطرق إليها مؤرخون متأخرون عاشوا الفترة الزيانية كابن مرزوق، الذي تحدث عن المدرسة في تلمسان، وعن كل الملحقات التي تتبعها كالجناح الخاص لإيواء الطلبة الغرباء والفقراء وعابري السبيل منهم[3].

لقد حرص الموحدون على استجلاب العلماء إلى حضرتهم وحشدهم سواء في بلاطهم، أو في المعاهد من أهل كل فن من فنون المعرفة، وخاصة أهل علم النظر منهم، حيث كانوا يدققون في اختيار العلماء المدرسيين، واختبار كفاءتهم، ومدى تمكنهم وتوسع مداركهم ومشاربهم[4].

ومن أجل أن تؤدي المدرسة دورها التعليمي على أحسن وجه خلال هذا العهد وُفرت لها الإمكانيات، فاشتملت على قاعات لمجالس المحاضرات، وأماكن لإقامة الطلبة وعين فيها المدرسون والمشرفون على المكتبات الملحقة بها[5]، كما خصصوا منحا للطلبة خاصة الفقراء منهم، ويوضح لنا ابن القطان ذلك بقوله"هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء، والإقلال عليهم ظاهر، فنرى أن ندفع إليهم مالا..."[6].

---

1) السملالي: المرجع السابق، ج1 ، ص269.

2) الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج1، ص133.ونستدل أن الآثار التي يتحدث عنها الوزان تعود إلى الموحدين، بقوله:"لم يضر مراكش من هذه التغيرات في الحكم أكثر مما أضر بها بنو مرين الذين استقروا بفاس وأقاموا فيها بلاط ملكهم". نفسه ، ج1، ص130.أي أن آثار القصور التي يصفها وبداخلها مدرسة تعود إلى الموحدين باعتبار إهمال بني مرين لها.

3) محمد ابن مرزوق الخطيب: المجموع، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم 20، ورقة 38.

4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص71؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص1.

5) مرمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص52.حيث يضيف"إلى الجانب الآخر للقصر الملكي، بناية أخرى عظيمة على الطراز القديم كانت تستعمل كمدرسة لأبناء الملك وأكابر الأمراء، فيها قاعة كبيرة جميلة مربعة تحيط بها من كل جانب رفوف أو خزانات لحفظ الكتب"نفسه، ج2، ص52.

6) ابن القطان: المصدر السابق، ص177.

كما وُقفت على المدارس عدة مصادر مالية من قبل الولاة-أحباس الدولة الموقوفة- أو ميسوري الحال من أهل المغرب، وحبست الكتب والمصاحف في مكتباتها خدمة لروادها، وذلك بهدف ضمان استمرارية منحها الموجهة للطلبة، وأجور الأساتذة، حتى أصبحوا يعيشون على نفقة المدرسة الغنية جدا-على تعبير مرمول-لأن أفضل ممتلكات المدينة كانت لها[1].

كان التعليم الثانوي أو الاحترافي يتم في المدارس [2]، فبعد أن يتمكن الطلاب من حفظ القرآن الكريم والإلمام بمبادئ المواد الأساسية الأخرى، كالخط والكتابة واللغة، وعلم القراءات في المرحلة السابقة التي تتم في المساجد والكتاتيب، نجدهم في هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية، وكذا أصناف العلوم المعروفة آنذاك من العلوم الدينية كعلم التفسير والقراءات [3] ومعرفة علوم الحديث والفقه المالكي –عند عامة الشعب- [4] والظاهري-عند الطبقة الحاكمة- [5] وسنفسر المذهبين وحالة الصراع بينهما في الفصول التالية، وعلم الفرائض مقرون بعلم الحساب [6] ثم علوم اللغة العربية وآدابها[7].

عندما أنشاء الموحدون المدارس قاموا باستدعاء أبرز العلماء للتدريس فيها، مما سمح لهم بتوجيه نمط التعليم بالمغرب الأوسط، وكان يدرس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة مختصون ومشهود لهم بالتفوق في مختلف المواد العلمية، سواء النقلية أو العقلية، وقد أوردت كتب التراجم العديد منهم.

بذلك يعد بناء المدارس في هذا العهد من مظاهر التقدم العلمي، وقد أصبح تقليدا متبعا حتى من أفراد الشعب[8] أما أول من أسس مدرسة خصوصية بالمغرب على النموذج الشرقي، فهو عالم من سبتة يدعى علي بن محمد الشاري [9]، ويحدثنا عنه صاحب صلة الصلة بقوله:وكان قد تحصل عنده من الأعلاق النفيسة، وأمهات الدواوين العلمية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره، ولا تحصل عند كثير

---

1) مرمول كربخال: المصدر نفسه، ج2، ص49.

2) يذكر شيخنا الكريم عبد الرحمان الجيلالي أن من بين طلبة المغرب الأوسط محمد بن حسون الجزائري الذي نزل إشبيلية، وانخرط في سلك طلبة معهد بني نجران.تاريخ الجزائر، ص39.

3)الغبريني: المصدر السابق، ص146؛ والمقري: المصدر السابق، ج2، ص189؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص320.

4) التادلي: المصدر السابق، ص428.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ ومحمد المنوني: المرجع السابق، ص37.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص227.

7) نفسه، ص85، ص225، ص228؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)،ج2، ص648.

8) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص138.

9) هو علي بن محمد بن علي بن يحي بن عبد الله أبو الحسن، سبتي، شاري الأصل-منطقة الشارة بشرق الأندلس- وانتقل منها أبوه سنة 562 هـ/1166م، وولد سنة571 هـ/1170م بسبتة، اقتنى من الدواوين شيء عظيم، وتوفي في ملقة سنة 649هـ/1251م؛ وابن الأبار: التكملة، السفر الثاني(طبعة مدريد)، ص 687؛ وابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص485-486.ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974، ص485- 486.

ممن تقدمه، وبنى مدرسة ببلده سبته ووقف عليها من الكتب ما يحتاج إليه، وشرع في تكميل ذلك على النسق الجاري بالمدارس ببلاد المشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن[1].

فنشط أهل العلم قاطبة، بإدرار الخلفاء الرزق عليهم، وشملوهم بعنايتهم وخالطوهم في مجالسهم، وأنشأوا المدارس وكفوا طلبتها مؤنة الاسترزاق[2].

وكان للعلماء والفقهاء والمتصوفة والمعلمين يد بيضاء وأعمال ناصعة، في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية، في مدارس تلمسان العديدة ومساجدها الكثيرة وزواياها، وباع طويل في نسج التراث الإسلامي، وتركوا بصمات فكرية رائدة وحركة تنويرية واسعة للعلوم الإسلامية والمعارف المختلفة[3].

حيث ذكر الغبريني أن محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي [4] عندما عاد من رحلاته استقر ببجاية وجلس للأستاذية مرفعا مكرما [5]، وهو منصب الأستاذ الذي لا يقال إلا للمدرس الذي يشتغل في المدرسة، وحتى كلمة مرفعا مكرما تدل على الرفعة في المكانة، والكرم عليه من خلال راتب وهبات و مكانة من الوالي أو ما شابهه.

كما أن عبد الله بن محمد بن علي الأشيري(ت 561 هـ/1165م)، عندما وصل حلب ونزل عند محمود الغزنوي، أصبح معه مدرسا بمدرسة الحلاويين ظاهر باب الجامع وأقام عنده إلى سنة559هـ[6] وهذا يدل على معرفة وإطلاع أهل المغرب الأوسط على المدرسة ونظامها والتدريس بها حتى قبل الدولة الزيانية.

---

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص197.

2) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د ط ،ج 2، ص335.

3) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص7.

4) هو الشيخ الفقيه المالكي النحوي والأستاذ المقرئ، أبو عبد الله بن محمد المعافري، القلعي المعروف بابن الخراط، أحد الثقات، الإثبات، الصلحاء الرواة، قرأ بقلعة بني حماد، ولقي بها مشايخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي، والأستاذ أبو الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي، وأخذ عن الخطيب المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، والفقيه الفاضل الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرماح، وغير هؤلاء انتقل إلى بجاية واستوطنها وأقرأ بها، وجلس للأستاذية، وانتفع الناس به. الغبريني: المصدر السابق، ص140،وقد خطب بالجامعين الأعظم، وجامع القصبة و توفي مع بداية القرن7 هـ/13م.عادل نويهض: المرجع السابق، ص131.

5) الغبريني: المصدر نفسه، ص140.

6) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص138-139.

والفقيه التلمساني إبراهيم بن أبي زكريا يحي بن محمد بن موسى التجيبي [1] (ت663هـ/1264م) المالكي العدل أبو إسحاق [2] عندما توجه من مكة إلى مصر درس في مدرسة بني عوف بالإسكندرية، وأقرأ وأفتى وصنف"شرح الجلاب"[3]، انتفع به الطلبة كثيرا[4].

كذلك فعل أبو علي الحباك [5] من أهل تلمسان حينما كان يجمع تلاميذته في بيته للتدريس، رغم قلة أمواله وإمكانياته حيث لم يستطع حتى توفير لهم حصير للجلوس عليه [6] أما أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح (الجزائري) الذي جال في أنحاء الأندلس، ثم عاد إلى بجاية سنة 623 هـ/1226م[7]، واشتغل بالتدريس بها [8]، وإيراد الغبريني لكلمة إشتغل بمعنى أنه كان يمارس شغلا منظما هو التدريس، وهذا يعني وجود نفس المدارس التي وجدت في عهد الغبريني، الموافق للعهد الزياني والمريني.

وما من شك في أن كثرة المدارس والمساجد التي أنشأها الموحدون، كان لها أكبر الأثر في تخريج أجيال كثيرة من العلماء منهم عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي الذي نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة عام636 هـ/1238م، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس والرواية[9] وكان ذا حضوة من قبل ولاة بني عبد المؤمن ببجاية [10] وكذلك أبو محمد المحاصي البكاء [11] من أهل الحديث والدين والورع، زاهد، كثير البكاء حتى اشتهر به، ذو مواعظ حسنة وتدريس للعلم[12].

---

1)ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ط 1، القاهرة، مصر، 1984، ج1، ص186.

2) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2008، ج2، ص518.

3) الحسيني: المصدر السابق، ج 2، ص 518.أما عند الذهبي وابن تغري بردي"شرح الخلاف".تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج49، ص144.

4) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج1، ص 186.

5) هو الشيخ أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك.ابن مريم: المصدر السابق، ص114. قدم مراكش، ثم توجه إلى مكة فغرق في بحر المشرق في حدود سنة 613 هـ/ 1216 م. التادلي: المصدر السابق، ص436.

6) التادلي: المصدر نفسه، ص436.

7) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص177؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28- 29.

8) الغبريني: المصدر نفسه، ص225.

9) الغبريني: المصدر نفسه، ص271.

10) نفسه، ص271-272.

11) هو عبد الله بن عبد الواحد المحاصي البكاء، توفي سنة 641هـ/1234م.ابن مريم : المصدر السابق، ص121؛والمقري: المصدر السابق، ج5، ص229-231 .

12) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص106.

ولما توفي حجاج بن يوسف الهواري البجائي [1] سنة572هـ/1176م، صلى عليه السلطان وحضر دفنه"وقد نال جاها عظيما في حياته[2] وهذه كلها تبين لنا مكانة المدرسين والمعلمين.

كما تبين لنا كتب البرامج والفهارس، بعض المواد الدراسية التي كان يعتمد عليها شيوخ المغرب عامة-و لا يختلف عنها المغرب الأوسط- في تلقينها بالمدارس، حيث كانت تعتمد على مواد الدراسة القرآنية، التي تبتدئ مع الصبي، وتستمر إلى وقت غير محدود [3]، وتقسم مادة النص القرآني إلى مستويات ثلاثة تتعاقب فيمثل كل مستوى منها مرحلة من مراحل الدراسة التي يمارسها الطالب وهي:

*مرحلة حفظ القرآن واستظهاره عن ظهر قلب في الكتاتيب، وهي أول المراحل التعليمية عند الطالب، وهي لا تتناول حفظ القرآن إلا برواية ورش [4]، حتى إذا اكتمل حفظ القرآن بهذه الرواية، زاوج الطالب بينها وبين حفظ متون العلوم المختلفة في علوم القرآن[5]، والنحو واللغة والفقه وغيرها.

* مرحلة أخذ مصنفات علم القراءات حفظا وبحثا وتحقيقا، وهي مصنفات عديدة تتناول الضبط والرسم والتجويد والإدغام ومخارج الحروف، بالإضافة إلى القراءات، وخلالها يبدأ الطالب في عملية الإسناد، وهذه المواد يستكمل بها الطالب معرفته بالنص القرآني ورواياته الشهيرة[6].

* مرحلة أخذ القرآن بالتفسير والفهم ويتم ذلك من خلال مجموعة من المصنفات —التفاسير— وكتب شرح غريب القرآن، وأحكام وإعرابه وناسخه ومنسوخه، وهي عملية يصحبها ملازمة الشيخ والجلوس إليه، مع أخذ بقية المواد الأخرى من حديث وفقه وأصول ونحو ولغة...الخ ويتقرر في هذه المرحلة التخصص الذي يرغب فيه الطالب المغربي لاستكمال دراسته[7].

هذا كله يعتبر حد أدنى ذكرته البرامج والفهارس، وكأنه مقرر شبه رسمي يأخذ به الطالب المغربي في مختلف مراحله التعليمية، وأهم كتب التفسير التي كان شيوخ المغرب الأوسط يقدمونها لطلبتهم، منها

---

1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص 138؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص336-337.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد) ج2، ص279؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص150.

3) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص430.

4) الوادي أشي: المصدر السابق، ص 43 وورش هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن سليمان بن إبراهيم —وقيل عدي بن غزوان— بن داود بن سابق أبو سعيد—وقيل أبو القاسم— أبو عمر القريشي مولاهم القبطي المصري الملقب بورش، شيخ المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين، ولد سنة110هـ/728م بمصر، وتوفي بها سنة197هـ/812م وقيل أن الورش شيء يصنع من اللبن لقب به لبياضه.ابن الجزري: المصدر السابق، ج 1، 446-447.

5) منها قصيدة الحصري(هو الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري القروي الحصري، وهي مئة بيت وتسعة أبيات، ت 488 هـ/1075م). التجيبي السبتي: برنامجه، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981، ص42؛ وابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1989، ج 2، ص627. وقصيدتا الشاطبي حرز الأماني ، وعقيلة أتراب القصائد.عبد الله المرابط الترغي : المرجع نفسه، ص431.

6) نفسه، ص431.

7) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص431.

تفسير أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بعنوان"الكشف والبيان في تفسير القرآن"وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل تأليف أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي وكتاب الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري[1].

وأكيد أن ما جرى في حواضر العدوة، جرى في حواضر المغرب الأوسط من تدريس للغة العربية والنحو وأهم الكتب التي كانت تدرس كمنهاج متعارف عليه كتاب سيباويه(ت 180هـ/ 796م)[2]، وكتاب الجمل للزجاجي(ت 339هـ/950م)[3]، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي(ت377هـ/987م)[4] إضافة إلى كتب ومؤلفات أخرى نذكر منها:

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص310-311.يقول صاحب الذيل أن أول من أدخله في الدولة الموحدية في حدود 595 هـ/ 1198 م هو أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي من أهل اشبيلية، وقد عارضه مالكية المغرب نظرا لاعتزاليته، إلا أنهم عرفوا كيف يتعاملون معه، بغض الطرف عن اعتزاليته وأبعدوا عنه ما يخالف عقيدة أهل السنة واحتفظوا منه بما أثار إعجابهم فيه من البحوث اللغوية والكشوفات العقلية. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 28-32؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص442.

2) كتاب سيباويه يعتبر أول المصنفات النحوية الكبيرة الأكثر رواجا في تدريس النحو بالأندلس والمغرب الإسلامي، به يلقن النحو وبه تتم المناظرة ، وأكثر الشروح والتعليقات النحوية عند الأندلسيين والمغاربة إنما تنطلق من الكتاب وأول من حمل الكتاب هو الأقشتين ومحمد بن يحي الرباحي.عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 448-449.وينتشر درس الكتاب، ويكثر تعاطيه في كل الحواضر ففي بجاية يدرك الغبريني الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي، الذي نقله بدوره عن أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، وقد أخذه عن محمد بن عبد الرحمن بن معمر المالقي الأزدي وأبي الحسن الصفار، عن أبو بكر محمد بن هشام القيسي عن محمد بن فتحون بن مكرم التجيبي، عن محمد بن يحي الأزدي عن أبي جعفر ابن النحاس، عن أبي إسحاق الزجاج، عن أبي العباس المبرد.الغبريني: برنامجه الوارد في عنوان الدراية، ص318.

3) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ألف عدة كتب مهمة منها الجمل، و الإيضاح وكتاب شرح خطبة أدب الكتاب لابن قتيبة.ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط 3، الأردن، 1985، ص227. ودخلت جميع كتب أبي القاسم الزجاجي بما فيها الجمل بالمغرب والأندلس عن طريق المقرئ أبي الحسن الأنطاكي(هو علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر من أهل أنطاكية، ولد سنة 299هـ/911م، وقدم الأندلس سنة 352هـ/963م، وتوفي بقرطبة سنة377هـ/987م. لاحظ ترجمته عند ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، د تح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ج1، ص316)؛ والغبريني: المصدر السابق، ص319.كما يحدثنا القلصادي عن درس الجمل بتلمسان على شيخه محمد الشريف.رحلة القلصادي: المصدر السابق، ص100؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص454.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص318.هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي النحوي، له كتب حسنة منها الإيضاح في النحو وكتاب الحجة في علل القراءات السبع وكتاب المقصور والممدود، وكان له مكانة كبيرة عند عضد الدولة ابن بويه الديلمي(ت372 هـ).ابن الأنباري: المصدر السابق، ص232-233. وكتاب الإيضاح متوسط يشتمل على مائة وستة وتسعين بابا في النحو والصرف، ألفه صاحبه لعضد الدولة، وقد دخل كتاب الإيضاح إلى المغرب الأوسط نقلا عن أبي الحسن التبريزي(وهو بغدادي مكث في الأندلس أربع سنوات، ثم قفل إلى المشرق سنة 424هـ) وعن طريق أبي بكر بن العربي المعافري.الغبريني: المصدر نفسه، ص318؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص457.

كتاب القانون"الكراسة الجزولية"لأبي موسى الجزولي(ت 607 هـ/1210م)[1] وكتاب المفصل للزمخشري(ت538 هـ/1143م)[2].

أما مواد الدراسة الأدبية التي تمثل جانبا من الثقافة التعليمية التي يأخذ بها الطالب في مختلف مراحله التعلمية، فبها يكمل البناء للتكوين العام في المغرب الأوسط، شأنها كشأن بقية مواد العلوم المختلفة الأخرى، تتضافر جميعها لتصنع هيكل الثقافة المغربية، تتمازج مع بعضها وتتداخل لتصبح رصيدا واحدا من المهارة الفكرية، وتهيئته للكتابة الأدبية، سواء في مجال التبويب والتأليف، أم في مجال الإبداع ككتابة الخطب والرسائل وقرض الشعر.

كما تعددت المصنفات الأدبية التي يؤخذ بها هذا الدرس، وتنوعت موادها المختلفة، من مصنفات أدب ومجاميع أشعار، وكتب لغة ونحو، وفوائد وأخبار...الخ، تنتمي إلى مؤلفين مشارقة وأندلسيين ومغاربة، وتتفاوت أزمنة تأليفها[3].

ومن أهم هذه المصنفات الأدبية، والأكثر شيوعا، والتي كانت تمثل مواد الدراسة الأدبية في المغرب الأوسط خلال هذا العهد، وهي تقوم عليها حلقات الدرس حفظا وبحثا وتحقيقا وتدقيقا وإعرابا، الكامل للمبرد (ت 285 هـ/ 898م)[4]، وأدب الكتّاب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ/889م)[5] وكتاب المقامات لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري(ت516 هـ/1112 م)[6]

---

1) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير، تحقيق ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م، ص53-54؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص246-254؛ والسملالي: المرجع السابق، ج 9، ص404.وقد أخذ عنه الجزولية عند مقامه بجزائر بني مزغنة محمد بن قاسم بن منداس البجائي، الجزائري، الأشيري (ت 643هـ/1245م)والتزم بتدريسه ببلده الجزائر إلى غاية وفاته.ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص753-754.؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص462.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص318؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص442.

3) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص474.

4) صنف عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561هـ/1165م) كتاب هذّب فيه الاشتقاق الذي صنفه المبرد، وقد ذكر القفطي بأنه رآه بخط يده فأحسن فيه.الغبريني: المصدر السابق، ص 225. والكامل كتاب عرفه الأندلس والمغرب منذ عصوره المبكرة، و هو من أشهر كتب المبرِّد واجلها شأناً، والكتاب مجموعة من المختارات الأدبية يهتم من خلالها المبرّد بشرح المشكلات اللغوية والنحوية التي تثيرها تلك النصوص والى جانب تلك المختارات الأدبية يضم الكامل مادة غزيرة في التاريخ واللغة والأدب والنحو.لمزيد من المعلومات راجع مقدمة كتاب الكامل:تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان، 1997، ج1،ص7-28.

5) القاضي عياض:الغنية، فهرست شيوخه، تحقيق ما هر جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، لبنان، 1982، ص175؛ والغبريني: المصدر السابق، ص319.يرد في بعض النسخ أدب الكاتب، على غرار ما حققه محمد الدالي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت.

6) لم يبلغ كتاب من كتب الأدب في العربية ما بلغته مقامات الحريري من بُعد الصيت واستطارة الشهرة، ولم يكد الحريري ينتهي من إنشائها حتى أقبل الوراقون في بغداد على كتابتها، وتسابق العلماء على قراءتها عليه، وذكروا أنه وقَّع بخطه في عدة شهور من سنة (514هـ/1110م) على سبعمائة نسخة، وبلغ من شهرتها في حياة الحريري أن أقبل من الأندلس فريق من علمائها لقراءة المقامات عليه، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظًا ومدارسة وشرحًا- مقدمة شرح مقامات الحريري للشريسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، ج1، ص3.

لقد نالت قصيدة المنفرجة لأبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي، المتوفى سنة 513هـ/1119م بقلعة بني حماد اهتمام العامة والخاصة، حيث أصبحت أثرًا يستعين به كلما حلت بهم النوائب، وقد قام الفقيه أبو محمد عبد الله الحضرمي(ت 636 هـ/1238م) لما أدخله الموحدون السجن في قسنطينة بتخميس هذه القصيدة[1]، مما يبين استمرارها وتأثيرها، وقد قال عنها الغبريني:"مازالت هذه القصيدة معلومة الإفادة ظاهرة الزيادة"[2].

ولعل قائلا يقول وما مصير **المرأة بالمغرب الأوسط** في هذه النهضة الشاملة الكاملة، وهي التي إذا عدمت مشاركتها في عمل ما يعتبر غير كامل و لا شامل، والجواب هو لم يهمل الموحدون المرأة بل كانت لها مكانة علمية وحق التعلم، فمنهن حتى العالمات والصوفيات، حيث كانت بيوتات العلماء والفقهاء وقصور الخلفاء أيضا مراكزا لتعليم المرأة فكانت تأخذ العلم عن والدها أو أحد أقاربها، أو مؤدب يدعى لها[3].

كما أخذت المرأة الموحدية في المغرب الأوسط، بأسباب النهوض، بل تعطينا أمثلة رائعة لمساهمتها في ضروب النشاط الفكري بإطلاق من علمي وأدبي، فمن الأسماء اللامعة التي عرفت بصفتها العلمية السيدة زينب ابنة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، تزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص، أخذت عن عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة الشفوف على نساء زمانها متحدثا بنباهة شأنها[4].

منهن كذلك حفصة بنت الفقيه العادل أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي، قارئة كاتبة لها معرفة جيدة بالفرائض، وكانت تحفض الكثير من فتاوى أبيها، تزوجها القاضي أبو بكر محمد بن علي الغساني المرشاني، ولدت سنة519 هـ/1125م وتوفيت بغرناطة ولا ندري سنة وفاتها[5].

وكانت لعمارة بن يحي بن عمارة البجائي(كان حيا سنة 585هـ/1189م) ابنة تسمى عائشة، كانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة وشاعرة مهمة [6] لها خط حسن، حيث أعادت نسخ كتاب الثعالبي [7] بخطها في ثمانية عشر جزءا، وفي خاتمة كل سفر منهم قطعة من الشعر من نظم والدها[8].

---

1) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 2، 2004 ، ص25.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص272.

3) صفية ديب:مرجع سابق، ص186.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص486- عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1 ، ص144.

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص566-567.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص78-79.

7) الثعالبي هو أبو منصور الثعالبي المتوفي سنة429 هـ/1037م وكتابه هو يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر.رابح بونار:هامش عنوان الدراية، ص79.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص79.

وأم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحي بن خلصة الحميري الكتامي، من أهل المغرب الأوسط، هاجرت عائلتها إلى قرطبة، وكانت أديبة شاعرة ، وقف صاحب الذيل والتكملة على خطها بالإجازة، وتوفيت بمالقة سنة640هـ/1242م أو نحوها[1].

ج- المكتبات (العامة والخاصة)

قامت الدولة الموحدية على أساس العلم كما هو معلوم، إذ أن مؤسسها محمد بن تومرت نشأ طالبا للعلم محبا له، محفزا عليه باقي أتباعه المخلصين [2] وعند استقرار دولتهم كان نشر العلم وتعميمه أبرز السمات التي اشتهرت بها الدولة الموحدية طول عمرها، وخاصة في عهد عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب.

إن مما يتصل بالحديث عن أماكن العلم، في المساجد والمدارس فكذلك المكتبات، وهي أماكن حفظ الكتب، وترتيبها، لتسهيل الإطلاع عليها، والبحث فيها، ولنا من شواهد تاريخية، وإشارات كثيرة ومتنوعة عن هذا الجانب بالمغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية[3].

ومن بين ما اهتم به الخلفاء إنشاء المكتبات والخزائن العلمية، سواء في قصورهم أو في الأماكن العامة، وتزويدها بمختلف الدرر العلمية التي كانت تصدر في جميع أنواع العلوم والفنون [4] ويذكر ذلك المراكشي بقوله"فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، رأيته في خزانة بني عبد المؤمن"[5].

بذلك حرص الموحدون على تدعيم العلم والعلماء، بإنشاء المكتبات اللازمة لهم، وكانت هذه المكتبات ركائزا قوية للحركة الفكرية في الدولة الموحدية، فعرفت خزائن الكتب إبان حكمهم ازدهارا كبيرا وانتشارا أكثر، إذ أصبح لكل أمير ولاية من الولايات الموحدية سواء في المغرب الأقصى أو في المغرب الأوسط، أو في الأندلس، مجلس خاص به، وكتاب وشعراء ملازمون له، ونفقت سوق الكتب بازدياد نشاط حرفة الوراقة والنساخة[6].

---

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص481-482.

2) ابن خلدون:العبر، ج6، ص301.

3) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص40.

4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص251.

5)عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131. وكان يتحدث عن كتاب قرضة الذهب في ذكر لئام العرب لرجل أندلسي يقال له مالك بن وهيب وهو الذي ناظر ابن تومرت وطلب من أمير المرابطين علي بن يوسف بقتله.أنظر: المصدر نفسه، ص130-131.

6)محمد سعيد حنشي: تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، العدد 72 ، ديسمبر 2010، ص171.

جرت العادة في المغرب أن تكون دور الكتب بالمساجد والأربطة والمدارس، وأعظمها ما يكون عند الحاكم، فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ)/(1162–1184) اشتهر بأنه جمع الكتب ووضعها في الخزانة العامة، وكان شغفه وحبه لاقتناء الكتب يتعدى جمع الكتب المتوفرة على الساحة، إلى الاقتراح بتأليف كتب، في مواضيع معينة، كاقتراحه على الفيلسوف ابن رشد(ت595هـ/1198م) أن يصنف له كتابا يشرح فيه فلسفة أرسطو طاليس [1]"..حيث يذكر غموض أغراضه ويقول:لو وقع لهذا الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقَرُبَ مأخذُها على الناس، فإن كان فيكَ فضلُ قوةٍ لذلك فافعلْ...قال أبو الوليد:فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس"[2].

كان لا يفوت الخليفة يوسف أن يستعرض مع جلسائه المؤلفات التي ألفت في عصره، ويأمر باستنساخها، لصالح خزانته الخاصة، فيشجع بذلك الناس على اقتنائها والإطلاع على قيمتها العلمية[3].

و لم يزل يوسف بن عبد المؤمن، يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله، من ملوك المغرب[4].

كما سار الخليفة يعقوب المنصور(580-595هـ)/(1184–1198م) على نفس منوال أبيه وجده عبد المؤمن، فشجع التأليف ونشر الكتب، وراقب الحركة التأليفية عن كثب حيث كان يسأل عن المؤلفات الجديدة التي ظهرت في أطراف مملكته الشاسعة، أو في مناطق أخرى ويأمر بنسخها ويودعها خزانته، التي كان يحرص على أن تزخر بالدرر والنفائس التي امتاز بها العهد الموحدي الزاهر[5].

أما الملفت للانتباه أن الأمر لم يكن مقتصرا على الخلفاء الموحدين وحدهم في الاهتمام بالخزانات العلمية والعمل على ازدهارها، بل تعداها إلى ولاتهم على الأمصار الذين كان لهم الفضل الكبير في تنشيط الحركة العلمية عن طريق إنشاء المكتبات في قصورهم، وسنقتصر على من لهم علاقة بالمغرب الأوسط، ومنهم أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن الكومي، الذي ولي اشبيلية، فقد كانت له خزانة كتب كبيرة حرص على تزويدها بمختلف الكتب في كافة فروع العلم، وقد رتب فيها عددا من النساخ تفرغوا لنسخ ما يريده من كتب لإيداعها في هذه الخزانة[6].

---

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص172؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2 .

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131.

3) المصدر نفسه، ص 168؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2 .

4) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص169.

5)نفسه، ص198-199.

6) العريني يوسف: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبعة الملك عبد العزيز، الرياض، 1995، ص136.

وقد أورد الغبريني، أنه رأى كتابًا من جملة الخزانة السلطانية ببجاية [1]، وهو لا شك يتحدث فيها عن الفترة الحفصية، إلا أن المتأكد أن والي بجاية الحفصي قد حافظ على خزانة الكتب التي ورثها عن الموحدين.

كما كان للمكتبات التي أسسوها، وحرسوا على توسيعها في قصورهم دور في توفير الكتب لطلاب العلم ومحبي العلوم، وهذه المكتبات، إن كانت خاصة وأقل عمومية من مكتبات المساجد، إلا أنها خدمت الحركة العلمية ونشطتها لأنها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء، ومن أشهر المكتبات على هذا الشكل تلك التي أنشأها والي غرناطة من قِبل أبي يعقوب الموحدي"يوسف بن محمد بن إبراهيم (ت596هـ/1199م)"[2].

بلغ الاهتمام بالكتب والمكتبات إلى حد نزع ملكية المكاتب من أصحابها خشية ضياعها، مع تعويضهم عنها والاحتفاظ بها في مكتبتهم من أجل صيانتها والاعتناء بها [3] ولقد كانوا يفضلون مطالعة الكتب على غشيان الناس في مجالسهم، ويعتقدون الأنس بها أقرب إلى القلب من الأنس بذوي الجاه والسلطان[4].

كما وصل اهتمام الخلفاء بجمع الكتب حافزا وباعثا على حرص العلماء الذين يعيشون في كنفهم على إهداء ما يؤلفونه لهم لإيداعه في خزائنهم، وتذكر المصادر أنهم كانوا يتسابقون في هذا الإهداء لعلمهم بحب الخلفاء للعلم وللجديد الذي يصدر في مختلف ضروب المعرفة، كما كانت الكتب أيضا ترِد على شكل هدايا من الحكام الذين عاصروا الدولة الموحدية، كالقائد صلاح الدين الأيوبي(564-579هـ)/(1168م-1183م) الذي أهدى للخليفة يعقوب المنصور مصحفين كريمين، من أجل وضعهما في خزانته العامرة[5].

وازدهرت في هذا العصر أيضا خزائن الكتب الخاصة ومن أشهرها خزانة كتب أسرة بني الملجم، وهم بيت مروءة وأصالة في العلم والدين منهم عيسى وعبد الرحمن بن عيسى الذي"كانت له خزانة

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص79.

2) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص64-65؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 168 حيث يقول"أخبرني أبو محمد عبد الملك الشذوني، أحد المتحققين بعلمي الطي وأحكام النجوم قال:كنت في شبيبتي أستعير كتب هذه الصناعة من رجل كان عندنا بمدينة إشبيلية، اسمه يوسف ، يكنى أبا الحجاج، يعرف بالمرابي...فكان يعيرني إياها في غرائر، أحمل غِرارة وأجيء بغرارة، فأخبرني في بعض الأيام أنه عدم تلك الكتب بجملتها، فسألته عن السبب الموجب لذلك، فأصر إلي:إن خبرها أنهي إلى أمير المؤمنين–يوسف– فأرسل إلى داري...فجاء كافور الخصي، ودخل هو بنفسه إلى خزانة الكتب فأمر بإخراجها..وولوه بعد أخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ماكان يحدث بها نفسه".أنظر: المعجب، ص168–169.

4) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص40.

5) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، 1962، ج2، 173؛ وابن عذارى: المصدر السابق، ص209؛ وابتسام مرغي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، 1985، ص159.

دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها" [1] كما كانت لابن الرمامة مكتبة مهمة يصفها صاحب المستفادبأن كتبه " ممدودة على ألواح مرتفعة بعضها فوق بعض وعليها الكتب ، وبين يديه كرسي عليه أسفار جديدة"[2].

كما كان للشيخ أبي حفص بن عمر الهنتاتي [3] هواية كبيرة في جمع الكتب ومطالعتها"واقتنائها و انتساخها، حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة خاصة عالية الفنون"[4].

وخزانة كتب العالم الفقيه محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني الكومي[5]، (ت 625 هـ/ 1227-1228م)[6] كان حافظا متكلما، متفننا في علوم جمة، بارع الخط، جماعة للكتب الجليلة والمفيدة والنفائس النادرة[7] قال عنه ابن عبد الملك المراكشي"كان جماعة للكتب الجليلة مغاليا في أثمانها، احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد، من أبناء جنسه، كثرة ونفاسة، وكتب بخطه الكثير وعنى بتصحيح كتبه[8] كما ذكره ابن الزبير بأنه"عنده أعلاق نفيسة من أمهات الدواوين، وأصول رفيعة"[9].

إضافة إلى خزانة كتب الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري، وهو أول من أدخل كتاب"الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"إلى العدوة نسخة بخط يده، فكان ينسخ الكتب، بارع الخط[10].

كذلك مكتبة عبد الحق الاشبيلي البجائي، والتي نهبت عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض دولة اللمتونيين، حيث نهب منها كتابه الصحيح والمعتل، وكتاب جامع الكتب الستة[11].

كما ترك ابن دحية الكلبي، نزيل تلمسان وبجاية [1] مكتبة كبيرة، أغلبها من إنتاجه، خلفها في المغرب، وسطا عليه لصوص البحر في الطريق ونهبوا ما بقي له منها[2].

---

1) هو عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عيس الأزدي الزهراني، من أهل مدينة فاس يعرف بابن الملجوم، كان من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ، وكانت له خزانة دفاتر كبيرة، تصدق بها على ابنة له لم يترك عقبا غيرها، يقال أنها باعتها بأربعة آلاف دينار.ابن القاضي: المصدر السابق، ص396.

2) التميمي: المصدر السابق، ج2، ص 172.

3) من أبرز خاصة المهدي، وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة، وهو بطل معركة السبطاط سنة 568 هـ/1172م.انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص295-298.

4) شفيق محمد: المرجع السابق، ص33.

5) ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983م، ص310؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص395-396.

6)يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص112.أو623 هـ.ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

7) الحفناوي: المرجع السابق، ج2 ، ص396.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

9) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص225.

11) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص206-207.

وعبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري الذي كان كاتبا لصاحب المغرب، فلما توفي هذا الأخير، نهبت كتبه [3] وهذا يدل على أنه كانت له مكتبة كبيرة خاصة به، ويشير القفطي، أنه عندما توفي الأشيري سير نورالدين محمود زنكي-لأنه توفي بالمشرق- أهله نفقة وخيرهم في المقام أو الحضور إلى الشام، فحضروا ونزلوا حلب وباعوا كتبه في وفاء دين عليه، وكانت في غاية من الجودة والصحة[4].

إن عناية الخلفاء وأمراء الدولة الموحدية بالمكتبات والخزانات العلمية، لم يكن محصورا فقط في إنشائها ،وجلب الكتب المتنوعة إليها، وحث الناس على النهل منها، بل تعداه إلى تنظيمها تنظيما محكما يبعدها عن كل فوضى عن طريق وضعهم لما يسمى ب"خطة الخزانة العالية"أو"خطة القيم على الخزانة العالية"[5].

وتذكر المصادر أنها كانت من الخطط الجليلة لدى الموحدين، لا يتولاها إلا عِلِيَّة أهل العلم وأكابرها ومن له خبرة ودراية بالكتب والمكتبات، فعلى سبيل المثال استدعى أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ابن الصقر الأنصاري(ت 569هـ/1173م)[6] من مدينة غرناطة وكان قاضيا عليها، وجعله مشرفا على خطة الخزانة العالية [7]، حيث أهلته خبرته في ترتيب الكتب وتنظيمها إلى ذلك، إذ كان يملك مكتبة خاصة به فريدة من نوعها تتحدث عنها المصادر، بالإضافة إلى كونه كان أحسن العلماء نظرا في كثير من العلوم، واستنسخ للمكتبة عدة مجلدات ضخام[8].

---

1) الغبريني:المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط18، بيروت، لبنان، 1955، ج4، ص1420.

2) أنخل جنثالت بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1955، ص284.

3) ابن الأبار: المصدر السابق، طبعة مدريد، ج 2، ص568؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص330؛وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص148.

4) أنباه الرواة، ج 2، ص140.

5) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص 65؛ وعلية الأندلسي: المرجع السابق، ص2 .

6) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي، من أهل غرناطة —وقيل أنه ولد بالمرية وأصله من سرقسطة خرج منها والده عبد الرحمان وسكن بلنسية ثم انتقل إلى المرية- يكنى أبا العباس، كان معروفا بالفقه والأدب والمشاركة في الشعر، مع نباهة القدر وبراعة الخط وولى القضاء بإشبيلية لوالي المغرب، وكان مجلسه مع أكابرالطلبة، وتوفي برمراكش سنة 569 هـ/1173 م.ابن الأبار: المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج1، ص94-95.آنق أهل عصره خطا وأجملهم فيه منزعا وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة وجودة، وقد عفا عنه عبد المؤمن بعد دخوله الأندلس اللمتونية وقربه إلى مجالسه وكذلك فعل ابنه يوسف.ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 223- 232.ابن فرحون: المصدر السابق، ص 118.له كتاب في سير زهاد الأندلس وصالحيها عنوانه أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار.أنخل جنثالت بالنثيا: المرجع السابق، ص281.

7) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 118.اقتنى من الكتب جملة وافرة، ونسخ الكثير بخطه الرائق، وامتحن فيها مرات بضروب من الجوائح كالغرق، والنهب بغرناطة في الفتنة التي كانت بها، وكذلك نهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المؤمن، وكان معه عند توجهه إلى مراكش خمسة أحمال كتب، وجمع منها بمراكش شيئا عظيما، وله تصانيف مفيدة تدل على إدراكه، وجودة تحصيله كشرحه الشهاب.ابن فرحون: المصدر السابق، ص118.محمد سعيد حنشي: المرجع السابق، ص172

8) عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص228.عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص161-162.

واشتهرت بقسنطينة خزانة آل الفكون الذين منهم صاحب الرحلة ، الحسن بن الفكون [1] كما يذكر الغبريني أنه رأى كتابًا بحاضرة قسنطينة عند إمام جامع قصبتها [2]، وهذا يدل على احتفاظ الأفراد الأفراد بالكتب والمكتبات، ووجود مكتبات صغيرة في كل مسجد.

الفصل الثاني

أولا : روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية

ثانيا : تجليات الحركة الثقافية والفكرية

1) إبر [illegible]

2) أنظر: المصدر السابق، ص179.

لقد تنوعت وتعددت المعارف، وازدهرت الحركة العلمية والفكرية في العهد الموحدي، حيث نشأت في ظل هذه الدولة شخصيات، تركت لها بصمات واضحة في مجال الثقافة الإنسانية، وما زال إنتاجها الفكري تراثا حيا، ومصدر إلهام ووحي، وإرشاد لكثير من الباحثين حتى يومنا هذا، ومن هذه الشخصيات العلمية ابن رشد [1] في مجال الفلسفة، وأبو بكر بن طفيل في مجال الطب، والبيذق، والمراكشي في ميدان التاريخ، وصاحب كتاب الاستبصار في الجغرافيا[2].

إن تعدد وتنوع المعارف وازدهار الحركة العلمية في عهد الموحدين لا يمكن أن يكون حكرا على المغرب والأندلس لوحدهما، بل لا بد أن تكون قد انتظمت إفريقية والمغرب الأوسط في هذه الحركية والسيرورة من النسق الثقافي التعلمي، فالمغرب الأوسط جزء من دولة الموحدين وهو همزة الوصل بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها – إفريقيا جنوب الصحراء – فلابد أن تكون فيه حركة ثقافية وفكرية مماثلة.

وإذا كانت المصادر لا تعطينا معلومات كثيرة في هذا الشأن، كونها مقتصرة على عاصمة الدولة، ومركز السلطات السياسية الحاكمة، إلا أن دور المغرب الأوسط البارز قبل الموحدين من خلال الدولة الحمادية، والدور الذي لعبته الدولة الزيانية بعد الموحدين، يجعلنا واثقين ومتأكدين من محافظة مدن المغرب الأوسط على دورها الريادي في الحركة العلمية والنتاج الثقافي والفكري.

---

1) هو الفيلسوف المشهور محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد، من أهل قرطبة، وقاضي الجماعة ويكنى أبا الوليد ولد سنة 520 هـ/1126م ونكبه الخليفة المنصور، وتوفي سنة 595 هـ / 1198 م.ابن الأبار: التكملة، السفر الثاني، طبعة مدريد، ص 269-270؛ وابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ط 1، بيروت، 1973م، السفر السادس، ص21-22 ؛ والمراكشي: المصدر السابق، ص171.

2) ابن أبي زرع : الأنيس، ص207؛ وعبد القادر عثمان: المرجع السابق، ص245.

كما تبرز لنا رحلات الحج والتي تمر في الغالب ببجاية وتلمسان فرصة اللقاء العلمي والتلاقح الفكري والحوار المثمر بين مختلف العلماء، فكان من نتائج هذه العوامل وتداخلها أن أصبح المغرب الأوسط يعيش حركة دائبة من النشاط العلمي تعددت مظاهره وتنوعت معالمه وتجلياته.

فيا ترى ما هي أهم روافد الحركة الفكرية في المغرب الأوسط إبان العهد الموحدي ؟

وما هي أهم المظاهر التي تجلت فيها هاته الحركة الفكرية والثقافية، كنتاج وكملمح لما قدمه المغرب الأوسط وعلماؤه للحضارة الموحدية خصوصا والإسلامية عموما؟

أولا : روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية

لقد اشترك معظم خلفاء الدولة الموحدية في صفة حب العلم، من خلال مشاركتهم الفعالة في الإنتاج الفكري ونقده، فهذا عبد المؤمن ومن بعده أبناؤه يدأبون على نفس درب زعيمهم المهدي بن تومرت، من خلال إطلاق حرية التفكير [1] والبحث والرحلة لنيل الإجازة والتزود بمختلف المعارف والأفكار، وعقدوا المجالس العلمية للمناظرة والتدارس في شتى القضايا، كما ساهموا في اقتناء أنفس الكتب وأحلاها.

ولا يخفى على أحد من العارفين، أن تحصيل العلم يكون محليا، من خلال الاتصال بمشايخ وفقهاء المنطقة، ثم يأتي التفكير في الاحتكاك والاتصال بعلماء آخرين من أجل التوسع والتزود بمعلومات أخرى ثم الحصول على الإجازة.

فأولها تكون الرحلة العلمية، للاتصال بالعلماء، وحضور المجالس العلمية من أجل سماع طرق الرواية، أو ذكر الآراء والفتاوى والأحكام الصادرة عنهم، لذلك كانت الرحلة العلمية ضرورة حتمية، فلا يمكن أن تكون عملية الاتصال موقوفة على طريق المراسلات والإجازات[2].

إضافة إلى المجالس العلمية التي كانت تعقد في مختلف مساجد مدن المغرب الأوسط وحواضره وعلى رأسها بجاية وتلمسان بين العلماء وطلبتهم، أو مختلف المناظرات التي تحدث في دواوين الولاة على إقليمي المغرب الأوسط، حيث ساهمت هذه الحلقات والمجالس في نجاح وازدهار الحياة العلمية والرقي بالحركة الفكرية والثقافية.

---

1) ابن أبي زرع : الأنيس، ص203-204؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص42.

2) منواف عبد العزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويد، أبو ضبي، الإمارات، ودار الأهلية للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص33.

بذلك تعددت مظاهر النشاط الفكري في المغرب الأوسط إبان الفترة الموحدية، ومن هذه المظاهر الرحلة في طلب العلم، وعقد المجالس العلمية، والتواصل بين مختلف العلماء واحتكاك الطلبة بهم من خلال مختلف الإجازات العلمية، فحدث تنافس كبير لاقتناء أجود وأحسن الكتب التي أُنتجت في تلك الفترة، أو اقتناؤها من المشرق بعد رحلة طويلة من الحج.

1 - الرحلة في طلب العلم

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام، فقد كان من المعتقد أن اكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة إليه، وقد أصبحت الرحلة لازمة من لوازم التحصيل العلمي، وملمحا متميزا للتربية الإسلامية منذ عصورها الأولى[1].

ويرى ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم في ذهن طالب العلم، بقوله"والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشر، إلا أن حصول المَلَكَات عن المباشر والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها"[2].

والرحلة في طلب العلم عمل عرفه الغرب الإسلامي منذ عهوده الأولى، فمعظم علمائه كانت لهم رحلات علمية واسعة إلى المشرق لأداء فريضة الحج [3] ولقاء المشايخ، وجمع المصنفات المتداولة في مجالس العلم بالغرب والشرق الإسلاميين، وقد وردت على يد علمائه الرحلة، غير أن تسجيل مواد الرحلة قد ظل عملا محدودا [4] خلال العصور الأولى حتى القرن السابع الهجري، لا يعرف إلا بضع رحلات مكتوبة كرحلة ابن عربي[5] ورحلة ابن جبير (ت614 هـــ/1217م)[6].

---

1) العريني: المرجع السابق، ص609.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص226.

3) ابن جبير: المصدر السابق، ص277.

4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص134.

5) مما ضمنه كتابه"قانون التأويل"وقد حققه الأستاذ المصطفى صغيري، وقدمه لنيل دبلوم الدراسات العليا، من دار الحديث الحسنية، بتاريخ 18/ 5 / 1977.

6) طبعت عدة مرات منها، طبعة دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر، 2001 .

لقد شدّ طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين كغيرهم من طلاب الأمصار الأخرى الرحال لطلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى آنذاك سواء منها في الغرب الإسلامي، أو المشرق الإسلامي، بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها، وكذا لقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر، خاصة المتحدثون منهم[1].

إن اهتمام علماء المغرب الأوسط بالرحلة، سواء في الفترة السابقة للموحدين أو خلالها، أو حتى الفترة التي تليها، يتبين من خلال ما دونوه في رحلاتهم عن مشاهداتهم، وتجاربهم، على الرغم من أن هذه الرحلات اتسمت بصفة المحدودية في هذا العصر، ربما لعدم اعتبارها علما نافعا، وفي ذلك ما يعبر عنه الحميري، في مقدمة كتابه"ومع هذا فقد لمت نفسي عن التشاغل بهذا الوضع الشاذ عن الاشتغال بما لا يغني عن أمر الآخرة، والمهم من العلم المزلف عند الله تعالى، وقلت هذا من شأن البطالين، وشغل من لا يهمه وقته...بل أقول أعوذ بالله من علم لا ينفع"[2].

بدون شك لا يختلف اثنان حول الدور العظيم الذي أسهمت به الرحلات العلمية في توحيد المنهج التعليمي في المشرق والعدوتين، حيث أسهمت الرحلات في التعريف بالتيارات الأدبية والفكرية، وبأهم الكتب والانجازات [3] فقد خلقت جوا من التنافس العلمي بين العلماء بمختلف تياراتهم واتجاهاتهم، حيث مدوا جسور الاتصال العلمي والمعرفي بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، من خلال تبادل الآراء الفقهية واللغوية، وتداول الكتب والمؤلفات والإجازات العلمية، والاستكثار من الشيوخ[4].

والرحلة العلمية نوعان: داخلية وخارجية

أما الداخلية فكانت إلى المراكز العلمية المنتشرة في المغرب الأوسط خصوصا والدولة الموحدية عموما، فقد كان كثير من العلماء يتنقلون إلى مراكش وفاس، أو إلى الأندلس للدراسة والسماع [5]، كما كان علماء الأندلس والمغرب الأقصى يفدون على المغرب الأوسط ويستقرون بمدنه خاصة منها تلمسان وبجاية، مما ساعد على الامتزاج الثقافي بين أقطار المغرب والأندلس.

وتتميز بتوسعها وانتشارها مقارنة بالخارجية، حيث يقوم الطالب بالدراسة على يد شيوخ بلده، أو الشيوخ الذين يستقرون في الحواضر القريبة منه، ويتم زيارتها لاشتهارها في فرع معين من العلوم أو لاحتوائها على معهد علمي، كما هو الشأن بالنسبة لعبد المؤمن الذي توجه من تلمسان إلى بجاية [6].

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص165-166.
2) أنظر: الروض المعطار، ص1-2.
3) صفية ديب: المرجع السابق، ص104.
4) الغبريني: المصدر السابق، ص74، ص101؛ والسعيد عقبة: المرجع السابق، ص29.
5) شفيق محمد: المرجع السابق، ص33.
6) المراكشي: المصدر السابق، ص127.

وساعد في انتشار هذا النوع من الرحلات، سهولته من حيث القرب الجغرافي باعتباره داخل المغرب الأوسط، إضافة إلى عدم تطلبه لأموال كبيرة، وقلة المشاق، وغياب الحواجز السياسية أو الحدود الجغرافية التي كانت تقف حجر عثرة أمام أماني هؤلاء الطلبة[1].

أما الرحلة الخارجية فكانت غالبا إلى المشرق، أو الأندلس، وقد أوردت كتب التراجم أسماء كثيرة من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم، وبذلك استمر الاتصال العلمي والثقافي والفكري، بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في عهد الموحدين[2].

ومن الأسباب الرئيسية للرحلة هي أداء مناسك الحج، أو بقصد طلب العلم، أو لدوافع أخرى كالتجارة و العمل، أو السياحة و المغامرة والاستكشاف، أو بسبب الرغبة في جهاد الصليبيين في المشرق، حيث فتحت الدولة الموحدية الباب على مصراعيه أمام المتطوعين من المغاربة للسفر إلى مصر والشام برا وبحرا لمشاركة إخوانهم المشارقة في الحرب المقدسة[3].

كما لا ننس الرحلة في الاتجاه المعاكس أي الرحلة نحو المغرب الأوسط خاصة من الأندلسيين والمغاربة، حيث ساهمت الظروف السياسية في ذلك منها احتلال النصارى لسرقسطة سنة 512هـ/ 1118م والمرية وأشبونة سنة 542هـ/1147م، وطرطوشة سنة 543 هـ/ 1148م وشنترين سنة 555 هـ/1160م ونتيجة لذلك هاجر أهل المرية إلى تلمسان[4].

إضافة إلى تضافر عدة عوامل خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، ساهم في نشاط حركة الرحلة العلمية، وتمثلت في حرية التنقل بين مختلف أقطار المغرب والأندلس بسبب الوحدة السياسية التي فرضتها الدولة الموحدية، وبسبب حفاوة الاستقبال الذي كان يلاقيه طلاب العلم حيثما حلوا [5] وذلك بتوفير أماكن الإقامة والتكفل بحاجاتهم تطبيقا لما حث عليه ديننا الحنيف من الاهتمام بطالب العلم[6].

فالرحلات في بادئ الأمر كانت متجهة صوب الحجاز [7]، ومرد ذلك للحنين إلى مهبط الوحي، والرغبة في الارتواء من معين المفاهيم الإسلامية، والأخذ عن علماء الإسلام المشهورين.

---

1) صفية ديب: المرجع نفسه، ص168.

2) شفيق محمد: المرجع نفسه، ص33.

3) أحمد مختار العبادي: دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ندوة الحضارة الإسلامية 1976، نشر مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر، 2000، ص83.

4) عبد القادر بوباية: إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن7هـ/13م، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011، ص160.

5) عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986، ص466.

6) عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص 466.

7) حيث يضيف"أن رحالة المغاربة كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة".ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص16.

وما يهمنا هنا هي الرحلة بدافع التعلم والتزود بمختلف الفنون والثقافات، ومقابلة الشيوخ من العلماء والفقهاء، فعلى قدر كثرة الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعلم ورسوخها في ذهن طالب العلم، فأضفت الرحلات العلمية والثقافية طابع النمو والازدهار، ونقلت المغاربة والأندلسيين من بلاد مقلدة للمشرق إلى بلاد منافسة ومتفوقة في بعض الأحيان[1].

فكان بذلك الهدف من الرحلة هو لقاء الشيوخ الكبار والجلوس معهم والسماع منهم، حتى يعتبر ثقة في مادته، كما جعلوها وسيلة لجلب الكتب والمصادر من مختلف الأمصار الإسلامية، والإطلاع على المكتبات، وما تحتويه من نفائس الكتب[2].

نتج عن هذه الاتصالات بلورة الحركة العلمية في المغرب الأوسط، وعادت عليه بفوائد كثيرة، وكانت الرحلات العلمية تتجه دائما إلى عواصم الأقطار الإسلامية الشهيرة كالقيروان، و فاس ومراكش، واشبيلية، والإسكندرية، وبغداد والبصرة والكوفة، ومكة والمدينة، ودمشق [3] فأثرت حلقات الدرس في جوامع بجاية وتلمسان وندرومة وورجلان، إذ كانت تدرس المواد نفسها التي تدرسها جوامع الشام والعراق والحجاز ومصر، مع الفارق طبعا في تكثيف بعض المواد دون الأخرى، أو التحفظ في تدريس بعض المواد كالفلسفة مثلا[4].

من هنا كان العالم يرحل لرواية الحديث، أو للقاء عالم، أو التعرف على مناهج جديدة، أو الحصول على كتب يرغب في الإطلاع عليها، ونجد الرحالة ابن رشيد السبتي يشعر بالندم وهو يرحل من بلد ما، وذلك لأنه لم يكمل قراءة كتاب شيخه أو لم تتيسر له كتابة بعض الفوائد لعائق السفر[5].

إن الضرورة دعت إلى الرحلة العلمية، لأن العلم كان مطمح علماء المغرب الأوسط، خصوصا في ربط سندهم العلمي، بعلماء كبار، إما بالمشافهة والدراسة عليهم أو بالاستجازة، وضمان سلامة المنهج النقلي بتصحيح المتون المروية ووصل أسانيدها بمؤلفيها، حتى تكون واضحة، وصالحة للبحث والدرس وأخذ الأحكام منها[6] كما أن معظم الرحالة لم يرحلوا إلى المشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإلمامهم بفنون مختلفة من العلوم في المغرب[7].

---

1) عبد الواحد ذنون طه: دراسات أندلسية، ط1، بغداد، 1986، ص206.
2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثاني، ص28.
3) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع السابق، ص30.
4) صفية ديب: المرجع السابق، ص169- 170.
5) المقري: المصدر السابق، ج 2، ص5.
6) القلصادي: المصدر السابق، ص60.
7) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع نفسه، ص31.

يقول أبو حامد الغرناطي[1] في مقدمته"ومنذ اغتربت عن المغرب الأقصى عام 557هـ/1161م شاهدت من الأئمة الكرام، ما لا يعد ولا يحصى، وأولاني الله عز وجل على أيديهم من أنواع النعم ما لا يقدر على إحصائها إنسان" [2]،وما رحلة ابن تومرت نحو الشرق إلا مثال عن أهم الرحلات المغربية نحو الشرق، وفائدة عظيمة كانت تأتي من مثل تلك الرحلات [3] ورغم أن ابن تومرت ليس من علماء المغرب الأوسط إلا أنه صاحب الدعوة الموحدية، وجرت له الكثير من الوقائع والأحداث بالمغرب الأوسط.

حيث أُختلف في تاريخ الرحلة [4]، وحتى في أهم الشيوخ الذين التقى بهم ابن تومرت [5] لكن ما يهمنا هنا هو مدى تأثر ابن تومرت في رحلته العلمية هاته، باتصاله بعلماء المشرق، وبالتغير الذي حدث في شخصيته فقال عنه ابن خلدون"وانطلق راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين"[6] ثم لم يقف به الأمر عند الحدود العلمية [7]، فقد اكتسب أفكارا وآراء جديدة في السياسة فانطلق من حين خروجه إلى حين وصوله، يبث العلم في الناس ما توفرت له الفرصة المناسبة[8].

---

1) هو أبو عبد الله – ويقال أبو حامد – محمد بن عبد الرحيم المازني، القيسي، الغرناطي، ولد سنة 473هـ/1080م ، ودخل الإسكندرية 508 هـ/ 1114 م وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحي المديني وأبو الحسن الفراء، وغيرهم وحدث بدمشق، وسمع أيضا ببغداد، وقدمها سنة 556 هـ/ 1160م، ودخل خراسان، ثم رجع إلى الشام، وأقام بحلب سنتين، وسكن دمشق، توفي بدمشق في صفر565 هـ/ 1169 م.المقري: المصدر السابق، ج2، ص235-236.

2) أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ص46.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص126؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص103-105؛واحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت، ص105.

4) ابن الأثير وابن خلكان يكتفيان بالقول أن ابن تومرت شرع في رحلته"في شبيبته" أي بين نهاية المراهقة وسن الثلاثين أو الأربعين عاما الكامل، ج9 ، ص 202؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص47.أما ابن خلدون فيقول"على رأس المائة الخامسة".العبر، ج6، ص301. وأما صاحب الحلل الموشية فيحددانها بسنة 500هـ/1106-1107 م .أنظر:مجهول، ص 103. أما عبد الواحد المراكشي فيحددها سنة501 هـ/1107- 1108 م.المصدر السابق، ص126 أما ابن القطان فيذكر أنها في السنة الأولى من المائة السادسة، ثم ذكر في صفحة أخرى أنها وقعت في السنة الأولى من القرن السادس أو في السنة التي قبلها، أي سنة 500هـ/1107م أو499هـ/ 1105- 1106م.المصدر السابق، ص62-63. وعموما السنة الأكثر واقعية هي 500هـ/ 1106م لآن تاريخ رجوعه إلى بلاد المغرب هو 515 هـ/ 1121 م بعد أن قضى 15 سنة فيها: كما أنه التقى بالشيخ المبارك بن عبد الجبار وهذا الأخير توفي أواخر 500 هـ/ 1106م.

5) أخذ عن القاضي ابن حمدون بقرطبة، وبالمهدية عن الإمام المازري، وبالإسكندرية عن أبي بكر الطرطوشي، وبالشام عن أبي عبد الله الحضرمي، وفي بغداد عن الكيا الهراسي والمبارك بن عبد الجبار وتأثر بتعاليم الغزالي و لم يلتقيه.ولمزيد عن شيوخ ابن تومرت في الرحلة انظر: عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1983، ص72-84؛ وعبد الله علام: المرجع السابق، ص51 ؛ ورشيد بورويبة: المهدي بن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص28.

6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص302؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص73.

7) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص52.

8) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص84.

ويدعم قولنا بأن الرحلة العلمية كانت إحدى روافد النشاط الثقافي لعلماء المغرب الأوسط، هو رغبة عبد المؤمن للقيام بالرحلة إلى المشرق من أجل التعلم [1]، ولا نعرف شيئا عن طفولة عبد المؤمن ولكن بدون شك فقد درس في كُتاب ومدرسة قريته، حيث قرأ القرآن[2] وسار إلى تلمسان، وأخذ عن عالمين من أعظم علماء المدينة القاضي ابن صاحب الصلاة (ت 542 هـ/ 1147م)، والشيخ عبد السلام التونسي (ت589هـ/1193م)، فرحل بعد ذلك إلى بجاية ناويا السفر إلى المشرق [3]، ليحج وليواصل دراسته، فغادر مسقط رأسه صحبة عمه يعلو، ومر بمتيجة ووصل بجاية التي كانت آنذاك عاصمة المملكة الحمادية، فنزل بمسجد الريحانة [4]، حيث سمع الناس يتحدثون عن ابن تومرت، الفقيه السوسي كما كان يلقبونه، فاتجه إليه، وعندما إلتقاه سأله ابن تومرت إلى أين تتجه فقال إلى المشرق ألتمس فيه علما، فقال له ابن تومرت العلم الذي تريد اقتباسه من المشرق قد وجدته بالمغرب[5].

وليس من السهل إحصاء كل من رحل من المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي رغم ما تقدمه كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب، التي تتعرض إلى رحلات هؤلاء العلماء، إلا أننا نعترف بقصورنا على حصرهم، وذلك على لسان المقري بقوله" إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال..."[6].

فهناك من علماء المغرب الأوسط من لم يرحل إلى المشرق إلا بعد أن اكتمل علمه وتحصيله من شيوخه المحليين، وإحساسه بضرورة الهجرة العلمية من أجل تحصيل أوسع وأفضل، وبعد وصوله للمشرق وجد لنفسه مكانة ضمن نخبة علمائها، بل وتقلد منهم حتى المناصب العالية ومنهم محمد بن محرز بن محمد الوهراني(ت 575 هـ/1179م)[7]، ركن الدين [1] أبو عبد الله، وهو أديب وصناعته

---

1) البيذق: أخبار المهدي، ص35؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص106.

2) ابن أبي زرع : الأنيس، ص183.

3) قال عبد المؤمن بن علي وهو يتحدث عن نفسه"كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين، وكان لي صاحب يقرأ كتب الفقه، فرحل عني من تلمسان يريد المشرق، فوصل إلى بجاية، فخاطبني منها يعرفني ويقول لي: قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه، فلتصل إليه، فعند وصول كتابه إليّ رحلت إلى بجاية، فلقيت بها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه".ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص80.

4) البيذق: أخبار المهدي، ص31.

5) عن لقاء عبد المؤمن بن علي بالمهدي بن تومرت انظر البيذق:المصدر نفسه، ص 35؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص 77، ص176؛ وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 127-128؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 106؛ وابن أبي زرع :الأنيس، ص173؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص80؛ والصفدي: المصدر السابق، ج3، ص261-262؛ والسلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص73.وأنظر مناقشة هويثي ميراندا Abrosio Huici Miranda لهذا اللقاء وما أحاط به من أساطير. أنظر: المرجع السابق، ص46.

6) ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج5، ص70.

7) ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص385؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص350.

الإنشاء، اشتهر بالمنامات الهزلية، نشأ في وهران [2]، ثم رحل إلى دمشق، في عهد نورالدين محمود بن زنكي، حيث ولي خطابة جامع داريا إحدى قرى دمشق[3].

كما تعتبر رحلة أبو مدين شعيب بن الحسين [4] دليلا على أن بعض العلماء لم يتجهوا للرحلة سواء لطلب العلم أو الحج إلا بعد تمكنهم من جملة من العلوم، ثم خرج منها قاصدا بيت الله الحرام، فحج واعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم دخل بجاية و لم يزل بها يزداد حاله رفعة، فاشتهر بها خبره وعلا في مقام الولاية صيته، فغص بمكانه يعقوب المنصور بن يوسف العسري بن عبد المؤمن بن علي، وأرسل إليه ليأتيه إلى مراكش، سنة أربع وتسعين وخمسمائة [5]، فشق ذلك على تلاميذه، فقال لهم إني لا ألقاه، بل ألقى مولاه، فلما بلغ تلمسان أعجبته خارجها قرية، فسأل عن اسمها فقيل له العُباد [6] ومرض بها، ووافاه الأجل أثناء السفر بوادي يسر [7] عام 594 هـ/ 1197م[8]، ودفن بالعباد من أحواز تلمسان[9].

---

1) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ج3، ص69-70؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص350.

2) انظر مقدمة المحقيق صلاح الدين المنجد، لكتاب الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965، ص5-9.

3) الذهبي: العبر، ج3، ص69-70؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص350.

4) هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأشبيلي أصلا من حصن قنطانية من عمل إشبيلية.التادلي: المصدر السابق، ص319. أو من حصن يقال له منتوجب.الغبريني: المصدر السابق، ص 55-56. البجائي دارا والتلمساني وفاة، ولد ونشأ بإشبيلية ثم رحل إلى فاس، وأخذ على علمائها كالشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم(ت 559هـ/1198م). التميمي: المصدر السابق، ص 15-17و ص41-45. ولبس الخرقة عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق(ت في منتصف القرن السادس هجري). ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 11-27- وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري (ت 572 هـ/1170 م).الغبريني: المصدر السابق، ص55-56؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص108-114.

5) ذكر خبر السعاية به إلى خلفاء الموحدين صاحب الاستقصاء فقال"كان أبو مدين قد استوطن في آخر عمره بجاية، وكثر عليه الناس وظهرت على يده الكرامات، فوشي به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور (580-595هـ)/(1184- 1198م) وقال له إنا نخاف منه على دولتكم فإن له شبها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون في كل بلد، فوقع منه ذلك وكتب لصاحب بجاية أن يبعث إليه وأوصاه بالاعتناء به وأن يحمله إليه خير محمل"السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص190.

6) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص126؛والمقري: المصدر السابق، ج7، ص142.

العبّاد:مدينة صغيرة شبه ربض، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع ومعظمهم من الصباغين، وبها دفن ولي كبير، ذو صيت شهير، يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات ويعظم أهل تلمسان والبلاد المجاورة لها هذا الولي كثيرا ويستغيثون به ويتصدقون عنده كثيرا لوجه الله ويسمى سيدي بومدين.الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 24.

7) وادي يسر قريب من تلمسان.التادلي: المصدر السابق، ص319.

8) رغم أن اغلب العلماء اتفقوا على السنة السابقة إلا أن الغبريني ذكر، أنه توفي نحو590 هـ/ 1193 م.المصدر السابق، ص61. أما التادلي، فيضيف تاريخ آخر إلى جانب التاريخ المعروف هو سنة 588 هـ/1193م.المصدر السابق، ص319.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص55.

إضافة إلى كل ذلك، فإن علماء المغرب الأوسط عموما عرفوا بعنايتهم بالحديث وطرق روايته مقتدين بالسلف الصالح، ومن هنا شعر الجميع بضرورة استكمال المعارف الحديثية، وهكذا شكلت طريقة التحديث بما تتميز به من الدقة والتحري الباعث العلمي للرحلة والحافز على التنقل، وذلك لأن منهاج المحدثين يعتمد على تنويع الرواية والبحث عن العلو في السند[1].

إن الاهتمام بالأحاديث النبوية وجمعها في مقدمة العلوم التي يرحل المغاربة من أجلها، وهناك العديد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق للالتقاء بشيوخ علم الحديث، فبرزوا فيه بعد عودتهم لا سيما جمعه في كتاب منظم، ودراسته، وتفسير القرآن الكريم، ومنهم ميمون بن جبارة (ت 584هـ/ 1188م)[2] الذي روى عن أبي عبد الله بن عبد الحق، رحل إلى المشرق وعاد إلى بجاية وتوفي بتلمسان، و حمدت سيرته عدلا وجزالة، انتفع أهلها بإقرائه إياها الأصول [3] فإن هذا الرجل يمثل بوضوح النمط الكامل للمثقفين في المغرب الأوسط منشأ وتكوينا، وهو يمثل نمطا كاملا لمثقفي المغرب الأوسط الذين نالوا من الثقافة الإسلامية في مختلف مراكزها وحواضرها شرقا وغربا، فدعته نزعته هذه إلى الرحلة العلمية.

بذلك درس على يد علماء كثيرين، وزامل علماء آخرين، وتخرج على يده علماء كثيرون ومازج مختلف العلوم والأفكار والثقافات، وهذه هي الفائدة العظمى من الرحلات العلمية.

من بين علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا من أجل العلم جهة الشرق أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م)[4] الذي ولد في بني عيسى من قبائل زواوة [5] وقرأ في أول أمره بقلعة بني حماد، على يد الشيخ الصالح أبو عبد الله بن الخراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي

---

1) منواف عبد العزيز الجحمة: المرجع السابق، ص34.

2) ترجم له ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص 396؛ و الغبريني: المصدر السابق، ص183؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص294 ؛ وشكيب أرسلان: المرجع السابق، ج 3، ص183.

3) هو أبو تميم، ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي، البردوي روى عن أبو عبد الله بن عبد الحق، رحل إلى المشرق ودخل الأندلس، عالم رئيس، جميل الأخلاق، ندي اليد ولي قضاء بلنسية فحمدت سيرته عدلا وجزالة، وانتفع أهلها بإقرائه أياها الأصول، أخذ عنه بها أبو جعفر الذهبي، وأبو الحجاج بن مرضي، ثم ولي قضاء بجاية مدة قليلة، ثم صرف عنها ليتولى قضاء مرسية مكان قاضيها أبو القاسم ابن حبيش فمات في الطريق إليها بتلمسان، سنة 584هـ/1188م قال عنه ابن الأبار"كان من كبار العلماء معدودا في الرؤساء، كريم الأخلاق وافر الجاه عظيم الحرمة له أثار حميدة"ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2 ص396.

4) في بعض النسخ ابن أبي علي.التادلي: المصدر السابق، ص428. هو الشيخ، أبو زكريا يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي، وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسيني، منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية، والناس ينسبون فيه الحسناوين أهل أمسيون (جبل من جهة شمال بجاية)، وقد توفي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة 14رمضان611 هـ/1214م، وتوفي فجأة من غير علة.الغبريني: المصدر السابق، ص135. ويضيف الأستاذ بونار، في شرحه على هامش عنوان الدراية، أن أبو زكرياء يعرف الآن بأبي قبرين عند عامة بجاية، وهو مدفون بشاطئ البحر. المصدر نفسه، هامش ص135.

5)مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 263.

الفضلاء والأخيار من المشايخ والفقهاء والمتصوفة، ثم استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق [1]وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه والتذكير [2] و محمد بن إبراهيم الأصولي(ت 660هـ/1261م) [3] أبو عبد الله، فقيه من القضاة في المذهبين المالكي والشافعي [4] من أهل بجاية، وأصله من بني مرزقان بإشبيلية، رحل إلى المشرق، وأخذ عن جمهرة من أقطاب المحدثين، و لم يسمع إلا يسيرا بمصر، وعاد و لم يحج وولي قضاء المدن بجزيرة الأندلس [5] ولي قضاء بجاية ثلاث مرات، صرف عن آخرها سنة 608هـ/1211م[6] دخل الأندلس مرارا، وولي قضاء مرسية منها، واستخلف بمراكش على القضاء [7]، وتوفي مذبوحا، ببجاية سنة 612 هـ/1215م-1216م[8].

ومن العلوم الدينية الأخرى التي ركز عليها علماء المغرب الأوسط خلال رحلاتهم العلمية علوم القرآن، وهي تشمل علم القراءات، وعلم التفسير، واشتهر منهم، علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي(ت 637هـ/1239م) [9] فدفعه ذلك إلى تفسير القرآن في كتاب سماه مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل [10] ورغم أن ابن فضل الله العمري يقول عنه"وله تفسير فيه أشياء عجيبة الأسلوب، غريبة المعاني"[11].

---

1) الغبريني: المصدر نفسه، ص136؛ والتادلي: المصدر السابق، ص428.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص136.

3) برز في علم الكلام وأصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي، وكان عالم وقته في هذا الميدان.ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص271-272؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

4) الصفدي: المصدر السابق، ج2، ص9.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص184؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص185؛ والقرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، مصر، 2004، ص224.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص218؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص37.

8) التنبوكتي: المصدر السابق، ص378.أما عند الصفدي فذكر أنه توفي سنة 604 هـ/1207م.المصدر السابق، ج2، ص9.

9) هو الشيخ الفقيه، علي بن أحمد، أبو الحسن بن إبراهيم الحرالي، التجيبي، لكنه ولد بمراكش، ومن جملة العلماء الذين لقيهم بالمغرب أبو الحسن ابن خروف وأبو الحجاج ابن هوى، ثم تخلى عن الدنيا ورحل إلى المشرق، أين التقي بجلة من العلماء الكبار، منهم الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف، وقد وقع له خلاف مع الشيخ عزا لدين، بن عبد السلام، إمام الديار المصرية في زمانه ، فخرج من مصر وقدم بجاية، وجلس في مسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م) ثم قرر التوجه إلى مدينة الرسول(ص)، فنزل بحماة، وتوفي بها سنة 637 هـ/ 1239م وقد ترجم له الغبريني: المصدر السابق، ص 145؛ والمقري: المصدر السابق، ج2، ص387؛ والتنبوكتي: المصدر نفسه، ص318؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330.

10) حسب الغبريني أن تفسير الحرالي كاملا. المصدر السابق، ص146. ولكن ما نقله المقري يفيد أن تفسيره غير كامل، وهو ينتهي في سورة آل عمران.أنظر: المصدر السابق، ج 2، ص189. وقد قال عنه الذهبي أن له تفسير فيه أشياء عجيبة لم أتحقق ما تنطوي عليه العقيدة. التنبوكتي: المصدر السابق، ص320

11) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثامن"طوائف الفقراء–الصوفية"، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص337.

وعبد الله بن محمد الفهري [1] الذي ولد بتلمسان عام 567هـ/1172م، ارتحل إلى المشرق، و بها أتم معلوماته في الفقه والأصول، وله من التأليف"شرح العالم" في أصول الفقه للرازي، وغيرها [2].

كما لم تقتصر رحلات علماء المغرب الأوسط على تلقي العلوم الدينية فحسب، بل تعدتها إلى العلوم الأخرى، مثل اللغة العربية وآدابها، وكان لبعد المغرب الأوسط عن مصادر الدراسات النحوية في البصرة والكوفة دور كبير في تشدد الدراسين بالالتزام بقواعد اللغة والتعمق في دراستها.

منهم كذلك أبو الحسن خطاب بن أحمد بن عدي بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبي الوليد[3] التلمساني أصلا ومنشأ، البغدادي وفاة، ورد بغداد عام 520هـ/1127م، ولا ندري متى كانت وفاته[4]، ذكره الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي ببغداد أن خطابا كان إماما فاضلا، وله شعر حسن ويد باسطة في اللغة[5].

ومن علماء المغرب الأوسط في الفترة الموحدية الذين اختصوا باللغة وهاجروا إلى المشرق أبو الخطاب عمر بن الحسن [6] بن علي بن دحية [7] الكلبي(ت633هـ/ 1235م) [8]، وهو من الحفاظ التقات، استوطن بجاية، وتعلم على يد والده أبي علي، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة، وقد ارتحل إلى المشرق في عهد بني أيوب السلطان الكامل محمد بن الملك العادل (ت 635 هـ/1237م) فرفعوا شأنه وقربوا مكانه [9]. وكانت رحلة مهمة في طلب الحديث، أخذ من خلالها عن جملة من الشيوخ منهم أبو إسحاق إبراهيم بن خالويه، وأبو الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الشيرازي، وأبو سعد عبد الله بن عمر بن الصفار...وغيرهم كثير[10]

1) هو أبو محمد عبد الله بن محمد الفهري، توفي عام 644 هـ/ 1246 م.الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص421.

2) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع نفسه، ص421.

3) العماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1986، قسم المغرب، ج2، ص341.

4) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459.

5) العماد الاصفهاني: المصدر السابق، ج2 ، ص341.الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459.

6) ابن العماد : المصدر السابق، ج7، ص280-281 ؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985، ج22، ص389-395.ولد سنة 547 هـ/1152م بالأندلس، وتوفي في 14 ربيع الأول سنة 633 هـ/ 1235م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع. المقري: المصدر السابق، ج2، ص99.

7) دحية، وهو شبيه جبريل، أي الرجل الذي يأتي جبريل في صورته، وقد قد كذبه تاج الدين الكندي في نسبه، حيث قال له أن دحية بإجماع المحدثين ما أعقب.ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281

8) المقري: المصدر السابق، ج2، ص104.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص230.

10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن ، ص217.

ومحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر التلمساني حافي رأسه [1] والذي درس على يد علماء العهد الموحدي كمحمد بن منداس، وعبد الرحمن ب ن الزيات، ثم ارتحل إلى المشرق، فترل مصر واستقر بالإسكندرية، وتصدر لإقراء اللغة العربية، فتخرج عليه طلبة كثيرون، منهم تاج الدين الفاكهاني[2]، وكانت وفاته عام 680هـ/1281م[3] كان من أئمة عصره في العربية، إذ هو أحد النحاة الثلاثة المحمّدين في عصر واحد هو في الإسكندرية، وابن النحاس في مصر، وابن مالك في دمشق[4].

والمتتبع لحركة علماء المغرب الأوسط نحو المشرق العربي يبين أنها زادت كثافة وتواجدا في الفترة المنحصرة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين، أي السادس والتاسع الهجري، أي في الفترة الموحدية والزيانية[5].

كما لم تقتصر رحلات علماء المغرب الأوسط نحو المشرق بل اتجهت كذلك نحو الأندلس، بسبب الوحدة السياسية والقرب الجغرافي، إضافة إلى التفرد والتميز في علوم كثيرة كالطب والفلسفة...

ومر بالمغرب الأوسط بعض العلماء من الأندلس والمغرب سواء للحج أو الدراسة، ومنهم الضبي (599هـ/1202م)، صاحب المؤلفات"بغية الملتمس، والأربعين من الأربعين، والمسلسلات النبوية، ومطالع الأنوار لصحيح الآثار" [6] حيث كان متوجها نحو الحج، فمر ببجاية خلال الفترة الموحدية أين جالس عبد الحق الإشبيلي (ت581هـ/1185م) فأخذ عنه، كما أفاد هو طلبة المنطقة بعلمه[7].

لا شك أن أقطار العُدْوَتيْن، بلاد المغرب جنوبا والأندلس شمالا، عرفت تبادلا حضاريا هاما عبر العصور، خاصة خلال العصر الموحدي بسبب طبيعة الوحدة التي فرضتها الدولة، وتفاعلت معها الشعوب، وأكيد أن المغرب الأوسط شهد نمواً في الحركة العلمية التي وجدنا آثارها بارزة في بجاية وتلمسان خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

---

1) لقب بالحافي رأسه لأنه أقام مدة مكشوف الرأس، وقيل لحفرة كانت في رأسه، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثيابا جددا لبدنه، فقال هذا لبدني ورأسي حاف.ابن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 2، د ت، ص 257 ؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص119. هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، الملقب بجمال الدين التلمساني.ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256. الشهير بحافي رأسه الزناتي أصلا، ولد بتلمسان عام 606هـ/1209 م، وقيل بتاهرت.عادل نويهض: المرجع السابق، ص119. وكانت وفاته عام 680 هـ/1281 م.ابن شاكر: المصدر السابق، ج3، ص410.

2) ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256.

3) نفسه، ج3، ص410.

4) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص290.

5) عمار هلال: المرجع السابق، ص210.

6) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري،ط 1، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج1، ص18.

7) المصدر نفسه، ج 2، ص508.

لهذا نجد من تخير الأندلس وطنا له من علماء المغرب الأوسط، فنبغ فيها وترك بصرماته واضحة في العلم والفكر والقضاء، وبالتالي استهوتهم الأندلس بجمالها ورخائها وبعلمها، حيث كانت تنافس المشرق في تخريجها للعلماء، وتصديرها للكتب، ومن بين أهم علماء المغرب الأوسط نجد:

عبد الله بن عرجون التلمساني [1] الذي استقضى بغير موضع من العدوة والأندلس"وكانت وفاته بتلمسان عام(534هـ/1139م)[2] والجدير بالملاحظة أن هناك عوامل لعبت دورا رئيسيا في توفير شروط الاستعداد للتواصل والتقارب، أهمه على الإطلاق أن هذين القطرين-المغرب الأوسط و الأندلس– نهلا من معين ثقافي واحد هو الحضارة الموحدية.

ونجد من ارتحل طالبا للعلم وجال في المغرب الأقصى والأندلس كالحسن بن أبي زُكُون التلمساني[3]، فدرس بقرطبة عن محمد بن عتاب، وبمرسية عن أبي علي بن سكرة وأبي محمد بن جعفر، ثم انتقل إلى فاس، واستقر بها إلى حين توفي عام(553هـ/1158م)[4].

كما كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني المعروف بابن قُرقُول من قرية حمزة من عمل بجاية [5] وكان رحالا إلى العلم نقالا فقيها [6]، انتقل من مالقة إلى سبتة سنة (564هـ/1168م) ثم سلا، ثم فاس وتصدر للإفتاء، توفي بها في(569هـ/ 1173م)[7].

وفي أواخر القرن (5هـ/11م) وأوائل القرن(6هـ/12م) هاجر من تلمسان وجزائر بني مزغنة كوكبة من الأطر الزهدية إلى الأندلس للتمدرس عن كبار صوفيتها، إذ قصد كل من المحدث يوسف بن علي بن جعفر التلمساني، والفقيه حجاج بن يوسف الجزائري اشبيلية، وأخذوا بها"الإحياء" عن القاضي أبي بكر بن العربي(ت543 هـ/1148م)[8].

---

1) هو أبو محمد عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون أصله من تلمسان، قال عنه ابن بشكوال:"فقيه حافظ للفقه ، محقق فيه، وسمع من أبي علي الغساني، وغيره، و كان يميل إلى الحديث، ويحفظ كثيرا منه.أنظر: الصلة، ج2، ص453.

2) نفسه، ج2، ص453.

3) هو أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بأن أبي زُكُون أصله من تلمسان وبها ولد عام هـ/1091م.ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص25؛ وابن الأبار: المعجم، ص82؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203.

6)ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.

7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 20، ص521.

8) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص114؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

أما يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(ت 570هـ/1174م)[1] وهو من مواليد واحة ورجلان"أورغلة" من مدينة سدراتة، حصل هناك على علومه الأولى، ثم سافر كثيرا بعد ذلك لتوسيع حقل معرفته، وحج إلى مكة المكرمة، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرطبة لدراسة اللغة العربية والحساب[2].

كما كان المغرب الأوسط في العهد الموحدي قبلة لكثير من العلماء الذين أتوا من الأندلس واستفادوا من أجواء الاستقرار السياسي والتنافس الثقافي الذي ساد الغرب الإسلامي وكان من بين هؤلاء عدد كبير من العلماء الذين باشروا العمل والتدريس في بجاية وتلمسان وغيرهما ومنهم :

فقيه من علماء بني سفيان من لقنت هو محمد بن أحمد السلمي أبو بكر[3] و بها نشأ وتعلم، ثم ارتحل إلى تلمسان وسكنها، وكان على قيد الحياة بها عام(557هـ/1162م)، حسبما ذكره ابن الأبار في التكملة[4].

كما زودت اشبيلية المغرب الأوسط بالعديد من العلماء الأخيار وأهمهم عبد الحق الاشبيلي (ت 581 هـ/1185م)[5] رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا، بعد سنة(550 هـ/1155م)[6] أي عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية[7]

وقد ولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة وجيزة، في فترة ابن غانية المعروف بالميورقي[8] وأجاز له ابن عساكر[9].

أما الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي(ت 582 هـ/1186م) بن أبي عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي، الساعدي [10]يكنى أبا جعفر من أهل قرطبة ونزل بجاية ومكث بها مدة، حيث درس وتلقى عنه الكثير من الطلبة، مما سمح بانتشار

---

1) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين ، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ج5، ص368.

2) ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون وكتاب السير والرواة الاباضيون الوهبيون في إفريقيا الشمالية، من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007، ص78-80.

3) ميناء أندلسي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو مرسى مدينة مرسية.الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459

4) أنظر: طبعة مدريد، ج2،ص210- 211؛ وابن سعيد: المغرب، ص274.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص257؛ واليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص320.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص73.لكن ابن فرحون يحدد ذلك بعد الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية سنة 541هـ/ 1146م.أنظر: الديباج المذهب، ص277.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351.

8) الغبريني : المصدر السابق، ص75.

9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256.

10) ينسب إلى سعد بن عبادة صاحب الرسول(ص).ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص239.

مؤلفاته، ثم سكن غرناطة وقتا وتوفي بفاس [1] فهو بحق مثل للوحدة التي حققتها الدولة الموحدية مع المغرب والأندلس.

ولأبي مدين شعيب بن الحسين[2] الأنصاري الأشبيلي أصلا[3]، البجائي دارا و التلمساني وفاة، صيت ذاع في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي أيام يعقوب المنصور الموحدي، وتوفي

عام(594هـ/ 1197م)[4].

أما أهم علماء الأندلس الذين نزلوا مدينة تلمسان آنذاك واستقر بها أبو بكر بن سعادة الاشبيلي[5] أخذ عن أبي الحسن شريح وأبي العباس بن حرب المسيلي [6]، وأبو بكر بن العربي، وأجازه أبو بكر بن رزق، وعمر بها، وتوفي في رجب سنة(600هـ/1203م)[7] وبذلك تخرج على يده كثير من علمائها في الحديث وغيره من العلوم الدينية[8].

كما لا يفوتنا في هذا الصدد أن نذكر الولي الصالح أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي(كان حيا في بداية القرن 7هـ/13م)[9] نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور، بخارج باب القرمدين بتلمسان [10] عاصر أواخر العهد الموحدي، وساهم في ربط العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال نشره للتصوف في تلمسان في شكله الشعبي المتمثل في نزعته للزهد والخلوة[11].

---

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص104؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص55-65؛ والتادلي: المصدر السابق، ص319-326؛ وابن قنفذ: انس الفقير، ص11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص108-114.

3) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية.التادلي: المصدر السابق، ص 319.أو من حصن يقال له منتوجب.الغبريني: المصدر السابق، ص55-56.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص61؛ و التادلي: المصدر السابق، ص319؛ والتليدي: المرجع السابق، 64، 81.

5) هو محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي، أبو بكر وأبو عبد الله، الفقيه المحقق.الجزري: المصدر السابق، ج 2، ص251-252؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص227.

6) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، المتوفي سنة 539 هـ/1144م.ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص60.

7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

8) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وعبد الحميد حاجيات: العلاقات بين تلمسان وغرناطة، مجلة الوعي ، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أفريل – ماي 2011، ص74.

9) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.

10) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص127، ص159.

11) عبد الحميد حاجيات: العلاقات، ص74.

ويعتبر الفقيه يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي(ت 604هـ/1207م)[1] مثالا رائعا في ربط العلاقات بين مختلف أقطار الدولة الموحدية، بل حتى مع المشرق حيث رحل إلى الحج عام(560هـ/1164م) فأخذ في طريقه ببجاية عن أبي محمد عبد الحق الازدي الاشبيلي، وعزم عليه في تأليف كتاب الأحكام، وقد فاوضه في ذلك، ولما قفل من رحلته أقام معه في بجاية، وصحبه أشهرا وأخذ عنه أحكامه، وكان من أقعد الناس به وبأخباره، وأخذ بالمشرق من العديد من الفقهاء والعلماء[2].

وإذا رجعنا إلى كتب التراجم والطبقات لفقهاء المالكية نجد أن الكثير منهم تتلمذوا على علماء فاس، ومراكش، والكثير منهم أقبروا بفاس أو بمراكش، وكانت لهم مشاركة كبيرة في نشر العلم والمذهب المالكي بالمدرسة الفاسية، وبعضهم برز وفاق شيوخه[3].

كما انتقل بعض المتصوفة من مدن المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى، على غرار أبو عمر بن علي بن الحسن التلمساني (ت542هـ/1147م)وهو من نظراء الصوفي أبي عبد الله الدقاق السجلماسي، انتقل من تلمسان إلى سجلماسة وساهم بزهده وورعه وبراعته في تلاوة القرآن بمدينة سجلماسة[4].

وهناك من صال وجال بين الأندلس والمغرب الأقصى كأبي علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بأبي زُكُون أصله من تلمسان [5] ارتحل إلى الأندلس طلبا للعلم، ثم انتقل إلى فاس، واستقر بها إلى حين توفي عام(553 هـ/1158م)[6]

أما أبو عبد الله محمد بن موفق، صوفي من أهل بجاية عاش في النصف الأول من القرن السادس هجري/12م انتقل إلى مالقة ثم إلى مراكش أين استقر فيها إلى غاية وفاته[7].

---

1) من أهل مالقة وذوي بيوتها الدينية ولد سنة 527هـ/1132م .و يكنى أبا الحجاج ، ويعرف بابن الشيخ.ابن الأبار: التكملة، طبعة مادريد ، ج2، ص737.

2) ابن الزبير: صلة الصلة، (تحقيق بروفنصال)، ص217-218.

3) حاولت الدكتورة حوالف عكاشة، أن تبين بأنه لا وجود لمدرسة تلمسانية مالكية مستقلة بل ربطتها دوما بالمدرسة الفاسية واستدلت بتقسيم صاحب شجرة النور الزكية لتراجم المالكية إلى طبقات ولكل طبقة فرع هي: فرع العراق، وفرع الأندلس وفرع إفريقية، وفرع فاس جمعت فيه علماء المغرب الأقصى والأوسط، كما ذكرت في الهامش العديد من الباحثين الذين نهجوا على هذا المنوال. حوالف عائشة: أثر المدرسة المالكية الفاسية في نشأة المدرسة التلمسانية، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010، ص210. لكن يبق إصدار حكم عام كهذا يستوجب الدراسة والتحليل أكثر إما بالإيجا ب أو النفي خاصة أن أغلب الفقهاء الذين استدلت بهم الدكتورة لفترة متأخرة بدءا من القرن الثامن هجري.

4) يحي بن خلدون : المصدر السابق، ج1، ص 108؛ و الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص283.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25.

6) ابن الأبار: المعجم، ص 82؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

7)الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص283.

كما أن التلمساني علي بن أبي قنون، درس الفقه المالكي بها ثم رحل إلى الأندلس وبها قضى مدة من حياته، فأخذ منها وأعطى، ثم عاد إلى المغرب [1]، وتولى خطة قضاء الجماعة بتلمسان وبمراكش بعد أبي يوسف حجاج فسار فيها أحسن سيرة [2]، توفي عام (557هـ/1162م)[3]، فكان خير سفيرٍ وممثل لمثقفي المغرب الأوسط.

ومنهم من اتصل بالمغرب الأقصى تاجرا وطالبا للعلم في نفس الوقت كمحمد بن علي ابن رمامة، من أهل قلعة بني حماد، نزل مدينة فاس، يكنى بأبي عبد الله، ويعرف بابن الرمامة [4]روى عن أبي الفضل بن النحوي، وتفقه على يده، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن حماد، وخاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشوة بالجزائر، وأبي حفص التوزري، وأبي محمد المقري ببجاية، وغيرهم ودخل الأندلس فلقي بقرطبة أبا محمد بن عتاب، وأبا الوليد بن رشد وغيرهم ونزل مدينة فاس وولى قضاءها سنة(536هـ/1141م)(5)، وتوفي بفاس سنة(567هـ/1171م)[6].

أو ينزل كضيف عند العديد من العلماء سواء في المغرب الأقصى أو الأندلس كأبي الحسن القلبي علي بن يحي بن سعد، بن مسعود بن سهل الأنصاري، سكن اشبيلية ومراكش وغيرهما من بلاد العدوتين[7] أو يتجه نحو مدن المغرب الأقصى قصد العمل والاسترزاق، وفي نفس الوقت الاحتكاك والاتصال بعلمائها، مثل أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي، المعروف بالتلمساني وكان زاهدا ورعا، سكن سلا، يحترف بالنسخ"وثاقا"، ولا يقبل فيه سوى قيمة العدل [8] واستقر أخيرا بفاس وبها مات سنة(579هـ/1183م)[9].

أما الحسن بن حجاج الهواري، وهو من فقهاء المالكية، أصله من بجاية، أخذ عن أقطاب عصره ، سكن مراكش، ودخل الأندلس مرارا، وولي الخطبة بإشبيلية سنة(580هـ/1184م)، توفي بمدينة فاس(598هـ/1202م)، وحمل بعد أشهر إلى مراكش فدفن بها[10].

---

1) عمار هلال: المرجع السابق، ص149.

2) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص160.

3) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسمائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمئة.ابن الأبار: المعجم، ص294.

4) جده الأكبر أحمد هو الذي يعرف بابن الرمامة، وقيل إمرأة نسب إليها.ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص370.

5) المصدر نفسه، ج2، ص370؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص152-153.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص371 53؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1 ، ص306.

7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

8) المصدر نفسه، ج 1 ، ص 108.

9) التادلي: المصدر السابق، ص280. لكن يحي بن خلدون يذكر انه توفي بسلا .أنظر: بغية الرواد، ج1، ص108.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص33؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 337؛وعمار هلال: المرجع السابق، ص27-28.

وقبل نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري/11م كانت الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط تستمد أفكارها وتياراتها من الحياة الثقافية والفكرية والعلمية السائدة في القيروان، حتى أن بواكير الزهد والتصوف التي شهدها المغرب الأوسط آن ذاك، تلقى روادها تعليمهم، واستمدوا أفكارهم من شيوخ القيروان[1].

بعد خراب القيروان على يد القبائل الهلالية(449هـ/1057م) وما تبعه من غزو النورمان لمدن إفريقية الساحلية، في غضون النصف الأول من القرن السادس الهجري/ 12م، جعل العلماء يشدون الرحال إلى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، خاصة إلى مدينتي بجاية وتلمسان، حيث توافد عدد غير محدد من طلاب إفريقية على أبي مدين شعيب في بجاية ينهلون من علومه[2].

والمغرب الأدنى كان في البداية قبل فتحه الكلي من قبل الموحدين —عبد المؤمن—مقاطعة تابعة لولاية بجاية، لينفصل فيما بعد ويصبح ولاية إدارية قائمة بذاتها، مع تعيين أبناء عبد المؤمن كولاة عليه وعلى بجاية وتلمسان، وبالتالي استمرت العلاقة الأسرية، لتتوج على المستوى الشعبي بعلاقات ثقافية وتبادل للزيارات والرحلات.

تذكر لنا المصادر والآثار أخباراً كثيرة من رجال الدين والعلم والفن، ويبرز هنا عالم فاضل، لا تأخذه في الله لومة لائم يجسد المعنى الحقيقي للعلاقات بين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط و هو عبد السلام التونسي(ت589هـ/1193م)[3] أصله من تونس وصحب عمه العزيز التونسي بأغمات، فلما مات بها عمه نزل هو إلى تلمسان[4]، درس على يد عمه عبد العزيز[5] ونزل في الرهبان عالما[6]، وهو من شيوخ الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وكانت وفاته بتلمسان، ودفن بالعباد، في الرابطة المعروفة برابطة التونسي[7]، ثم دفن الشيخ أبو مدين بعد وفاته بجواره في روضته[8] فكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء المغرب الأوسط، فأفاد منه خلق كثير، علما وتربية وسلوكا.

---

1) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن 10 إلى القرن 12، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992،ج2، ص337، ص347، الطاهر بونابي:التصوف في الجزائر، ص276-277.

2) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص47؛ والهادي روجي إدريس:المرجع السابق، ج2، ص415.

3) ابن قنفد: أنس الفقير، ص107-108؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص22.

4) التادلي: المصدر السابق، ص110.

5) هو عبد العزيز التونسي، أبو محمد، سكن مالقة، ثم استقر بأغمات توفي سنة 486 هـ/1093م.ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص549.

6) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص125.

7) التادلي: المصدر السابق، ص110.

8) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص419.

كما وفد على تلمسان قادما من حضرة الموحدين مراكش الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي (وتوفي بتلمسان سنة 608هـ/1211م)، وكان له مجلس علم يدرس فيه كتاب البرهان لأبي المعالي، وقد مال إلى التصوف[1].

إضافة إلى بعض علماء المغرب الأدنى الذين وفدوا على أبي مدين شعيب نذكر أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهداوي(ت 621هـ/1224م)، حيث استقر بعد عودته من بجاية في مدينة تونس، والتزم قصر المنستير معلما ومتعبدا[2]، وأبو يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني (ت 621هـ/ 1224م) الذي أخذ التصوف عن أبي مدين شعيب ببجاية ، ولما عاد إلى إفريقية استقر بالقيروان ، وتخرج على يده العديد من الطلبة[3].

وتأثر أبو سعيد يحي الباجي(ت 628هـ/1230م) بأبي مدين وأفكاره من خلال احتكاكه بمدينة بونة ووجود علاقات أخوية مع بعض صوفيتها[4].

كما كان الشيخ الفقيه عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي(ت 636هـ/1238م) الكاتب المحصل، الأديب البارع، أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس والرواية[5].

وبذلك ساهمت الرحلات العلمية في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط، فالرحلات الداخلية أوجدت نوعا من التكامل العلمي بين المؤسسات العلمية المختلفة في المغرب والأندلس، أما الرحلات الخارجية فقد جعلتهم يطلعون على ما أنتجه إخوانهم المشارقة في مختلف فروع العلوم ومكنتهم من التعرف على مختلف التيارات الفكرية والأدبية وحتى المذهبية[6].

---

1) التادلي: المصدر السابق، ص406.

2) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص97-ص99؛ والوفيات، ص298.

3) الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق وتعليق محمد ماضود، المكتبة العتيقة تونس-مكتبة الخانجي مصر، دط، 1978، ج3، ص213.

4) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 278.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص271.

6) صفية ديب: المرجع السابق، ص174.

2 – المجالس العلمية

اهتم الموحدون كثيرا بالعلم والمعرفة، وقربوا إلى مجالسهم العلماء والمفكرين والفلاسفة، فأدى ذلك إلى ازدهار الحركة العلمية في المغرب ازدهارا لم يسبق له مثيل في تاريخه الطويل [1] فأصبح تعدد المجالس في المدن والحواضر بالغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط على الخصوص مظهرا من المظاهر الرائعة لليقظة العلمية والفكرية التي كانت منتشرة في ربوع وأرجاء الدولة الموحدية، وهو دليل على الضمأ والشغوف لارتياد مناهل العلم الكثيرة والتي منها المجالس العلمية.

ومما لاشك فيه أن الدولة الموحدية كانت تحظى بكثرة خلفائها المشاركين في العلوم والفنون ومن ثم فإن تقديرهم للعلماء كان صادرا عن معرفة، وليس عن نفاق ومصانعة، فقد حرص كل خليفة على أن يكون له قدر كبير من الثقافة، تسمح لأي منهم بمجالسة الفقهاء الذين كانوا في العدة زينة مجالس الخلفاء ومستشاريهم، والمؤكد أن ثقافتهم تلك كانت سببا رئيسيا دفع بهم إلى احترام العلماء وإجلالهم[2].

كان أول مجلس علم بعد بزوغ الدعوة الموحدية، مجلس المناظرة [3] الذي عقده الأمير المرابطي لابن تومرت من أجل إفحامه وإبطال دعوته، لكنه تفوق عليهم جميعا من خلال إتقانه لعلم الكلام والجدال [4]، فكان إيذانا لدولة أول بذرتها مجلس علم ومناظرة.

فكانت مجالس العلم التي يعقدها ابن تومرت في البداية بسيطة، حيث تكون مختلطة بين الرجال والنساء ، فيأمر أن يكون الرجال أمامه، والنساء خلفه ليسمعهم كلامه[5].

ومن أهم المجالس العلمية، والتي داوم عليها العلماء والطلبة، والعامة، باعتبارها واجبة دينيا، هي مجالس الخطبة في صلاة الجمعة، والدرس الذي يسبقها، والتي هي أحد مجالس العلم الفقهية [6] وقد أشار الغبريني[7]، وكذا يحي بن خلدون [8] إلى العديد من الشيوخ الذين انتدبوا للخطبة وإلقاء الدروس في المساجد، وبالتالي رئاسة المجالس العلمية المختلفة.

---

1) عبد القادر عثمان: المرجع السابق، ص245؛ و يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص352.

2) صفية ديب: المرجع السابق، ص216.

3) **المناظرة لغة** من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحا هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين، إظهارا للصواب. الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1985، ص250.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص174–175؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ وهويثي ميراندا: المرجع السابق، ص57.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص167.

6) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص28.

7)عنوان الدراية، ص73، 77، 93،137، 138.

8) أنظر: بغية الرواد، ج1، ص103، 104، 128.

ومن مظاهر رعاية الموحدين للعلم والعلوم المختلفة تلك المجالس العلمية، أو المجامع الفكرية التي كان يعقدها خلفاء وأمراء وولاة الموحدين، ويدعى إليها فطاحلة وكبار العلماء في مختلف العلوم من المغرب والأندلس، وقد ينظم لمن يريد الانضمام إلى المجالس العلمية امتحانًا أو اختبارًا في العلم الذي يجيده، للتحقق من مستواه العلمي في ذلك العلم[1].

كما بلغ علماء الموحدين شأوًا كبيرًا في حفظ القرآن والحديث، ونالوا المرتبة الرفيعة بين العلماء، لعقدهم الكثير من المجالس العلمية لإسماعه، واتخاذ بعضهم مواسم له كشهر رمضان، حيث يدعى الطلاب من مختلف المدن لحضور هذه المجالس [2] وكان عدد الطلاب يتزايد تبعا لمكانة الشيخ وعلو سنده، إضافة إلى أهمية ونوع الكتب التي تسمع وتناقش في هذه المجالس[3].

لقد تشبه ملوك الدولة الموحدية، بخلفاء بني العباس في مجالسهم، فكانوا يفتحون باب المناقشة بين العلماء، ويشاركون فيها بأنفسهم، وكانوا يتخذون لأولادهم مؤدبين مبرزين، كذلك كان الخلفاء الموحدون يقيمون الندوات الشعرية التي يشترك فيها كثير من الشعراء، فقد أقام عبد المؤمن ندوة أدبية ضخمة في جبل طارق، واستدعى لها الشعراء، و اجتمع على بابه منهم عدد كبير[4].

كان يحضر في مجالس الخلفاء والأمراء علماء كثيرون من بينهم أبو بكر بن الجد (ت 586هـ/1190م)، و أبو الفضل بن محمد بن محشرة (598هـ/1201م)[5] وعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)، وأبو بكر بن طفيل(ت581هـ/1185م)[6]، ومحمد بن عبد الله بن

1) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1 ، ص353.

2) رشيد ملين: عصر المنصور الموحدي، من سنة 580 هـ إلى سنة 595 هـ، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، د ت، ص 249.

3) صفية ديب: المرجع السابق، ص147.

4) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص98-102.

5) عند عبد الواحد المراكشي ابن محشوة .المصدر السابق، ص 173؛ وابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 260. كان أبوه قاضيا على بجاية، استدعاه الخليفة أبو يعقوب الموحدي (558-580 هـ) (1162- 1189م) إلى حضرته، بمراكش الغبريني: المصدر السابق، ص83-84. فارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله، مع العلم أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله، حيث عينه كاتبا عنده، خلفا لأبي القاسم القالمي.عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص173. ولما وصل إلى حضرة مراكش، ومثل بين يدي الخليفة رأى من أحسن سيمته، ووقاره، ما أغناه عن اختباره، فأكرم نزله، ورفع منزلته، ومحله، وعندما وقع الإطلاع على ما عنده من فنون العلم، علم أن الكتابة التي وقع الاستدعاء بسببها، إنما هي بعض صفاته.الغبريني: المصدر نفسه، ص84.

6) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي، من أهل وادي آش يكنى أبا بكر، وهو من مشاهير الأطباء وأهل الحذق والنظر، له رسالة حي بن يقضان والأرجوزة الطبية وغيرها توفي سنة 581هـ/1185م.ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، مصر، 1974، ج2، ص478- 479.

مروان، الوهراني(ت601هـ/1204م-1205م)[1]، وابن رشد الحفيد(ت595هـ/1198 م)[2]، وصديقه محمد بن إبراهيم الأصولي(ت660هـ/1261م)[3] الذي تدخل في حضرة المجالس السلطانية ودافع وناظر جملة من العلماء والوزراء، بما فيهم الخليفة نفسه"بجامع المسلمين"[4].

حيث سخط الخليفة يعقوب المنصور(ت 595هـ/1198م) على ابن رشد بتحريض ووشاية من حساده، ويذكر المراكشي أن سبب دواعي المحنة سببان جلي وخفي، الخفي هو شرحه لكتاب الحيوان[5]، وأما السبب الجلي أنه وجد المغرضون بعض تلاخيصه التي كتبها بخط يده حاكيا عن بعض قدماء الفلاسفة"[6] ...فقد ظهر أن الزُهرة - أي الكوكب — أحد الآلهة... فأوقفوا ابن رشد على هذه الكلمة، فاستدعاه المنصور بعد أن جمع له الرؤساء والأعيان، فأراه الأوراق وقال له أخطك هذا؟ فأنكر، فتدخل صديقه محمد بن إبراهيم الأصولي جرى في ذلك المجلس السلطاني نقاش حول العمل بالشهادة

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان.يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص129.الهمداني الوهراني مولدا، التلمساني منشأ، وأصله من الأندلس ولي قضاء تلمسان و اشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحدي به، فاستدعاه إلى حضرته وولاه قضاء قضاته بمراكش.ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص374؛ ويحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص113.في مكان أبي جعفر بن مضاء، فتولاها سنة 584 هـ/1188م، ثم تولى قضاء إشبيلية إلى سنة 592هـ/ 1195 م، فانصرف يومئذ عن القضاء ثم أعيد إليه بعد انصراف أبي القاسم بن بقي. ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص374؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص38.ثم عزله، ثم ولاه الخليفة الناصر، ويقي في منصبه إلى أن توفي بمراكش عام 601هـ/1204 م-1205م .ابن سعيد المغربي: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف،مصر، دط، دت، ص29- 33.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص207. وابن رشد الحفيد هو العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن العلامة المفتي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، أدرك من حياة جده شهرا سنة عشرين، وتفقه وبرع، وسمع الحديث وأتقن الطب، وأقبل على كلام الفلسفة، وتآليفه كثيرة، وتوفي في صفر بمراكش595 هـ/1198م.ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص522-523.

3) هو محمد بن إبراهيم الفهري البجائي، المشتهر بالأصولي برز في علم الكلام وأصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي، وكان عالم وقته في هذا الميدان.ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص 271-272. من أهل بجاية، وأصله من بني مرزقان بإشبيلية، ولي قضاء بجاية ثلاث مرات، صرف عن آخرها سنة 608هـ/1211 م.الغبريني: المصدر السابق، ص 185؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص18. دخل الأندلس مرارا، وولي قضاء مرسية منها، واستخلف بمراكش على القضاء، ولما امتحن ابن رشد سنة 593 هـ/1196م محنته المشهورة، في عهد الخليفة المنصور، لكنه عفي عنه الخلفة الناصر، وكف بصره في أواخر حياته، وتوفي ببجاية سنة612هـ/1215م-1216.الغبريني: المصدر السابق، ص186.أما عند الصفدي فذكر أنه توفي سنة 604 هـ/1207م .أنظر: المصدر السابق، ج2، ص9.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص26 ، والسفر الثامن، القسم الأول، ص271-272؛ والقرافي: المصدر السابق، ص225.

5) في الكتاب ذكر الزرافة في شرحه على كتاب الحيوان لأرسطو طاليس، وقال بأنه رأى هذا الحيوان عند ملك البربر (اغتاظ الخليفة لوصفه بالبربري لأنه يدعي النسب العربي) احمد مختار العبادي: دراسات، ص 118 فدافع محمد بن إبراهيم الأصولي عن صديقه، وقال: إنما الكتاب فيه تحريف، إذا الصواب فيه هو قوله"ورأيت الزرافة عند مالك البربر، لا ملك البربر" عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص218؛ وابن عذارى: المصدر السابق، (قسم الموحدين) ، ص226؛ والغبريني: المصدر نفسه، ص185.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر السادس، ص25-26؛ والقرافي: المصدر نفسه، ص225.

على الخط، فوجدها الأصولي فرصة ثمينة لتركيز دفاعه عن صديقه، فقال لذلك الجمع: إنكم منعتم الشهادة على الخط في الدرهم والدينار، وتجوزونها في قتل المسلم؟...فكان ذلك سببا في تخفيف الحكم على ابن رشد وعلى جماعة من الفقهاء[1].

كان إذا حضر مجلس أمير المؤمنين، ابن عبد المؤمن، وتقع المذاكرة بين يديه يسامحه الحاضرون من الطلبة في المذاكرة، وكان هو لا يسامحه في شيء، وكان أمير المؤمنين يُجد منه في مجلسه، ويعرف له مع ذلك فضل، فلا ينقصه شيئا من حقه [2] كما كان عبد المؤمن يحدث جلساءه ويفاوضهم [3] ويقنعهم بالحجة والدليل، أو قد يتراجع عن بعض أقواله دون تعصب.

كما كان أبو يعقوب يوسف(ت 580هـ/1184م) يجمع حوله صفوة العلماء والمفكرين، ويعقد مجالس خاصة معهم في قصره يستمع إلى آرائهم وأفكارهم، وكان يطرح أحيانا بنفسه المسائل العلمية على الطلبة والحاضرين، فهو كان غاية في العلوم والتفنن فيها [4] وكانت هذه المناظرات تفتتح بإلقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة نفسه، أو بعد إذنه بعض الحاضرين في هذه المجالس العلمية [5] وقد كانت هذه المجالس منظمة تنظيما فريدا حتى في ترتيب الجلوس مما يزيدها مهابة وجلالة فكان يجلس إلى جانب الخليفة خطيبه فقاضي الجماعة بمراكش، فرئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقي الأعلام والحاضرين على اختلاف مراتبهم[6].

تميزت المجالس العلمية التي كان يعقدها الخلفاء، أو الولاة كوالي بجاية وتلمسان، بكونها حافلة بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم من أدباء وشعراء وفلسفة وطب [7] كمجلس الأمير أبو زكرياء يحي بن يوسف بن عبد المؤمن، وممن كان يحضرها عبد الواحد المراكشي، صاحب كتاب المعجب[8].

---

1) نفى الخليفة ابن رشد إلى أليسانة (قرية قريبة من قرطبة) كما أن محنته لم تدم أكثر من سنتين أو ثلاث (593-595 هـ/1196-1198م) فقد عفا المنصور عن الرشيد، وأعاده إلى سابق عهده، ولو أنه لم يعمر بعد ذلك إلا سنة حيث توفي سنة 595 هـ، عن عمر 75سنة ولمزيد من المعلومات عن نكبة ابن رشد. انظر محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، لبنان، 2000، ص121-122؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص37.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص185.

3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176.

4) لقد اشتهر المنصور بمجالسه العلمية الجامعة التي كان يعقدها بقصره بمحضر رجال الدولة والعلماء، وكان يخصص لكل نوع من العلوم يوما من أيام الأسبوع فكان هناك مجلس للفقهاء وآخر للأدباء وثالث للأطباء وهكذا رشيد ملين:المرجع السابق، ص 149؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص353؛ عبد الهادي حسيس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد2، 1981، ص314-315.

5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174.

6) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص 353.

7) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص31.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص220.

بذلك أصبحت مجالس الخلفاء الموحدين ندوات علمية رفيعة، والذي دفعها للرقي هو شغفهم بالعلم وحبهم له، فأصبحت مجالسا للمناظرة والمحاضرة[1] ومطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء[2].

كما استدعى الخليفة المنصور أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج البلنسي(ت 601 هـ/ 1204م) المعروف بالذهبي نزيل تلمسان، استدعاه إلى مراكش حيث حلى به بلاطه، أين كانت تقام المجالس العلمية، وكان ابن فرج أبرز أعضائها، ولما آلت الخلافة للناصر، جعله على رأس مجالسه، كما جلس للإقراء بتلمسان وانتفع به الناس[3].

كان الخلفاء يطلبون العلماء في منازلهم، فقد كان أبو يعقوب يوسف(580هـ/1184م) يقيم عند ابن طفيل عدة أيام بلياليها[4]، وكان أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب[5] أكثر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن [6] كما كان ذا حظوة عظيمة محمد بن عبد الحق اليفرني (ت625هـ/ 1227-1228م) [7] والذي أكرمه الأمراء والملوك[8] ولا ننسى محمد بن أحمد الحجام التلمساني (ت 614هـ/1217م)[9] الذي حضي بمجلس علم عند الخلفاء الثلاث المنصور، والناصر والمستنصر[10].

بذلك حضي علماء تلمسان وبجاية بسمعة طيبة في حواضر الدولة الموحدية بل حتى والإسلامية منها المشرقية والأندلسية، لأنهم بلغوا من النضج الثقافي والعلمي درجة كبيرة، جعلهم يفرضون

---

1) ابن القطان : المصدر السابق، ص176.

2) شفيق محمد : المرجع السابق، ص35.

3) محمد طمار: تلمسان، ص79.

4) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص350.

5) فقيه جليل فاضل، قال عنه الغبريني"هو أول بيت بني الخطاب ببجاية، ولي قضاءها من مراكش، وكانت له صلابة في الأحكام، وقلة مبالة بأحد من الحكام، وكان إذا حكم أمضى وإذا وصل أرضى...واستمرت مدته، وطالت ولايته وقد توفي في النصف الأول من القرن السابع هجري.أنظر: المصدر السابق، ص213؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص134.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص213.

7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 112، وابن القاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين، تحقيق محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1984، ص153؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

8) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص112؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص 395- 396؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

9) التادلي: المصدر السابق، ص439-440.

10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص266.

المستنصر هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه رومية إسمها قمر، كانت ولا دته سنة 594هـ/1197م قبل وفاة جده أبي يوسق بأربعة أشهر، بويع ووسنه ست عشرة سنة في 610 هـ/1213 م، وتوفي سنة 620 هـ/1223م. ولمزيد من المعلومات أنظر .عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 231-235، و ابن خلدون : العبر، ج 6، ص337.

وجودهم وحضورهم في المجالس العلمية والمؤسسات التربوية، وبما أنتجوه من مصنفات في العلوم والآداب، وفقه النوازل وفي التفسير والحديث والتصوف وغيرها من العلوم[1].

وقد كانت المجالس العلمية مظهرا آخر من مظاهر النشاط الفكري، في دولة الموحدين، وكان الخلفاء الموحدون أنفسهم يشتركون في تلك المناظرات، ومن هؤلاء الخليفة عبد المؤمن والخليفة المنصور، وقد كان هذان الخليفتان يلقيان المسائل بأنفسهما على المشتركين في المجالس العلمية[2].

كما استدعى الخليفة يعقوب المنصور(ت 595هــ/1198م) الفقهاء لعقد مجلس علمي بمراكش للنظر في قضية لعن الفقيه المالكي البجائي أبي زكريا الزواوي(ت 611هــ/1214م) لفقه ابن حزم الظاهري، فطلب منه الخليفة الحضور إلى المجلس العلمي، للدفاع عن نفسه، وشرح مواقفه، فاتجه إلى مراكش، وناب عنه فقيه آخر من المغرب الأوسط هو عبد الكريم الحسني [3]، فتوجه وحمل تأليف الفقيه أبي زكريا، فأحسن وأجاد"واطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه، مما دلهم على فضله، وعلمه، فكان من قول الخليفة يترك هذا الرجل على اختياره فإن شاء لعن، وإن شاء سكت" [4].

أما الشيخ الفقيه الصوفي أبو مدين شعيب(ت594هــ/1197م)، يعقد مجالس علمية مهمة جدا يذكرها المقري بنوع من المبالغة" وله مجلس وعظ يتكلّم فيه، فيجتمع عليه الناس من كل جهة، وتمر به الطيور وهو يتكلّم فتقف تسمع..."[5]، ويضيف التميمي"لم أر مجلسا أنفع من مجلسه، وفي أول اتصالي به، أتيته في منزله – بفاس–فوجدته وحده فأدخلني في البيت، فأخرجت كتاب الرسالة للقشيري فقلت له ياسيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب، فقال لي: أنت صغير ويطول عليك الكتاب، لكن اعمل بحديث واحد، وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به، فقلت له: وماذاك؟ فقال لي: قال النبي (ص) حب الدنيا رأس كل خطيئة، فازهد فيها، واتركها تنل فضيلة"[6].

وكان للفقيه أبي عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هــ) نزيل بجاية مجلسًا للدراسة بعلو سقيفة داره، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن[7].

---

1) عبد العزيز فيلالي: تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص7.

2) شفيق محمد: المرجع السابق، ص35.

3) هو عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني، من أهل بجاية، كان فقيها مدرسا، من أهل العلم والفضل والوجاهة، ترجم له.القرافي: المصدر السابق، ص139-140؛ والتنبوكتي: المصدر السابق، ص285؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص222-223.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص217؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص123- 124.

5) أنظر: النجم الثاقب، ص 381؛ ونفح الطيب، ج7، ص137.

6) محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تيطوان، 2002، ج2، ص42.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص189.

والظاهر أن مجالس المذاكرة تعددت بتعدد الفنون والعلوم، فكان لكل فن مجلس، فهناك مجلس للمذاكرة في الأدب، ومجلس آخر للمذاكرة في العربية، وآخر في الطب، وغيرها من مختلف صنوف العلم والمعرفة[1].

وقد تكون المجالس العلمية تعقد للطلبة من أجل المذاكرة كمجلس أبي عبد الله محمد بن محمد القلعي(ت665هـ/1270م) [2] وكان أحد العدول المرضيين، حيث كان له مجلس يُقرأ عليه فيه التهذيب أحيانا[3].

أما مجلس أبي مدين شعيب الذي كان يجتمع فيه بطلبته يعلمهم أصول الفقه أو علم التصوف، أو يشرح لهم بعض العلوم والكتب [4] ككتاب الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ/ 857م) وشرح رسالة القشيري (ت465هـ/1072م)[5] أو إحياء علوم الدين للغزالي (ت505هـ/ 1111م)[6] أو مجلس محمد بن أحمد الحجام التلمساني (ت 614هـ/1217م)[7] الذي كانت له مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع[8].

كما كان الشيخ التلمساني أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف(ت 686هـ/1287م) بالجزائر) الذي عاصر الفترة الموحدية والزيانية دروس و مجالس علم دأب عليها، في أوقات محددة، ولمدة طويلة، بعد الغداة في مسجده ببجاية، والثاني بالجامع الأعظم بين الصلاتين[9].

وقد ساهم التنافس مع الأندلسيين في تطوير العلوم والآداب، من خلال سلسلة المناظرات والمجالس التي تعقد بين علماء العدوتين، وتعد المناظرة التي وقعت بمجلس والي سبتة الأمير يحي بن أبي

1) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص30؛وصفية ديب: المرجع السابق، ص160.

2) هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المنصور–وقيل ابن المنصور –كان له علم بالفقه والفرائض علما وعملا، ولد بالقلعة و بها تعلم ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها إلى أن توفي في سنة665 هـ/ 1270 م.عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص227.

4) المصدر نفسه، ص58؛ وابن صعد: المصدر السابق، ص387.

5) رسالة القشيري: هي رسالة جليلة في علم التصوف، وقد اشتملت على تراجم لرجال التصوف وأبحاث في علمهم، ومؤلفها، هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفي سنة 465 هـ/ 1072م القشيري: الرسالة القشيرية، وضع حواشيها خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص5- 6.

6) التادلي: المصدر السابق، ص319-320.

7) المصدر نفسه ، ص439-440.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص266؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص174.

9) الغبريني: المصدر نفسه، ص91.

زكرياء في هذا الصدد، بين أبي الوليد الشقندي، وأبي يحي بن المعلم الطنجي، من أحسن الأمثلة على ذلك، حيث أمر الأمير كلا من الأديبين الأندلسي والأديب المغربي بكتابة رسالة في تفضيل قطره[1].

ولا يمكن أن نهمل المجالس العلمية الفردية التي كان يقيمها العلماء فيما بينهم سواء في المساجد، أو داخل ديارهم، أو حتى في حوانيتهم، كما هو الشأن بالنسبة للفقيه أبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م) الذي كان له مجلس يجمع فيه الفقيه أبا محمد عبد الحق الاشبيلي (ت 581هـ/1185م)، والفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عمر القريشي المعروف بابن قريشة، حيث يقول عنهم الغبريني"...وكثيرا ما كانوا يجلسون بالحانوت الذي هو بطرف حارة المقدس ببجاية، وكان الحانوت المذكور يسمى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه..."[2].

يذكر الفقيه ابن حماد الصنهاجي القلعي أنه قرأ على الشيخ الشيوخ أبو مدين شعيب، سنة581هـ /1185م، كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى بداره ببجاية [3] أي أن دار شعيب كانت مجلسا للعلم والتدارس.

وقد أحسن أبو العباس الغبريني صنعا في وصف عدد من مجالس العلم، وتحلّق الطلبة حول شيخهم، فيقول:"ويطول بمجلسه لكثرة الطلبة، وكثرة تفننهم فيما يقرؤون، وكان حسن الإيراد، مبارك الإقراء، انتفع عنه خلق كثير على قدره، ولقد حضرت مجلسه يوما، فذكر القارئين عليه من الطلبة واستكثرهم، وأخذ يَعُدُّ من علا ذكره منهم ، فَمَن له نبل، وقد قعد منهم نحو الثمانين ما منهم إلا من قد تخطَّط بخطه أقلها الكتابة، خلاف الغائبين، ومن لم يحضر ذكره، ومن غير مخطط"[4].

وهذا يدل على التنظيم الجيد للمجالس، واستخدام الفقيه المناداة، وكثرة عدد طلبته حيث فاق عددهم ثمانين طالبا في مجلس واحد[5].

كما وصف أبو العباس الغبريني مجلس إقراء أبي بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري (ت659هـ/1260م) الفقيه المخضرم الذي عاش الفترة الموحدية والحفصية، بقوله:"وروى وأقرأ وأسمع، وكثر الآخذون عنه والسامعون منه، والمقتدون به..."[6].

---

1) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص164.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص69.

3) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص92.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص103.

5) صالح مهدي عباس الخضري: النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية، من خلال كتاب عنوان الدراية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، السنة العاشرة، العدد38، ربيع الآخر1423هـ/ يوليو، 2003، ص51.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص247.

3 - الإجازة العلمية[1]

لم تكن الشهادات العلمية معروفة كما هو عليه الحال في أيامنا هذه، وكان لزاما على من يريد أن يكون معلما أن يواظب على حضور حلقات الدرس، لكي يتحلى بقدر كاف من العلوم تؤهله لأن يتصدى لمهنة التدريس، ولن يتم له ذلك إلا إذا حصل على إجازة من معلمه، وإذا تأكد المدرس من استيعاب طالبه للعلم الذي عهده إليه، كتب له شهادة على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتاب الذي سوف يدرسه، وسبق له دراسته والإحاطة به، وأجاز له تدريسه[2].

والإجازة[3] هي عبارة عن إذن في الرواية لفظا وكتابة، تم اللجوء إليها عندما تم تدوين كتب الحديث، و لم يعد في مقدور الشيخ أن يعقد مجلس إقراء، ولا في استطاعة الطالب الجلوس عند الشيخ ليسمع منه كل مروياته، فرخصوا لمن أحضر كتابا قد قوبل على نسخة الشيخ أن يروي عنه وإن لم يسمع منه ذلك[4] أي أن الإجازة هي شهادة للطالب تثبت قدرته على نقل العلم[5].

أكد ابن مريم ذلك بقوله"اعلم أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم، وكذلك معرفة أفاضل الأمة من صحابي وتابعي وفقيه، ومن الكمال ومعرفة تاريخ موتاهم وولادتهم لتمييز من سبق ممن لحق ..."[6] والإجازة العلمية فيها دلالة على رفعة المستوى العلمي لمن تمنح له، فهي لم تكن تمنح إلا

---

1) **الإجازة** لغة مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والأرض ، حيث يقال اسجزت فلانا فأجازني إذا سقاك ماء لأرضك وماشيتك ، فكذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه، واعتبر العالم القسطلاني الاجازة مشتقة من التجوز وهو التعدي فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه.يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص129 و أقدم إجازة كتبت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة صاحب التاريخ (ت279 هـ/ 892 م) ونصها: " قد أجزت لأبي زكريا يحي بن مسلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه من أبي محمد القاسم بن الأصبغ ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني، وأذنت له في ذلك ولمن أحب من أصحابه .." كتبت بخط بن خيثمة في شوال سنة 276 هـ/889 م .انظر محمد ضياء الأعظمي: معجم مصطلح الحديث ولطائف الأسانيد، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص13- 14.

2) مروان عبد الملك محمد: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج29، العدد1، 2001، ص42.

3) **الإجازة اصطلاحا:** هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه و لم يقرأها عليه وذلك بقوله"أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صح عند من مسموعاتي" وعرفها الإمام السمني باعتبار أركانها الأربعة فقال: الإجازة في الاصطلاح إذن في الرواية لفظا أو خطأ يفيد الإخبار الإجمالي عرفا وأركانها أربعة: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة" .يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص129-130.

4) القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970، ص88-107؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص174.

5) أنور محمد زناتي: فهارس علماء المغرب والأندلس، دورية كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس2011 ، ص63.

6) ابن مريم: المصدر السابق، ص307-308.

لذوي المعرفة يؤذن لهم في روايتها، ويشترط فيها أن يكون المجيز عالما بما يجيز به، ثقة في دينه، معروفا بالعلم، وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمته حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله [1].

وقد ذكر القاضي عياض السبتي اليحصبي(ت 544هـ/1149م)[2] أربعة أشكال رئيسية لانتقال العلم والمتمثلة في السماع[3] والقراءة[4] والإجازة والمناولة[5].(**لاحظ الملحق رقم 07**)

ويؤكد أبو القاسم بن سعيد العقباني(ت 871هـ/1467م) على ضرورة الإجازة"في رواية الأخبار والإنشاءات المتواترة"، ولا يراها كذلك في طالب العلم والفتيا، ورد ذلك في إحدى فتاويه التي كانت إجابة على سؤال أحدهم[6].

إن الهدف الأسمى الذي كان يسعى من ورائه طلاب العلم من خلال الرحلة، هو الحصول على الإجازة في مختلف العلوم، والاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، والحصول على الإجازة والرواية منهم، وذلك حرصا على السند العلمي، الذي بفضله يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث [7]

لهذا شدد علماء الحديث في منح الإجازة إلا للطالب النجيب، والذي ألـّـم بأسانيد كتب هذا العلم وحفظ رواياته[8] والشيخ لا يمنحها إلا للطالب الواسع المعرفة المتمكن في مادته محيطا بالتخصص الذي يريد أن يجازى فيه إجازة تكون إذنا له في الرواية عن شيخه، أو للدخول بها ميدان التعليم أو لممارسة الفتوى أو القضاء[1] والإجازة أنواع أعلاها إجازة"معين في معين"[2].

---

1) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص42.

2) أما الطرق الباقية من طرق تحميل العلم، وإن كانت أقل استعمالا إلا أنها وجدت لها سبيل منها:

الوجادة: وهي الوقوف على كتاب بخط مُحدث مشور يعرف خطه ، ويصححه، وإن لم يلقه و لا سمع منه ذلك، ولكن لم يسمع منه كتابه، وتستعمل صيغة"وجدت بخط فلان" أو "قرأت في كتاب فلان بخطه".القاضي عياض: الإلماع، المصدر السابق، ص 116-117. وقد نقلت العديد من الروايات على هذا النحو مثل ما هو في كتاب الغبريني : المصدر السابق، ص76، 86 ، 136...

المكاتبة: وهي تبادل المؤلفات وطلب أن يكتب على تلك المؤلفات بخط يده ملاحظات، وتمت بين مختلف الأوساط العلمية المغربية والمشرقية والأندلسية.القاضي عياض: المصدر نفسه، ص83-84.

3) **السماع**: أو المشافهة بها، وهو ينقسم إلى إملاء أو تحديث، و سواء كان من حفظ الطالب، أو القراءة من كتابه، وهو أرفع أنواع الرواية عند المحدثين.القاضي عياض: المصدر نفسه، ص69؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص132.

4) **القراءة**: وهي أن يقرأ الطالب بصوت مرتفع في كتاب أو من حفظه، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله، ويقارن بين ذلك.القاضي عياض: المصدر نفسه، ص71.

5) **المناولة**: فهي إعطاء الشيخ الطالب شيء من مروياته، ويقول له هذه من مروياتي فخذها تمليكا أو إعارة، وإروها عني، وقد يأتي الطالب بكتاب من كتب الشيخ ويناوله فيتأمله الشيخ ليعلم صحته وعدم الزيادة والنقصان فيه، ثم يعيده إلى الطالب، ويقول له من حديثي أو سماعي"فأروه عني ".القاضي عياض: المصدر نفسه، ص82.

6) الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص236.

7) القلصادي: المصدر السابق، ص68 .

8) القسطلاني: السعي الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث، تقديم وتحقيق بشير ضيف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص37.

ومن كل هذا نستنتج أن للإجازة فائدتان:

1 - استعجال الرواية عند الضروريات.

2 - الاستكثار من المروي حتى لا يكاد أن يشذ عمن استكثر من الروايات[3]

وقد كانت تلمسان وبجاية خلال العهد الموحدي منارتان للعلم وقبلة لمن يريد الإجازة والاستزادة والتعمق فيه، بفضل المشيخة العلمية والفكرية المتميزة، والمؤسسات التعليمية المنتشرة عبر أنحائها وسوف نذكر أمثلة عن علماء أجازوا لبعضهم أو طلبوا الإجازة أو منحها لهم بعض المشايخ ومنهم:

جابر بن أحمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 578هـ/1182م)القرشي، الحسني، من أهل تلمسان، يكنى أبا الحسن، أجازه الكثير من علماء عصره، وروى عن أبي بكر بن خير، وأبي القاسم السهيلي، وأبي الوليد يزيد بن بقى، وأبي الحسن بن مومن، وأبي موسى عمران بن موسى التليدي، وغيرهم[4].

والحافظ الحجة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي البجائي، المعروف بابن الخراط (ت581هـ/1185م)[5]، خطيب بجاية روى عن شريح بن محمد، وأبي الحكم بن برجان وأبي حفص عمر بن أيوب، وغيرهم[6]، وأجاز له ابن عساكر[7].

أما موسى بن حجاج،أبو عمران الأشيري (ت 589 هـ/1193م)[8] رحل إلى الأندلس وأقام بها من سنة535هـ/1140م إلى سنة540هـ/1145م، سمع من أبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عبد الله بن وضاح وأجاز له أبو القاسم بن رضى[9].

وأبو بكر بن سعادة الاشبيلي التلمساني [10] (ت600هـ/1203م)[11] أخذ عن أبي الحسن وأبي العباس بن حرب المسيلي[12]، وأبو بكر بن العربي، وأجازه أبو بكر بن رزق[1].

---

1) مصطفى المسلوتي: الإجازة العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، العدد السادس، الرباط، 1989، ص245.

2) القلصادي: المصدر السابق، ص68 .

3) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص 142-143.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص7.

5) ابن الأبار: المصدر نفسه ،ج 2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص257؛ واليافعي: مرآة الجنان، وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ج3، ص320.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص73؛ والذهبي:شذرات الذهب، ج6، ص444؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص276-277.

7) ابن الأبار: المصدر نفسه ج2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص256؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1350.

8) ابن الأبار: المصدر نفسه، ج2، ص379؛ و عادل نويهض: المرجع السابق، ص17.

9) ابن الأبار: المصدر نفسه، ج2، ص378-379؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص36.

10) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص227.

11) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

12) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، المتوفي سنة 539 هـ.ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص60.

وقد لقي محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله نزيل تلمسان (ت 610 هـ/1214م)[2] في طريقه للحج بسبتة أبا محمد بن عبيد الله، وبالمهدية أبا حفص عمر بن عتيق، وناولاه، وقاضيها أبا يحي أبو بكر، وقرأ عليه وأجازوا له، ولقي عدة شيوخ في القيروان، ثم القاهرة، ثم بمكة، وأجازو ا له ممن لم يلقه هو، أو لقي بعضهم وشافهه[3].

روى أبو زكريا يحي بن علي[4] الشهير بالزواوي[5] (ت611هـ/1214م)[6] عن القاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره، روى عنه المصابيح، وكتبا عدة إجازة وسماعا[7] وقد عاصر الشيخ أبا مدين شعيب[8].

ومن أجل الإجازة رحل الكثير من العلماء وطلاب العلم من المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، إلى الحواضر الإسلامية، ومن الأمثلة الكثيرة الموجودة في المصادر التاريخية، منها تلك التي ذكرها الغبريني أن محمد بن محمد الخشني[9] استجاز الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227-1228م) وأجازه[10] (**لاحظ الملحق رقم 08**)

كما لقي هذا الأخير كثيراً من أهل العلم والدين والزهد، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة واشبيلية والمشرق ومصر[11] وأجازه من أهل المشرق، أبو طاهر السلفي، وابن عوف، والكركنتي وأبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الخزرجي البوصيري، والتنوخي وغيرهم كثير[12] كما أجاز له من أهل الأندلس أبو الحسن بن هذيل، وابن النعمة، وابن نمارة[13]. وأجاز عدة شيوخ الفقيه محمد بن حماد

1) أبو بكر يحي بن محمد بن رزق، المتوفي سنة 560 هـ.ابن بشكوال: المصدر السابق ،ج3، ص967.

2) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191؛ والصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194.

3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، السفر السادس، ص 305-306 ؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص216.

4) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر السابق، ص428.

5) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص184-185.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص137-138.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص139.

8) التادلي: المصدر نفسه، ص 428.

9) الغبريني: المصدر نفسه، ص219.

10) أسيا ساحلي: إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008، ص139.

11)الذهبي: طبقات القراء، تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، الرياض، السعودية، 1997، ج2، ص963؛ وابن القاضي شهبة: المصدر السابق، ص153.

12)الرعيني: المصدر السابق، ص170.

13)ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

الصنهاجي (ت 628 هـ/ 1230م) أهمهم أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني، حيث تبين قصيدة شعرية من نظمه، أرسلها له من مرسية شاكرا له على الإجازة[1] (**لاحظ القصيدة الملحق رقم 09**)

كما أجاز الحسن بن زرقون أبا القاسم عبد الرحمن بن السطاح الجزائري (ت 629هـ/1231 م)[2] الذي رحل إلى اشبيلية، وقرأ بها[3].

وحدث بالإجازة عن أبي الطاهر السلفي أبو الخطاب عمر بن الحسن [4] بن علي بن دحية [5] الكلبي(ت633هـ/ 1235م) نزيل بجاية، الذي أجاز له أبو الوقت عبد الأول[6].

روى بالإجازة العامة عن السلفي [7] محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله (ت 643هـ/ 1245م)[8] البجائي، من أهل الجزائر، وأصله من أشير، النحوي، قال ابن الأبار وأجاز لي[9].

وأبو عبد الله المتيجي (ت 659هـ/1260م) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عيسى بن معنين بن علي بن يوسف، أبو عبد الله الاسكندراني الفقيه المالكي العدل، من أهل العلم والحديث كان صالحا ثقة ثبتا وكان له نظم ومن شعره فيما يكتب به على الإجازات:

أجزت لهم أعلى المهيمن قدرهم	وحلاهم ذكرا جميلا معطرا
رواية ما أرويه شرقا ومغربا	وما قلته نظما ونثرا محبرا
على شرط أهل العلم والصيغة التي	يكون بها معنى الإجازة مظرا[10]

وعموما للإجازة شروطها من أجل قبولها والرواية بها والعمل بمقتضاها، سواء في المجيز أو المجاز وهي:

1 - أن يكون الفرع معارضا بالأصل حتى كأنه هو.
2 - وأن يكون المجيز عالما بما يجيز ثقة في دينه وروايته معروفا بالعلم.
3 - وأن يكون المجاز من أهل العلم متسما به حتى لا يضع العلم إلا عند أهله[11]

4 - اقتناء الأصول القديمة

1) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص325؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.
2) الغبريني: المصدر السابق، ص225.
3) وكتب له ذلك بخط يده، وذلك في عقب ذي القعدة سنة615 هـ/1218م.الغبريني: المصدر نفسه، ص225.
4) ابن العماد:شذرات الذهب، ج7، ص 280-281؛ ورابح بونار: هامش عنوان الدراية، ص228.
5) ابن العماد: شذرات الذهب، ج7، ص281؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج 3، ص449.
6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر سابق، السفر الثامن ، ص217.
7) نفسه، السفر الثامن، القسم الأول، ص356-357؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج1، ص214.
8) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص754؛ والغبريني: المصدر السابق، ص319.
9) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص754.
10) الصفدي : المصدر السابق، ج3، ص285.
11) يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص135.

إن اقتناء الأصول والكتب القديمة والاعتناء بها يعتبر مصدراً ورافداً من روافد النشاط الثقافي والحركة الفكرية، سواء في المغرب الأوسط أو في باقي البلاد الإسلامية، بل حتى العالمية منها، وما قيام المسلمين باقتناء كتب الإغريق وترجمتها والاستفادة منها إلا لدليل على ذلك، ونفس الشيء قامت به أوربا عند نهضتها ورغبتها في استعادة مكانتها.

فكان العهد الموحدي غني بالأمثلة التي تبين سعي العلماء لاقتناء أجود الكتب وأنفسها، فهذا أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي (ت 643هـ/1245م) رحل إلى المشرق في حدود 595هـ/1198م، مرافقا أبا بكر بن أحمد الكناني، فأديا فريضة الحج ولقيا هناك العديد من الشيوخ فأخذا عنهم، وقفلا راجعين، واصطحبا فوائد جمة، وغرائب كتب لا عهد لأهل المغرب والاندلس بها، نسخاها هناك، واتفقا عند العودة على أن ينسخ أو يقابل أحدهما غير ما نسخه رفيقه أو يقابله استعجالا لتحصيل الفائدة[1].

فلا عجب أن تكون لشيوخ وعلماء المغرب الأوسط رغبة كبيرة، وهمة عالية في اقتناء الكتب، وحتى أغلاها وأنفسها، من أجل مطالعتها، والاستفادة منها، بل وتعليمها.

من علماء المغرب الأوسط الذين سعوا إلى امتلاك الأصول القيمة والتي لا تقدر بثمن نظرا لفائدتها العلمية أبو زكريا يحي بن علي [2] الشهير بالزواوي (ت611هـ/1214م)[3] منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية، ومن أشياخه الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري، روى عنه الموطأ[4] والقاضي أبو سعيد مخلوف بن جاره، روى عنه المصابيح، وكتبا عدة إجازة وسماعا، والإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي قرأ عليه، وأخذ عنه الأصلين حفظا واتقانا، والحافظ أبو طاهر السلفي صحبه، وأخذ عنه أعجاز القرآن للخطابي، والإمام أبو عبد الله بن بكرة القرقني [5] قرأ عليه المذهب رواية ودراية، وأبو القاسم بن فيره الشاطبي الضرير، والفقيهان الأخوان أبو عبد الله وأبو العباس الحضرميان، وروى منهما الشهاب[6]

وكذلك فعل أبو عبد الله الفازازي (ت 621هـ/1224م) [7] التلمساني حفظ البخاري أو معظمه[1] و مروان بن عمار البجائي(ت 610 هـ/ 1214 م) أخذ عن أبي ذر الخشني كثيرا من كتب الأدب واللغة[2].

---

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثاني، ص28-30 .

2) في بعض النسخ ابن أبي علي. التادلي: المصدر السابق، ص428.

3) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص185.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص139.

5) نسبة الى جزيرة قرقنة التي تبعد عن صفاقس بنحو 15 ميلا .تعليق رابح بونار، هامش، عنوان الدراية، ص139.

6) أي شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب، من الأحاديث النبوية للقضاعي.

7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد ، ج2، ص585؛ والمقري: المصدر السابق، ج 4، ص468-469.

كما لا ننسى الظاهرة محمد بن حماد الصنهاجي(ت 628هـ/ 1230م)[3] الذي نشأ ببرج حمزة قرب البويرة، وتعلم بقلعة بني حماد وبجاية، ومدينة الجزائر وتلمسان[4] وبلغت عدد مقروءاته 222 مؤلفا أخذها كلها بالسند المتصل بأصحابها[5] ويعقوب بن حماد الأغماتي جامع الترمذي على أبي علي الصدفي[6]

لم يقتصر دور علماء المغرب الأوسط في البحث عن الأصول القديمة في العلوم النقلية بل تعدتها نحو العلوم العقلية كعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي(ت 637هـ/ 1239م)[7] الذي قدم بجاية، وجلس في مسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م)[8] احتفظ بكتاب النجاة لابن سينا يقرؤه على طلبته ، و إذا قرأ التهذيب يبين أنه مخالف لأصل المدونة ومغاير لها، ويأمر بالأصل فيقاس فيبين المخالفة بينهما[9].

كذلك فعل الفقيه محمد بن إبراهيم الأصولي(ت 660هـ/1261م)[10] الذي اعتنى بإصلاح "المستصفى"لأبي حامد الغزالي، وإزالة ما كان فيه من تصحيف[11]

ثانيا : تجليات الحركة الثقافية والفكرية

لقد ساعد على تطور العلوم والمعارف، طبيعة الدعوة الموحدية، التي شجعت العلم، وحثت عليه، فقد أبدى ابن تومرت حماسة واضحة للعلم في مطلع كتابه"أعز ما يطلب"، حيث جعل"أعز ما يطلب،

---

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص223.

2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص384؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص40؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28.

3) العلامة محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي لقي جلة من العلماء منهم أبو مدين شعيب(ت 594هـ/1197م) الغبريني: المصدر السابق، ص192 وعبد الرحمن بن عبد الله، وأبا محمد الأزدي الاشبيلي البجائي(ت582هـ/1186م) والإمام أبي علي المسيلي، والشيخ ميمون بن جبارة فهو مخضرم عاش العصر الحمادي والموحدي. أبو عبد الله محمد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص11-12.ودخل الأندلس، فسمع بها، وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، سنة 613هـ/1216م، ثم استوطن مراكش وتوفي بها، سنة 628 هـ/ 1230 م .عنوان الدراية: المصدر السابق، ص192؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4 ، ص 187.

4) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص197.

5) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص38.

6) ابن الأبار: المعجم، ص330-331.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330.

8) يفهم من ذلك أن أبا الحسن الحرالي قد ورد على بجاية بعد وفاة أبي زكريا الزواوي سنة611 هـ/ 1214م .

9) الغبريني: المصدر السابق، ص147.

10) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص 271-272 .عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج2، ص225؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع نفسه، ج2، ص36- 37 .

11) ابن الأبار:التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص 376 ؛وابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، القسم الأول، ص271-272؛ والغبريني: المصدر نفسه، ص186.

وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير" [1] لذلك هاجم ابن تومرت دولة المرابطين بسبب الحجر الفكري الذي كانت تمارسه كما يدعي[2].

كما كان أمراء الموحدين أنفسهم علماء محبين للعلم، فقربوا أهل العلم، وشجعوهم، وأكرموهم، وأغدقوا الصلات عليهم [3]، وشجعوهم على التدريس، وذلك بتطبيق برنامج معين لشيوخ معينين، ومناهج خاصة بهم، حددها ابن تومرت في البداية، وسار عليها ابن عبد المؤمن وخلفائه.

من تجليات الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط حلقات التدريس في الكتاتيب والمساجد والزوايا، والندوات العلمية التي كان يعقدها العلماء، ويقصدها الطلاب من كل فج.

وكان ابن تومرت من الذين جمعوا بين التربية والتعليم، وبكل معاني هذه الكلمة، فلم يكتف بتعليم العلم وحده، بل كان راسخ الإيمان، بأن العلوم وحدها، غير كافية في عملية الإصلاح، بل يجب أن تصاحبها عملية تربوية جذرية، تعنى بكل الجزئيات [4].بما فيها طرق التدريس، والمناهج المتبعة، والبرامج الخاصة بكل فئة عمرية .

لذلك وجدناه حريصا، كل الحرص على تأديب طلبته بآداب الإسلام المختلفة والمتنوعة، حتى فيما يتعلق منها بآداب الأكل والشرب، حتى قال لهم ذات مرة"كلوا كما يأكل النبيئون"[5]

1 - التدريس

---

1) المهدي بن تومرت: المصدر السابق، ص33.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص126حيث سماهم ابن تومرت المجسمين.ابن تومرت:المصدر السابق، ص 385؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص111 ؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص77.

3) شفيق محمد: المرجع السابق، ص31.

4) بلقاسم فيلالي: التعليم والدعوة الموحدية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003- 2004،ص208.

5)البيذق: أخبار المهدي، ص52.

بعد عودة ابن تومرت من رحلته المشرقية طلبا للعلم، ودامت خمسة عشر عاما، عاد منها بحرا متفجرا من العلوم[1] فجلس لتدريس العلم، ففي تونس، جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه [2] وفي المهدية قرأ عليه الناس كتبا من أصول الدين، وكذلك في قسنطينة،و بجاية وتلمسان[3].

بذلك يمكن اعتبار ابن تومرت أول من أدخل طرق التدريس المشرقية الحديثة إلى بلاد المغرب في هاته الفترة، باعتباره اطلع عليها، حيث كانت المدارس النظامية بدأت في الظهور، وقد رأى ابن تومرت عند تأسيسه لدعوته ضرورة تعليم أبناء قومه القرآن أولا، فقد كانوا جبليين أميين ديانتهم بسيطة مليئة بالخرافات القديمة، مما لا يسمح لهم فهم رسالته، مما اضطره إلى تدريس طلبته مستعملا اللسان البربري[4].

وبعد أن استقر ابن تومرت، كثر عدد طلابه، وصاروا يعدون بالآلاف، لم يعد قادرا على القيام بتعليمهم بمفرده، لذلك نجده قد احتفظ بالوعظ والإرشاد العام لنفسه، واستعان في دروس العلم المخصصة للطلاب بأعيان صحابته، المقربين الذين يثق في علمهم، وولائهم بالدرجة الأولى[5].

كانت لغة التدريس الأساسية عنده هي العربية، كما كانت لغة التعامل والتخاطب والمواعظ، رغم ما لقاه من صعوبة التعامل وإيصال الخطاب مع طلبة البربر، فكان يلجأ للغة المحلية إلا نادرا–رغم إتقانه التعبير باللسانين العربي والبربري– [6] أما العامة من الناس، والتي لا تحسن سوى البربرية فألف لهم عقيدة بلسانهم، وجعل لهم المؤلفات الموجهة إلى مختلف القبائل بلسانهم الخاص، منها كتاب"القواعد" وكتاب"الإمامة"[7] وقد تبعه الخلفاء الموحدون الذين جاؤوا من بعده من خلال الاعتناء باللغة، لكن مع إعطاء هامش أكبر للغة البربرية، بل فرضت في مناصب معينة[8].

---

1) ابن خلدون: العبر ، ج 6، ص302.

2) البيذق: أخبار المهدي، ص30.

3) ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص47؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص72.

4) البيذق: أخبار المهدي، ص36.حيث ألف لهم كتاب التوحيد بالبربرية وهو سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد كل يوم إثر صلاة الصبح...مجهول: الحلل الموشية، ص109-110؛ ورُوجر لي تورنو: المرجع السابق، ص38.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص81-82؛ و بلقاسم فيلالي: المرجع السابق ، ص 217.

6) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص303؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 177؛ وعبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب،1968،ج1، ص126، ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص202.

7) مجهول: الحلل الموشية، ص110؛ و وبلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص211.

8) ابن أبي زرع: الأنيس، ص 62.أشار صاحب القرطاس إلى ذلك في موضع آخر أثناء الكلام على خطباء القرويين، حيث ذكر أنهم لما دخلوا فاسا عزلوا خطيب القرويين أبا محمد مهدي ابن عيسى، وقدموا مكانه الفقيه أبا الحسن بن عطية"لأجل حفظه اللسان البربري لأنهم كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري، فتقدم في أول جمعة من شهر جمادا الأولى من سنة أربعين وخمسمائة".الأنيس، ص71.

و لم يكن هناك سن محدد لطلب العلم في العصر الموحدي، سواء في المغرب الأوسط أو غيره، و لم يحددوا عدد السنين التي يقضيها في التعليم، إلا أنهم يدركون بوضوح أهمية التبكير في تلقي العلوم، حيث كلما لمس الوالد في ابنه القدرة على التمييز دفع به إلى الكتاب أي"إذا عقل بعثوه إلى الكتاب" [1]

الملاحظ أن مواد الدراسة التي وجدناها تجري في حلقات درس الشيوخ أثناء القرن السادس والذي يليه، هي نفس المواد العلمية التي ظلت قائمة في درس شيوخ العصور المتأخرة، فهي تدرس الحديث والتفسير، والفقه والأصول واللغة والنحو والعقائد والأدب والتصوف، وهي مجمل المواد العلمية التي مالت إليه الثقافة المغربية عموما في مختلف مراحلها واستكان إليها الدرس العلمي في هذه البلاد وتخرج فيها العلماء والأدباء والكتاب وأرباب الخطط الشرعية وغيرها[2].

أما بخصوص وسائل الكتابة فالأكيد في الأمر أنه لم يخرج عن المعهود، من وسائل الكتابة المعروفة والمعمول بها في عهد الموحدين، مثل الجلود[3]والألواح وما شاكلها[4].

وقد بلغ من اعتناء الموحدين بالطلبة أن قسموهم طائفتين فقد جرت عادتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم على أهل كل فن، وخاصة أهل علم النظر، وسموهم طلبة الحضر، فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون، وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين، ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم[5].

و لم يكن عدد الطلبة محدد في الفوج الواحد، بل كان يخضع للظروف والمكان، فمثلا كان عدد الطلبة عند ابن تومرت بتلمسان عندما حل بها هو عشرة طلبة [6] وأقل عدد بلغه هو سبعة، وكان بمدينة فاس[7] غير أنه على العموم لم يحدد العدد خلال كل فترات الدولة الموحدية، لأنه خاضع لطريقة المدرس وأسلوبه وكذا لعدد سكان المنطقة، وظروفهم.

أما بالنسبة للمواد المدروسة فتكشف عنها كتب البرامج والفهارس، مع التجديد الذي يحدث في تدريس هذه المواد والمصنفات التي يتم الاعتماد عليها، وهي مصنفات تخضع للتطور المستمر، وللتغيير المتعاقب، وتمثل المحاولة المستمرة للبحث عن التأليف الأحسن، فيسود مصنف في درس مادة فترة زمنية، ثم ينسخه مصنف آخر من جنس مادته، ويمثل مركزه، ويصبح العمدة في الدرس، وقد أصبح لكل عصر مصنفاته، ينفرد بها ويسود الدرس بها، والاعتماد عليها، مثل ميدان الفقه نجد قد تعاقب على درسه من

---

1)ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 223؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص121.

2) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص430.

3) البيذق: أخبار المهدي، ص30.

4) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص137.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص142.

6) البيذق: أخبار المهدي، ص39.

7) المصدر نفسه، ص39، ص43-44.

المصنفات: مدونة ابن سحنون(ت 256 هـ/869م)[1]، فتهذيب البراذعي(ت 430هـ/1038م)، فمختصر ابن الحاجب الأصلي(ت646هـ/1248م)[2].

كانت طريقة التدريس تعتمد على التحفيظ والتذكير والإعادة [3] ويدرس الطلاب في حلقات على يد شيخ واحد[4]، يأخذون العلم عنه، في تخصصه، ليلقاهم شيخ آخر، في تخصص آخر.

ومن المدرسين المشهورين من المغرب الأوسط خلال القرن السادس هجري الحافظ أبو يوسف الأغماتي التلمساني (كان حيا سنة 523هـ/1128م) ذكره ابن الأبار في معجمه "كان يدرس بجامع تلمسان القديم"[5].

أما الرحالة يعقوب بن حماد الأغماتي التلمساني، الذي انتقل إلى الأندلس فدرس بمرسية عام511هـ/1117م، وهو جامع الترمذي على أبي علي الصدفي ثم انتقل إلى تلمسان، واستقر بها وكان مدرسا بجامعها العتيق عام523هـ/1129م حسب ما قاله ابن الأبار، ولا نعرف متى توفي[6].

وأبو مدين شعيب بن الحسين (ت 594هـ/1197م)[7] الأنصاري الأشبيلي أصلا[8]، البجائي دارا والتلمساني وفاة[9]، وهو من المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، وقضى به خمسة عشر عاما يدرس بعض كتب التصوف كـ"الرسالة القشيرية"و"المقصد الأسنى"وذلك بزاوية أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة[10].

---

1) الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص219.

2) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص430.

3) بن القطان: المصدر السابق، ص179.

4) شفيق محمد: المرجع السابق، ص34.

5) المعجم، ص 330.

6) نفسه، ص330-331

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2 ، ص 715ابن قنفذ: انس الفقير، ص11-20 ؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 108-114؛ والتنبوكتي:المصدر السابق، ص193؛ وابن القاضي:المصدر السابق، ج2، ص530؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق، السفر الثامن، ص317-319.

8) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية. التادلي: المصدر السابق، ص 319. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 128.أو من حصن يقال له منتوجب. الغبريني: المصدر السابق، ص55-56.

9) ذكر ابن الأبار وفاته نحو التسعين وخمس مائة التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص 715؛ و ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص130.قيل توفي بموضع بقال له يسر قرب تلمسان عام 594 هـ/1197م، وقيل سنة588هـ/1192م. التادلي: المصدر السابق، ص319.

10) عبد القادر الخلادي: أبو مدين الغوث، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية– أوت، 1975، ص292؛ وعيسى ميقاري: المرجع السابق، ص139.

كما إشتغل بالتدريس بعد عودته إلى بجاية سنة 623هـ/1226م[1] أبو القاسم عبد الرحمن ابن السطاح الجزائري (ت629هـ/1231م)، و بها نشر مؤلفاته وأفكاره[2].

وأبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي (كان حيا في بداية القرن 7هـ/13م)[3] نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور بخارج باب القرمدين بتلمسان[4]

ودرّس كثيرا أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي (ت 610هـ/1214م) نزيل تلمسان منذ عام574هـ/1188م حيث كان يشرح كتبه ويدرسها للطلبة والمريدين منها كتاب"الأربعين في الفقر وفضله"وكتاب" الحب لله [5].

كما كان ابن دهاق المعروف بابن المرأة(ت 611 هـ/1215م)، يُدرس كتاب الطهارة من المدونة، بالجامع الخاص بتلمسان[6].

---

1) عادل نويهض: المرجع السابق، ص177؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28-29.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص225.

3) سمي بالحلوي لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان ويتصدق بالثمن.يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.

4) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج1 ، ص127، ص159.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص305-306.

6) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص128.

1-1 - المناهج

إن منهجية جمع المادة الخبرية وترتيبها والاستفادة منها في الغرب الإسلامي، وإلقائها للطلبة كانت تتم على غرار بقية المناطق في العالم الإسلامي، باعتبار المشكاة واحدة و هي الدين، الذي يحثنا على التعلم والاجتهاد، وقد كانت المناهج تحددها الدولة وفق منطلقها السياسي، أما البرامج والطرائق فكانت خاضعة للإرادة الشعبية والموروث الثقافي للمنطقة

أسس ابن تومرت منهجا تعليميا يخدم دعوته الإصلاحية، وتعهد منهجه بالتطبيق الميداني، من خلال العمل بالكتاب والسنة، ومناهضة كتب الفروع، والدعوة إلى التجديد، والتأويل في الفهم، وبذلك ساهم الفكر التومرتي في إدخال تعديلات على لائحة المواد الدراسية، وإثرائها بمواد جديدة، لم تكن تدرس في المدن المغربية قبل فترة الدولة الموحدية[1] فكان ابن تومرت هو الهيئة العليا المنظم والمبرمج لمختلف المقرارات والمواد التي ستدرس، حيث سار على نهجه خلفاؤه خاصة الأولون[2].

كان التعليم في المرحلة الأولى محددا بمنهج وبرنامج خاصين، حيث يلزم المتعلم حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ومعرفة شيء من اللغة العربية وآدابها، وبمجرد انتقاله إلى المرحلة العليا يجد نفسه حرا في اختيار المواد التي تستهويه[3].

وضع الموحدون مناهج مختلفة في التعليم حسب تنوع مراكزه في الغرب الإسلامي، فقد كانت هناك مناهج للمدارس التي أنشأوها بالمغرب والأندلس، ومناهج للجوامع والمساجد، التي كانت تحف بها بلادهم، ومناهج للتعليم الإجباري الذي ابتكره الخليفة عبد المؤمن [4] و لم يسمح الموحدون للعلوم والتدريس إلا بالقدر الذي يفيد الدولة ولا يخرج عن توجهها وسيطرتها، بل وضعها تحت إشراف الدولة[5].

قال ابن القطان يبين ما كان يتلقاه الطلبة"ثم أمروا بكتب التوحيد وحفظه، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه، وحفظه، ومسلم—أي صحيح مسلم— وحفظه"[6].

---

1) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص137.

2) الطاهر محمد توات: المرجع السابق، ص12.

3) صفية ديب: المرجع السابق، ص73.

4) مجهول: الحلل الموشية، ص150-151؛ والمنوني: حضارة الموحدين، ص17.

5) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص51.

6) ابن القطان: المصدر السابق، ص 179؛ وعبد العزيز الأهواني: كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1955، مج1، ج1، ص91.-120

وبالتالي كانت الدراسات الدينية في العصر الموحدي أولى الدراسات في المنهج التعليمي العالي، وأولوا لها العناية الفائقة، من خلال سياسة الدولة التي تتماشى وعقيدتها-المهدوية-حيث فرضت مناهج ومواد على المتعلم في المدارس الرسمية، كما تركت المجال فسيحا للبحث والتجديد[1].

كما نجد منهاج الموحدين وضعه ابن تومرت في كتبه المشهورة منها"أعز ما يطلب" [2] وكتاب"محاذي الموطأ "أو موطأ الإمام المهدي"[3] ورسالته في العقيدة التي سماها"المرشدة"[4].

حدد ابن تومرت وقتا واحدا لقراءة حزب التوحيد-من كتبه أعز ما يطلب- إثر كل صلاة الصبح، بعد حزب من القرآن الكريم [5] أما بالنسبة لعلم الحديث فلم تكن له أوقات خاصة مضبوطة مثل حزب التوحيد، بل جعله خاضعا للمناسبات، فكان في بعض الأحيان يختار شهراً من السنة لإملاء كتاب في الحديث مثل الموطأ، الذي أملاه في رمضان سنة515 هـ/1121م[6].

حاول عبد المؤمن تكوين نشء من الصبية من المغرب والأندلس لمواصلة رسالة المهدي [7] إذ أنه أمر بجمع الصبيان الصغار الأسنان من كل المدن (اشبيلية، تلمسان، قرطبة، فاس) [8] ليوجهوا إلى الحاضرة مراكش، فاجتمع له نحو ثلاث آلاف صبي[9].

---

1)حيث بعث عبد المؤمن مرسوم إلى جميع أنحاء دولته بما فيها المغرب الأوسط، حاثا الناس على تعلم مبادئ التوحيد، سواء باللغة العربية أو اللهجة البربرية، وكذا سورا من القرآن الكريم.ابن القطان: المصدر السابق، ص169؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص73-74. ص94.

2) مجهول: الحلل الموشية، ص 150. وكتاب أعز ما يطلب عبارة عن مجموعة رسائل في الأصول والفقه والتوحيد والحديث والسياسة والجهاد ، وعرف بأول عبارة وردت فيه ، وقد إشتمل على كل التعاليق التي أملاها ابن تومرت، ومن بعده عبد المؤمن.ابن خلدون: العبر، ج6، ص302.

3) كتاب **الموطأ** هو مختصر لمصنف موطأ الإمام مالك حسب ما ورد في مقدمة طبعته ما يلي" قابلنا موطأ المهدي بموطأ الإمام مالك من رواية يحي بن يحي فوجدناه مختصرا منه بحذف الأسانيد مع تقديم وتأخير وزيادة تراجم على أسلوب مفيد وترتيب سديد، ويحتوي موطأ المهدي على سفرين، الأول تناول الطهارة والوضوء والصلاة والجنائز والاعتكاف والزكاة والحج والجهاد والإيمان والنذر، أما السفر الثاني فتناول الأضاحي، العقيقة الذبائح، الصيد، الأشربة، الحدود، النكاح، الطلاق، وغير ذلك .ابن تومرت: الموطأ، نشر قولد زيهر، طبعة فونتانة، الجزائر، 1905، ص04.

4) وقد شرحها وعلق عليها الشيخ محمد بن خليل السكوني الاشبيلي، وحققها الأستاذ يوسف أحنانا، وصدرت عن دار الغرب الإسلامي، ط 1، سنة1993، والمرشدة عبارة عن رسالة لا تتجاوز 20 سطرا ، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشارا في المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقائدي، وقد وردت في كتابه" أعز ما يطلب" ص 241- ابن خلدون: العبر، ج6، ص302؛ وصفية ديب: المرجع السابق، هامش ص87.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص80-81.

6) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص212.

7) مجموع رسائل موحدية، ص138.

8) ابن القطان: المصدر السابق، ص178-179.

9) مجهول: الحلل الموشية، ص150.

وراح عبد المؤمن يسن نظاما ومنهاجا تعليميا، أشبه ما يكون بالتعليم الموجه والمخطط من الدولة لخدمة أهدافها—وهو ما يعرف في مناهج اليوم بالغايات والمرامي — كما حرص على تقارب سن الصبية لتسهيل عملية الحفظ والتربية [1] فجاءوا وكأنهم"أبناء ليلة" [2] وكان يدخلهم كل جمعة إلى القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، ويعلمهم التربية والتعليم والتكوين على مختلف الفنون[3].

فكان يُسمى طلبة العلم في مدرسة عبد المؤمن الحُفاظ، نظرا لكونهم يحفظون القرآن، وكذا رسائل المهدي بن تومرت، ويدرسون الكتب عن إدارة الولايات [4] لأنه كان يحضرهم ليوزعهم على مختلف أقطار الدولة بما فيها المغرب الأوسط التي عين عليها (السيد أبا حفص عمر على تلمسان، والسيد أبا محمد عبد الله على بجاية) [5] وهذا لضمان نشر منهاجه وأفكاره على كل مختلف أقطار الدولة، بل أن ابنه يوسف كان لا يعين على الولايات وفي المناصب إلا من له ثقافة عامة وإلمام بمجمل العلوم الإسلامية[6].

استطاع عبد المؤمن خلال عشرين عاما أن ينشيء نظاما جديدا للدولة [7] استطاع بفضل المنهاج الذي فرضه من غرس مبادئ الدولة وأخلاقها وقيمها المتميزة بها.

كما سار على نهجه الخليفة يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م)، حيث وضع كتابه"الترغيب في الصلاة" وهو عبارة عن أحاديث خاصة بالصلاة، وما يتعلق بها، على نحو ما فعل ابن تومرت في الطهارة، فكان يمليها بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظها، حتى انتشرت في كامل بلاد المغرب، وحفظه العوام من الناس والخواص، فكان يجعل لمن حفظه الجُعل السَّني من الكِساء والأموال [8] رغم أن يعقوب المنصور لم يولي تواليف المهدوية المنزلة التي منحها الخلفاء الذين سبقوه[9].

وذهب الخليفة الموحدي المأمون إلى العودة إلى المناهج الحقه للإسلام وهي الكتاب والسنة، فأزال اسم المهدي بن تومرت من الخطبة والسكة والآذان[10].

---

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص93.

2) مجهول: الحلل الموشية، ص150.

3) نفس المصدر والصفحة .

4) الدرجيني : المصدر السابق، ص315.

5) مجهول: الحلل الموشية، ص151.

6) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص65.

7) نفسه، ج2، ص53.

8) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

9) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص206-207؛ وصفية ديب: المرجع نفسه، ص99.

10) ابن عذارى: المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص 286؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص 164؛وابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص411-412.

فكان للمالكية مناهجهم التي لم تنطفئ شعلتها في الكتاتيب والمساجد والزوايا والرباطات، ومكتباهم العريقة المليئة، بمختلف أنواع المعارف الدينية واللغوية وغيرها[1].

لم تستطع مبادئ الموحدين أن تزاحم مبادئ المالكية، فالشعب جميعه مالكي، لأن الموحدين جاؤوا بمبادئ التوحيدية، كلها كلامية لا يدركها إلا الخاصة، والشعوب –غالبا– تؤمن بالعاطفة والقلب، لا بالعقل والجدل.

والموحدون أنفسهم لم يلتفوا حول ابن تومرت لاستحسانهم لطريق الجدل، بل بطريق فكرة المهدي المنتظر، التي كثيرا ما يرددها العوام ويتمنون معها ظهور المهدي [2] لهذا أضحت الدولة الموحدية بعد موت المهدي واستقرارها في شبه جمود بعد أن وصل الموحدون إلى تحقيق مآربهم وانكشف زيف فكرة المهدوية، فكان لا بد من إصلاح يقوم به عبد المؤمن، فقام بخطوة في سبيل إضعاف سيطرة مذهب مالك على نفوس الشعب، إذ أصدر أوامره"بإصلاح المساجد وبنائها في تلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر، وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وفي هذا نصُّ ذكره ابن أبي زرع[3].

وهدفه هو تكليف الطلبة بتنفيذ الأمر دون الولاة ورجال الجيش ليجس بذلك نبض المالكية بطريق الإقناع حتى يجنب نفسه عواقب الثورات المسلحة، التي ربما يشعلها المالكية ضده في أنحاء البلاد، ومنها أن تأخير أمره بتحريق كتب الفروع إلى نهاية الرسالة، ما يشعر بأنه يخشى عاقبة التنفيذ وبالتالي ما يوحي إلى العلماء بالكف عن التنفيذ إن صادفوا تذمرا من المالكية[4].

لكن هؤلاء الطلبة الموحدون لم ينفذوا رغبة الخليفة عبد المؤمن ولا حتى رغبة ابنه يوسف، وإنما قام بالتنفيذ حفيد عبد المؤمن يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م)، الذي رمى إلى محو مذهب مالك من المغرب الإسلامي مرة واحدة، وجعل الناس يتجهون نحو ظاهر القرآن والحديث[5].

ويعتبر المراكشي شاهداً على هذه الأحداث حيث يقول"...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي

---

1) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص229.

2) المرجع نفسه، ص230.

3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص195 .

4) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص231.

5) حيث يضيف أنه في عهد أبي يوسف انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء ، وأمر بإحراق كتب المذاهب بعد أن يجردها ما فيها من حديث وقرآن، ففُعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد.عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 197-198 ؛ وخالد الصمدي : المرجع السابق، ج1، ص83-84.

والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة..."[1].

وانتهت هذه المعركة الفقهية، بوضع فقه على أساس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فظن الخليفة يعقوب المنصور(ت 595هـ/1198م)، أنه بهذا قضى على الفقه المالكي، و لم يكن فقه الموحدين الجديد سوى فقه مالك –بعد حذف الأسانيد وآراء الفقهاء – فأقبل الناس على حفظ الفقه الجديد، ولكن فقه مالك هو الذي يسير الناس عمليا على هديه، والفقهاء المالكية لم يغمطهم الشعب قيد أنملة من مظاهر الإجلال والإكبار[2].

ثم حدث بعد ذلك أمرٌ غير الحال تماماً، وهو أن يعقوب المنصور(ت 595هـ/1198م) نفسه أخذ ينتقد مبادئ المهدوية، ويعلن عدم اعترافه بالعصمة والإمامة عند حجه [3]، حيث أحدثت آراؤه خلخلة كبيرة في المجتمع الموحدي وبدأ الناس يرتابون في مهدوية ابن تومرت، مما سمح لفقهاء المالكية في استعادة مكانتهم[4].

وبتولي الخليفة إدريس المأمون (626–630هـ/1228-1232م)[5] يعلن على المنابر وعلى الملأ إلغاء أسطورة المهدوية، ومحو عبارات التنويه بالمهدي المنتظر من الخطبة، ومما قاله في هذا"لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالغوى المذموم، ألا لامهدي إلا عيسى، وإنا قد نبذنا أمره النحس" [6] كما أرسل المأمون الكتب إلى جميع البلاد يمحو اسم المهدي ابن تومرت من السكة والخطبة ومحو سننه،

---

1) يقصد بالمصنفات العشر: الصحيحين، والترمذي والموطأ وسنن ابن داود وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني وسنن البيهقي.عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198؛ الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

2) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص232-233.

3) حيث يقول صاحب المعجب"أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم من مطرف المري ونحن بحجر الكعبة، قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف، يا أبا العباس، اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة- يعني عصمة ابن تومرت- عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص197- 198؛ والضبي: المصدر السابق، ج1، ص214.

4) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص233.

5) بعد أن تولى يحيى بن محمد الناصر الحكم وتلقيبه المعتصم بالله رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعته، وبايع أهل الأندلس أبو العلاء وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدين على نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب، ثم توجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرناندو الثالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه، وق د تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيى المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدين الذين بايعوه؛ ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان وبايعه حاكم فاس وحاكم تلمسان وحاكم سبتة وحاكم بجاية؛ وقتل المأمون أشياخ الموحدين الذين خالفوه، وكانوا أكثر من مائة، فقضى بهذا الأسلوب على خلاصة الزعامة الموحدية، و لم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير سبتة فتوجه لقتاله وحاصره، وأثناء الحصار عاد ابن أخيه يحيى ومعه جموع من العرب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعا ومات في الطريق عند واد أم الربيع سنة 630 هـ/1232م وبويع من بعده ابنه عبد الواحد الرشيد.ابن خلدون: العبر، ج6، ص340-343.

6) السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص212.

وأنكر النداء للصلاة باللغة البربرية، وزيادة المهدي في آذان الصبح عبارة"أصبح ولله الحمد"كما بطش بأشياخ الموحدين[1].

ورغم تعاون المأمون مع النصارى، وما يؤخذ عليه، إلا أن أفعاله فكت قيود نشاط فقهاء المالكية، فعادوا وبقوة سواء في الفقه أو العقيدة، مستغلين التناحر الذي كان بين أمراء الموحدين، وتغافلهم عن أمر العقيدة.

فأفسح الأمر لفقهاء المالكية، وأذهبت القطيعة التي كانت بين أئمة المذهب المالكي في المغرب والدولة الموحدية، فبعد أن كانت الدولة في نظرهم مصدر المقاومة أصبحت تؤيدهم وتأخذ بأيديهم، وهذا ما رغب العلماء في أواخر عهد الدولة يندمجون في رجالها، وينتسبون إلى خدمتها[2].

---

1) السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص212- 214.

2) ابن قنفذ: الفارسية، ص34.

1 -2 - البرامج [1]

البرنامج هو النسخة أو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأساتذته، وأسماء رواته، وأسانيد كتبه المسموعة بذلك [2] وما يتعلق بها من مواد درسها وإجازات تلقاها، ومواضيع ناقشها، أو مختلف الرسائل التي قرأها وحفظها[3].

واللفظة في معناها الاصطلاحي لم تزدهر إلا عند الأندلسيين والمغاربة، حيث أن المتصفح لكتب الصلات الأندلسية وطبقات الرجال المغاربة، سيجد أن معظم ما أنتجه المغاربة والأندلسيين من الفهارس، إنما ذكرت تحت اسم البرنامج[4]، ويقال له أيضا المعجم[5] والمشيخة[6] ،

---

1) **البرنامج** لغة هو الورقة الجامعة للحساب، وهي كلمة معربة من الفارسية برنامه، ويقصد به عنوان الكتاب والمخطط التونجي محمد: معجم المعربات الفارسية، مكتبة ناشرون، ط 2، لبنان، 1998، ص28؛ والفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 2005، ص180.أما في قاموس تاج العروس البرنامج: بفتح الميم، وقيل بكسر الميم، وهي الورقة الجامعة للحساب .الزبيدي مرتضى: تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1969، ج5، ص420. أما الكتاني فيقول أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة المشيخة على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صار يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما أهل المشرق يقولون الثبت وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة.عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982، ج1، ص67.

2) ناصر الدين المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، ط 1، حلب، سورية، ، 1979، ج1، ص66.

3) يطلق عليها كذلك مصطلح الثبت وأسانيد والمسلسلات والفهرسة والمشيخة، مع فروق بسيطة بينها، وتهتم برصد الإنتاج العلمي، وذكر أصحاب الكتب وعناوينها وكيفية تلقي العلوم، ومن أقدم الفهارس، كتاب الفهرست لابن النديم، الذي ألفه حوالي سنة 377 هــ/987 م .محمد صاحبي: من مصادر الثقافة والعلم ، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، مجلة عصور، عدد 13، 2003، ص 53.

4) عبد الله المرابط الترغي : المرجع السابق، ص32.

5) لغة النقط بالسواد، مثل التاء عليه نقطتان، يقال أعجمت الحروف، والتعجيم مثله، ومنه حروف المعجم، وهي الحروف المقطعة التي تختص أكثرها بالنقط .الجوهري: معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت، لبنان، 1990، ج5، ص1981- 1982.والمعجم اصطلاحا كتاب يرتب فيه المشايخ على حروف المعجم بأسمائهم ويرتب ما رواه عن كل واحد في ترجمته من حرفه.عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، ج 2، ص609. وفي موضع آخر من كتابه الرسالة المستطرفة يقول محمد بن جعفر الكتاني"المعاجم جمع معجم، وهو في اصطلاحهم ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء " أنظر: المرجع السابق، ص135.

6) **المشيخة:** جمع شيخ بالفتح، ويطلق الشيخ مجازا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمه، وجمعه شيوخ، ثم استعملت المشيخة علما على الكراريس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه. عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص67، ج2، ص624.
ويعرفها صاحب الرسالة المستطرفة بقوله:"ومنها كتب المشيخات، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم. محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص140.
وقد اشتهرت هذه التسمية في المشرق، ورغم ذلك تسربت إلى المغرب – في نطاق ضيق –عبد الله المرابط التارغي: المرجع السابق، ص40.

والثبت[1] والسند[2] والكناشة[3] والفهرست[4].

ويظل لفظ البرنامج في الاستعمال بالغرب الإسلامي للدلالة على معنى الفهرسة —ربما لارتباطه بالفقه المالكي—حتى أشرف القرن الثامن على نهايته، لا حظنا غيابا نسبيا لهذا الاستعمال، مع الاستكثار من لفظة"الفهرسة"، ومع غياب الأندلس تختفي اللفظة كعنوان رئيسي ليتم تعويضها عند المغاربة بلفظ الفهرسة[5].

وتعطينا كتب البرامج معلومات مستفيضة حول نوعية الكتب المبرمجة والمُدَرسة حيث تذكر لنا مجموعة كبيرة من الكتب التي درسها المؤلف في منطقته والمناطق التي تنقل إليها، كما تشير إلى سلسلة أسانيده وأهم شيوخه وطريقة تحميله للكتب[6] رغم كون أغلبها نقل شفوي بمختلف أشكاله[7].

---

1) **الثبت**: هو الحجة والبينة، ويطلق على الرجل الحجة لثقته في روايته فهو ثبت من الأثبات .عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص46.بسكون الموحدة: الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة، وأما بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره .عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص68. ويبدو من هذين التعريفين أن الثبت لا يرقى إلى معنى الفهرسة و المشيخة، لأنه مجرد تقييد لسماع من الأسمعة. عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص47.

2) **السند**: عند المحدثين الطريق الموصلة إلى متن الحديث، أو حكاية طريق المتن ، أو هو رفع الحديث إلى قائله .السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد آل فهد، مكتبة دار المنهاج، ط1، الرياض، السعودية، 1426 هـ/ 2005،ج1، ص 14- 16؛ و قاسم علي سعد: قيمة الإسناد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد24، 2006، ص123- 124.

أما لغويا ما قبلك من الجبل، وعلا من السفح، أو ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي...ثم استعيرت لفظة السند للكتاب. عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص49.

3) **الكناشة**: هي الأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة.عبد السلام محمد هارون: كناشة النوادر، دار الطلائع، ط 1، القاهرة، مصر، 1984، ص10-11— محمد أحمد الشافعي: الكناشة الأندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج29، 1997، ص27-45.

ويعرفها البعض بأنها مصنف يجمع فيه صاحبه ما يسنح له من التقييد والنقول المتنوعة والمختلفة، من بيها الحديث عن شيوخه ومروياته وأسانيده وإجازات الشيوخ له، وتشتهر الكناشة بهذا الشكل عند المتأخرين من المغاربة.محمد المنوني: الكناشات المغربية، مجلة المناهل، الرباط، العدد2، 1975، ص196.

4) عرف صاحب القاموس المحيط: **الفهرس** بالكسر، الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، معرب فهرست، وقد فهرس كتابه.المصدر السابق، ص564؛ وأنور محمد زناتي: المرجع السابق، ص63.

وفي مجال ضبطها والنطق بها، ذكر ابن مكي في تثقيف اللسان أنهم" يقولون فِهْرِسةُ الكتب، يجعلون التاء فيه للتأنيث، ويقفون عليه بالهاء، قال الشيخ أبو بكر – ابن البر التميمي- : الصواب فِهْرِست بإسكان السين، والتاء فيه أصلية، قال ومعنى الفِهْرِسْت: جملة العدد، لفظة فارسية، واستعمل الناس منه: فهرس الكتب، يفهرسها فهرسة...فقولهم: الفهرست اسم جملة المعدود، والفهرسة المصدر. ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ضبط وتقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص27-28-لاحظ كذلك شرح محمد حجي على هامش فهرس أحمد المنجور، دار المغرب، الرباط، 1976، ص3-4.

5) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص33.

6) المرجع نفسه، ص33، وشفيق محمد: المرجع السابق، ص32.

7) Amara Allaoua : La transmission du savoir historique en andalus et au maghreb à la fin du moyen age , The Maghreb Review , vol 28 , Nos2-3, (2003), p.215-224.

وتعبر لنا فهارس الشيوخ والعلماء على أهم الشيوخ و المدرسين وبالتالي المواد والبرامج التي درسها كل واحد منهم مثل برنامج جابر بن أحمد القريشي التلمساني (كان حيا سنة578هـ/1182 م)[1] الذي أنشأ فهرسة سميت بمعجم شيوخ ابن خير [2] حيث قال عنه ابن الأبار"وكان من أهل العناية بالرواية، والمعرفة بأسماء الرجال، وسمع مشيخة أبي خير على حروف المعجم، فأفاد بها"[3].

عمل أبو الحسين جابر هذا، وهو أحد تلاميذ ابن خير المكثرين عنه، ويبدوا أنه معجب بشيخه، وما تمثل في مشيخته من كثرة الرجال، فسارع إلى صنع هذا المعجم، ورغم أن ابن خير قد ضمن فهرسته الكبرى ذكر أحوال شيوخه، فإن تلميذه جابرًا قد وجد من المادة الجديدة ما يضيفه بسطاً لأحوال هؤلاء الشيوخ[4].

وإذا أدركنا أن شيوخ ابن خير ممن ضّمن ذكرهم فهرسته يزيدون على المائة رجل [5] تأكدت لنا قيمة هذا المعجم الذي صنعه جابر لشيخه ابن خير، وأهميته المصدرية بين تآليف الرجال وكتب الطبقات.

ولا نعرف شيئا عن هذا المعجم غير النقول القليلة التي أوردها ابن الأبار في التكملة، وقد صرح في بعضها بالنقل عن المعجم المذكور، واكتفى في بعضها الآخر بنسبة القول إلى جابر التلمساني [6].

وبالتالي توضح البرامج مادة التأليف وأهم الرجال، والمصنفات والأسانيد، وطرق التعليم ونشاط التأليف، وغيرها، وهي مادة تتجمع في النهاية لترسم صورة للبيئة الثقافية ومعطياتها من خلال هذا العهد الموحدي.

ومثال ذلك أيضا برنامج الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت582هـ/ 1186م)نزيل بجاية [7] له برنامج مهم ذكر فيه بعض شيوخه منهم أبا عبد الله بن مكي وأبي جعفر البطروجي، وعبد الرحيم الحجاري وأبا بكر بن العربي وشريح بن محمد وابن ورد وابن أبي الخصال، وغيرهم[8].

---

1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2 ، ص7.

2) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، جدول ص117 ، ص 132.

3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2 ، ص7.

4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع نفسه، ص132-133.

5) ابن خير: فهرسته، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1989، ج1، ص12.

6) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص133.

7) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص104؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص239.

و للفقيه محمد بن عبد الحق التلمساني اليفريني (ت 625 هـ/1227م)[1] كذلك فهرسة جيدة ذكر فيها فضائل الشيخ أبي مدين شعيب، وأهم ما درسه على يده، وأهم شيوخه ومقرراتهم [2] وسمي برنامجه هذا"الإقناع في كيفية الإسماع" [3] الذي اعتمد عليه كل من ابن عبد الملك المراكشي (ت709هـ/1303م)[4] والغبريني (ت704هـ/1304م)[5] قال عنه ابن الزبير"أنه برنامج حسن ضم فيه مروياته، وذكر فيه شيوخه، وسمى فيه ما ألف وقيد"[6].

كما أن الفقيه محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ/1230م)[7] له برنامج ذكر فيه شيوخه و مقروآته من الكتب، يشتمل على مائتين واثنتين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها، اطلع عليها الغبريني وأثنى عليه، حيث قال في برنامجه أنه سمع عن أبي مدين شعيب في مجلسه كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[8].

وتقدم لنا برامج علماء المغرب الأوسط في الفترة الموحدية فوائد عدة منها الحفاظ على نمط العلم السائد في تلك الفترة وأنواع العلوم وطرق تدريسها، ورصد مراكز التعليم وأهم مؤسساته والهيئة التعليمية، وتساهم في نشره وجمع شتاته، وتكشف لنا عن الأجواء العلمية وزخم المعرفة[9].

كما تعد البرامج وثيقة مصدرية تربوية ثرية بالمعلومات، حتى التي ينفرد بها المؤلف بما يشاهده من شخصيات وانطباعات ذاتية، ولمحمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله، الذي استقر أخيرا بتلمسان، حيث توفي عام(610هـ/1214م) له تأليف مفيد جمع فيه أسماء شيوخه على حروف المعجم حسبما ذكره صاحب نفح الطيب[10] وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي"ومسلسلاته في كراسة ضخمة...إذ أكثر فيه من إيراد الأخبار، وإنشاد الأشعار، فأعظم به الإفادة، مجلد كبير و برنامج رواياته الأكبر مجلد متوسط، وبرنامجها الأصغر مجلد لطيف، ومشيخة أبي طاهر السلفي مجلد متوسط" [11] وزاد على هذا

---

1) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186؛ والذهبي: أهل المائة، تحقيق أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، لبنان، 1997، ص82-83؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص61.

3) ذكره الرعيني باسم الإقناع في ترتيب السماع، ذكر فيه من لقي وما قرأ وسمع ومن أخذ عنه من أهل الأندلس والعدوة والمشرق.الرعيني: المصدر السابق، ص169.

4) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

5) عنوان الدراية، المصدر السابق، ص61.

6) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن، ص508.

7) السملالي: المرجع نفسه، ج4، ص187.

8) الغبريني: المصدر نفسه، ص192؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

9) أنور محمد زناتي: المرجع السابق، ص63.

10) المقري: المصدر السابق، ج2، ص379؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ص277.

11) أنظر: الذيل والتكملة، السفر السادس، ص357.

الكلام صاحب التكملة" وقد جمع في أسمائهم على حروف المعجم تأليفا مفيدا...ووقع إلي بخطه في سنة 640 هـ/1242م"[1].

وبرنامج أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(ت 633 هـ/1235م) نزيل بجاية، له من المؤلفات والمصنفات الكثير من الكتب، ومن بينها برنامجه المعروف بمعجم شيوخ ابن مضاء[2].

وهذا المعجم من المؤلفات التي ألفها ابن دحية أثناء إقامته بالمغرب، و لم يشتهر أمره بين المؤرخين وكتاب الرجال، و لم نعثر على نقل منه سوى ما ذكره ابن عبد الملك في ترجمة ابن مضاء بعد عرض سلسلة نسبه"...كذا نسبه في معجم شيوخه الذي جمعه له أبو الخطاب عمر بن حسن الجميل، وطالعه به فوافقه عليه إلا في ذكره مهند بن عمير فإنه أنكرهما وقال لا أعرفهما، فقال له أبو الخطاب، ياسيدي هما جداك ذكرهما فلان، يشير إلى بعض المؤرخين فتوقف الشيخ..."[3].

أي أن هذا البرنامج يرمز إلى البيئة الثقافية السائدة من خلال الحديث عن مراكز التعليم، وتعيين مدارسها واتجاهاتها العلمية، وتسمية الرجال القائمين بها والتعريف بنشاطهم العلمي في الدرس والتأليف، وتقوم خلال ذلك برصد مختلف مستويات التعليم في هذه المراكز، وتعيين المصنفات المقررة التي تتناولها مجالس الدرس، ويعتمدها الشيوخ في تلقين مختلف المواد العلمية[4].

بذلك كانت البرامج والفهارس عنصر تقارب وتواصل علمي بين المغرب والأندلس، كما كانت عنصرا مبرزا لثقافة المجتمع وتطوره واحتكاكه.

---

1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص304؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص216، 221.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 217. أما ترجمة ابن مضاء، انظر ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج1، ص109-110.

3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الأول، القسم الأول، ص212؛ وعبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص133.

4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص424.

1 -3 - الطرائق

تثير الفهارس والبرامج في حديثها عن الحركة التعليمية وصفا —وإن كان مقتضبا —لأساليب الشيوخ في الدرس، وتمييزا لطرقهم التي انتهجوها في تعليم هذه المادة أو تلك، وبالتالي تعتبر البرامج مادة مهمة لتحديد كثير من معالم نشاط التربية والتعليم في تاريخ المغرب الأوسط العلمي، خلال العهد الموحدي، على أن هذه الطرق التعليمية التي تبرزها كتب البرامج وأيضا التراجم، يبقى أمر تقسيمها وتصنيفها أوليا لاشتراك في كثير من الخصائص، وتداخلها مع بعضها حتى في الدرس الواحد من الشيخ والمعلم الواحد.

بذلك ترسم كتب التراجم والرجال و البرامج الأجواء العلمية التي تخرج منها مؤلفوها، من خلال الحديث عن الشيوخ والاستفادة منهم، مع ذكر المصنفات التي تقرأ على هؤلاء الشيوخ، والطريقة التي يتبعها كل شيخ في التدريس، والشروح والحواشي التي تستخدم في حل مقفل هذه المادة أو تلك[1].

وقد مارس ابن تومرت خلال فترته القصيرة، التي أشرف فيها على إدارة الحياة العامة للموحدين، كل طرق التدريس السائدة في تلك الفترة، حيث مارس طريقة الإقراء كثيرا، من خلال المواظبة على قراءة القرآن والتوحيد مع طلبته يوميا، وفي أوقات ثابتة[2] كما مارسها في المغرب الأوسط عندما التقى أول مرة مع عبد المؤمن، إذ يصف لنا البيذق طريقته بقوله:"فلما كان نصف الليل ناداني المعصوم–أي المهدي–يا أبا بكر، ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر، فدفعته له، وقال لي:أسرج لنا سراجا، فكان يقرأه على الخليفة من بعده، وأنا يومئذ ما سك السراج أسمعه..."[3].

أما الطريقة الثانية التي مارسها ابن تومرت فهي طريقة الإملاء، حيث يلجأ لها، عندما يستحسن كتابا معينا، ويرغب أن يجعل لكل طالب عنده نسخة، فكان يمليه في وقت معين، حتى يكتب كل طالب نسخته بخطه، ويستطيع المواظبة على قراءته باستمرار، ومن ذلك ما فعله مع كتاب الموطأ الذي أملاه، على طلبته، ومنهم عبد المؤمن الذي أملاه أيضا في مراكش، برباط هرغة ببلد السوس في يوم الاثنين3 ذي الحجة 544 هـ/1149م[4]

كما يستجيب كل شيخ لطريقة ما بطرق متفاوتة، فلكل شيخ نهجه التعليمي، يميزه مستوى علمه، واختصاصه، وعلاجه للموضوع، وطول ممارسته للدرس، وفصاحته وحسن تبليغه وتصرفه.

---

1) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص430.

2) ابن القطان: المصدر السابق، ص 168.

3) البيذق: أخبار المهدي، ص35.

4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، مقدمة المحقق، ص9.

عرفت طرق إلقاء الدرس، والقيام بالتعليم في الفترة الموحدية تباينا من منطقة لأخرى، ومن مرحلة عمرية لأخرى، وحسب نوع المؤسسة المقدمة للدروس، وحتى من شيخ لأخر، ويمكن أن نلخص هذه الطرق في ثلاث حالات مراعيا كثرة الشيوع في هذا العهد، ومدى تماشيها مع أكثر المواد العلمية المدروسة.

ويبرز لنا برنامج مشيخة أبي العباس الغبريني طرق التدريس ببجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة، حيث يقول متحدثا عن علم الفقه أنه تلقاه"تعلما وتفهما وتبسطا" [1] ثم يضيف بعد ذكر الشيوخ الذين تلقى عنهم:"قرأت عليهما وسمعت منهما، وتفهمت بهما، وما زلت أحضر مجلسهما للاستفادة والنفع...وكل ذلك على إتقان وتحصيل وجودة بيان بتفريع وتأصيل وإجمال وتفصيل وإيراد الأسئلة والجمع والفرق وغير ذلك مما جرت العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء وأكابر العلماء، وأما بالمذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة وإيراد المشكلات وحل المقفلات فوقعت الاستفادة بذلك عن كثير من أشياخي"[2] ويضيف قائلا"ووقع الانتفاع بالقراءة والسماع"[3].

ومن هذا البرنامج تتضح مختلف الطرائق التي اتخذها شيوخ المغرب الأوسط في تعليم وتدريس طلبة العلم خاصة الفقه منه، وهي تتنوع في ثلاث مجموعات هي:

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

2) المصدر نفسه، ص307.

3) نفسه، ص308.

أ -طريقة الإلقاء والحفظ

لم يعرف الغرب الإسلامي في المرحلة الأولى من التعليم سوى التلقين أو الحفظ، التي تنحصر فيها وظيفة المعلم في تعليم الصبيان القرآن الكريم والنحو والعربية، وهذه العلوم كلها لفظية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب، ويتم التلقين والتحفيظ إما بالقراءة في المصحف أو الألواح[1].

فكان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده[2].

سادت هذه الطريقة في الكُتاب حيث أن معلم الصبيان يجلس في وسط حلقتهم، ويملي شيئا من القرآن الكريم، وهم يكتبون على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم، ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن، وعند إكمال حفظ السورة يُمْتحن الصبي فيما هو معروف لحد الآن بالختمة، وبعدها يخير الصبي إما بمواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه[3].

أي أن الفقيه يلقي ما لديه من علم والطالب يستمع"السماع"من لفظه ويصغي إلى أحاديثه، فتكون هذه الطريقة حينئذ طريقة إلقائية، إذا راعينا جانب المتلقي، وسماعية إذا راعينا جانب الملقي[4].

فكان ابن تومرت يجمع طلبته من فترة لأخرى، فيعرضون عليه ما حفظوه من القرآن أو من التوحيد، أو علوم أخرى، حتى أنه جعل لهم عقوبات كالتعزير بالسياط للتهاون[5] و لم يكن يعرض عليه طلبته الملازمون له فحسب، بل حتى عندما كان يمر بالمدن ويعلم العلم، كان الطلبة يعرضون عليه ما يحفظونه[6].

كما ترك ابن تومرت طريقة جيدة وسهلة لتعليم القرآن عن طريق التلقين والحفظ، ومساعدة الناس الذين لا يتقنون الحرف العربي من خلال لجوئه إلى تقسيم الفاتحة إلى كلمات، وسمى بكل كلمة

---

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص125.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص220.وفي هذا الصدد انتقد ابن خلدون على المغاربة مسلكهم في التعليم من كثرة اعتمادهم على الحفظ وضعف تدربهم على المحاورة والمناظرة عند التدريس والمذاكرات.المقدمة، ج3، ص223.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص213-214، ص222-223.

انتقد كذلك إبراهيم حركات طريقة التعليم التي كانت تعتمد على التحفيظ والسماع عكس أهل الأندلس والشام الذي يعتمد على الكتابة والقراءة، واعتبر ذلك سببا في ارتفاع نسبة الأمية في الغرب الإسلامي مقارنة بالأندلس والمشرق، كما ألصق ذلك بالسلطة المركزية المتعاقبة بالإضافة إلى جمود النظام البيداغوجي الذي لم يتقدم في أسسه وهياكله وطرقه.مدخل إلى تاريخ العلوم، ج 1، ص56.

4) يوسف بن علي العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط 1، الرياض، 1995، ص166؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص145.

5) ابن القطان: المصدر السابق، ص 83.

6) البيذق: أخبار المهدي، ص29، ص30.

رجلا، ثم أقعدهم صفا واحدا، فقال للأول اسمك الحمد لله، والثاني رب، والثالث العالمين، وهكذا حتى تمت كلمات السورة، ثم قال لهم لا يقبل الله لكم الصلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء كلها على نسقها في كل ركعة من الصلاة، وهكذا يسر عليهم حفظ السورة [1] وهي تبين إحدى طرق التعلم المعتمدة على الحفظ والتلقين، وكذلك التدرج من الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، والانطلاق من الواقع المعيش.

وقد ظهرت هذه الطريقة نتيجة لحرص الرعيل الأول من علماء المسلمين بحفظ القرآن وبدراية الحديث النبوي الشريف، وتوثيق إسناده، إذ وجدوا الإسماع أمثل طريقة لحفظ الحديث وتناقله بين المسلمين، وخاصة قبل انتشار الكتابة والتدريس بينهم[2].

وكان تحفيظ القرآن أول ما يتعلمه الطالب، وعلى رواية ورش عن نافع [3]، وهذا دليل على سيادة المذهب المالكي بين الفئات الشعبية رغم ما بذلته الجهات الرسمية للدولة.

حيث يقدم لنا الغبريني مثالا عن شيخه يمارس هذه الطريقة وهو أبو محمد عبد الحق بن ربيع بقوله أنه يعتمد على الحفظ و"التكرار في أكثر الأزمنة"[4].

وهذا يدل على تطبع التعليم في العهد الموحدي بالاعتماد على الحفظ وتقديره، حيث يجب على المتعلم بعد حفظ القرآن، أن يحفظ أمهات الكتب، مثل ألفية ابن مالك، ولا ميته في النحو والصرف...وكان على المتعلم أن ينقش في ذاكرته كل مسألة تعلمها نصا وشاهدا يؤديانها حتى لا يتعرض لسخط شيخه وسخرية رفاقه"واشتهرت في هذا العصر عبارة"من لا يحفظ النص فهو لص"[5].

وبدعم رأينا هذا ما تشير إليه كتب السير والتراجم من أسماء لامعة من المغرب الأوسط اشتهرت بقوة الحفظ للحديث أو للقرآن، أو لأمهات الكتب [6] كما أن ابن خير الاشبيلي (ت 575هـ/

---

1) ابن ابي زرع: الأنيس، ص183.

2) يوسف العريني: المرجع السابق، ص168.

3) الوادي أشي: برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981، ص43.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص308.

5) محمد لواح: المراكز التعليمية في العهد المريني، مجلة دار الحديث الحسينية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد 9، 1991، ص438.

6) كعبد الله بن عرجون الذي توفي بتلمسان عام534هـ/1139م كان يحفظ الكثير من الحديث.ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص453 و الشيخ أبو زكريا يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي الذي أخذ عن الإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي الأصلين حفظا واتقانا. الغبريني: المصدر نفسه، ص 139.و محمد بن أحمد بن الحجام كان حافظ زمانه. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ص 266-268 و أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية، كان من أحفظ أهل زمانه باللغة كما حفظ صحيح مسلم كله حسب الغبريني: المصدر نفسه، ص230.وغيرهم كثير

1179م) ذكر في فهرسته عدداً كبيراً من الكتب التي أخذ معظمها بالحفظ سماعا عن شيوخه، من خلال قوله"حدثني به"[(1)].

وقد انتقد ابن عربي (ت 638هـ/1240م) في رحلته [(2)] مسالك المغاربة في ابتدائهم بالقرآن الكريم، وحفظه ورأى ضرورة تعليم اللغة العربية أولا والانتقال منها إلى القرآن ثانيا، وقد استحسن ابن خلدون طريقة ابن العربي، لكنه عقب عليها قائلا:"إن العوائد لا تساعد عليها، وهي أملك بالأحوال"[(3)].

والعادة المتبعة في حلقات السماع أنه عند انتهاء الطالب من سماع كتاب معين يطلب من شيخه أن يوقع على نسخته شهادة تفيد أنه قد سمع هذا الكتاب منه [(4)] وهذه الشهادة بالإضافة إلى أنها تثبت سماع الطالب هذا الكتاب من الشيخ، فهي أيضا تثبت مطابقة نسخة الطالب لأصل الشيخ، والغالب أن يكتب السماع في مكان بارز من الكتاب كصفحة العنوان مثلا[(5)].

أما في مجالس العلم الهامة، والتي يتم فيها دراسة مختلف العلوم، يقوم الفقيه بالإملاء، منتظرا طلابه كتابة ما يقوله، فيتحدث وهم يكتبون ويضبطون كل كلمة يقولها[(6)].

---

1) ابن خير: المصدر السابق، ج1، ص130، 132...

2) وهو يعد من الكتب والمخطوطات المفقودة.

ومحي الدين بن عربي هو محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله.المقري: المصدر السابق، ج 2، ص161-167، ج4، ص307. الحاتمي نسبة إلى عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي الشهير بكرمه في العهد الجاهلي.رابح بونار: هامش، عنوان الدراية، ص158 المعروف بابن سراقة.الغبريني: المصدر السابق، ص 158.انتقل إلى اشبيلية و بها تعلم على يد أبي بكر بن خلف.المقري: المصدر السابق، ج2، ص161-167

[3]) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص223؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص69-70.

[4]) يوسف العريني: المرجع السابق، ص170.

[5]) نفس المرجع والصفحة؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص149-150.

[6]) يعرف حاجي خليفة الأمالي بقوله" جمع الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه التلاميذ فيصير كتابا ويسمونه الإملاء، والأمالي.كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا، و رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت،ج1، ص161.

ب- طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه أو نقده أو اختصاره .

تعد طريقة الإقراء من أشهر طرق التعليم في مرحلة عمرية وعلمية متقدمة، حيث يمسك المعلم كتابا ويقرأ منه، ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم، أو أن يقوم طالب من المجموعة بالقراءة في حضرة شيخه الذي يتعهد بتصحيح القراءة وتقديم النطق السليم للكلمات والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء[1].

كانت هذه الطريقة تسود في مرحلة أعلى من المرحلة التعليمة السابقة، حيث يقوم طالب من الطلاب بقراءة نص من الكتاب[2] أو فقرات منه، وبعد ذلك يقوم الأستاذ بتولي عملية الشرح وتبسيط ما ورد من المفردات الصعبة[3].

وهي طريقة تقوم على السرد، وتعتمد إحضار شرح واحد أو عدة شروح على الكتاب المدروس، وتتبع هذه الطريقة في تدريس مختلف المواد العلمية من حديث وفقه وتفسير ونحو وغيرها، وهي تهم المختصين أكثر، إذ تحاول استيعا ب ما قيل في الموضوع عن طريق استحضار نصوص الشراح والمؤلفين، ولذلك فهي أشبه في جانب منها بالمحاضرات في جامعتنا اليوم[4].

وقد مارس ابن تومرت هذه الطريقة، بعد عودته من المشرق من خلال جملة الكتب التي أحضرها معه، إضافة إلى مناقشة الكتب التي ألفها، ومحاولة شرحها خاصة ما يبين مذهب التوحيد ككتاب أعز ما يطلب، والمرشدة، والقواعد والإمامة[5].

يصف لنا الغبريني طريقة الإقراء في بجاية على يد أحد شيوخه الذي عاصر العهد الموحدي والحفصي وهو أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت 675هــ/1276م) بقوله"إذا جلس للإقراء يحضر بين يديه الكتب المقروءة عليه، فإذا فتح الطالب الكتاب، أخذ هو الكتاب في يده، ويقرأ الطالب وتقع المعارضة، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ، وهذا من تثبته وتحوطه رضي الله عنه"[6].

---

1) صفية ديب: المرجع السابق، ص 152.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص214.

3) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، المغرب، د ت، ج5، ص80-81؛ وإسكان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط، من القرن 7هــ/13م إلى القرن 9 هــ / 15 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988، ص114.

4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص483.

5) مجهول: الحلل الموشية، ص110.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص116.

ويتم في هذه الطريقة نقد المصادر والكتب، كما كان يفعل علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637 هـ/1239م)[1] وقال عنه أبو أحمد عبد الحق، كنا نقرأ عليه النجاة لابن سينا (ت428هـ1036م) فكان ينقض عراه نقضا، وذلك بعد أن يوضح منه ما يليق، ويقرره بأحسن طريق، ثم ينقضه ويوهنه، وكان أعلم الناس بعلم التعاليم وعلم الفقه حيث إذا قرأ التهذيب يبين أنه مخالف لأصل المدونة ومغاير لها، ويأمر بالأصل فيقاس فيبين المخالفة بينهما[2].

وقد اتبعها الفقهاء والأدباء كثيرا، إذ نجد آثارها و الإشارة إليها في برامجهم، فيذكر القاضي عياض (ت 544هـ/1149م) في فهرسته تصحيح الكثير من المصنفات التي قرأها على شيوخه، منها أدب الكتاب لابن قتيبة بقوله"وعارضته بكتاب الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر أبي الأصبغ عيسى بن سهل..."[3].

كما بين الغبريني طريقة تلقين الدروس بذكر الكتب التي كانت تقرأ عليهم"من التهذيب إلى الرسالة وما بينهما الجلاب والتلقين، ومختصر ابن أبي زيد وغير ذلك...بتفريغ وتأصيل وإجمال وتفصيل وإيراد الأسئلة والجمع والفرق، وغير ذلك مما جرت العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء، وأكابر العلماء، وإما بالمذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة"[4] وقوله كذلك"...وإلقاء الصعاب وحلها بالكتب والمجاوبة حتى جرى ذلك مجرى الدرس"[5].

---

1) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص147.

3) القاضي عياض: الغنية، ص175.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص307.

5) نفسه، ص308.

ج- طريقة المحاورة والمناظرة[1]

وهي طريقة تعليمية أخذت صيغتها الاصطلاحية من النظر بمعنى البحث بالحوار، ويعرف الزبيدي لفظة المناظرة لغويا بقوله"والمناظرة المباحثة، والمباراة في النظر واستحضار كل ما يميزه ببصيرته والنظر والبحث، وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياس"[2]

وهذه الطريقة التعليمية التجأ إليها شيوخ المغرب الأوسط في دروسهم، غير أنهم لم يفردوا العمل بها في الدرس، فكانت في الأغلب تدرج في الدرس الواحد مع الطرق السابقة، إذ أن أكثر المواد الدراسية تقوم على السرد والتلقين[3].

ترتكز هذه الطريقة على التحليل والتعليل والمحاورة، وابتعادها عن أساليب الحفظ والاستظهار، ويشكل الطالب المحور فيها للوصول إلى حل القضايا، ويكتفي الشيخ بتوجيه الحديث والمناظرة وإدارتها[4].

ويعطينا الغبريني مثالا عنها في العهد الموحدي، ممثلة ومطبقة من قبل الفقيه الشيخ أبو الحسن الحرالي التجيبي (ت 638هـ/1240م) بقوله"...وأصبحنا للحضور بمجلس الشيخ رحمه الله على جري عادتنا، ولما جرت موجبات الاستدعاء للمحاورة، ومقتضيات المذاكرة..."[5].

كما يذكر المقري أن أصل هذه الطريقة عند فقهاء العراق فيقول"فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس...ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل وتحرير الدلائل على رسم الجدليين، وأهل النظر الأصوليين"[6].

---

1) يقول ابن خلدون: وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب مرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا، وكيف يكون مخصوما منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت.أنظر: المقدمة، ج3، ص21-22.

2) تاج العروس، ج14، ص254.

3) وتختلف أساليب الشيوخ في إثارة الحوار والسؤال داخل الدرس، فهم في أكثر الحالات يتركون البادرة للطالب في إثارة الأسئلة، إما لاستغلاق فهم المسألة عليه، وإما لاجتهاده في تخريجها مخرجا يخالف به شيخه، وإما لاختبار الطلبة عن طريق التحاور فيما بينهم. عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، ص 490. وقد تكون بين شيخين وعالمين للمجادلة و محاولة إثبات صحة أقواله لإفحام أحدهما الآخر فتصبح مناظرة .

4) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص215.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص151.

6) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942، ج3، ص22.

كما يبين الغبريني أن طريقة التدريس – ورغم تأخره عن الفترة التي ندرسها، إلا أنها استمرار لما كانت عليه-كانت تتم" بإيراد المشكلات، وحل المقفلات" وهو ما يعني هناك حوار وتناظر للحصول على المعرفة[1].

ساعد في انتشار هذه الطريقة ممارستها من قبل ابن تومرت منذ البداية سواء للتدريس أو للتصدي لفقهاء المرابطين [2] كما شجع خلفاء بني عبد المؤمن على مجالس وندوات رفيعة تتم فيها مناظرات كبيرة[3].

وقد استخدمت هذه الطريقة في تدريس أكثر مواد الفقه، فلا ترد إشارة به إلا وهي مقرونة بكلمة ناظر أو نوظر عليه، فهي أكثر استجابة لمادة الفقه التي تقوم على عرض أقوال الفقهاء والنظر فيها، ومقابلتها ومناقشتها، والعودة إلى الأصول المستنبطة أحكامها منها[4].

ولا شك أن مختلف الطرق، التي أخذ بها الطلبة العلم في المغرب الأوسط، كانت هي المنطلق والقاعدة الأساسية التي سيقوم عليها بناء شخصية فقهاء أجلاء وعلماء لهم باع طويلة في مختلف فروع العلم فيما بعد، وهذا ما تشهد به كتب السير والتراجم[5].

كما أن جميع طرق التدريس تنتهي بإجراء امتحانات في جميع المواد، من طرف الأستاذ أو الشيخ المشرف[6] لينال في الأخير الإجازة، أو الترخيص بالانتقال إلى مرحلة أعلى.

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

2) عندما ناظر ابن تومرت فقهاء المرابطين طلب منهم اختيار من ينوب عنهم لمناظرته، وقد سألهم عن طرق العلم وهل هي منحصرة أم لا تنحصر؟ ثم سألهم عن أصول الحق والباطل؟ .ابن أبي زرع: الأنيس، ص174-175.

3) ابن القطان: المصدر السابق، ص176؛ وصفية ديب: المرجع السابق، ص160.

4) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق ، ص482.

5) صفية ديب: المرجع نفسه، ص71-72.

6) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص255.

2 -الوراقة

من مظاهر النشاط الثقافي والفكري في المغرب الأوسط عهد الموحدين، ازدهار الوراقة، والتي لم تتفق المراجع والمصادر على معنى أو تعريف واضح لها، واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة اتجاهات:

فابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، ت 737هـ/1336م) في كتابه "المدخل" يجعلها قاصرة على صناعة الورق، ثم يخصص لكل من النساخة والتفسير فصلا [1] أما ابن خلدون فيوسعها، ويفرعها، ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتسفير، وسائر الشؤون الكتبية والدواوين، وبهذا تندرج فيها صناعة تحضير الورق وإعداد الورق [2] أما الاتجاه الثالث فهو يخصصها بالنساخة، أي جعل النسخ حرفة يشتغلها فهو نساخ ووراق[3].

وسنعتمد على التعريف الثاني الذي هو قريب من المنطقة والأحداث وهو تعريف ابن خلدون كمرجع أساسي في طرح النقاش.

كانت دُور الوراقين تعتبر أحد مجالس العلم، وحسبك أن تعلم أن ابن النديم صاحب الفهرست(ت385هـ/995م)، وياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء(ت 626هـ/1228م) كانا وراقين، أي بائعي كتب ونساخين لها، وكثيرا ما يلتقي العلماء بها لتبادل الشعر والأدب، والفقه[4].

وتعتبر الفترة الموحدية العصر الذهبي للوراقة المغربية، حيث نبغ وراقون مغاربة مجيدون، وكان بينهم بعض المصحفين والملتزمين لمنتسخات بعينها، وقد تفنن أفراد في تنويع المخطوط وتفريعها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية، وظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتفسير ، وازدهرت صناعة الورق[5].

كان من خلفاء الدولة الموحدية أنفسهم من يجيد الكتابة بأكثر من خط، وكان بعضهم يوقع الرسائل الرسمية بيده بخط الثلث المشرقي، وبالمداد الأحمر المعروف لهم[6].

كما نبغ أبناء عبد المؤمن الثلاثة عشر في الكتابة-نذكرهم باعتبارهم من المغرب الأوسط- حيث عدوا كلهم خطاطون، وامتدح أحدهم بإجادة الخط من طرف الشاعر الأندلسي ابن مجبر، أين وصف خط الأمير عمر بن عبد المؤمن بهذين البيتين:

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا نكر على السحب أن ينبتن أزهارا

---

1) ابن الحاج : المدخل، دار التراث، القاهرة، مصر، د ط، ج4، ص79-83.

2) أنظر:المقدمة، ج2، ص321.

3) أبو زيد عبد الرحمن بن أبي السعود الفاسي: تحفة الأكابر، مخطوط، المكتبة الملكية، رقم 643، الباب الرابع .نقلا عن المنوني : تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1991، ص11.

4) مروان عبد الملك محمد: المرجع السابق، ص45.

5)المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، ص27.

6) شفيق محمد: المرجع السابق، ص36.

خط هو السحر لكنا نتزهه ونجعل القلم النفاث سحارا [1].

فقد كان في مدينة فاس وحدها أربعمائة مصنع للورق"الكاغد" [2] والسر في تطور الوراقة، في كل الدولة الموحدية عموما، هو ازدهار حركة التأليف، والكتابة الديوانية، فبرز وراقون مغاربة مجيدون، ونساخون محترفون، ومفسرون ونقاشون ومرصعون متخصصون، منهم من تخصص في نساخة وزخرفة أشياء بعينها كالمصاحف، وكتب الحديث، أو غيرها، وتفنن النساخ في تنويع الخطوط وتفريعها، والمزخرفون في تزويق الكتب وتدبيجها، والصناع في تسفير الكتب وتجليدها[3].

من مميزات الوراقة الموحدية التفنن في تنويع الخطوط إلى طرائق مغربية ومشرقية، كما هو الشأن بالنسبة لعلي بن يحي بن سعيد الأنصاري التلمساني الأصل، الذي سكن إشبيلية ومراكش وغيرهما (لم نجد تاريخ وفاته) كان حسن الخط في الطريقتين المشرقية والمغربية[4].

وقد نبغ في هذا العهد عدد من الوراقين من المغرب الأوسط، الذين كتبوا بخطوط مختلفة، نذكر منهم:أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، المعروف بابن قُرقُول (ت 564هــ/1168م) من قرية حمزة من عمل بجاية [5] وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا، بديع الكتابة وحسن الوراقة[6].

كما استفاد المغرب الأوسط من بعض الوراقين الأومنهم أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي(599هــ/1202م) وهو من أهل مرسية، رحل حاجا فلقي في طريقه ببجاية عبد الحق الإشبيلي وقرأ على يده، والأكيد أنه مارس مهنته الوراقة، ونفع الناس بها، وكان حسن الخط صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، جلدا على الوراقة محترفا بها تأثل منها مالا كثيرا، وكتب بخطه علما كثيرا[7].

ومحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي (ت 610هــ/1213م)[8] نزيل تلمسان، كان حسن الخط والتقييد حافظا، عني بهذا الشأن طويلا واستنفذ فيه عمره، وكتب بخطه الكثير[9].

---

1) المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، المرجع السابق، ص28.

2) علي الجزنائي: جنى زهر ة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط 2، 1991، ص44.

3)المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، المرجع السابق ، ص27.

4) نفس المرجع، ص28.

5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص520.

6) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج 1، ص 185؛ وابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص63؛ والصفدي: المصدر السابق، ج6، ص109؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203-204.

7) ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، طبعة الجزائر، ج1، ص114-115؛ والسملالي: المرجع السابق،ج2، ص102.

8) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

9) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر سابق، السفر السادس، ص356.

عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت 626هـ/1228م) نزيل تلمسان، كان كاتبا بليغا شاعرا مجودا، كتب للولاة دهرا طويلا، وتجول ببلاد العدوة والأندلس كثيرا[1].

وأبو الربيع التلمساني[2] الذي كان زاهدا ورِعًا، سكن سلا، يحترف بالنسخ، ولا يقبل فيه سوى قيمة العدل[3] وأبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675 هـ/1276م) وكان ابن مقلة (ت328هـ/939م)زمانه له خطوط جميلة، كان يكتب الشرقي والغربي والديواني، ومن أبدع حاله في خطه إذا بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره [4] وقد أُثني عليه في حاله في الوثيقة، فقدمت وثيقته الوثائق، وأماطت الشبه والعلائق[5].

وقد سبقه إلى ذلك والده أبا الزهر الذي كتب لبعض ولاة بجاية من الموحدين، ومروان بن عمار البجائي(ت610هـ/1214م)[6] قال عنه ابن الأبار:"وكان من الأدباء النبهاء، مشاركا في أبواب من العلم، حسن الخط، جيد الضبط[7].

و أبا الحسن القلي الفقيه الأديب، كان حسن الخط مغربه ومشرقه [8] و أبو عبد الله الفزازي التلمساني، من بيت علم ونباهة، أخذ العلم بقرطبة وسكن مراكش اشتهر بأنه لغوي، وكاتب بليغ، شاعر مجيد، حسن الخط والصورة والهيئة[9].

وشيخنا الجزائري أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح (ت 629هـ/ 1231م) الذي كان بارع الخط، حسن الضبط [10] ومحمد بن إسماعيل المتيجي الذي كان مليح الخط والضبط، مشاركا في علم الحديث والرجال، فاضلا، زاهدا، يقول الشعر، وكتب علما كثيرا وأخذ الناس عنه[11]

---

1) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص585.

2) التادلي: المصدر السابق، ص280.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص108.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص86.

5) المصدر نفسه، ص86-87؛ والتنبكتي: المصدر السابق، ص280.

6) هو مروان بن عمار بن يحي، أبو الحكم، قاض، فقيه، له مشاركة في علوم اللغة والأدب، من أهل بجاية .ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص384؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص40؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص28.

7) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص384.

8) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

9) قال عنه عبد الواحد المراكشي: وأبو عبد الله محمد بن يخلفتن بن أحمد الفازازي، ذكره الله فيمن عنده، وقرب مطالعتي تلك الغرة الميمونة، وسماعي تلك الألفاظ الحلوة، واستماعي بتلك الشمائل الشريفة، فما أشد شوقي إلى تقبيل يديه المعجب: المصدر السابق، ص223.

10) الغبريني: المصدر نفسه، ص225.

11) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص85.

و محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي [1] الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، وكان رحمه الله أديبا بارع الكتابة، شاعرا مجيدا، رائق الخط[2].

ولا ننس محمد بن حماد الصنهاجي(ت 628هـ/1230م)[3] الذي قال عنه ابن عبد الملك"كان الملك"كان ضابطا لكتبه، محافظا عليها، جيد الخط، كتب الكثير وأتقن تقييده، و لم يزل الناس يتنافسون في ما يوجد بخطه أو بمعاونته"[4].

أما أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي وهو من برشانة، استقضى بتلمسان، وكان كاتبا للمستنصر أبي يعقوب يوسف بن الناصر أبي عبد الله من آل عبد المؤمن، وكان بارع الخط، رائق الطريقة، له مترلة كبيرة لدى طلبة العلم يأوون إليه، وتوفي بسبتة سنة (629 هـ/1231م)[5].

وأبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ) رحل إلى بجاية واستوطنها وأخذ عن عبد الحق الاشبيلي وغيره، وكان له علم بالحديث والفقه والوثيقة، وأكثر تخاطيطه إنما هو التحديث[6].

---

1) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

2) ابن عبد الملك المراكشي: السفر الثامن، القسم الأول، ص314؛ ويحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

3) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.

4) الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص324.

5) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج 1، ص146؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 464-465؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص189.

الفصل الثالث

أهم العلوم في المغرب الأوسط

أولا :العلوم النقلية

ثانيا : العلوم العقلية

من الطبيعي أن يكثر التأليف في دولة بلغ فيها النشاط الثقافي والفكري مدى بعيدا، لذلك فقد كثرت في دولة الموحدين المصنفات التي تبحث في مختلف العلوم والفنون، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء[1] حيث يقول ابن مريم "اعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات الطالب..."[2] وكل ذلك شجع على البحث والتفقه.

أولت الدولة الموحدية عناية كبيره بعلوم الدين، وسايرتها بالعلوم الأخرى [3] وهذا ما مكن اهتمامهم بشؤون الثقافة، فظهرت شخصيات مغربية كثيرة لمعت في سماء الفلك والطب والتاريخ والجغرافيا إلى جانب علوم اللغة والآداب وعلوم الشريعة[4].

حيث كان ابن تومرت أحد علماء عصره، المجتهدين في طلب العلم، وقد جلس ابن تومرت لتدريس العلم، في المغرب الأدنى والأوسط ، أين جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه[5].

و لم يكن خلفاء ابن تومرت أقل تشجيعا للعلم منه، فعبد المؤمن بن علي-باعتباره من المغرب الأوسط-بدأ حياته طالب علم طموحا، وعندما ولي الحكم، لم تشغله أموره عن رعاية العلم والعلماء، فقد كان مؤثرا لأهل العلم ، محسنا إليهم[6].

كان المغرب الأوسط يتوفر على الكثير من علماء الدين، وكبار الأدباء، ولكنه كان يفتقر إلى الاختصاصيين الأكفاء في العلوم الأخرى من هندسة وطب، وتنجيم، وغير ذلك وظهر عجز واضح في الميدان الفني[7].

وقد قسم علماء المسلمين في العصور الوسطى، العلوم النقلية إلى علوم الدين، وعلوم اللغة العربية وعلوم عقلية[8] أما ابن حزم(ت456هـ/1063م) من خلال رسائله في مراتب العلوم، قسمها إلى علوم الشريعة، وعلم الأخبار"التاريخ"علم اللغة، علم النجوم، علم العدد، علم الطب [9] وأما الغبريني

---

1) شفيق محمد: المرجع السابق، ص36.

2) أنظر: البستان، ص308.

3) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص252،ص255.

4)عبد الحميد حاجيات:الجزائر في التاريخ، ج3، ص340.

5) البيذق: أخبار المهدي، ص30.

6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص203؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص32.

7) فمعظم الذين وضعوا تصميمات المباني الموحدية العظيمة التي كانت في عهد الخلفاء الأولين، إنما كانوا من الأندلسيين، وأشهر أطباء الدولة كانوا أندلسيين.إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص350.

8) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص294.

9) ابن حزم: رسالة في مراتب العلوم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت لبنان، 1983، ص78-80.

فقد قسمها في برنامجه الذي ختم به كتابه"عنوان الدراية"إلى صنفين إحدهما علم"الدراية" [1] والآخر علم"الرواية"[2] لكنه في برنامجه نجده يخلط بينهما، أما ابن خلدون فيقسم العلوم إلى عقلية"حكمية" ونقلية[3]، مع إقصائه علم التاريخ.

وقد قسم ابن تومرت العلم، من وجهة نظره الخاصة إلى ثلاث أقسام:الحس والعقل والسمع [4] والعلوم الحسية جعلها ثلاث أقسام(ما أدركناه عند الاتصال، وما أدركناه عند الانفصال) والعلوم العقلية جعلها قسمين:ما أدركناه بدلالات الأفعال، وما أدركناه بالقياس، ويدرج ضمن القسم الأول من العلوم العقلية العلوم الإلهية كلها [5] أما العلوم النقلية"السمع"فيقسمها من جهتين: من جهة السماع المباشر يجعلها على قسمين (وحي ولغة)، ويقسمها من جهة النقل إلى ثلاثة أقسام (الكتاب والسنة والإجماع)[6] من جهة أخرى قسم العلوم بصفة عامة إلى ثلاثة أقسام هي: العلم بالدين، والعلم بالدنيا، والعلم بما يتوصل به إليهما[7].

ويعود ابن تومرت إلى إعطاء تقسيم آخر للعلوم بقوله:"وجميع العلوم النافعة مندرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة، أما علم الشريعة فهو علم الدين ونصل إليه بمقصد الحكمة...وأما علم الطبيعة فهو علم الحكمة الذي كتبه الله بيد قدرته"[8].

وفيما يلي سنورد تطور الحركة الفكرية أيام الموحدين بالمغرب الأوسط في مختلف فروع المعرفة، وفق تقسيم ابن خلدون، مع تكييفها مع الفترة الحالية بإضافة علم التاريخ،لأنه الأقرب للواقع والأكثر وضوحًا دون فلسفة تومرتية .

---

1) يقصد الغبريني بها"جملة العلوم التي احتاج إلى ذكرها في هذا الموضع يحتمل الدراية، وهي علم الفقه، وعلم الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، وعلم العربية، وعلم التصوف، وعلم المنطق".برنامج الغبريني، ملحق كتاب عنوان الدراية، ص307.

2) وهي العلوم التي حصل عليها من جملة من شيوخه عن طريق الرواية، وهي علم تفسير القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه، وعلم العربية، وعلوم التصوف والتذكير.برنامج الغبريني، ص309-310.

3) قال ابن خلدون في مقدمته:"اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية...والثاني هي العلوم النقلية الوضعية...ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع...".المصدر السابق، ج 2، ص358.

4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص33.

5) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص137.

6) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص33.

7) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص308-309 بلقاسم فيلالي: المرجع نفسه، ص137.

8) ابن تومرت:كنز العلوم والدرر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة، تحقيق أيمن عبد الجابر البحري، دار الآفاق العربية ط1، القاهرة، 1999، ص19-20.

أولا: العلوم النقلية

العلوم النقلية هي العلوم التي وضعت لاستيعاب، الدين والإلمام بما خلفه الأجداد والواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها[1]

تميز عصر المرابطين بالاقتصار على مذهب مالك والإكثار من الفروع، وتعدد الأقاويل في المسائل، والابتعاد عن الأصول الحديثة للمذهب، وتفشي التقليد، وقد أعيب ذلك على الفقهاء، واعتبر من الذرائع المؤدية إلى الفرقة التي وجب سدها [2] وتشهد على ذلك مؤاخذات الباجي وابن عربي فقهاء هذا العصر على التقليد، فابن عربي- نقلا عن الونشريسي- يصف فقهاء عصره قائلا:"فصار التقليد دينهم، والاقتداء يقينهم"[3]

لكن الموحدين اهتموا في مجال العلوم النقلية، بالفقه و بعلمي القراءات و التفسير، فازدهرا وذلك بسبب دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسنة، والأخذ بظاهرهما[4] وانعكس ذلك على علم الحديث وعلم الكلام[5] وفي هذا يقول أحد الباحثين" لاشك أن الإصلاح الديني، الذي حاول الموحدون تطبيقه في المغرب، قد ترك آثارا هامة في تطور الحياة الدينية، ومن أبرز نتائجه ذيوع كتب الغزالي وكتب غيره من الأشاعرة...ولهذا خرجت العلوم الدينية في المغرب من طور منابذة الرأي والعقل، وانتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازنا واعتدالا"[6].

بذلك شهد العهد الموحدي ازدهارا للعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، والتوسع في دراستها إلى مدى بعيد، ومن بين العلوم النقلية أو الدينية .

---

1) شقرون محمد بن أحمد: مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982، ص191.

2) الصغير عبد المجيد: تجليات الفكر المغربي ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، الدار البيضاء، مطبعة المدارس، ط1، 2000، ص166.

3)الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص482. رغم أن من نتائج اهتمام المرابطين فقط بعلم الفروع كثرة التآليف في النوازل مقارنة مع عصر الموحدين، كنوازل ابن رشد وابن عربي. عبد الحق الطاهري: الإمام ابن تومرت والمذهب المالكي، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2007، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010، ص247.

4) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، 1972، ص19؛ والشاطبي: الاعتصام، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1988، ج 1، ص123؛ وابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص262-263.

5) إن المصادر التي روجت لإلصاق الظاهرية بالموحدين، هي الكتابات الفقهية المنتمية إلى مراحل لاحقة، وهذا يدعو بطبيعة الحال إلى التوقف والحذر في مسايرتها، نظرا لانطلاقها من مواقف إيديولوجية غير خفية. محمد مغراوي: خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986-1987، ص83.

6) عبد الحميد حاجيات:الحياة الفكرية في عهد بني زيان، ص139.

1- علوم القرآن

القرآن الكريم هو كلام الله المترل على رسوله محمد(ص) المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، والمكتوب بين دفتي المصاحف [1] وظهرت علوم القرآن بتروله على الرسول(ص)، ومنها تنوعت وتعددت، ويمكن تعريفها بأنها مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءته وتفسيره، وناسخه، ومنسوخه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك[2].

إن القرن الثاني عشر ميلادي، السادس هجري بالنسبة للحركة الثقافية في المغرب الأوسط خصوصا يشكل خطا فاصلا بين مرحلتين، إحداهما مرحلة ركود وفتور ثقافي(المرحلة الأخيرة للحماديين والهجوم الهلالي)[3]، والأخرى مرحلة انبعاث وازدهار ثقافي هي الفترة الزيانية.

وقد اهتم الموحدون بالقرآن وحافظوا عليه من خلال تدريسه وتشجيع دارسيه، كما كان مصحف عثمان يقدمه أبو يعقوب المنصور في غزواته بالأندلس[4] وكل ذلك يبرز انشغال علماء المغرب الموحدي بالقرآن وكل علومه المختلفة.

هذا راجع إلى القرار السياسي في كنف الدولة الموحدية إلى إحياء الاجتهاد المطلق ، ومع الاستقرار الفكري، وتنوع مهام الدولة لوجودها بين ملتقى حضارات ، ازدهرت العلوم، وكان من نتائج ذلك وجود مشيخات مهمة في مختلف حواضر المغرب الأوسط، يمثلها علماء كبار، وقد توفر لها من ضروب الإفادة العلمية التي يرغب فيها الناس، من حديث وتفسير وقراءات، وتوفر لها من أصناف الإسناد والرواية ما جعلها مقصد الرحلة عند المهتمين بذلك، ومن بين علوم القرآن:

---

1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، القاهرة، 1957، ج1، ص318؛ وابن خلدون: المقدمة، ج2، ص361.

2) مساعد الطيار: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد1، 1427هـ، ص79-80.

3) على الرغم من محاولة البعض إعادة الاعتبار وتصحيح الاعتقاد بخصوص الحملة الهلالية، واعتبارها حملة استشراقية لمؤرخين أرادوا تشويه هذا التواجد الهلالي وإلصاقهم بتهمة التخريب والانحطاط – لمزيد عن هذا الموضوع انظر علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص7-36.

4) هذا المصحف وقع إليهم من نسخ عثمان" ض" من خزائن بني أمية، يحملونه بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعادل أموالا طائلة... عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 179؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص152؛ وعبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص 12 والاعتقاد انه يعود إلى عثمان خطأ.هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص174.

أ- علم القراءات

إن ظهور القراءات [1] كان بسبب اختلاف اللهجات العربية، حيث تشمل القراءات أنوا ع متعددة منها التجويد والرسم والقراءات المأثورة[2].

ويعتبر علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية،باعتباره أول محاولة في تفسير القرآن الكريم، وكان المغرب الموحدي من أشد الأقطار الإسلامية اهتماما بهذا العلم ، وضع المهدي بن تومرت نظاما يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم جمعة عقب صلاة الصبح و المغرب قراءة مرتلة، وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس القراء ات"وكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم" [3] وكان القصد من القراءة، التلاوة الصحيحة لهذا القرآن.

وأوائل المقرئين والمعتنين بالقرآن وقراءاته خلال العهد الموحدي بالمغر ب الأوسط، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي (ت581 هـ/ 1185م)[4] النحوي، والأستاذ المقرئ، أحد الثقات، الإثبات، الصلحاء الرواة وكان حسن التلاوة، صادق القراءة، وكان إذا أحيا ليلة سبع وعشرين يرغب الناس في القيام خلفه لصدق قراءته، وكان أبو عبد الله بن عبد المؤمن والي بجاية في تلك الفترة، كان يحضر الإحياء بالجامع ليلة سبع وعشرين، فما دام الأستاذ محمد عبد الله يقرأ يصلي الوالي قائما، فإذا قرأ غيره يجلس، وذلك بجامع القصبة المحروسة، وقد خطب بالجامعين الأعظم، وجامع القصبة[5].

كما برز من المغرب الأوسط، في الفترة الموحدية، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت582هـ/1186م) نزيل بجاية حيث اهتم بذلك وألف كتاباً سماه"نفس الصباح"في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، وقد روى عنه أبو الحسن بن عتيق بن موسى حيث لقيه ببجاية ودرس على يده هناك[6].

أما أشهر شيوخ القراءات في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي (ت600هـ/1203م) نزل تلمسان وعمر بها، وأخذ عنه الناس[7]

---

1) وهو علم يبحث عن صورة نظم كلام الله تعالى من حيث الاختلاف المتواتر ومبادئه.حاجي خليفة: المصدر السابق، ج 2،ص133.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج2 ، ص361.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص167.

4) ذكره الغبريني بلقب ابن الخراط وهو خطأ لأنه لقب عبد الحق الاشبيلي، ولم أجد من أشار إلى تسميته بالخراط.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص140.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص240؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

7) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص166.

يكنى أبا بكر وأبا عبد الله [1] الفقيه المحقق[2] وكان مجودا للقرآن، ضابطا، محدثا،عالي الرواية [3] فكان مقرئا فاضلا ومحدثا ضابطا أخذ القراءات من أبي بكر بن العربي، وعن أبي الحسن شريح بن محمد وأبي العباس بن حرب [4] وروى عنه الشاطبي شرح الهداية للمهدوي [5] وأخذ عنه خلق كثير منهم ابن أبي العيش الذي أخذ عنه بتلمسان وقرأ عليه الموطأ[6] وقد تخرج على يده كثير من علماء القراءات.

كما استفاد المغرب الأوسط من أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جِرْج، أبو جعفر البلنسي الذهبي[7]، ويكنى أبا العباس[8] (ت بتلمسان601هـ/1204م) وترك مؤلفاته بها، قال عنه ابن الأبار: أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن حُميد [9]، كما قال عنه ابن سعيد:"وجل قدره في الإقراء والإفادة في عهد المنصور وابنه الناصر[10]".

إضافة إلى عالم جياني ربط المغرب الأوسط بمختلف الأقطار هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشني(ت604هـ/1207م)، يكنى أبا ذر ويعرف بأبي رُكب سمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ببجاية، وأقرأ بها، وقد ذاع صيته في الإقراء[11].

ومن أكابر أعلام الرواية بالغرب الإسلامي، أخذ عنه خلق كثير بالمشرق والمغرب [12] محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبو عبد الله نزيل تلمسان (ت610هـ/1214م)[13] أخذ القراءات عن قريبه أبي أحمد بن معط وأبو الحجاج الثغري، وأبو عبد الله بن الفرس وسمع منهم ومن أبي محمد بن عبد الله وغيرهم، ثم توجه إلى المشرق وأخذ عن العديد من علمائها حتى استوسع في الرواية[14].

---

1) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129؛ ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص228.

2) ابن مريم: المصدر السابق، ص227.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص129.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص228.

5) الجزري: المصدر السابق، ج2، ص251-252.

6) ابن أبي العيش: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص29.

7) عرف بالذهبي، لأن جده كان مولعا بالكتُب بالذهب والتصوير به. ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

8) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج 1، ص117؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج 1، ص334؛ والسملالي: المرجع السابق، ج2، ص107.

9) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر، ج 1، ص117؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص 120؛ و السملالي: المرجع السابق، ج 2، ص107.

10) الغصون اليانعة، المصدر السابق، ص40.

11) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص385-386؛ وابن أبي زرع: الذخيرة، ص42، وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص140.

12) ابن أبي العيش : المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص30.

13) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

14) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص303؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص216.

ومن جلة المقرئين بالمغرب الأوسط أبو نصر فتح بن عبد الله المرادي، أحد تلاميذه شيخ تلمسان علي بن عبد الكريم، وكان من جلة المقرئين بالمغرب، وكانت وفاته في أوائل القرن السابع الهجري (أوائل الثالث عشر ميلادي)(1).

منهم كذلك محمد بن أحمد بن الحجام (2) التلمساني، درس القراءات السبع، بها على يد أبي العباس الأعرج ورحل إلى فاس، فأخذ على كثير من علمائها، وتوفي بمراكش سنة 614هـ/ 1217م(3).

أما محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت 625هـ/1227-1228م)(4) فكان حافظا مثقفا، محققا حسن السيرة، أخذ القراءات عن أبي علي سنة(551هـ/1156م)(5) له تواليف كثيرة منها ما هو في القراءات ككتاب"فرقان الفرقان وميزان القرآن" (6) وكتاب"الجامع المختار بين المنتقى والاستذكار"في نحو عشرين مجلدا(7).

إضافة إلى عالم مقرئ كبير هو أبو محمد المجاصي، عبد الله بن عبد الواحد البكاء، توفي سنة 641هـ/1234م(8)، كان جيد القراءة، ويذكر رجلا من أهل تلمسان يعرف بابن الغريب ممن جاوره بالمدينة سنين، رأى في منامه رسول الله (ε)، فقال له أبلغ أبا محمد المجاصي السلام، وقل له:"أنا لنسمع تلاوتك القرآن من قبرنا"(9).

والفقيه الأديب المساهم الأندلسي من مرسية أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي (ت ق 7هـ/13م) تلا بحرف نافع على أبي بكر بن أبي القاسم محمد بن وضاح وروى عنه

---

1) ذكر رابح بونار أنه عاش ما بين 606هـ إلى 652هـ/1266م، لكن يبدو أنه مخطئ لأن الغبريني يشير أنه حج ثمان عشرة حجة بعضها في آخر المئة السادسة، ما يشير الغبريني أنه كان بالمشرق وحضر مجلسا سنة 602هـ/1205م.الغبريني:المصدر السابق، ص142-143، ورغم محاولة رابح بونار نفي ذلك وإقراره بخطأ الغبريني في مقدمته بقوله أنه عاش بين 506هـ- 652هـ /1112-1266م إلا أنه قد يكون معمرا، والخطأ في تاريخ ولادته حيث يكون في النصف الثاني من القرن السادس هجري أي بعد550هـ/1155م، لكي يكون قادرا على الحج خلالها ، والهجرة إلى المشرق وحضور المجالس.

2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الحجام، ولد بتلمسان عام 558 هـ/1163م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها، ثم استقدمه الخليفة المنصور الموحدي إلى مراكش فسكن بها وحظي عند المنصور، وعند المتولين من بعده (الناصر والمستنصر)، وتقلد عدة وظائف بالمغرب والأندلس، وتوفي بمراكش عام 614هـ/1217م؛ التادلي: المصدر السابق، ص439-440.

3) عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر، ج3، ص346.

4) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

5) السملالي: المرجع نفسه، ج4، ص184

6)الرعيني: المصدر السابق، ص170.

7) الذهبي: طبقات القراء، ج2، ص963؛ وابن قنفذ: الوفيات، ص310.

8) ابن مريم: المصدر السابق، ص121، المقري: نفح الطيب، ج5، ص229-231 .

9) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص106.

وعن أبي الحجاج بن محمد بن طملوس، وتفقه به وأبي زكرياء بن أبي يحي أبو بكر بن عصفور العبدري التلمساني ولقيه بها[1].

ولا ننس أحد العلماء المخضرمين المقرئين الذين عاشوا الفترة الموحدية والزيانية وهو الفقيه علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير من أهل تلمسان، يكنى أبا الحسن ويعرف بالخضار [2]، ولد بتلمسان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، أخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم بن حسان، وعن المقرئ أبي نصر فتح بن يحي، وأجاز له من المشارقة جمع كثير [3] وقد قرأ في مرحلته التلمسانية على يد علي بن عبد الكريم بتلمسان [4] وكان رحمه الله معتمدا في تجويد القرآن، ذاكرا لخلاف الأئمة، متصرفا في ذلك، متقدما فيه ناصحا في التعليم [5] وقد وصف بإحكام القراءات [6] سماه ابن عبد الملك"الأستاذ المجود" [7] وقد نفع الله به أهل سبتة وغيرهم، وذكر أنه كان يحفظ تيسير أبي عمرو الداني، وإيجاز البيان في قراءة ورش لنفس المؤلف[8] و لم يغادر تلمسان إلى سبتة إلا بعد أن استوى عوده في العلم وأصبح مقرئا مرموقا بالتقدير والاحترام في مسقط رأسه، لأنه لم ترد إشارات أنه جلس إلى عالم سبتي، لكنه أكيد التقى بعديد من علماء المغرب والأندلس الذين اتخذوا من سبتة دار إقامة وقد دخل إلى الأندلس وتجول في عدة مدنها [9] وفي طريق الإياب استقر في مدينة المرية فاتخذها مستوطنا وأقرأ بها إلى أن توفي سنة676 هـ/1277م[10].

والفقيه ابن عُقاب الجذامي الشاطبي يوسف بن إبراهيم(توفي في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م) حيث درَس ودرّس ببجاية وتلمسان[11]، وهو من علماء القراءات الأجلاء[12].

---

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص155-56؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

2) ابن الزبير: المصدر السابق، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص558؛ والجزري: المصدر السابق، ج1، ص511.

3) ابن الزبير: نفس المصدر والصفحة.

4) الجزري: المصدر نفسه، ج1، ص511.

5) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص558.

6) الجزري : المصدر نفسه، ج1، ص511.

7) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص357.

8) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص558.

9) رشيد العفاقي: تلمسانيان في سبتة، مجلة عصور الجديدة"خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية"، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، 2011، ص50.

10) ابن الزبير: المصدر نفسه، السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص558.

11) ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق، محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ج2، ص309-312.

12) وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص142.

ب- علم التفسير

يعد التفسير[1] الخطوة الثانية بعد القراءات في سبيل بيان معاني القرآن الكريم، و على الرغم من أن الموحدين تبنى أوائلهم الفكرة المهدو يةالشيعية و تأثر مذهبهم التوحيدي بآراء المعتزلة، إلا أن ذلك لم يخرجهم عن الجو السني مطلقا[2] و قد حاول المغرب الإسلامي الحفاظ على خصوصياته المذهبية.

اهتم العلماء والمفسرون في العهد الموحدي بالمغرب الأوسط بدراسة القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي واهتموا بتفسيره وفهمه فعلى سبيل المثال كان الأمير يوسف بن عبد المؤمن من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم، ومحاولة معرفة معانيه[3].

فشجع ذلك علماء المغرب الأوسط على الإقبال على كتاب الله حفظا ومدارسة، وعملا وممارسة، وانبروا لهذا العلم أعلام أفنوا فيه زهرة شبابهم وسحائب أعمارهم، فأفردوه بمصنفات عديدة، وعلوم مديدة، فضرب المغرب الأوسط بسهم وافر، وضرب أبناؤه مثالا رائعا في الاهتمام به و من أوائل المفسرين للقرآن الكريم بالمغرب الأوسط، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570هـ/1174م) الذي ألف تفسير القرآن في سبعين جزءا[4] و محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون و موسى بن الحاج بن أبي بكر الأشيري و أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن و أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبـــل الذين درسوا بالأندلس [5] التي كانت حاضرة يحج إليها الطلاب للنهل من مختلف العلوم.

وقد شارك علماء المغرب الأوسط في حلقات القراء المفسرين من أمثال عثمان بن صاحب الصلاة (582هـ/1186م) وهو شارح كتاب"الأحكام الصغرى في الحديث"، لعبد الحق الاشبيلي المشهور بابن الخراط[6].كما كان يجلس لعلوم الحديث والتفسير ولعلوم الفقه والتذكير[7] أبو زكريا يحي

---

1) لغة يعني التبيان والايضاح وكشف المغطى أو هو كشف المراد. الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص 456. أما اصطلاحا فهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه اللغة العربية.أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1985، ج2، ص54؛ وابن خلدون: المقدمة، ج2، ص364.

2) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص297.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص167.

4) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص78-80؛ وعبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص340.

5) محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص166-168.

6) وهو في ست مجلدات انتقاها من كتب الأحاديث وقد وضع عليها الحافظ الناقد أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الملك الحميري الكناني المعروف بابن القطان المتوفي سنة 628 هـ/1230م كتابه المسمى بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الأحكام. محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص178؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص418.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص137-138.

بن علي الشهير بالزواوي (ت611هـ/1214م)[1] روى الموطأ عن عوف الزهري، والمصابيح عن أبي سعيد مخلوف بن جاره، والأصلين عن الإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي، و إعجاز القرآن للخطابي و الشهاب للقضاعي[2].

ولا ننسى زوار وضيوف المغرب الأوسط كعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637هـ/1239م)[3] الذي حل ببجاية، بمسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي، حيث فسر القرآن في كتاب سماه"مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المترل"[4].

فلا غرو إذن، إذا نبغ بعض أبناء المغرب الأوسط في هذا العلم، وأفردوه بمؤلفات قيمة، وأحرزوا فيه قصب السبق كمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)[5] التلمساني المولد والمنشأ وكان رحمه الله مؤلفا متقنا، فسر القرآن الكريم، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين[6] وكتبا في أصول الفقه[7] وغيرهم كثير.

وأهم الكتب المقررة في علم التفسير والتي كانت تدرس ببجاية وتلمسان وكل أنحاء المغرب الأوسط، كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد الثعالبي المقرئ (ت 427 هـ/ 1035 م)، وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التتريل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي التميمي القيرواني (ت 440هـ/1048م)، وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي الطبري المعروف بالكيا هراسي (ت 504هـ/ 1110م)، وكتاب الكشف عن حقائق التتريل لأبي القاسم محمد الزمخشري (ت538هـ/1143م)، وكتاب المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي (ت542هـ/1147م) [8].

---

1) التادلي: المصدر السابق، ص428.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص139.

3) ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص330؛ وابن الأبار :التكملة، (طبعة مدريد)،ج 2، ص687. لكن الغبريني في نهاية ترجمته أورد تاريخ آخر هو638هـ/1240م.أنظر: عنوان الدراية، ص155.إلا أن التاريخ الأول هو الأرجح لاتفاق المقري و التنبوكتي

4) حسب الغبريني أن تفسير الحرالي كاملا .أنظر:عنوان الدراية، ص146- ولكن ما نقله المقري يفيد أن تفسيره غير كامل، وهو ينته ي في سورة آل عمران.المقري: نفح الطيب، ج 2، ص189 وقد قال عنه الذهبي أن له تفسير فيه أشياء عجيبة لم أتحقق ما تنطوي عليه العقيدة.التنبوكتي: المصدر السابق، ص320.

5) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص13.

7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104

8) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص54.

2- علم الحديث

اهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الحديث [1] ودرسوه دراسة موضوعية عميقة، وتألق نجمهم فكان ازدهار الحديث في العهد الموحدي ازدهارا لم يكن له من قبل [2] باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا ظهر في داعيتهم الأول ابن تومرت[3]، و في استدعائهم للمحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة[4].

بذلك عني الموحدون بالحديث عناية فائقة، حيث استندوا إلى مذهب ابن تومرت ، من إنكار للرأي، وقد أمر عبد المؤمن سنة 555هـ/1160م وخلفه يعقوب بتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة الحديث [5] وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس، لكن المغاربة عادوا إلى إتباع مذهب الإمام مالك بن أنس صاحب الموطأ ، وكان عبد المؤمن بن علي من المتبحرين في الحديث والقراءات[6]،حيث قام على جمع آثار المهدوية أو الفقه ليكون في كتاب واحد سماه "أعز ما يطلب"[7].

وظهر أيضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم وبخاصة في أيام يعقوب الذي كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها [8] كما اهتم بنفسه بطلبة الحديث أعظم عناية، حتى نالوا على يده من الرعاية والنفوذ، ما لم ينالوه أيام أبيه وجده، فأجرى عليهم المرتبات على قدر مراتبهم وطبقاتهم[9] وحتى يوسف كان يحفظ أحد الصحيحين [10] والمأمون كان معدودا من حفاظ الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داوود [1] وكذلك

---

1) **الحديث لغة** هو الشئ الجديد، ويطلق على مطلق القول والكلام، وفي اصطلاح المحدثين عبارة عن أقوال المعصوم (ε)وأفعاله وتقديره، قال ابن حجر: لما كان يطلق على القرآن الكريم في صدر الإسلام بالقديم، أطلق لفظ الحديث في مقابل ذلك على كل ما نسب إلى النبي(ص) وهذا التعبير جار إلى عصرنا. أبو الحسن محمد بن يوسف العامري: الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص35؛ وابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص367-368؛ و أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده: المصدر السابق، ج 2، ص52.أما علم الحديث فهو معرفة العالي والنازل، والمتواتر والآحاد والصحيح والشاذ من الأحاديث المروية عن الرسول(ص) مساعد الطيار: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد، 1427هـ، ص79.

2) صفية ديب: المرجع السابق، ص108.

3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173، ص181.

4) المنوني: حضارة الموحدين، ص35.

5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص189؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص83.

6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص203؛ وعبد الله على علام: المرجع السابق، ص300؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

7) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص9.

8) المقري: نفح الطيب، ج3، ص102؛ و يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص351؛ و الصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص84.

9) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 199؛ وعبد الهادي حسيس: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد2، 1981، ص315؛ وصفية ديب: المرجع نفسه، ص98.

10) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص167.

الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن، قال عنه المراكشي"لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر"[2] وهم من أبناء المغرب الأوسط وقادة الدولة الموحدية.

بذلك انتشرت في عهد الموحدين بخزائن الكتب، كتب الحديث الخمسة وهي:صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ت261هـ/ 874م) وسنن أبي داود (ت 275 هـ/ 888م)[3]، وسنن الترمذي (ت 279هـ/892م)، وعنوانه الجامع المختصر، وسنن النسائي (ت 303هـ/915م)[4] ومسند البزار [5] إضافة إلى صحيح البخاري (ت256هـ/869م)[6] وموطأ ابن تومرت[7] وأحاديث الجهاد التي أمر المنصور بجمعها سنة585هـ /1189م[8] والشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية[9].

فبرز العديد من المحدثين أولهم عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561هـ/ قال عنه ابن الحصري"كان إماما في الحديث، ذا معرفة بفقهه ورجاله، وله يد باسطة في النحو

وكان يحي بن هبيرة الوزير [1] صنف كتاب الإفصاح في الحديث [2]، وجمع له علماء المذاهب، وطلب فقيها مالكيا، فدلوه على الأشيري، فطلبه من نور الدين محمود بن زنكي

---

1) ابن أبي زرع : الأنيس، ص249؛ والسلاوي: المرجع السابق، ج2، ص212.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص220-221.

3) حاجي خليفة: المرجع السابق، ج1، ص559، ج2، ص1007؛ ويوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص351.

4) ابن غازي : الفهرس، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطبع والنشر، ط1، تونس، 1984، ص182.

5) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت 292 هـ/904 م) ومسنده بعنوان البحر الزخار تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكمة، ط1، المدينة المنورة، 1988.

6) أول شرح مغربي للجامع الصحيح، هو لأبي جعفر بن نصر سعيد الدوادي الأسدي المتوفي بتلمسان سنة(ت 402هـ/1011م)كما يعتب ثاني شروح البخاري على الإطلاق بعد"إعلام السنن للخطابي"أصله من المسيلة وقيل من بسكرة.القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج7، ص102-103؛ ويوسف الكتاني: المرجع نفسه، ج2، ص569.

7) موطأ الإمام المهدي؛ ويسمى في الأصل"محاذي الموطأ"، وهو في الحقيقة موطأ الإمام ملك برواية يحيى بن بكير، تم اختصار السند فيه. ابن القطان: المصدر السابق، ص173.

8) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص71؛ وعبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص315.

9) حسن السائح: الإمام البخاري في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، العدد 9، السنة16، يناير 1975، ص100.

10) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص568؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص 16-17؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص305. وقد ترجم له العديد من المؤلفين منهم الذهبي في كتابه العبر، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وتاريخ ابن عساكر وغيرهم.

11) ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257.

(ت569هـــ/1173م)[3]، فسيره إليه، فأحضره قراءة كتاب الإفصاح فمرت مسألة، اختلف كلامه مع ابن هبيرة، فكان له الصواب [4] كما رغبه نورالدين محمود الإقامة بحلب لتقوية السنة بها ولحاجة أهلها لمثله، فأقام بها يروي الحديث[5].

ولعل من أكبر المحدثين والمسندين أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (ت 569هــ/ 1173م)[6] المري الفاسي[7] الحمزي الوهراني، المعروف بابن قُرقُول من قرية حمزة من عمل بجاية [8]، وكان رحالا في العلم نقالا فقيها ، نظارا أديبا نحويا، عارفا بصيرا بالحديث ورجاله [9]، حدث واخذ عنه الناس[10]، وكان من أوعية العلم له كتاب"المطالع على الصحيح أو مطالع الأنوار على صحيح الآثار" غزير الفوائد وضعه مثالا لكتاب"مشارق الأنوار"للقاضي عياض [11] وقد شرح فيه غريب البخاري ومسلم والموطأ [12] لهذا هناك من يسميه"فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم

كما كان الأشيري، الحسن بن عبد الله التلمساني (ت بعد 569هــ/1174م) فقيها بارعا[14] وكان من أهل العلم بالقراءات والغريب، وله مجموع في غريب الموطأ [1]ومن حفاظ الحديث، ومقدميه

---

1) هو يحي بن محمد بن هبيرة، ويكنى أبا المظفر ويلقب بعون الدين وينعت بالوزير العادل، ولد في سنة 499 هــ/1105 م بقرية بني أوقر قرب بغداد مات أبوه وهو صغير فلم يمنعه فقره عن طلب العلم حيث أخذ القرآن واللغة والحديث، كما دفعه الفقر إلى السعي لكسب الرزق فاشتغل بالكتابة ثم التحق بالخدمة السلطانية، فجعله الخليفة المقتفى مشرفا في المخزن ثم رقاه إلى أن صيره صاحب الديوان في سنة542هــ/1147م، ثم قلده المقتفي الوزارة سنة544هــ/1149م، وقد دس له الطبيب الذي يعالجه السم في الدواء فمات سنة560هــ/1164م، له آثار علمية كثيرة منها الإفصاح والعبادات الخمس والمقتصد في النحو ومختصر إصلاح المنطق.ابن هبيرة: الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1417هـــ، ج1، ص9-18.

2) هو كتاب الإفصاح عن شرح معاني الصحاح، لأبي المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الوزير، يشتمل على تسعة عشر كتابا، وهو شرح فيه أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم، متخذا الجمع بينهما للحميدي أساسا.

3) للمزيد عنه انظر مرآة الجنان لليافعي، ج3، ص291-293.

4) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص139.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص521.

7) ابن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص146.

8) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203.

9)ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.

10) الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص109؛ وابن خلكان: المصدر نفسه، ج1، ص63.

11) محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص157؛ وابن خلكان: المصدر نفسه، ج 1، ص62 ؛ عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص119؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص203.

12) محمد بن زين العابدين بن رستم: المساهمات المغاربية والأندلسية في شرح الصحيحين، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول" الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي" 21- 22 نوفمبر 2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، ج1، ص106.

13) الصمدي : المرجع نفسه، ج1، ص96.

14) البيذق: أخبار المهدي، هامش، ص 85؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص 185-186؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص203، ص373.

في المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت 570هـ/ 1174م) الذي ألف كتاب"ترتيب مسند الربيع بن حبيب في الحديث النبوي"[2].

ومنهم أيضا المحدث جابر بن أحمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 578هـ/1182 م) القرشي، الحسني، من أهل تلمسان، قال عنه ابن الأبار نقلا عن التجيبي"وكان صاحب أدب ولغة، محبا للحديث وتحصيله، وكانت له إجازات من مشايخ من أهل الحديث، وعناية بفنه وطرقه"وتوفي بتلمسان[3].

ومن بين الذين كانوا مقصد ا للرحلة في رواية الحديث لاتساع مشيخته وعلو أسانيده عبد الحق الاشبيلي البجائي (ت 581هـ/1185م)[4] الذي قصد بجاية هاربا أثناء الفتنة الواقعة باشبيلية، عند انقراض دولة المرابطين بها، ونزلها ناشرا كتبه وخطبه في الجامع الأعظم [5] كان فقيها مالكيا [6] حافظا عالما بالحديث، وعلله عارفا بالرجال [7]، له عنه تآليف جليلة في الحديث منها، كتب مجموعة أحاديث الأحكام وهي ثلاثة: منها الأحكام الكبرى في الحديث وأورد فيها الأحاديث بأسانيدها واختصرها في الأحكام الوسطى بحذف المسانيد، والأحكام الصغرى وهي اختصار الوسطى [8] وله كتاب في علم التذكير[9] وكتاب الجمع بين الصحيحين، وكتاب الجمع بين الكتب الستة [10]، وكتاب المعتل من الحديث[11] وكتاب كبير في الأحكام في الحديث وهو أضعاف الأحكام الكبرى، لكن اضمحل أمره كمال تأليفه لكبره [12] وكتاب المرشد، يتضمن حديث مسلم كله وما زاد البخاري عليه، وكتاب

---

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص25-26؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص461.

2) بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص153. وقد حققه مؤخرا وطبعه الأستاذ إبراهيم طلاي.

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص7.

4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص466-467.

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص193؛ ومحمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص155؛ وحجي محمد وآخرون: تراث الأندلس، تكشيف وتقديم ، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية، والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ط 1، 1993، ج2، ص23.

6) التنبكتي: المصدر السابق، ص279.

7) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277.

8) محمد بن جعفر الكتاني: المرجع السابق، ص178-180؛ واحمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص656.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص73؛ ومحمد مخلوف: المرجع نفسه، ج1، ص156.

10) اليافعي: المصدر السابق، ج3، ص319-320؛ ومحمد مخلوف: المرجع نفسه، ج1، ص156.

11) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

12) الغبريني: المصدر السابق، ص74.

الكبير في الحديث، وكتاب تلقين الوليد الصغير في الحديث وهو سفر صغير، وكتاب مختصر بعنوان"كفاية الكفاية في علم الرواية"[1] وتعليق مفيد على المدونة[2].

و شارح كتاب"الأحكام الصغرى في الحديث"لعبد الحق الإشبيلي [3] عثمان بن صاحب الصلاة (ت582هـ/1186م، ببجاية) الذي كان من أهل الدين والعلم والرياسة على أهل بلده، وقد تولى خطة القضاء بتلمسان[4].

كما اعتنى بالحديث الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582 هـ/1186م) نزيل بجاية حيث ذكره ابن الأبار وعبد الملك المراكشي باهتمام ه واعتنائه بالحديث وحفظه وله تآليف في أحكام النبي(ص)وسماه"آفاق الشموس وإعلاق النفوس" [5] في الأقضية النبوية، ومختصر"إشراق الشموس"وكتاب"حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل الشفق"[6].

وشيخ المريدين وإمام المتعبدين حافظ الحديث، أبو مدين شعيب بن الحسين (ت 594هـ/ 1197م)[7] الذي كان يحفظ الحديث[8]، خصوصاً جامع الترمذي، وكان يقوم عليه، ورواه عن شيوخه عن أبي ذر ، كما قرأ الحديث على شيخه سيدي عبد القادر الكيلاني في الحرم الشريف، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته، ويعدّه أفضل مشايخه الأكابر[9].

منهم أيضا العالم الكبير العارف بالأحكام [10] محمد بن عبد الله بن مروان الهمذاني الوهراني (ت601هـ/1204م-1205م) الذي عين قاضي الجماعة بمراكش عاصمة الموحدين سنة584ه/1188م،كما تولى بعد ذلك قضاء اشبيلية حتى سنة 592ه/1195م[11].

كما ألف أبو يعقوب يوسف السدراتي (ت 570هـ/1174م) كتابا مهما جدا في الحديث عنوانه"ترتيب في صحيح حديث رسول الله رواية الربيع بن حبيب"[12].

---

1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص277-278؛ وحجي محمد وآخرون : المرجع السابق، ج 2، ص23؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

2) حجي محمد وآخرون: المرجع نفسه، ج2، ص23.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص116.

4) المصدر نفسه، ج1، ص171 .

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص240.التنبوكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، 2000، ج1، ص 72.

6) ابن الأبار: التكملة، طبعة الجزائر،ج1، ص105؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص207.

7) ابن قنفذ: انس الفقير، ص11-20؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص108-114 ؛الغبريني: المصدر نفسه، ص55-65.

8) ابن صعد: المصدر السابق، ص381، ص389.

9) المقري: نفح الطيب، ج7، ص137-138.رغم أن المصادر المشرقية لم تذكر انتقاله للمشرق أو الحج.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص 374؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص39.

11) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص168.

12) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص79.

والفقيه عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم اللخمي المعروف بالدباغ(ت 602هـ/1205م) من أهل مرسية، سكن فاس ثم تلمسان حيث استوطنها وأقرأ بها إلى أن توفي، وهو من أئمة المحدثين وحفاظهم المتقدمين في الضبط والإتقان[1].

منهم أيضا الرواية الواسعة، محدث تلمسان محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله (ت610هـ/1214 م)[2]، الذي رحل إلى المشرق، وقفل راجعا إلى المغرب راويا كبيرا للحديث [3] قال عنه ابن الأبار"استوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة، أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين...وقال عنه أبو طاهر السلفي تكون محدث المغرب إن شاء الله" [4] فكان ثقة فاضلا راويا جليلا، روى عنه أبو العباس بن الغرفي، وحدث عنه أبو عبد الله الأزدي عن أبي الحسن الغافقي وأبو عبد الله بن جعفر وأبو جعفر بن فرتون، وذكره ابن فرتون في كتابه الذيل [5] روى عنه أكابر أصحابنا وجماعة من جلة شيوخنا لعلو روايته وشهرة عدالته [6] وترك مؤلفات هامة في هذا العلم منها"الأربعون حديثا في المواعظ"، وكتاب "الأربعون في الفقر وفضله" و" ثلاثة في الحب في الله "[7].

ولا ننس المساهمة الأندلسية من الفقيه البلنسي مولدًا التلمساني إفادةً، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارتي (ت 610 هـ/1213 م)[8] له رحلة حج فيها، وسمع بمكة من أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي وأبي محمد المبارك بن الطباخ ثم قفل إلى المغرب فسكن تلمسان مدة وأخذ عنه هنالك، وتحول بعدها إلى بلده أين روى عنه أبو عبد الله بن الأبار بعض صحيح البخاري، وكان محدثا عدلا [9].أما أبو عبد الله الفازازي اليجعشني التلمساني (ت 621هـ/1224 م)[10] أخذ العلم بقرطبة وسكن مراكش وهو أخو أبي زيد الفازازي وكبيره، وروى عن أبيه وأبي عبد الله التجيبي وكان حافظا للحديث، حذق البخاري أو معظمه[11].

---

1) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص14.

2) الصفدي : المصدر السابق، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص 355 محمد المختار ولد أباه: تاريخ الحديث الشريف في المشرق والمغرب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة–إيسيسكو– 2010، ص662.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص303؛ وأحمد ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ج1، 1970، ص276-277.

5) أحمد ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص276؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص216.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص304.

7) نفس المصدر والصفحة.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص676-677 .

9) عبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص751.

11) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص223.

والأكثر شهرة من محدثي المغرب الأوسط محمد بن عبد الحق اليفربي (ت بتلمسان عام625هـ/ 1227-1228م) كان حافظا مثقفا، محققا، مشاركا في الفقه والحديث، عارفا بروايته، وله تآليف كثيرة أشهرها"الجامع المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" في عشرين سفرا، وثلاثة آلاف ورقة [1]، كما له أيضا:"كتاب في" غريب الموطأ وإعرابه"وهو سفر واحد سماه ، لأنه اقتضبه من الكتاب الكبير – كتاب المختار–[2] وكتاب"نظم العقود، ورقم الحلل والبرود"[3] إضافة إلى كتاب"غريب الشهاب"وهو جزء، وإكمال اللآلي على الأمالي وهو سفران [4] وكتاب"مختار المختار" جعله مختصراً لكتاب البخاري، في سفر كبير، وكتاب"النبذة المسعدة واللمحة المصعدة في الاعتبار"وهو جزء [5] كما له كتب أخرى في الحديث مثل إرشاد المسترشد وبغية المريد المستبصر المجتهد"وكتاب "الأجوبة المحررة في المسائل المغيرة"[6]. ومن قوله في عد أحاديث البخاري:

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ بخاري خمسة وسبعون للعد

وسبعة آلاف تضاف وما مـضى إلى مائتين عد ذاك أولوا الجد [7]

والأديب الفقيه المرسي أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي(ت ق 7هـ/ 13م) وسكن مرسية ثم تلمسان، وتفقه على يد أبي زكرياء بن أبي يحي أبو بكر بن عصفور العبدري التلمساني ولقيه بها، وأجاز له أبو الحسن بن خيرة سنن أبي داود وشهاب القضاعي[8].

---

1) الذهبي: طبقات القراء، ص 963.ومنه المجلدات الأول و السادس، مخطوطان في خزانة القرويين بفاس"رقم 74 " ومنه مجلد ضخم قديم في خزانة الرباط"176 أوقاف".الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص319 .

3) الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 395-396؛ والزركلي: المرجع نفسه، ج 6، ص186 والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص420.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 319. والشهاب هو كتاب في السيرة والحديث للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت454هـ/1062م) وهو شافعي المذهب، وكذلك كتاب الأمالي في الحديث لنفس المؤلف أي القضاعي. مقدمة محقق كتاب مسند الشهاب، للقاضي محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، ج1، ص9. وقد وضع عليه محمد بن عبد الحق، إكمال له في سفران وهذا ما يرجح ميل محمد بن عبد الحق للمذهب الشافعيكما صنفه ابن القاضي شهبة ضمن النحاة واللغويين، مع العلم أنه شافعي المذهب. ابن القاضي شهبة: المصدر السابق، ص153؛ و السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

5) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 319.وضعه على كتاب ابن أبي الدنيا القريشي البغدادي"الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان"المتوفى سنة281 هـ/ 894م.

6) الصمدي: المرجع السابق، ص219؛ وبولطيف: الفقيه محمد بن سليمان اليفريني، ص100.

7) الصمدي: المرجع نفسه، ص219

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص155-156 ؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

إضافة إلى محمد بن إسماعيل المتيجي (ت 625هـ/1227م)[1] الذي كان عارفا بالحديث ورجاله، مشارك في بعض العلوم، من أهل متيجة، قال عنه ابن الأبار"كان مليح الخط والضبط، مشاركا في علم الحديث والرجال[2].

والعالم الرحالة المتنقل بين العدوتين عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفشي الفزازي القرطبي (ت627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان[3] يكنى أبا زيد، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان ،وتعلم بها قبل سنة576هـ/1180م على يد أبي عبد الله التجيبي [4] تجول في المشرق، وبفاس، ودخل مالقة وغيرها[5] وروى عن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن بقي وكانت بينهما قرابة وأبي محمد بن عبيد الله وأبي القاسم السهيلي وأبي عبد الله بن الفخار وغيرهم، وكان عالما بالحديث متصوفا في فنونه[6] قال عنه المقري"أبرع من ألف وصنف، وأبدع من قرَّط وشنَّف، فقد طاع القلم لبنانه، والنظم والنثر لبيانه، كان نسيج وحْدِهِ رواية وأخبارا...وله سماع في الحديث ورواية وفهم بقوانينه ودراية" [7] ونجد في قائمة شيوخ الفزازي بالإضافة إلى السهيلي والتجيبي، أعلام من فقهاء ومحدثي القرن السابع كابن الخلف الحافظ وأبي الحسن الصائغ، وغيرهم[8].

كما ألف محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي(ت 628هـ/1230م)كتابه المسمى "الإعلام بفوائد الأحكام"عن كتاب الأحكام لعبد الحق الاشبيلي، و"شرح الأربعين حديثا" فبذلك كان مؤرخا وشاعرا وأديبا وفقيها متمكنا[9].

ونذكر كذلك شخصية مهمة مشاركة في كل العلوم تقريبا هو ابن دحية السبتي (ت633هـ/ 1235م)، نزيل تلمسان وبجاية [10]، كان رواية للحديث شديد العناية بلقاء المشايخ والأخذ عنهم، متسع الرواية، محكم التقييد، ذاكرا تواريخ المحدثين وأخبارهم [11] متقنا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق

1) هو محمد بن إسماعيل المتيجي أبو عبد الله توفي في سنة625هـ/1227م؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص285.

2) عادل نويهض: المرجع نفسه، ص285.

3) التنبوكتي: نيل الابتهاج، ص239.

4)أبو زيد الفزازي: آثار أبي زيد الفزازي، جمعها بعض تلاميذه، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، ط 1، بيروت، 1991، ص8؛ والرعيني: المصدر السابق، ص102.

5)أبو عبد الله ابن عسكر و أبي بكر بن خميس: أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1999، ص261-262.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585؛ والرعيني: المصدر نفسه، ص101-105.

7) المقري: نفح الطيب، ج4، ص468؛ والسيوطي: المصدر السابق، ج2، ص91.

8) أبو زيد الفزازي: المصدر السابق، ص12؛ والمقري: نفح الطيب، ج4، ص468.

9) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص98، ص220.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

11) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص218؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج4، ص1420.

به، و إشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس والمغرب [1]، حيث كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله[2] كما له مصنف في رجال الحديث، ذكره الغبريني فقال"رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به" [3]كما له كتاب أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المُشرقين [4]وكتاب التنوير في قول السراج المنير[5] وكتاب المنهاج في أحاديث المعراج[6].

منهم أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ/13م) الذي استوطن بجاية وأخذ عن عبد الحق الاشبيلي وغيره، وكان له علم بالحديث والفقه، وأكثر تخاطيطه إنما هو التحديث[7]أما في السند فقد احتفظ المغاربة بسندهم الحديثي الخاص، وذكروه في كتب الإثبات في الفهارس والتراجم، والسند المغربي يشتمل السند الحديثي في القيروان، وسند الحديث في بجاية، وسند الحديث في فاس ومراكش[8].

وأهم الكتب التي كانت تدرس في علم الحديث ببجاية وغيرها من حواضر المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي، كتاب الموطأ للإمام مالك(ت 179هـ/796م)، وجامع الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ/869م)، ومسند كتاب مسلم بن الحاج (261هـ/874م)، وجامع أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ/915م)، وكتاب التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت 463هـ/1070م)، وكتاب المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب وارث الباجي(ت 474هـ/1081م)[9].

3 - علم الفقه

1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449.
2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280.
3) الغبريني: المصدر السابق، ص230.
4) ابن دحية: المطرب من اشعر أهل المغرب ،تحقق إبراهيم الابياري آخران، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، 1955، مقدمة المحقق، ص ح ؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص159.
5) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج3، ص449 .
6) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص98.
7) الغبريني: المصدر نفسه، ص189.
8) حسن السائح: المرجع السابق، ص103.
9) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص54.

إن الفقه [1] ازدهر على عهد الموحدين ازدهارا كبيرا، وقد نهض وشاع في مذهبين-المذهب الظاهري، والمذهب المالكي-كما لا ننسى من اتبع المذاهب الأخرى كمحمد بن علي ابن رمامة من قلعة بني حماد (ت بفاس سنة 567هـ/1171م)الذي اتبع المذهب الشافعي [2] قال عنه ابن الأبار:" كان فقيها نظارا، مائلا لمذهب الشافعي، عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى بالبسيط محصلا لنكته"[3] و له"تسهيل المطلب في تحصيل المذهب"و" التفصي عن فوائد التقصي"و"التبين في شرح التلقين"[4] ومختصر نبيل في أصول الفقه[5].

إضافة إلى ميولات بعض الخلفاء لاستئناس بالمذاهب الأخرى خاصة الاباضي منها لأنه مسالم، ويسمح بالجدال الفقهي والفلسفي، كما انه متجذر في الجهة الجنوبية للمغرب الأوسط، وقد قرب يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م)، زكرياء بن صالح اليراسني أبو يحي (كان حيا سنة 580هـ/ 1184م) وهو عالم من علماء المذهب الاباضي، ومناره، وكان صاحب ثروة وتجارة، فكانت له اتصالات مع الموحدين لما اشتهر به من أمانة وصلاح، ووصل به المقام أن كان مختصا بيعقوب المنصور منذ أن كان هذا الأخير وزيرا لوالده، ثم أكرمه وأعلى مترلته بعد أن أصبح خليفة[6].

والفقيه يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(ت570هـ/1174م)[7] له كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف في ثلاثة أجزاء، وهو بحث في مسائل الفقه الاباضي [1] و الفقيه الاباضي الآخر أبو عمار عبد الكافي الورجلاني (ت570هـ/1174م)الذي له عدة كتب في

---

1) هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة، وهو متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص3؛ وأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده: المصدر السابق، ج 2 ، ص183.ويعرفه الجرجاني بأنه لغة فهم غرض المتكلم من كلامه، وأما اصطلاحا هو العلم بالأحكام الشرعية العملية.كتاب التعريفات، ص 175.وعلم أصول الفقه هو معرفة الأمر يقتضي الوجوب، وأن النهي يقتضي الفساد وأن الأحكام التكليفية خمسة: الفرض والواجب والمندوب والمكروه والمباح وأن الأخبار لا تنسخ.مساعد الطيار: المرجع السابق، ص80.

2) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج 2، ص371؛ التميمي: المستفاد، ج 2، ص171-173؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص152-153؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

3) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص370-371؛ وابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص326؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص152-153؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147؛ وعبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص306.

4) ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص371.

5) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص327.

6) الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص327؛ و بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص149.

7) عمر فروخ: المرجع السابق، ج5، ص368.

الفقه الاباضي منها: الاستطاعة وكتاب الفرائض، وكتاب شرح الجهالات... [2] و عثمان بن خليفة السوفي، المارغني أبو عمر(ق 6هـــ) أحد العلماء البارزين عند الإباضية، امتاز بمقدرته الجدلية في الدفاع عن المذهب، له رسالة في الفِرق، كما له كتاب يعرف بكتاب السؤالات، أجاب فيه عن خمسة وتسعين سؤالا في جميع مسائل الأصول[3].

هذه عينات من علماء الإباضية وفقهائهم، الذين صنعوا الجانب الفكري للدولة الموحدية مع غيرهم من علماء المالكية ومتصوفيهم وفلاسفتهم [4]، وكل ذلك يبين الجو التسامحي الذي ساد خلال الفترة الموحدية رغم بعض الضغوط في بداية الدولة، وهذا شيء طبيعي لتثبيت أركانها على أسس متينة.

وعموما فإن نظرة تحليلية لتوزع علماء المغرب الأوسط (**لاحظ الملحق رقم 10**)نلاحظ من خلالها أن أغلب العلماء كانوا في مجال الفقه المالكي، وهذا طبيعي يؤكد البنية الفقهية والفكرية لمجتمع المغرب الأوسط، كما يبين رسوخ المذهب في الأوساط الشعبية رغم محاولات خلفاء الدولة الموحدية.

كما نلاحظ أن أصغر نسبة لتواجد العلماء والشيوخ هي في ميدان الفقه الظاهر، وهو ما يعزز النظرية "أن المذهب الظاهري بقي محصورا في الفئة الحاكمة"، وبعض الفقهاء الموالين لهم، و لم تكن هناك استجابة شعبية له.

أ- المذهب المالكي

بقدر ما كان الخلفاء محبين للمذهب الظاهري سيرا على خطى إمامهم الأكبر ابن تومرت، كان فقهاء عصرهم من المغاربة ساخطين على هذا المذهب، متعصبين للمذهب المالكي، مناصرين له [1].

---

1) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 78-80.كما يقول إبراهيم بحاز أن الإباضية شعروا بالقرب أكثر من هذه الدعوة التي اقتربت في عقيدتها من عقيدتهم في صفات الله وخلود أهل الكبائر في النار. صور من الإباضية في عهد الموحدين.أنظر: المرجع السابق، ص151.

2) وهو دليل على تنوع البيئة الإباضية وتفتحها، نتيجة حرية الفكر التي روجها الموحدون. بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 152-154.

3) بحاز إبراهيم: المرجع نفسه، ص153.

4) نفسه، ص154.

وقد أدرك ابن تومرت وهو يشرع في دعوته أن المرابطين كانوا فوق كل اتهام في أعين العامة من المسلمين، فعلى المستوى الديني كانوا يحظون بمساندة أكبر الفقهاء في المغرب الإسلامي، مثل ابن رشد، وابن الجد وعياض[2] وكانت دائرة علي بن يوسف تتكون أساسا من علماء وفقهاء مالكيين و لم يكن شيء يدبر بدون موافقتهم، وكان الشعب قد تعود على احترام تلك الشخصيات وإتباعها دون اعتراض، لأنهم كانوا يتكلمون باسم الدين، أي باسم الله[3].

رأى ابن تومرت أن يبدأ بالقضاء على تلك الهالة التي تحيط بالفقيه، فتؤثر على عقول العامة والتي ساعدتها الوحدة المذهبية المالكية في بلاد المغرب، ويحرص البيذق (555هـ/1160م) على تعداد أسماء الفقهاء الذين كانوا يأتون المجالس التي يعقدها صاحبه[4].

فجمع له الأمير المرابطي الفقهاء لمناظرته وخاطبهم"إنما بعثت لكم لتختبروا أمره، فإن كان عالما اتبعناه، وإن كان جاهلا أدبناه"[5].

هذا واتهم ابن تومرت بإطراحه مذهب مالك، وترك الرأي، واعتبرت دعوته إلى الرجوع إلى القرآن والسنة، واستنباط الأحكام منها، وحصره أصول الأدلة في القرآن والسنة، ومحاربته فقه الفروع[6] غير أن تراث ابن تومرت يشهد بأنه كان مالكيا، ومات مالكيا، حيث صنف كتابا سماه" محاذي الموطأ"وهو اختصار لموطأ مالك برواية عبد الله بن بكير المخزومي (ت 231هـ/845م)، وتشهد على ذلك الأحكام التي وردت في كتابه"أعز ما يطلب"[7].

---

1) كان تشبث أهل المغرب بمذهب السلف في العقيدة والمذهب المالكي في الفقه ورفض ما سواهما، حتى في مذاهب أهل السنة، ناتجا عن كون المغرب لم يعرف تنوعا مذهبيا في العقيدة والفقه مثلما عرفه المشرق، كما لم تكن أرضه ولودا للمذاهب ولا نشطة لها بسبب قلة الحوار الناجم عن قلة المذاهب واحتكاكها ببعضها.عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995، ص51.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص207.

3) محمد زنير: المغرب في العصر الوسيط، الدولة، المدينة، الاقتصاد، مطبعة النجاح الجيدة، ط1، الرباط، 1999، ص122.

4) أنظر: أخبار المهدي، ص30–31 .

5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص174.

6) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص45.

7) المصدر نفسه، ص396؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص 173؛ وعبد الحق الطاهري: المرجع السابق، ص 242.وافق ابن تومرت في حجية عمل أهل المدينة الذي اختص به مالك، يقول" فكل ما نقل أهل المدينة وكان عملهم عليه متتابعا فهو صحيح، والدليل على ذلك أن الإسلام والشرائع والرسل والصحابة إنما كانوا في المدينة فلهذا صار عمل أهل المدينة حجة في غيرهم، بل دافع على حجية هذا الأخير أمام منكريه".ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 70-72.أما عدم اعتبار القياس من أصول الأدلة فقد وافق ابن تومرت ابن حزم، وكان الهدف هو بناء الشرع على القطع لا على الظن، وقد قبل القياس الشرعي، ورفض القياس العقلي، واعتبره فاسدا .ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص157-171؛ و هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص37.

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين ثاروا ضد الموحدين، محمد بن عبد الحق الاشبيلي(ت 581هـ/1185م)[1]، الذي استوطن بجاية، وكان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء، فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة 580هـ/1184م[2] سارع لتأييدهم، وتولى القضاء لهم، فحنق عليه الموحدون وراموا سفك دمه، فعصم الله دمه وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية[3].

وكذلك الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة (حيا سنة585هـ/1189م) وكان قاضيا في نواحي بجاية، فلما غزاها بنو غانية، امتدحهم وأنشد بين أيديهم، بل كان خطيبهم يوم الجمعة، حيث قال"الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غُصابه" [4] فلما استعاد الموحدون بجاية قبضوا عليه وسجنوه، ثم عفوا عنه بعد مدة[5].

و لم تستطع مبادئ الموحدين أن تزاحم مبادئ المالكية، فالشعب جميعه مالكي، لأن الموحدين جاؤوا بمبادئ التوحيدية، كلها كلامية لا يدركها إلا الخاصة، والشعوب –غالبا– تؤمن بالعاطفة والقلب، لا بالعقل والجدل.

إن الموحدون أنفسهم لم يلتفوا حول ابن تومرت لاستحسانهم لطريق الجدل، بل بطريق فكرة المهدي المنتظر، التي كثيرا ما يرددها العوام ويتمنون معها ظهور المهدي [6] لهذا أضحت الدولة الموحدية بعد موت المهدي واستقرارها في شبه جمود بعد أن وصل الموحدون إلى تحقيق مآربهم وانكشف زيف فكرة المهدوية، فكان لا بد من إصلاح يقوم به عبد المؤمن، فقام بخطوة في سبيل إضعاف سيطرة مذهب مالك على نفوس الشعب، إذ أصدر أوامره"بإصلاح المساجد وبنائها في تلمسان و في جميع بلاده، وتغيير المنكر، وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وفي هذا نص ذكره ابن أبي زرع[7].

وهدفه هو تكليف الطلبة بتنفيذ الأمر دون الولاة ورجال الجيش ليجس بذلك نبض المالكية بطريق الإقناع حتى يجنب نفسه عواقب الثورات المسلحة، التي ربما يشعلها المالكية ضده في أنحاء البلاد،

---

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)،ج2، ص648؛ وابن شاكر:المصدر السابق، ج2، ص257؛ واليافعي: المصدر السابق، ص320؛ و السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184.

2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص95؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ط18، ص1351.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص75.

4) المصدر نفسه، ص76.

5) السلاوي: المرجع نفسه، ج2، ص143؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص241-242.

6) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص230.

7) أنظر: الأنيس، ص189.

ومنها أن تأخير أمره بتحريق كتب الفروع إلى نهاية دعوته، ما يشعر بأنه يخشى عاقبة التنفيذ وبالتالي ما يوحي إلى العلماء بالكف عن التنفيذ إن صادفوا تذمرا من المالكية[1].

و لم يقم هؤلاء الطلبة الموحدون بتنفيذ رغبة الخليفة عبد المؤمن ولا حتى رغبة ابنه يوسف، وإنما قام بالتنفيذ حفيد عبد المؤمن يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م)، الذي رمى إلى محو مذهب مالك من المغرب الإسلامي مرة واحدة، وجعل الناس يتجهون نحو ظاهر القرآن والحديث[2].

كما يعتبر المراكشي شاهداً على هذه الأحداث حيث يقول"...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة..."[3].

أخيرا انتهت هذه المعركة الفقهية، بوضع فقه على أساس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فظن الخليفة يعقوب المنصور، أنه بهذا قضى على الفقه المالكي، و لم يكن فقه الموحدين الجديد سوى فقه مالك– بعد حذف الأسانيد وآراء الفقهاء – فأقبل الناس على حفظ الفقه الجديد، ولكن فقه مالك هو الذي يسير الناس عمليا على هديه، والفقهاء المالكية لم يغمطهم الشعب قيد أنملة من مظاهر الإجلال والإكبار[4].

ثم رجع يعقوب المنصور نفسه، وأخذ ينتقد مبادئ المهدوية [5]، وبدأ الناس يرتابون في مهدوية ابن تومرت، مما سمح لفقهاء المالكية في استعادة مكانتهم [6]، وبتولي الخليفة إدريس المأمون (626–630هـ/1228-1232م) أعلن على المنابر وعلى الملأ إلغاء أسطورة المهدوية"[7].

---

1) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص231.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 197-198 حيث يضيف أنه في عهد أبي يوسف انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذاهب بعد أن يجردها ما فيها من حديث وقرآن، ففُعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد. عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص 197-198.إن روايته تؤخذ بحذر، لأن سنه كان لا يتجاوز سن العاشرة إلا بقليل – حيث ولد سنة581 هـ/1185م.؛ وبولطيف لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن –فرجينيا– الولايات المتحدة الأمريكية ، 1429/ 2009 م، ص310.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص198؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص84.

4) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص232-233.

5) حيث يقول صاحب المعجب" أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم من مطرف المري ونحن بحجر الكعبة، قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف: يا أبا العباس، اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة– يعني عصمة ابن تومرت–أنظر: المصدر السابق، ص197-198؛ والضبي: المصدر السابق،ج1، ص214

6) عبد الله علي علام: المرجع نفسه، ص233.

7) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص212.

لا يمكن في الواقع الحديث عن شيء اسمه المذهب الموحدي أو التومرتي، نظرا لكون الموحدين لم يبلوروا منظومة فقهية متميزة، أو حتى نسقا فكريا متماسكا، ولكنهم دعوا بشكل عام إلى الرجوع إلى أصول الإسلام وركزوا على بعض الأولويات في هذا الاتجاه[1].

وفي كتب المناقب والتصوف أخبار متفرقة توحي باهتمام المتصوفة والفقهاء بتدارس المذهب المالكي والانكباب على بعض أمهات كتبه رغم الحضر الرسمي [2]، وللتدليل على هذا نثبت جملة من علماء المغرب الأوسط الذين كانوا على المذهب المالكي في هذا العهد، مع ذكر بعض مؤلفاتهم.

علي بن أبي قنون [3] أصله من تلمسان، وبها درس الفقه المالكي توفي عام 577هـ/1181م[4] وكان مستبحرا في حفظ الفقه، له كتاب في أصول الفقه سماه"المقتضب الأشفى في اختصار المسْتَصْفى"[5]وهو كتاب نبيل مستجاد[6] ومن المعروف أن هذا الكتاب الأخير هو لأبي حامد الغزالي، ومختصر في أصول الفقه[7]، وله تآليف أخرى أيضا.

وقد نسج على منواله العالم أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (580 هـ/1184م)[8] الفقيه المالكي، كان يسمى أبا حامد الصغير [9] له المصنفات الحسنة منها"التذكرة في أصول علوم الدين" و"النبراس في الرد على منكر القياس"[10].

إضافة ميمون بن جبارة[11] كان مختصا في أصول الفقه توفي بتلمسان[12]،سنة584هـ/

---

1) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص86؛ ومحمد مغراوي: خطة القضاء، ص87.

2) محمد القبلي: المرجع سابق، ص26.

3) ابن الأبار: المعجم، ص 294-295؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد) ،ج 2، ص685. أو بهتون.الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص253- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص159.

4) كان حيا في آخر عشر الثمانين وخمسمائة، وقيل توفي سنة سبع وسبعين وخمسمئة.ابن الأبار: المعجم، ص 294؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص686.

5) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص100.

6) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، ص160.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص685.

8) ابن قنفذ: انس الفقير، ص34.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص66؛ والقرافي: المصدر السابق، ص66.

10) الغبريني: المصدر نفسه، ص 66-67.أما القرافي قال أن عنوانه التذكرة في علم أصول الدين، وهو كتاب حسن من أجلّ الموضوعات في هذا الفن. توشيح الديباج، ص66.

11) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص396؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 294؛ و شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج3، ص183.

12) عادل نويهض: المرجع السابق، ص253.

1188م[1]، وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي(ت 586هـ/1190م) ، نزيل تلمسان، من ملقة يكنى أبا الحسن، كان فقيها متمكنا[2].

والقطب الغوث سيد العارفين أبو مدين شعيب بن الحسين (594 هـ/1197م) الذي قال عنه المقري"وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت، وله مجلس وعظ يتكلّم فيه، فتجتمع عليه الناس من كل جهة"[3].

أما دفين تلمسان أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرِْج (ت 601هـ/1204م) أبو جعفر البلنسي الذهبي[4] ويكنى أبا العباس[5] كان يراعي أصول المذهب المالكي فيفتي بما تقتضيه، وتدل عليه، وقيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية، وغيرها الكثير الحسن البديع [6] ولما امتحن أبو عبد الله بن إبراهيم وأبو محمد بن أحمد ابن رشد محنتهما المشهورة، اختبأ بقرية قاشرة —بقرطبة أو لبلة بالأندلس- و لم يعرف مكانه حتى خلصا فظهر، لكن المنصور استدعاه واستخلصه وبسط أمله، و لم تزل مكانته لديه تترقى[7] وله من الكتب في الفقه"حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة"وله فتاوٍ بديعة[8]

منهم كذلك أبو الحسن القلي، الذي كان فقيها أديبا، وأقرأ بجامع قرطبة زمانا، وله مختصر الإشراف لابن المنذر[9] والفقيه أبو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون الجزائري، الذي نشأ بمدينة جزائر بني مزغنة، ثم رحل نحو الأندلس، حيث نزل إشبيلية أين أخذ على محمد بن عبد الحق الإشبيلي، وغيره ثم انتقل إلى مالقة، ثم رجع إلى الجزائر، واستقر بها واشتغل بالتدريس وتوفي في606هـ/1209م[10].

1) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

2) ابن ابن الأبار: التكملة، طبعة مدريد، ج2، ص 427.

3) ابن صعد: المصدر السابق، ونفح الطيب، ج7، ص137.

4) عرف بالذهبي، لأن جده كان مولعا بالكُتُب بالذهب والتصوير به.ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص334؛ والسملالي: المرجع سابق، ج 2 ، ص107.

6) ابن فرحون: المصدر السابق، ص12؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص213.

7) ابن سعيد: المغرب، ج 2، ص321؛ وابن سعيد: الغصون اليانعة، ص 39؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص334؛ والسملالي: المرجع نفسه، ج2، ص108-109.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والصفدي: المصدر السابق، ج7، ص117.

9) كتاب الإشراف على مذاهب أهل العلم، لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بابن المنذر المتوفي سنة 318هـ/930م .يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص101.

10) محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010، ص157-158.

والفقيه المالكي نزيل تلمسان، محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبو عبد الله، (ت 610هـ/ 1214م)[1] الذي ترك مؤلفات مهمة في الفقه المالكي منها"فضائل الشهور الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان"وكتاب" الترغيب في الجهاد" فيه خمسون بابا في مجلد، وكتاب"المواعظ والرقائق أربعون مجلسا"وهو سفران[2].

وقاضي تلمسان الفقيه محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227-1228م)[3] الذي ألف كتاباً مهماً في الفقه رغم أنه لم يُكمَل وأشار إليه ابن عبد الملك المراكشي وهو بعنوان"مستصفى المستصفى"[4] وهذا الأخير للغزالي، كما ترك كتاباً آخر بعنوان"حدود أنواع الحكم الشرعي"وكتاب التذكرة للنوادر المتخيرة"في نحو ثلاث أسفار رغم أنه لم يكمله و كتاب"الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة"[5].

أما الكاتب البليغ والشاعر المجود الفقيه المالكي عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان، والذي قال عنه ابن الأبار"كان مشاركا في أصول الفقه...ناظرا فيه"[6] كما كان بارعا في علم الأصول والفروع[7].

وأبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628 هـ/1230م) اشتهر بإطلاعه الواسع على العلوم الفقهية، فكان عارفا بالتفسير والقراءات ومصطلح الحديث وعلم الأصول، ودرس عليه العديد من الفقهاء، شرح كتاب الأعلام بفوائد الأحكام لشيخه عبد الحق الاشبيلي، وشرح الأربعين حديثا، وبلغت عدد مقروءاته 222 مؤلفا أخذها كلها بالسند المتصل [8] ومنهم إبراهيم بن يحي بن محمد التجيبي (633هـ/1235م) أبو إسحاق، كان فقيها مشاركا في عدة علوم، له مصنف نفيس في"شرح الخلاف"في عدة مجلدات[9].

كما ساهم ضيوف المغرب الأوسط، ومنهم علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637هـ/ 1239م)[10] الذي نزل بجاية، له في علم الفرائض كتاب الوافي[11].

---

1) الصفدي: المصدر نفسه، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص304.

3) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي : المرجع السابق، ج6، ص186.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص319.

5) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، السفر الثامن ، ص 319.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585.

7) المقري: نفح الطيب، ج4، ص468.

8) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

9) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص420؛ ومحمد طمار: تلمسان، ص78.

10) الغبريني: المصدر السابق، ص154؛ والمقري: نفح الطيب،ج2، ص387؛ والتنبوكتي: نيل الابتهاج، ص318.

11) الغبريني: المصدر نفسه، ص148.

والفقيه الملقب بشرف الدين عبد الله بن محمد الفهري، ولد بتلمسان عام 567هـ/ 1172م، ارتحل إلى المشرق، و بها أتم معلوماته في الفقه والأصول، و بها لقب بذلك، ثم تصدر للإقراء، وبقي بها إلى أن توفي عام 644هـ/1246م، وله من التآليف:"شرح المعالم في أصول الفقه للرازي" و"شرح التنبيه"في فروع الفقه الشافعي للشيرازي، و"المجموع"في الفقه أيضا، كما له"شرح خطب ابن نباتة"[1].

و نزيل بجاية أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي (ت بداية القرن 7هـ/13م) كان له علم بالحديث والفقه المالكي، وكان يقرأ عليه السيد أبو الحسن بن عبد المؤمن الموطأ قراءة تفهم[2].

أما الشيخ الإمام المحصل الصوفي[3] أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/ 1276م) عاش العصرين الموحدي والحفصي، كان يحمل أصول الفقه[4].

وغير هؤلاء ممن حملوا مشعل المذهب وطافوا به بلاد المغرب، وهكذا استمر الاشتغال بمذهب مالك وأصوله المبينة على الأثر والحديث من غير عنت ولا تضييق[5].

بهذا نقول أن مذهب مالك قد واصل تفرعه وانتشاره، ونتيجة للتفاعل مع الدعوة الموحدية الجديدة فقد مال أهله إلى الترجيح والتأويل ونبذ التعصب لأئمتهم ومشايخهم، وجعلوا البحث والنظر رائدهم في معرفة الحقائق وتقرير الأحكام، فرجعوا بذلك إلى أصوله ومصادره الأولى من الكتاب والسنة وما إليها، أي الأمر يتعلق بالدعوة إلى العمل بالسنة أكثر من الانتماء إلى مذهب معين [6]، ويبدو أن الأثر الوحيد الذي خلفته الدعوة الموحدية هو رسوخ مذهب الأشاعرة في نفوس العامة والخاصة ، واسترجاع الحديث وعلم الأصول مكانتهما[7].

ورغم سيطرة الموحدين على الساحة السياسية والعسكرية، فإن ذلك لم يفض إلى سيطرة روحية واعتناق للتومرتية والاعتقاد بالمهدوية والعصمة، ربما بسبب الطريقة الإكراهية التي فرضها ابن تومرت وخلفاؤه[8] أو ربما يعود سبب إخفاق الموحدين في جعل أهل المغرب الأوسط يتجاوبون معهم، لتجذر المذهب المالكي فيهم واستمراره في المقاومة، وبسبب طابع التومرتية الانتقائي، وربما بسبب انتشار التصوف الذي لبى حاجة الناس إلى دين بسيط[9].

---

1) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص421.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص189.

3) محمد مخلوف: المصدر السابق، ص201.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص86.

5) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص88.

6) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص119-120.

7) محمود بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1982، ص 49.

8) البقالي محمد: الدولة والولاية في المغرب الوسيط، علائق وتفاعلات، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1997، ص62.

9) فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، من ق6-9 هـ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص136.

ب- المذهب الظاهري[1]

قال المنوني"إن هذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة أخص لدى يعقوب المنصور"[2] فقد بلغ من إعجابه إلى حد أن كان يقول عن أحد أشياخ الظاهرية الكبار-ابن حزم-إن كل العلماء عيال عليه[3].

وتفرض هذه النقطة هي الأخرى احتياطا في إصدار أي حكم على الموحدين بصددها، رغم أن عددا من الباحثين قد مالوا إلى نسبتهم إلى المذهب الظاهري صراحة [4] اعتمادا على بعض المصادر التي تؤكد على ذلك [5] حيث قال الشاطبي(ت 790هـ/1388م) عند كلامه على المهدي بن تومرت المغربي مبينا أن مذهبه البدعة الظاهرية"وكان من رأيه ترك الرأي وإتباع مذاهب الظاهرية" [6].

كما قال إسماعيل بن الأحمر(ت 807هـ/1405م) صاحب بيوتات فاس"إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل على محض الظاهرية"[7].

لقد نبه الونشريسي في مبحث البدع من المعيار"ومنها ما أحدثه المهدي الظاهري محمد بن تومرت...من إعادة الدعاء بعد الصلاة، والدعاء عليها بتّصَالّيتْ الإسلام عند كمال الأذان" [8].

---

1) نشأ المذهب الظاهري بالمشرق على يد أبو سليمان داود بن علي بن خلف الإصبهاني (202-270هـ/817-883م)، الذي كان شافعيا، ثم تحول عنه، وبنى مذهبه على قوله"إن المصادر الشرعية هي النصوص، فلا علم في الإسلام إلا مع النص" وأخذ بظاهر الكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من رأي وقياس وضيق حدود الإجماع، فلم يأخذ إلا بما أجمع عليه صحابة رسول الله(ص) ونهى عن التقليد، ودعا إلى دراسة الكتاب والسنة دراسة تعمق، وتفسيرهما تفسيرا حرفيا، وقد انتشر مذهبه ببغداد وبلاد فارس، وقال به قوم قليل بإفريقية والأندلس وقد وطد دعائم هذا المذهب العالم الأندلسي علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(384-446هـ/ 994-1063 م)؛وعبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص318-319.

2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص262؛ ومحمد المنوني :حضارة الموحدين، ص37.

3) المقري: نفح الطيب، ج3، ص238.

4) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 37؛ ومحمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص239-240؛ وعلي الإدريسي: الإمامة عند ابن تومرت، دراسة مقارنة مع الامامية الاثنى عشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، 226 .

M.Talbi : Ibn Tûmart, ou Le Parti avant la dynastie almohade, Les Africains , XI , 1978 , p.152.

5) منها ابن الأثير : المصدر السابق، ج 10، ص262-263- ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 19؛ والشاطبي: المصدر السابق ، ج1، ص123؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص313-314.

6) الاعتصام، المصدر السابق، ج2، ص337.

7) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص19.

8) أنظر: المعيار المعرب، ج2، ص465.

كما سار على مذهب الظاهرية خليفة المهدي بن تومرت وهو عبد المؤمن بن علي الكومي، وقال البرزلي القيرواني (ت 841هـ/1438م) في نوازله:"ولما اطمأنت بالأمير عبد المؤمن الدار جمع الفقهاء إما لاختبارهم عن مذهبهم، أو على أن يحملهم على مذهب ابن حزم" [1] وواصل البرزلي حديثه في نهي عبد المؤمن لإتباع المدونة والقياس[2].

كما قال بظاهرية المنصور، ونسبوه إلى المذهب الظاهري الفقيه ابن جزي (ت741هـ/1340م)"وكان يعقوب المنصور عالما محدثا ألف كتاب الترغيب في الصلاة وحمل الناس على مذهب الظاهرية، وأحرق كتب المالكية"[3].

وأضاف المقري بقوله:"كان أبو يوسف يعقوب المنصور...يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها، ويتكلم في الفقه كلاما بليغا، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى، وله فتاوٍ مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، وكان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر"[4].

أما الفقيه الحجوي، تردد بين الاجتهاد المطلق والظاهرية، فهو تارة ينسب يعقوب المنصور للاجتهاد، ومرة أخرى ينسبه للمذهب الظاهري، يقول"ويعقوب المنصور هو الذي حرق الكتب المالكية وترك الفروع، والزم العلماء بالاجتهاد، فظهر في وقته حفاظ وعلماء مجتهدون يلحقون الفرع بأصله أو ظاهرية مثل أبي الخطاب ابن دحية"[5].

لا بد من الإشارة أولا إلى أن أيا من المصادر المعاصرة للموحدين أو المعتمدة في تاريخهم، لا تتحدث عن تمذهبهم بالظاهرية، كما لا تشير إلى دعوة أحد منهم إليها[6].

لهذا نلاحظ أن المصادر التي روجت لإلصاق الظاهرية بالموحدين، هي الكتابات الفقهية المنتمية إلى مراحل لاحقة، وهذا يدعو بطبيعة الحال إلى التوقف والحذر في مسايرتها، نظرا لانطلاقها من مواقف إيديولوجية غير خفية[7].

إن ابن تومرت في مناقشاته الأصولية قد تحفظ بشأن القياس وليس معنى هذا أنه خضع لتأثير حزمي مباشر، وكما أنه لا يشير إلى مصادره بخصوص المعطيات الأخرى، فإنه لا يشير إلى ابن حزم في

---

1) جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، (فتاوى البرزلي)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2002، ج6، ص376.

2) البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص377.

3) ابن جزي: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008، ص615؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص83.

4) المقري: نفح الطيب، ج3، ص102؛ وعبد الهادي حسيسن: المرجع السابق، ص314.

5) الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبعة البلدية بفاس، 1926، ج4، ص4، ص213-214.

6) عبد الله كنون: المصدر السابق، ص124.

7) محمد مغراوي: خطة القضاء، ص83.

أعز ما يطلب، ولا يحتج بمقولاته [1] أي أن ابن تومرت كان ذا نزعة ظاهرية، ولكن من دون الجزم بظاهريته في المذهب، ولو كان كذلك ما تردد فقهاء المرابطين الذين صارعوه في اتهامه بالظاهرية، كما اتهموه بالخارجية[2].

لقد حاول الموحدون السير على خطى ابن تومرت في تحفيظهم فقه الفروع، إلى أن قام المنصور بحركته الكبرى في الرجوع إلى أصول الإسلام، حيث يشير المراكشي إلى أنه أراد"حمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث" [3] ولا شك أن القائلين بظاهرية المنصور، قد عززوا موقفهم بكلمة" الظاهر"الواردة في هذا النص، كما وجدوا في إعجابه بابن حزم دليلا آخر[4].

إن كلا الدليلين لا يمكن بواسطتهما القطع بظاهرية المنصور، فكلمة الظاهر لا تعني المذهب الظاهري كمنظومة فقهية وأصولية [5] كما يبين الأستاذ حسيسن أن المذهب الظاهري الحزمي لم يكن يوما هو المذهب السائد الرسمي في عهد الدولة، ولا حتى في عهد يعقوب المنصور، ولا يوجد نص واضح يثبت أن أحدا من الخلفاء الموحدين أمر بإتباع المذهب الظاهري، وإنما كانوا يدعون إلى العمل بالكتاب والسنة[6].

فكان الخليفة يعقوب يهدف إلى تحقيق أمل راود الموحدين منذ ابن تومرت، هو تأصيل الفقه، لذلك فهو يلتقي مع المذهب الظاهري في نقط عديدة، أهمها الإعراض عن العمل بالرأي والقياس، إلا أن المشروع الذي تبناه الموحدون لم تكن أبعاده واضحة، نظرا لكونه لم يخضع لتطوير وفق مستجدات مرحلة ما بعد ابن تومرت ، وإنما"ألا يقلد العلماء أحدا من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس"[7].

---

1) الحُجة الكبيرة التي يقدمها عبد الله كنون" أن القوم لم يكن على المذهب الظاهري هي مجموعة كتب المهدي بن تومرت، التي نشرها المستشرق المجري جولدزهير، وتشمل على كتاب أعز ما يطلب والعقيدة المرشدة، وكتاب الطهارة، الذي يقال أن المنصور جمع كتابا في الصلاة على منواله، وكلها ليس فيها ذكر للظاهرية ولا لِعَلَم من أعلامها...بل إن تعاليقه الأصولية ما يعارضها وهو إثبات القياس ومدحه مما لا يجنح إليه أهل الظاهر".النبوغ المغربي، ج1، ص125.

2) مجهول: الحلل الموشية، ص111؛ و الطاهري عبد الحق: المرجع السابق، ص51-52.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص198.

4) المقري: نفح الطيب، ج3، ص238؛ و
M.Talbi :Ibn Tûmart, ou le parti avant la dynastie almohade, LES Africains, XI, 1978 ; P152.

5) محمد مغراوي: خطة القضاء، ص83؛ وبولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص308-309.

6) عبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص329.

7) ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص11.

وعموما جميع الآراء التي تلصق، الظاهرية بالمنصور، تستند على رواية ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233م)[1] وأما الرواية التي تنفيه تعتمد على شهادة ابن حمويه الدمشقي (ت 642هـ/1244م)[2]، الذي زار المغرب في حدود سنة 594هـ/1197م، ولبث به إلى غاية سنة 600هـ/1203م ومكنه ذلك الاتصال بالمنصور [3] ونقل لنا المقري هذه الشهادة، بقوله"والذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها، ويتكلم في الفقه كلاما بليغا...وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، و إن الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر" [4] وتبن لنا هاته الجملة من أن الفقهاء يتجنون عليه ذلك، وأنه كان يميل إلى الاجتهاد[5].

لم يثبت أن أمر المنصور أو أي من الخلفاء الموحدين، الاعتماد على كتب الظاهرية، وإنما اكتفى بمصنفات الحديث المذكورة، ولو كان ظاهريا لأمر بكتبهم أن تدرس أو تكن من المصادر التي جمعت منها الأحاديث في كتاب الصلاة والجهاد[6].

لقد عرف العصر الموحدي عدة تآليف في الرد على ابن حزم، من طرف فقهاء مالكية، و قد أفرزت عدة تآليف في الرد على أفكار الظاهرية أهمها في المغرب الأوسط هو النبراس في الرد على منكر القياس[7] لقاضي بجاية حسن بن علي ابن محمد المسيلي (ت 580هـ/1184م) قال عنه الغبريني:"أنه كتاب مليح على ما أخبرت عنه، و لم أره، وأنا شديد الحرص عليه، ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكون بالظاهر-وهو من أنبلهم-أنه رأى هذا الكتاب، وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله"[8]

وكتاب"حجة الأيام وقدوة الأنام" للفقيه البجائي أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م)، وقد أثار هذا الكتاب حفيظة بعض أصحاب الميول الحزمية فرفعوا أمره إلى الخليفة الموحدي [9] و لم تهدأ

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 1، ص262-263.ونقل عنه ابن كثير نفس الكلام بقوله" وكان مالكي المذهب، ثم صار ظاهريا حزميا" البداية والنهاية، تحقيق جودة محمد جودة، ومحمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، ط 1، القاهرة، مصر، 2006، ج6، ص298.

2) هو أبو محمد عبد الله –أو عبد السلام–بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني السرخسي الصوفي، الملقب بتاج الدين، أديب ومؤرخ ولد بدمشق سنة566هـ/1170م.ابن عماد: المصدر السابق، ج7، ص371.

3) بولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص310.

4) المقري: نفح الطيب، ج3، ص102؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص125.

5) عبد الله كنون: المرجع نفسه، ج1، ص125.

6) مغراوي محمد : العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001-2002 ، ص175؛ وعبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص332-333.

7) القرافي: المصدر السابق، ص225.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص66-67.

9) التادلي: المصدر السابق، ص428.

الزوبعة إلا بعد أن أَرسل المؤلف مدافعا عنه إلى مراكش –هو أبو محمد عبد الكريم الحسني–قام بتوضيح الآراء التي عرضت في الكتاب أمام مجلس حضرة الخليفة والفقهاء[1] فما كان من الخليفة أن يقول: يترك هذا الرجل على اختياره، فإن شاء لعن وإن شاء سكت[2].

إن معالم التوجه الموحدي تتحد أكثر إذا نظرنا إليها من خلال الميل إلى العمل بالحديث، أكثر لو نظرنا إليها من زاوية تبني المذهب الظاهري، وذلك ما تؤكده المصادر خاصة في عهد المنصور[3].

ورغم كل ذلك ظهر بعض الفقهاء من المغرب الأوسط أو عاشوا به لفترة من الزمن وتركوا بصماتهم في أفكاره وحضارته، ومن الذين تبنوا المذهب الظاهري:

محمد بن عبد الله بن مروان، أبو عبد الله[4] الهمداني الوهراني مولدا، التلمساني منشأ، وأصله من الأندلس[5] جد في طلب الفقه والأدب ومال إلى العلم الظاهر وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم القرطبي صاحب كتاب"الفصل في العلل والأهواء والنحل"ولي قضاء تلمسان و اشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحدي به، فاستدعاه إلى حضرته وولاه قضاء قضاته بمراكش (ت 601هـ/1204م)[6].

وصاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكى، بداخل باب أمسيون، من أعلى سند ببجاية[7] أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك(ت ق 7هـ/13م)[8]، من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة المعروفة وقال عنه الغبريني"كان من جملة أهل العلم، من أكابر أولي النهي والفهم، وكان معروفا عند خلفاء بني عبد المؤمن، وكان ينحو للظاهر[9].

أما أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(ت633هـ/1235م)[10]

وهو ظاهري المذهب[1]،وألف كتاباً مهماً جدًا في الفقه بعنوان وهج الجمر في تحريم الخمر[2]

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص136.

2) الغبريني: المصدر نفسه، ص217.

3) ابن سعيد: الغصون، ص30.

4) هو مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني ابو علي، أخذ عن أبيه وغيره ببلده ، وبمراكش وغيرهما، وكان فقيها حافظا للمسائل بصيرا بالفتيا في النوازل، ولي قضاء تلمسان وسبتة وغرناطة ومرسية وبها توفي.يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص105؛ وابن عبد الملك المراكشي:المصدر السابق، السفر الثامن، ص339.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص374؛ ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص29-35.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص374؛ يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص113.

7) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص222؛ وبرنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص415.

8) عادل نويهض: المرجع السابق، ص352.

9) أي أنه كان يميل للمذهب الظاهري، الذي كان يمثله في الأندلس ابن حزم.الغبريني: المصدر نفسه، ص189.

10) الشيخ الفقيه المحدث المتقن، النحوي، اللغوي، التاريخي، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي. الغبريني : المصدر السابق، ص 228. الداني، السبتي ولد سنة 547هـ/1152م بالأندلس، وتوفي في 14ربيع الأول سنة 633 هـ/ 1235م بالقاهرة، ودفن بسفح المقطع.المقري: نفح الطيب، ج2، ص104.

إن الذي نريد أن نسجله هنا، هو أن المذهب المالكي لم ينهزم مطلقا أمام الدعوة إلى الاجتهاد، التي كان الموحدون يتزعمونها، ولا أمام المذهب الظاهري، الذي نشط نشاطا كبيرا في هذا العصر، والدليل أن أمهات الكتب يعاد كتابتها فور إحراقها[3].

بهذا نستنتج أن بقاء الكثير من الفقهاء خلال العصر الموحدي على صلتهم بالمالكية، التي أضحت أكثر من مجرد مذهبية فقهية، كان ولا شك أحد الأسباب التي فوتت على"المشروع الموحدي" بلوغ غايته في تقليص ظل المالكية، والحد من سلطة فقهائها[4].

وعموما أورد الغبريني في كتابه جملة من الكتب التي كانت مقررة في الفقه وتدرس ببجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة وهي"الرسالة"لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/996م) و التهذيب "لأبي سعيد البراذعي(ت 430هـ/1038م) كتاب الجلاب والتلقين، وموطأ مالك الذي كان أصل كل الدروس[5] وكتاب المدونة والمختلطة لسحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م) وكتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي (ت478هـ/1085م)[6].

4 - علم الكلام والأصول

---

1) المقري: نفح الطيب، ج 2، ص99؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص281 وقد استندا على رواية مؤرخ بغدادي هو ابن النجار(ت643هـ/1245م) وكان من ألد خصومه، وأكثر المتحاملين عليه، حيث كان يرميه بالكذب والتهاون في دينه، ويصمه بالكبر والحمق والتطاول.الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 22، ص394-395.لكن هناك من ينفي عليه صفة الظاهرية اعتمادا على شهادة أحد معاصريه وهو المؤرخ البغدادي ابن الدبيثي(ت 637هـ/1239م) إذ يقول عنه" كان له معرفة حسنة بالنحو واللغة، وأنسة بالحديث، فقيها على المذهب المالكي"الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص391.

2) ذكره ابن دحية في المطرب عند الحديث عن ابن زرقون، فقال:"وقد تكلمنا على نسبه ولقبه في كتابنا المسمى بوهج الجمر في تحريم الخمر".ابن دحية: المصدر السابق، ص 219، ص221؛وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج 1، ص159؛ وأحمد بكير: المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت، 1990، ص57-58؛ وعبد الله كنون: المرجع نفسه، ج1، ص123

3) عبد الله كنون: المرجع نفسه، ج1، ص123.

4) بولطيف: المرجع السابق، ص319.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص307.

6) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ص128؛ وعبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص54.

كان المغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت يسير على مذهب السلف الصالح و يمقت"علم الكلام"[1] الذي يتصدى لتأويل المتشابه من القرآن الكريم ، لكن الموحدون عملوا على تشجيع علمي الأصول والكلام، فنبغ فيهما عدد كثير من العلماء، إلى درجة أنه أصبحت تشدّ الرحلة إلى المغرب لطلبهما[2].

لقد أخذ علم الكلام-أو علم التوحيد عند الموحدين-حظه الكامل من الانتشار، فقد كان ابن تومرت من"أوحد زمانه في علم الكلام"[3]، ويلزم أصحابه بدراسته إلزاما، وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل، وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافرا ليس معه من الإسلام إلا الاسم، ومن ثم سموا أنفسهم بالموحدين [4] وقد ترك ابن تومرت ميراثا كبيرا من الكتب في علم الكلام منه أعز ما يطلب، العقيدة المرشدة، التتريهان، التسبيحان، الإمامة، تعاليق في الأصول، وقد ذكرت ابن تومرت رغم انه ليس من المغرب الأوسط، إلا أن ميراثه يشترك فيه الكل باعتباره شخصية عامة للمغرب والأندلس،كما كان دوره مؤثرا بالمغرب الأوسط أثناء إقامته في بجاية وتلمسان.

لهذا تبوأ علم الكلام مكانا عاليا من بين العلوم في هذا العصر، ووجد من القرائح المغربية مجالا خصبا لنموه وازدهاره[5] من العلماء الذين اهتموا بعلم الكلام بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين نجد:

الفقيه الأديب العارف بالأصول أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصر الأزدي، البلنسي، الذي قال عنه المراكشي"مجيدا في نظم الكلام ونثره، توفي بجزائر بني مزغنة سنة 548هـ/1153م"[6] والفقيه التلمساني[7] حسن بن أبي زُكُون (ت 553هـ/1158م) له من التأليف"كتاب في الرأي" [8] أما أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت 570هـ/1174م) الذي قدم كتاباً جيداً بعنوان"الدليل والبرهان"بحث في علم الكلام يقارن بين أقوال الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى [9] ويمكن القول أن أصول الفقه وعلم الكلام قد بلغت مرحلة النضج عند الإباضية في المغرب الإسلامي، وكذلك عند الأشاعرة المغاربة، الذين اتجهوا إلى المنهج العقلي في هذا المجال ابتداء من مجيء ابن تومرت

---

1) علم الكلام: هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المتبدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص23.

2) شفيق محمد: المرجع السابق، ص38.

3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173.

4) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص121.

5) صفية ديب: المرجع السابق، ص111.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص143.

7) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص25.

8) ابن الأبار: المعجم، ص82؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص147.

9) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص79.

(ت524هـ/1129م) الذي عنى بالأصول وبالتأويل العقلي أكبر من عنايته بالفروع، وبظواهر النصوص وحرفيتها، وفي هذا العصر عاش أبو يعقوب، فكان من أئمة أصول الدين وألف كتابا مهما هو"العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، في الرد على أهل الخلاف"[1].

إضافة إلى الاباضي الآخر صاحب الآراء الكلامية من خلال كتابه"الموجز"وهو أبو عمار عبد الكافي الورجلاني (ت570هـ/ 1174م)[2].

منهم كذلك أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ/1184م)[3] الحافظ المتكلم، له كتاب في علم التذكير سماه"التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"[4]. وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي(ت 586هـ/1190م) من مالقة يكنى أبا الحسن، نزل تلمسان ولقي بها أبا جعفر بن باق ، وأخذ عنه علم الكلام ، فكان فقيها متمكنا في علم الكلام [5]

ولا يمكن ذكر علم الكلام ونمر مرور الكرام دون ذكر الفقيه الكبير عب د الحق الاشبيلي البجائي(ت581هـ/1185م) والذي له كتاب"العافية"في الوعظ والتذكير [6]، وكذلك كتاب الصلاة والتهجد[7] وكتاب في الرقائق، وكتاب التوبة في سفرين، وكتاب العاقبة، وكتاب فضل الحج والزيارة ومقالة الفقر والغنى ومصنفات أخرى[8] وكتاب الأنيس في الأمثال والحكم والآداب[9].

أما مساهمة الفقيه المتكلم علي بن محمد بن خيار البلنسي(ت 605هـ/1208م) الذي درس بتلمسان على يد أبي الحسن بن أبي كنون، وكان فقيها مشاورا تاركا للتقليد مائلا إلى النظر والاجتهاد مشاركا في فنون العربية والأصول وعلم الكلام والتصوف[10].

ولمحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي المرسي (ت 610هـ/ 1214م)[11] المستقر أخيرا بتلمسان، تآليف في الوعظ والرقائق والترغيب في الجهاد"[1].

---

1) عمار الطالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي"أبو يعقوب الورجلاني نموذجا"، _ندوات ومناظرات رقم 118، تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1،الدار البيضاء، 2005، ص102.

2) بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 149.وقد حقق هذا الكتاب عمار طالبي، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 1978.

3) ابن قنفذ: انس الفقير، ص34.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص66-67.وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في الإحياء.القرافي: المصدر السابق، ص66.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص427.

6) حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص73؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص277-278.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

9) حجي محمد وآخرون: المرجع نفسه، ج2، ص23.

10) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص44.

11) الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

إضافة إلى جهود الشيخ الفقيه إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/1215م)نزيل تلمسان[2]، وكان فقيها حافظا للرأي مشاورا يشارك في الأدب وغلب عليه علم الكلام، ذاكرا لحديث أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم[3] فرأس فيه واشتهر به وله تآليف منها شرح الإرشاد لأبي المعالي، إمام الحرمين"نكت الإرشاد في الاعتقاد"في خمس مجلدات [4] وكتاب في مسائل إجماع الفقهاء[5].

و منهم كذلك محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227-1228م)[6] كان معظما عند الخاص والعام، مشاركا في الفقه والحديث، عارفا بروايته، بصيرا بعلم الكلام، وله كتب في هذا العلم منها"الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم" [7] وكتاب"عقيدة علية الخلق، وزبدة معرفة الحق المضنون بها على غير أهل الصدق"، في جزء واحد، وكتاب"النكت المحررة والفصول المحبرة، في حقيقة التتريه ونفي التشبيه"في جزء، وكتاب"ميزان العمل"وهو جزء كبير، وكتاب"التسلي عن الرزية والتحلي بالرضا بقضاء باريء البرية"في جزء ، وكتاب"نفثة ذي الضراء ومسلاته برثاء الآباء الأبناء وهو جزء كبير[8].

كما ساهم الوافدون على المغرب الأوسط خاصة القادمون من الأندلس بقوة في علم الكلام كعبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت 626هـ/1228م) نزيل تلمسان، قال عنه ابن الأبار"وكان عالما بالحديث متصوفا في فنونه، كاتبا بليغا شاعرا مجودا، مشاركا في أصول الفقه، ذا معرفة بعلم الكلام"[9].

ولابن دحية (ت633هـ/ 1235م)نزيل تلمسان وبجاية [10] كتاب مهم في علم الكلام هو عصمة الأنبياء[11] كما لعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي(ت 637هـ/1239م)[12]

---

1) المقري: نفح الطيب، ج2، ص379.

2) قال بلسانه:"أتيت زائرا عمة لي بتلمسان" وقد طاف بأرجائها وأعجب بها ومكث فيها مدة ليست باليسيرة"تتجاوز الحولين"أخذ خلالها على عدة علماء تلمسانيين منهم أبو عبد الله الحلوي.يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص147.

4) محمد الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1985، ج5، ص330.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص200؛ وابن القاضي المراكشي: المرجع السابق، ص90؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص147؛ والصفدي: المصدر السابق، ج6، ص110.

6) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

7)الرعيني: المصدر السابق، ص170.

8)ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585؛ والزركلي: المرجع السابق، ج3، ص342.

10) الغبريني: المصدر السابق ، ص 228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

11) عبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص160.

12) ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 330؛ وابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص687.

ضيف بجاية، مشاركة في فنون عديدة، ومال إلى النظريات وعلم الكلام...وتكلم عن الكائنات، وأمور الحدثان، وأسرار الحروف، وزعم استخراج علم وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج وما جوج[1].

ولمحمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)[2] الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ [3] مشاركات في عدة علوم ومنها علم الأصول والكلام حيث ألف كتاب"الفصول في نبذ شافية من علم الأصول"[4].

أما من أهل بجاية فمنهم محمد بن إبراهيم الأصولي (ت 660هـ/1261م)[5] الذي قال عنه ابن الابار"يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه حتى شهر بالأصولي، واعتنى بإصلاح"المستصفى"لأبي حامد الغزالي[6].

عموما كانت تدرس كتب مهمة جدا في علم الكلام، على رأسها كتاب أعز ما يطلب، والمرشدة لابن تومرت[7] وكتاب المحصل للرازي، الذي لخصه ابن خلدون في شبابه[8] وكتاب الإرشاد لإمام الحرمين الجويني(ت 478هـ/1085م)[9]، وكتاب المستصفى لأبي حامد محمد بن محمد محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ/1111م)[10].

5- علم التصوف

لا ينبغي أن نهمل الحديث عن التصوف [11] الذي كان له دوره في الحركة الفكرية، حيث امتاز العهد الموحدي بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته، وبما أن النظر الفقهي قد تطور فإن

---

1) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص336-337.

2) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104

4) ابن أبي العيش: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص32.

5) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص305-306.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص376 ؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 271-272؛ والغبريني: المصدر نفسه ص186.

7) ابن القطان: المصدر السابق، ص173.

8) عمار طالبي: المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أفريل–ماي 2011، ص60.

9) ابن مريم : المصدر السابق، ص152، ص163؛ محمد الفاسي: المصدر السابق، ص330.

10) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص55.

11) هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص49. ويعرفه حاجي خليفة أنه علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية. حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص413.

التصوف لم يعد منكرا كذي قبل، و لم يبق للفقهاء على أهله تلك الصولة، فظهر جماعة من الصوفية الكبار أصحاب التراعات الفلسفية، وأنبثت مذاهبهم المختلفة في الناس[1].

والجدير بالذكر أن النهضة الموحدية أثرت على العقول في الأندلس والمغرب، تأثيرا متشابها فأصبح الفكر الإسلامي في كلا القطرين محررا من القيود التي كانت تجعله يثور لأقل بادرة من الخروج عن دائرة المسلمات والقواعد والرسوم المتعارفة[2].

بعد هذا يحق لنا أن نتساءل عن موقع التصوف في المغرب الأوسط، في ظل هذه التوجهات الفكرية والأخلاقية للدولة الموحدية، أواخر القرن السادس هجري وأوائل القرن السابع للهجرة؟.

بالرجوع إلى كتب المناقب والطبقات الصوفية المغربية لهذا العهد، ولعل كتاب التشوف للتادلي يعد نموذجا لها، بالإضافة إلى كتاب عنوان الدراية للغبريني، نلاحظ لدى جل إن لم يكن كل الأعلام الصوفية المغاربية غياب اللهث وراء بناء صروح من النظريات الإشراقية والمذاهب الفكرية التأويلية، وذلك مقابل حضور قوي للبعد الأخلاقي الذي طبع حياة أولئك الأعلام[3].

إن نظرة خاطفة إلى أخبار أبي مدين شعيب بن الحسين (ت 594هـ/1197م)[4] الأنصاري الأشبيلي أصلا[5]، البجائي دارا والتلمساني وفاة [6]، وهو من المؤسسين الأوائل للفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، حيث لبس الخرقة عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق [7] وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى [8] ثم

1) لمزيد عن التصوف في المغرب الأوسط، أنظر بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر، وأمال لدرع: الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633-962 هـ/1236-1555م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

2) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص12-121؛ ومحمد طمار: تلمسان، ص74.

3) عبد المجيد الصغير: تجليات الفكر المغربي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص167.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 715ابن قنفذ: انس الفقير، ص 11-20 ؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 108-114؛ والتنبوكتي: نيل الابتهاج، ص193؛ وابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص530؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق، السفر الثامن، ص317-319.

5) من حصن قنطانية من عمل إشبيلية.التادلي: المصدر السابق، ص 319. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 128.أو من حصن يقال له منتوجب. الغبريني: المصدر السابق، ص55-56.

6) ذكر ابن الأبار وفاته نحو التسعين وخمس مائة.التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص 715؛ و ابن عبد الملك المراكشي: المصدرنفسه، السفر الرابع، ص130.

7) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 128؛ والتادلي: المصدر السابق، ص 322. و هو أبو عبد الله الدقاق، المتوفي في منتصف القرن السادس هجري.ابن قنفذ: انس الفقير، المصدر السابق، ص27.

8) التادلي: المصدر نفسه، ص320-321.أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري، المتوفي سنة 572 هـ/1170م. التادلي: المصدر نفسه، ص213-221؛ والتميمي: المستفاد، المصدر السابق، ج2، ص28.

خرج منها قاصدا بيت الله الحرام، فحج واعتمر واجتمع بعرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني [1]، ثم دخل بجاية ولم يزل بها يزداد حاله رفعة، فاشتهر بها خبره وعلا في مقام الولاية صيته [2] وكانت بجاية تحت سلطة الموحدين، ويبدو أنها وقعت من نفسه موقعا حسنا حتى قال فيها بأنها"تعين على طلب الحلال"[3] وقضى بها خمسة عشر عاما يدرس بعض كتب التصوف كا"الرسالة القشيرية"و"المقصد الأسنى"وذلك بزاوية أبي زكريا الزواوي بحومة اللؤلؤة[4].

وكان الشيخ أبو مدين مكبا على التصوف علما وعملا حتى أصبح علما يُقصد من كل حدب وصوب، وللشيخ أبي مدين حكم غالية تدل على علو مقامه ونبيل قصده ومراميه، كما له خطب دينية صوفية هي خلاصة ما في نفس صاحبها، من الصفح والغفران والرحمة، كما له شعر صوفي جمع في ديوان خاص، وله من التصانيف"أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد"[5].

يقول ابن صعد:"إن أبا مدين كان من أفراد الرجال وصدرا من صدور الأولياء الأبواب، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة...وكان من أعلام العلماء، وحافظ الحديث خصوصا جامع الترمذي، وكان يلازم الإحياء للغزالي، ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الحال..."[6].

ومن هذا القبيل الذي يدل على تأثير البيئة الثقافية والتاريخية على تصوف أبي مدين شعيب، من خلال طابع الاتجاه السني الذي طبع اتجاهه الصوفي إنما أتاه من المغرب لا من الأندلس[7].

وقد استطاع أبو مدين شعيب من اختزال وتبسيط الأطروحات الصوفية التي جاء بها القشيري، والغزالي في إحيائه، وابن العريف في كتابه محاسن المجالس، في عبارات بسيطة لكنها عميقة ودالة، مراعيا فيها الخيال الصوفي والرمزية، وقد ضمن ذلك في كتابه"أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد"[8].

---

1) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص137-138. المصادر الأندلسية لا تشير إلى الحج أو لقاء عبد القادر الجيلاني، حيث يبين ابن الأبار أنه خرج سائحا فقط ؛ والتكملة، (طبعة مدريد)، ج2 ، ص715.، أما ابن عبد الملك المراكشي فيبين أنه قضى كثيرا من عمره في السياحة.الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص128.

2) ذكر خبر السعاية به إلى خلفاء الموحدين صاحب الاستقصاء فقال"كان أبو مدين قد استوطن في آخر عمره بجاية، وكثر عليه الناس وظهرت على يده الكرامات، فوشي به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور(580-595 هـ/1184-1198م) وقال له إنا نخاف منه على دولتكم فإن له شبها بالإمام المهدي، واتباعه كثيرون في كل بلد، فوقع منه ذلك وكتب لصاحب بجاية أن يبعث إليه وأوصاه بالاعتناء به وأن يحمله إليه خير محمل".السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص190.

3) المقري: نفح الطيب، ج7، ص140.

4) عبد القادر الخلادي: أبو مدين الغوث، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية – أوت، 1975، ص292؛ وعيسى ميقاري: المرجع السابق، ص139.

5) الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 465.

6) المقري: نفح الطيب، ج7، ص137.

7) عبد المجيد الصغير: المرجع السابق، ص170.

8) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص23.

فتخرج على يد أبي مدين شعيب ألف تلميذ ، ظهرت على يد كل واحد منهم كرامات [1]

والصوفي الكبير أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بمحي الدين بن عربي المرسي أخذ عن مشيخة بلده [2]، ومال إلى الأدب وكتب لبعض الولاة ثم رحل إلى المشرق حاجا [3]، ودخل بجاية في شهر رمضان سنة597هـ/1200م، وبها لقي أبا عبد الله وجماعة من الأفاضل [4] ثم انتقل إلى المشرق سنة598هـ/1201م حسب رواية المقري [5] لكن علماء مصر عملوا على إراقة دمه كما أريق دم الحلاج، وكان الشفيع له، ومخلصه من المحنة الشيخ أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي[6] ثم اتجه إلى المشرق واستقر به المقام في الأخير بدمشق أين توفي سنة638هـ/1240م[7].

كما ترك من التآليف الكثيرة، أغلبها في التصوف [8]منها كتاب النصوص، وكتاب الإسراء إلى المقام الأسرى، وكتاب مواقع النجوم، ومطالع أهلة أسرار العلوم، وكتاب عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب، والفتوحات المكية وغيرها كثير[9].

ورغم تتلمذه على يد الشيخ أبي مدين شعيب إلا أنه مال إلى التصوف الإشراقي الموجود بالأندلس، ولا يوجد تفسير واضح لذلك سوى التأثير البيئي، على عكس المغرب الأوسط حيث كان التصوف السائد به استجابة واضحة لتطور الأحداث السياسية المستجدة أواخر الدولة الموحدية، فبرز التصوف المغربي كمنقذ للوحدة المهددة وللانتظام داخل أصول السنة والشريعة، وهما القيمتان الاديولوجيتان الأصليتان للدولة الموحدية[10].

---

1) التادلي: المصدر السابق، ص324.ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص 128؛ والمقري: نفح الطيب،ج 7، ص136.

2) إضافة إلى أبي القاسم الشراط القرطبي، وسمع على ابن مرزوق وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، وأجازه جماعة منهم الحفاظ السلفي، وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي، ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم، ثم رجع إلى دمشق أين توفي.المقري: نفح الطيب، ج2، ص161-167؛ ج4، ص307.

3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس ، ص 493.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص158.

5) المقري: نفح الطيب، ج2، ص161-167؛ ج 4، ص307.الذي لم يشر إلى مروره ببجاية وإقامته بها لمدة تقارب الثلاث سنوات.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص159.

7) المقري: نفح الطيب، ج 2، ص162؛ ورابح بونار،هامش عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 159-160.ويذكر الطاهر بونابي أن ابن عربي دخل بجاية مرتين في طريقه إلى تونس سنة 590هـ/1193م، وزار في طريق عودته تلمسان، والمرة الثانية كانت سنة 597هـ/1200م في طريقه إلى المشرق ومكث بها مدة لا زيد عن السنة، وعقد لقاءات مع الطرطوشي(ت 611هـ/1215م) في تلمسان، سنة 597هـ/1200م ومع الزاهد عبد الحق الإشبيلي، وخلال هذه الفترة التي قضاه في المغرب الأوسط لم تتبلور أفكار ابن عربي حول وحدة الوجود بع مع ما ستصبح عليه في المشرق، لهذا لم يتأثر علماء المغرب الأوسط في البداية بتلك الأفكار.التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص76-77.

8) ابن شاكر: المصدر السابق، ص436.

9) المقري: نفح الطيب، ج2، ص166؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ص436-437.

10) عبد المجيد الصغير: المرجع السابق، ص171.

و لم ير المغرب الأوسط الشيخين الصوفيين السابقين فقط بل عددا كبيرا من المتصوفة المتضلعين في مختلف العلوم والمعارف، سواء الذين مروا على ترابه الطاهر، وتركوا بصماقم، وتلاميذقم، أو من أبنائه البررة ومنهم:

أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت 580هـ/1184م)[1] الفقيه المالكي، الحافظ، المتكلم، من القضاة نشأ ببجاية، وهو من أصحاب الولي المتصوف الشيخ أبي مدين التلمساني له كتاب في علم التذكير، سماه"التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" [2] نسجه على منوال كتاب الإحياء للغزالي، حتى أضحى الكتاب متداولا بين البجائيين وغطى بشهرته الإحياء آنذاك[3].

كما نزل الزاهد أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي (ت 610هـ/1214م) تلمسان منذ عام 574هـ/1188م وأثرى الأدب الصوفي بمؤلفات أبرزها كتاب"الأربعين في الفقر وفضله"وكتاب" الحب لله"كان يدرسها على الطلبة والمريدين، وفي مضمونها دعوات إلى التصوف[4].

أما إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/1215م) نزيل تلمسان وكان ذاكرا لحديث أهل التصوف دائما في مقامه، فيطرز مجالسه بأخبارهم [5] ألف كتاب"شرح أسماء الله الحسنى"و"شرح كتاب محاسن المجالس"لأبي العباس بن العريف [6] (ت 536هـ/ 1141م) والمتضمن المقامات التي يمر بها السالك للوصول إلى معرفة الله على طريقة الغزالي، وشرح إرشاد أبي المعالي الجويني إمام الحرمين[7].

والفقيه الكبير المتصوف الزاهد أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي(ت 611هـ/ 1214م)[8] ولد في بني عيسى من قبائل زواوة [9] وقرأ في أول أمره بقلعة بني حماد، على يد الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي الفضلاء والأخيار من المشايخ والفقهاء

1) ابن قنفذ: انس الفقير، ص34.

2) التنبوكتي: نيل الابتهاج، ص156-157.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص66-67؛ والقرافي: المصدر السابق، ص66.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص305؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص 305-306؛ الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص78.

5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص147.

6) ابن الأبار: التكملة ، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص200؛ ويحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص128؛ وابن فرحون: المصدر السابق، ص147؛ ومحمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص173.

7) الطاهر بونابي:التصوف في الجزائر، ص80؛ و التصوف العرفاني، ص326.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص137-138.

9) التادلي: المصدر السابق، ص428؛ ومفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 263.

والمتصوفة، ثم استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، وجلس بها لنشر العلم، وكان يعتمد على نفسه حتى في صيد السمك، وما من ناحية إلا وله فيها مسجد ومعلم، وكراماته أكثر من أن تحصى [1].

إضافة إلى هؤلاء المتصوفة بالمغرب الأوسط المتصوف محمد بن أحمد بن الحجام (ت 614هـ/1217م)[2] كان حافظ زمانه، تنفعل لوعظه القلوب، وكان ذا حافظة غزيرة يحفظ من سمعة واحدة، وكان ذا صوت حسن[3]، كما كان ذا حظ وافر في الأدب والشعر له كتاب في الوعظ"حجة الحافظين ومحجة الواعظين"اختصره بعده أبو زكرياء يحي بن محمد بن طفيل في سفر واحد، سماه مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار[4]، ومن شعره في التصوف:

غريب الوصف ذو علم غريب ... عليل القلب من حب الحبيب

إذا ما الليل أظلم قام يبكي ... ويشكو من يجن من النحيب [5]

ولا بد من ذكر الصوفي أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي (كان حيا في بداية القرن7هـ/13م)[6] نزيل تلمسان من كبار العباد العارفين، كان يدرس بمسجد صغير عند خندق عين الكسور(أو عين النسور حسب تصحيح المحقق) بخارج باب القرمدين بتلمسان [7] وتكلم في فضل البسملة عشرة أيام، وما أكل في نهار قط، وهذا دليل على زهده في الدنيا وتقشفه، وقد أوى إلى الكهف رفقة ابن دهاق، خارج باب كشوطة بتلمسان، وقيل أنه ولي القضاء باشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن، ثم فر بنفسه منه وآوى إلى تلمسان في زي المجانين، إلى أن توفي ودفن خارج باب علي بتلمسان[8] وبذلك ساهم في نشر التصوف بتلمسان في شكله الشعبي المتمثل في نزعة الزهد والخلوة، كما دعم نظرية الوحدة المطلقة[9].

---

1) الغبريني : المصدر نفسه، ص136.

2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الحجام، ولد بتلمسان عام 558هـ/1163 م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها، ثم استقدمه الخليفة المنصور الموحدي إلى مراكش فسكن بها وحظي عند المنصور، وعند المتولين من بعده(الناصر والمستنصر)، وتقلد عدة وظائف بالمغرب والأندلس ، وتوفي بمراكش عام 614هـ/1217م. التادلي: المصدر السابق، ص439-440.

3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص266؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص173.

4) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص352-353.

5) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102-103 مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 263..

6) سمي بالحلوي لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان ويتصدق بالثمن.يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص127؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص68-70.

7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1 ، ص127، ص159.

8) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص128.

9) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص81.

إلى جانب بعض أصحاب أبي مدين شعيب كمحمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227-1228م)[1] وقد صحب أيضا الولي أبا عبد الله محمد بن محيو الهواري [2] وألف كتباً مهمةً في التصوف منها"إرشاد المسترشد و بغية المريد المستبصر المجتهد"في سفر صغير، وكتابه الثاني"الإيماء إلى نجاة المريد"في جزء، ومجموع شعري في المواعظ في جزء واحد[3].

كما شكلت حركة هجرة صوفية الأندلس إلى المغرب الأوسط على مدار القرنين(6-7هـ/ 12-13م) عاملا رئيسيا أدى إلى دخول المصنفات الصوفية ورواجها، فألف أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي البجائي (ت 581هـ/1185م) ببجاية مجموعة من المؤلفات الزهدية، أبرزها كتاب"الزهد"وكتاب"الصلاة والتهجد"في سفر واحد [4] وكتاب"أشعار زهدية في أمور الآخرة"حيث يقول عنه الغبريني ورأيت كتابا مجموعا من شعره كله في الزهد وفي أمور الآخرة [5] فضلا عن كتاب"العاقبة في ذكر الموت" [6].وصارت هذه المؤلفات عند البجائيين مراجع يتغدون منها روحيا ، لدرجة أنهم كانوا يقرأونها عند قبر مؤلفه [7].

ناهيك عما ألفه عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت 627هـ/1229م بمراكش)، نزيل تلمسان، له في الزهد أشعار سُمعت منه وسارت عنه [8] ومال إلى التصوف وشهر به، وصحبه المريدين والسعي في مطالبهم، والتشدد على أهل البدع [9] فله قصائد في مدح النبي(ص)وذكر صفاته والإشادة بمعجزاته والتشوق إلى زيارة قبره، حتى لقب بصاحب الأمداح في سيد الوجود محمد(ص)وعلق على ذلك المقري بقوله" له في مدح النبي(ص) بدائع قد خضع لها البيان وسلم..."[10].

وأدى انتشار التصوف في كل بلاد المغرب والأندلس إلى انتقال العديد منهم إلى المغرب الأوسط ومنهم علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي(ت637هـ/ 1239م)[11] ولد بمراكش[12]

---

1) السملالي: المرجع سابق، ج4، ص184؛ الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص186.

2) هو أبو عبد الله محمد بم محيو الهواري، من أهل تونس كبير الشأن من أهل العلم والعمل. التادلي: المصدر السابق، ص179-181.

3) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص319.

4) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

5) الغبريني: المصدر السابق، ص74.

6) محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص156؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص207.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص74.

8) التنبوكتي: نيل الابتهاج، ص240؛ وابن عسكر وابن خميس: المصدر السابق، ص261.

9) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585.

10)ابن الأبار:تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 3، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، 1989، ص ص185.المقري: نفح الطيب، ج4، ص468.

11) ابن الأبار: التكملة، ج2 (طبعة مدريد)، ص687؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص330؛

12) المقري: نفح الطيب، ج2، ص187؛ وابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص336.

ثم رحل إلى بجاية، ومكث بها زمنا غير معلوم، ثم اتجه إلى المشرق، أين التقي بجلة من العلماء الكبار، منهم الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف [1] ، وللشيخ تآليف حسنة في التصوف منها كتاب"شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب" [2]، وكتاب"صلاح العمل لانتظار الأجل" [3] وأذكار لحزبه كان يتلوه عقب صلاة الصبح [4]، وشعر فائق رائق [5] كما وضع الحرالي حكماً رائعة جمعها في كتاب"سعد الواعي وأنس القاري"وهي تضم أربعا وسبعين ومائة حكمة[6].

أما محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/1256م)[7] الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، فقد وضع كتاب"شرح أسماء الله الحسنى"وله في التصوف نظم حسن كثير[8] حيث زهد في أواخر حياته، وترك الوظيفة وعاد من الأندلس إلى مسقط رأسه تلمسان، حيث يقول عنه ابن عبد الملك المراكشي"..ثم تخلى عن ذلك ولزم الانقباض، وآثر الخلوة والعزلة عن الناس، ونبذ علائقه منهم، وله في طريقة الزهد وسبل الخير والوعظ والتذكير وتنزيه الباري منظومات بديعة، وقفت على كثير منها بخطه الأنيق ومنها: الحقائق المصونة في الألفاظ الموزونة في ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته واقتباس أنوارها من مخلوقاته الباهرة ومصنوعاته" [9]،وترك قصائد صوفية زهدية تبين ورعه وتركه لملذات الحياة وخوفه من الله ومنها قصيدته في التضرع إلى الله :

نوالك أستسقي وبابك أقرع	ومالي إلا في هباتك مطمع
ومالي إلا في حياضك مورد	ومالي إلا في ظلالك مرتع [10]

---

1) الغبريني : المصدر السابق، ص146؛ والمقري: نفح الطيب، ج2، ص189.

2) حاجي خليفة: المصدر السابق، ج 2، ص1061.

3) المرجع نفسه، ج 2 ، ص1082.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص154؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص19.

5) الغبريني: المصدر نفسه، ص148. ومذهبه الصوفي يعتمد على أن نظرية المعرفة عنده تتصل بنظرية الفيض عند ابن سينا، والأفلاطونية الحديثة، وإلى ذلك يشير بقوله:

وشمس على المعنى تطالع أفقنا *** فمغربها فينا ومشرقها منا

كما أن المعرفة عنده لا يتوصل إليها بالعقل بل يتوصل إليها بالحدس والكشف وقد يكون العقل عائقا للإنسان على الوصول إلى المعرفة الحقة وإلى ذلك يشير بقوله :

كلما رمت بذاتي وصلة *** صار لي العقل مع العلم جلم

وقد يفهم الحلول من قوله السابق:"فمغربنا فينا ومشرقنا منا "ولكن هذا القول لا يكشف لنا عن فكرة الحلول حقا ما دمنا لم نعثر على بعض آثار الصوفية الأخرى. رابح بونار، هامش، عنوان الدراية، ص157.

6) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص23.

7) الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص333-335.

8) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

9) الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص314.

10) ابن أبي العيش: المصدر السابق، ص 134.ويرجح الطاهر بونابي من خلال أشعار ابن أبي العيش القول بنظرية وحدة الوجود .التصوف في الجزائر، ص78.

ناهيك عن مشاركة الأندلسي الآخر أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت675هـ/1276م) وهو الشيخ الإمام المحصل الصوفي [1] وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي، القصيدة الصوفية، وكانت من نحو خمسمائة بيت[2].

كما لم تقتصر حركة الرحلة من أجل التصوف وتعلم فنونه من الأندلس إلى المغرب، بل كانت هناك حركة أخرى عكسية، حيث قصد كلا من الصوفي يوسف بن علي بن جعفر التلمساني اشبيلية، رفقة الفقيه حجاج بن يوسف الجزائري، وأخذا بها"الإحياء"عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148 م)[3] بينما قصد كل من الفقيه أبي الحسن بن أبي قنون(ت 557هـ/1162م) والزاهد أبي موسى عيسى بن حماد الأوربي، ويعقوب بن حمود التلمساني مرسية، وأخذوا بها عن القاضي أبي علي الصدفي (ت في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م)[4] وأخذوا عنه"آداب الصحبة للسلمي"و"رياض المتعلمين"و"حلية الأولياء" لأبي النعيم الأصفهاني [5] ولما عادوا إلى موطنهم عملوا على نشرها بين الطلبة والمريدين[6].

ويكاد دور صوفية المشرق الطارئين على المغرب الأوسط أن يكون بسيطا في جلب أو تبسيط مضامين المصنفات الصوفية، إذ لم نعثر سوى على حضور الصوفي أبي محمد عبد الله الشريف الشامي، وجهوده في تدريس كتاب الإرشاد لأبي المعالي ببجاية في القرن(7هـ/13م)[7].والصوفي الأندلس أبو عبد الله محمد بن سعادة (ت 565هـ/1196م) الذي مكث في تلمسان من 521هـ إلى 526هـ/ 1127-1131م، وحمل إليها مصنفات المشارقة وعلى رأسهم الغزالي التي كان تلقاها في مكة، عن أبي الحسن علي بن عياش الغساني، تلميذ أبي حامد الغزالي[8].

وقد كانت تدرس في هذه الفترة عدة كتب للتصوف منها رسالة فضل مكة لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (ت110هـ/733م)، وكتاب قوت القلوب ومعرفة الطريق إلى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب محمد بن علي المكي (ت386هـ/996م)[9].

---

1) محمد مخلوف: المرجع السابق، ص201؛ والتنبوكتي: نيل الابتهاج، ص280.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص87.

3) يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص114؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص215.

5) المقري: نفح الطيب، ج2، ص91-92.

6) الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص177؛ والطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي، ص17.

8)المقري: نفح الطيب، ج2، ص158؛ الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص71.

9) عبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص55.

إضافة إلى كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي (ت 254هـ/895م)، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت 465هـ/1072م) وإحياء علوم الدين للغزالي (ت 505هـ/1111م) [1]

أما بخصوص تأثير الإنتاج العقلي والصوفي في العهد الموحدي، فقد كان قويا من خلال اهتمام التلمسانيين بمرشدة ابن تومرت(ت524هـ/1118م) والتبرك بقراءتها لقول الصوفي أبي عبد الله محمد بن أبي العباس النقاش:"رأيت العقيدة المعروفة بالمرشدة المنسوبة إلى الإمام المهدي رحمه الله، كثيرا ما يستعملها أهل الفضل من الصوفية ويقرؤونها على جهة التبرك في أذكارهم، وقد تشوف بعضهم إلى بسط ألفاظها وشرح معانيها"[2].

6- العلوم الأدبية

لابد من النص أولا، على المراد بالعلوم الأدبية، فحسب ابن خلدون تحتوي على أربعة أركان وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب [3] وحسب كاتب معاصر فهي ما يشمل النحو واللغة والعروض

1) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص63.حيث أدخل كتاب الغزالي أبو محمد عبد السلام التونسي(ت 512هـ/1114م) وأبو الفضل بن النحوي(ت513هـ/1115م) كما استطاعا نشره في صفوف الطلبة ومنهم محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن رمامة (ت567هـ/1171م) فضلا عن جهود أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي(ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م) ودخل بجاية والقلعة ، وغيرهم من العلماء.الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص64-67.

2) الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم 2691، ورقم305؛ نقلا عن الطاهر بونابي: التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص325.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص336.

علم البيان: هو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده وتقصد بها الدلالة عليه من المعاني.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص244.

والبيان والتاريخ والسير [1] وقد شهد العهد الموحدي حركة أدبية واسعة ظهرت قوية، متفوقة، ساعد على قوتها وازدهارها تشجيع الخلفاء الموحدين وولاتها للأدباء والشعراء، و اجز الهم العطاء لهم[2].

وهذا ابن تومرت الذي اهتم باللغة العربية ودرسها في المشرق دراسة جيدة [3] جعل للغة أهمية كبرى، لا باعتبار أنها لغة التعليم فحسب بل لثبوت الشريعة الإسلامية في وجوبها لإتقان القرآن" [4] وهو ما جعل ابن تومرت يجد صعوبات كبيرة مع البربر في البداية [5] وكذلك انتشرت اللغة العربية بدولة الموحدين باعتبارها لغة البلاد الرسمية في المكاتبات والمعاملات وشئون الدولة وكان لمجيء العلماء إلى المدن دور كبير في انتشار اللغة العربية وازدهارها، وكان أيضا لقدوم القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه القبائل البدوية باللسان العربي [6] وكون اللغة العربية أنها لغة القرآن والشريعة والإسلام[7].

أما مازاد من اهتمام علماء العهد الموحدي في المغرب الأوسط باللغة، نشاط حركة البحث في العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة، إذ هي الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم[8].

أ- النثر الأدبي الفني[9]

النحو هو: هو استنباط قوانين ملكة الكلام وقواعد تسيرها ويلحقون الأشياء بها بالأشباه، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغير هذه الحركات، فاصطلحوا على تسميتها إعرابا، فصارت كلها اصطلاحات خاصة بالعرب فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص237-238.

الأدب: هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص248.

1) عبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص126.

2) محمد طمار: تلمسان، ص75.

3) بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص148

4) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص60.

5) عبد المجيد النجار: المهدي، ص169-170.

6) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص274.

7) شقرون محمد: مظاهر الثقافة المغربية، ص205.

8) نفس المرجع والصفحة.

9) **النثر هو** كلام غير موزون وفيه سجع والمرسل، ويقصد بالسجع هنا اتفاق آخر الحرف في القطعة النثرية، وهو يشبه القافية في الشعر ومنها المراسل الذي يطلق على الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص272.

لقد اهتم الخلفاء الموحدون بالعلوم الأدبية ومنهم الخليفة يعقوب المنصور(ت 595هـ/1198م) الذي كان أديبا فصيحا جزل اللفظ، يجمع حوله شعراء العصر من العدوتين ينصت إلى مدائحهم ويغمرهم بصلاته، وقد ظهرت ميوله الأدبية منذ شبابه المبكر، لأنه تربى تربية علمية وأدبية[1].

والعلوم النثرية كثيرة منها: علم النحو، حيث ظهر النحاة الذين كان لهم مقام كبير، وألفوا الكتب، التي ما تزال تنبئ عن رسوخ قدمهم في هذا العلم بعلو قدرهم، وقد كانت لها سوق رائجة بالمغرب الأوسط[2] فهذا اللغوي عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري(ت 561 هـ/1165م) الأديب البارع، صنف كتاباً هذّب فيه الاشتقاق الذي صنفه المبرد، وقد ذكر القفطي بأنه رآه بخط يده فأحسن فيه[3].

إضافة إلى عميد الكتابة في الأدب على عهد الموحدين بالمغرب الأوسط محمد بن محرز بن محمد الوهراني (ت 575هـ/1169م)[4] الملقب بركن الدين [5] "أحد ظرفاء العالم وأدبائهم" [6]، له في صناعة الإنشاء، كان بارعا في الهزل والسخرية، وعمل المنامات والرسائل المشهورة، وهي كثيرة الوجود بين أيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته، وكمال ظرفه [7] وصفه الذهبي بأنه"صاحب المزاح والدعابة والمنام الطويل، الذي جمع أنواعا من المجون والأدب" [8] وقال عنه ابن خلكان"لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته"[9].

كما أن الزاهد المتصوف أبا مدين شعيب (ت594هـ/1197م) ترك نماذج رائعة من نثره، رسالة كتب بها إلى الشيخ الصالح أبي محمد عبد العزيز جوابا عن رسالة بعث بها إليه[10].

والفقيه الأديب أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي (ت ق 7هـ/13م) من جزيرة شقر وسكن مرسية ثم تلمسان، وقد تعلم على يد أبي عبد الله بن يحي بن داود التادلي ولازمه

---

1) عبد الهادي حسيس: المرجع السابق، ص315-316.

2) حكيمة إملولي: لأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم"العهد الموحدي نموذجا"مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص39.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص225.

4) ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص385؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص350.

5) الذهبي: العبر، ج3، ص69-70؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص350.

6) الصفدي: المصدر السابق، ج 4، ص273.

7) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج4، ص385؛ وإسماعيل باشا البغدادي: المصدر السابق، ج 2، ص98.

8) أنظر: العبر، ج3، ص70.

9) أنظر: وفيات الأعيان، ج 4، ص385. ويقول عنه الصفدي أنه سلك فيه نفس مسلك أبي العلاء المعري في" رسالة الغفران"لكنه ألطف مقصدا وأعذب عبارة.أنظر: الوافي، ج4، ص273-274.

10) للمزيد انظر ابن قنفذ: انس الفقير، ص99.

في النحو والأدب، وانتفع كثيرا في الطريقة الأدبية بابي العباس بن علي بن مطرف، وأبي محمد بن باديس وكان ذا حظ من النظم والنثر، شديد العناية بتقييد الأشعار والرسائل[1].

بما أن الأدب أصبح خلال العهد الموحدي سوق نافقة، ظهر محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي، الجزائري، ويعرف بالأشيري، النحوي، أخذ العربية عن أبي موسى الجزولي [2]، حيث لقيه بالجزائر سنة580هـ/1184م[3]، ولقي بقابس أبا قاسم بن محكان آخر الرواة عن أبي عبد الله المازري، فسمع منه، وأقرأ ببلده العربية [4]، وحدث بالتيسير وروى [5]، ومات أول المحرم سنة643هـ/ 1245م[6].كما ألف ابن دحية (ت 633هـ/1235م)نزيل تلمسان وبجاية [7] كتاباً مهماً في النحو هو الصارم الهندي في الرد على الكندي، في مسألة من علم العربية[8].

ومثل النحو ازدهرت **اللغة والعروض والبيان،** فقد كانت لها مكانة مهمة، ومنهم خطاب بن أحمد بن عدي(ت ق 6هـ/12م)[9] ذكره الفقيه أبو الحاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي ببغداد، أن خطابا كان إماما فاضلا، وله شعر حسن ويد باسطة في اللغة [10]، إضافة إلى لغوي مخضرم عاش الفترة الحمادية والموحدية وهو أحمد بن عبد الجليل التدمري(ت بعد 555هـ/1160م) نشأ بالمرية ، وكان عالما بالعربية والأدب، واستأدبه سلطان مراكش لبنيه، وله حظ في قرض الشعر وسكن بجاية وقتا وألف بها كتاب" نظم القرطين، وضم أشعار السقطين"جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي، وله كتابالتوطئة في العربية، وله شرح على كتاب الفصيح ، وشرح أبيات الجمل سماه" شفاء الصدور" وآخر" اختصاره منه سماه" المختزل"، وله كتاب" الفوائد والفرائد"[11]

---

1) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الرابع، ص15-156؛وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

2) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص356-357.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص319.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص753-754.

5) ابن القاضي شهبة: المصدر السابق، ص237.

6) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص754.

7) الغبريني: المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

8) كان حضر ابن دحية والتاج الكندي عند الوزير ابن شكر فتناظرا، وأورد ابن دحية حديث الشفاعة، فلما وصل إلى قول الخليل عليه السلام" إنما كنت خليلا من وراء وراء" فتح ابن دحية الهمزتين فقال الكندي" وراء وراء بضم الهمزتين" فعسر ذلك على ابن دحية، فصنف في هذه المسألة كتابه الصارم، وبلغ ذلك الكندي فعمل مصنفا سماه"نتف اللحية من ابن دحية".مقدمة محقق كتاب: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ز؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص161.

9) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج2 ، ص341.

10)نفس المصدر والصفحة؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459.

11) ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج1، ص138؛ وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص139.

كما لمع في البلاط الموحدي محمد بن أحمد السلمي(كان حيا 557هـ/1162م) حيث كان مولعا بطريقة الكتابة، وله في الشعر بعض النفوذ، وقد كتب لولاة بلده، ولربما لولاة تلمسان كذلك[1].

ولا بد من ذكر مشاركة العديد من الفقهاء في اللغة والذين لهم أثر بارز فيها، باعتبارها أساس بقية العلوم وعلى رأسهم الفقيه عبد الحق الاشبيلي البجائي(ت 581 هـ/1185م) الذي ألف كتاباً في اللغة سماه الحاوي وهو في ثمانية عشر مجلدا[2] وكتاب الغريبين في اللغة يضاهي الغريبين للهروي، أثنى عنه جماعة من الشيوخ[3].

لقد أشارت مصادر التراجم إلى كثير من أعلام المغرب الأوسط الذين انتظم بعضهم في كُتاب الدولة الموحدية، منهم الأديب النحوي ابن محشوة -أو محشرة- و هو أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي الأديب الكاتب الذي نشأ في بجاية وهو أشيري الأصل [4] وأخذ عن أبي القاسم القالمي [5]. وعن أبي محمد عبد الحق بن الخراط، وكان بليغ الأدب بارع الكتابة رائق الخط [6] كتب ليوسف بن عبد المؤمن، ثم لأبيه يعقوب، ثم لحفيده الناصر[7] وفي مجموعة الرسائل الموحدية عدد من الرسائل مدبجة بقلمه[8] تشهد بتفوقه، وتفننه بأساليب البلاغة، فظهر في هذا المنصب بمقدرته، وروعة أسلوبه وبيانه، وتوفي رحمه الله سنة 598هـ/1201م[9].

كما برع الأديب المبرز الحسن بن حجاج الهواري (ت بفاس598هـ/1202م) أبو علي، كان كاتبا بليغا، من فقهاء المالكية، أصله من بجاية [10]، و يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي يكنى الحجاج (ت 604هـ/1207م) من أهل مالقة، ونزيل بجاية في عهد فقيهها عبد الحق الاشبيلي [11] وكان موفور الحظ من علم اللغة والأدب ذاكرا لهما متقدما فيهما، حيث ألف كتاباً كبيراً سماه"كتاب

---

1) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص274 ؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص459.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص 74.أما في الديباج المذهب اسمه الواعي في اللغة وهو نحو خمسة وعشرين سفرا.ابن فرحون: المصدر السابق، ص278؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1351.

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص648؛ وابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص98-102.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص260؛ وبغدادي غربي: المرجع السابق، ص145-148.

5) عبد الحميد حاجيات: تلمسان، ص37.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن ،ص260.

7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص207.

8) من الرسالة السادسة والعشرون إلى الرسالة الرابعة والثلاثون كلها بخط يده.مجموع رسائل موحدية، اعتنى بإصدارها، لفي بروفنسال، ص149-ص 228.

9) الغبريني: المصدر نفسه، ص85؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص260.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص33؛ وعبد الله عنان: المرجع السابق، ج 2، ص696؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص337؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص27-28.

11) ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق بروفنصال، ص217-218.

ألف باء للإلباء" جمع فيه أدبا كثيرا وتاريخا ومواعظا، وكل ما فيه منتقى حسن، وشعر كثير، جمعه في كتاب سماه"التكميل"[1].

إضافة إلى عالم جياني، هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشني(ت 604هـ/1207م) يكنى أبا ذر ويعرف بأبي رُكب أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر علم اللغة العربية والآداب، وسمع عن أبي مروان عبيد الله بن هشام الحضرمي بتلمسان، وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي ببجاية، وقرأ كتاب سيباويه وكان" رئيسا في صناعة العربية عالما بها قائما عليها، درّسها حياته كلها، كما أخذ بحظ من قرض الشعر وله تأليف في شرح غريب السير لابن اسحاق، وتأليف صغير في العروض ، وكان نحويا مقيدا[2]

ومن أدباء المغرب الأوسط الذين لهم باع طويل فيه مروان بن عمار البجائي الذي قال عنه ابن الأبار:"وكان من الأدباء النبهاء، مشاركا في أبواب من العلم"توفي سنة 610 هـ/1214م"[3].

ومع بداية القرن السابع الهجري فقد المغرب الأوسط فقيهاً وأديباً هو أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي (ت 611هـ/1214م) من أقطار بجاية، والناس ينسبون فيه الحسناوي [4] له كتاب الدرة الألفية في علم العربية[5].

ومساهمة الفقيه الأديب محمد بن عبد الحق اليفرني (ت 625هـ/1227-1228م)[6] التلمساني لكان راوية فقيها أديبا [7] له كتاب لباب الإعراب، وهو جزء كبير[8].

وظهر على عهد الموحدين محمد بن حماد الصنهاجي(ت 628هـ/ 1230م) الذي كان له حظ وافر كذلك في النثر على غرار الشعر، حيث يشهد له ابن عبد الملك المراكشي أنه"كان أديبا بارع النظم والنثر...متحققا بالنحو، متقدما في حفظ اللغات والآداب...ونثره حافل، وقد وقفت عليه، ومنه جزء سماه عجالة المودع وعلالة المشيع"[9] كما له شرح مقصورة ابن دريد[10].

أما الأديب يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، أبو الحسين، زين الدين(628هـ/1230م) غهو عالم واسع الشهرة في العربية والأدب، سكن دمشق زمنا، ورغبه الملك الكامل محمد في الانتقال إلى مصر، فسافر إليها ودرسها الأدب في الجامع العتيق بالقاهرة وترك عدة

---

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص737.

2) المصدر نفسه،ج2، ص385-386؛ وابن أبي زرع: الذخيرة، ص42-43..

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص384.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص135؛ ومفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 263.

5) التادلي: المصدر السابق، ص428؛ ورابح بونار هامش عنوان الدراية، ص205.

6) السملالي: المرجع السابق، ج4، ص184؛ والزركلي: الرجع السابق، ج6، ص186.

7) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص396.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص318.

9) أنظر: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ص324؛ والسملالي: المرجع السابق، ج4، ص187.

10) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

مؤلفات منها" المثلث في اللغة" و"العقود والقوانين في النحو" و" الفصول الخمسون في النحو" وديوان خطب، وديوان شعر، وأرجوزة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة، والبديع في صناعة الشعر [1]

منهم كذلك الأديب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري (ت629هـ/1231م)[2] و هو النحوي، الأستاذ اللغوي، كان بارع الخط، حسن الضبط [3]إضافة إلى بعض اللغويين الذين أظلهم المغرب الأوسط في العهد الموحدي، بظله وجعلهم يتركون آثارا باقية كالأديب أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي (ت629هـ/1231م) وهو من برشانة، استقضى بسبتة ثم تلمسان ومن المؤكد أنه قد درس بها كما يفعل في كل بلد يحل به، وكانت له عناية تامة بالأدب[4].

ولا ننس أديب زمانه اللغوي أبو الخطاب عمر [5] بن دحية[6] الكلبي (ت 633هـ/1235م) يقول عنه الغبريني"إنه كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف محفوظة من مستعمله"[7]، وهو من الحفاظ التقات، استوطن بجاية وترك تراثا كبيرا من المؤلفات والمصنفات والكثير من الكتب، منها"العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور"، و"شرح أسماء النبي(ص)"[8].

روي أن والي بجاية جهز قطعا بحرية بعث فيها بعض الغزاة إلى المغرب، فأخذ خديماً لأبي الخطاب في جملة هؤلاء الغزاة أثناء إقامته ببجاية، فكتب إلى الوالي رسالة مغلقة مقفلة-من كثرة ما استعمل فيها من الغريب من الألفاظ-فلم يفهم الوالي معناها حتى استحضر كتب اللغة، الصحاح وغيره [9]، وهذا كله يبين مدى ما وصلت إليه علوم اللغة في المغرب الأوسط من تطور وتوسع (**لاحظ بعض فقرات الرسالة في الملحق رقم 11**).

لقد شاركت أغلب حواضر المغرب الأوسط في الأدب ومنهم، عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، القسنطيني(ت بها سنة 636هـ/1238م) وصفه الغبريني الكاتب المحصل، الأديب البارع[1].

---

1) الزركلي: المرجع السابق،ج8، ص155؛ وإبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص128.

2) القفطي: المصدر السابق، ج2، ص140.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص225.

4) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص146؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 464-465؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

5) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص280-281 و في بعض النسخ الحسين.رابح بونار: هامش عنوان الدراية، ص228.

6) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.

7) أنظر: عنوان الدراية، ص228.

8) المقري: نفح الطيب، ج3، ص136-137؛ وابن العماد : المصدر السابق، ج7، ص281.

9) الغبريني: المصدر نفسه، ص229؛ وعبد كنون: المرجع السابق، ج1، ص127.

1) هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبي الوليد.الغبريني: المصدر السابق، ص271.

كما نذكر مساهمة محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش، الخزرجي (ت بعد 654هـ/ 1256م)[1] الاشبيلي الأصل، التلمساني المولد والمنشأ[2] له مساهمة رائعة في الجانب الأدبي والشعري منها تأليفه لكتاب نثري وفقهي هو"التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة"حيث أهدى هذا الكتاب للخليفة الموحدي الرشيد، الذي استطاع القضاء على ثورة ابن عمه يحي المعتصم ومعارضيه وأعلن الصفح والعفو عنهم سنة634هـ/1232م[3].

ومساهمة أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني أصلا[4] التلمساني دارا، كان من صدور الكتّاب، ورسالته إلى ابن عياش[5] تدل على علو طبقته في النثر[6].

كل ذلك يبين مواكبة علماء المغرب الأوسط في هذا العهد دراسة المؤلفات التي ألفت في العصور التي سبقتهم في هذا الجانب، ككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ/791م) وكتاب سيبويه(ت180هـ/796م)في النحو، وكتاب الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 229هـ /843م)، وكتاب آداب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ/ 889م)، وكتاب العقد الفريد لأبي عمر بن عبد ربه (ت 328هـ/939م)، وكتاب الجمل للزجاجي (ت340هـ/901م)، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت 377هـ/987م)، ومفصل الزمخشري (ت538هـ/1143م)[7].

ب- الشعر

من المعلوم أن الدولة الموحدية كانت أول دولة مغربية، حرصت على الشعر يقال فيها، والمدح يسجل مفاخرها، ولهذا وجدنا أول خلفائها، عبد المؤمن يستدعي إليه الشعراء، وقد حل بجبل الفتح، فيقول فيه هؤلاء ما قالوا، ويتولاه بالتعليق عليه استحسانا أو استهجانا أو استثارا[1].

---

1) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص333-335.

2) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص104.

3) ابن أبي العيش: المصدر السابق، ص18.

4) نسبة إلى مدينة برشانة، وهي حصن من حصون بسطة في ناحية جيان، وجيان هذه مملكة جليلة، بوسط الأندلس، معروفة بالمحارث والأحشاب، وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية.ابن سعيد: المغرب، ص49.

5) أحد كتاب الدولة الموحدية كتب ليعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ثم لابنه الناصر ثم لابنه المستنصر، توفي عام 611هـ/1213م . الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص468.

6) الرسالة تبدأ بـ"يا سيدي ولا يُنادى غيرُ الكرام، وعمادي ولا يُعتمد إلا على من يصرِفُ صُروف الأيام نداء من يمت بالجوارِ القديم، ويشفعُ بنسبِ الأدب الذي لا يرعاه إلا كريم، مع ولاء لو والى به الصباح ما غَرَبَ عن ناظره، وصفاء لو صافى به الدهرَ ما كدَّرَ من خاطره"ابن سعيد: المغرب، ج3، ص409.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص197؛ وعبد القادر بوباية: طرق التدريس، ص55.

1) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص98-102؛ محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحدي، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة11، العدد9– 10، غشت/ جمادى الأولى 1968،ص95.

كما أن الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي(ت 558هـ/1162م) وهو من المغرب الأوسط لم يكن رجلا سياسيا وحربيا فحسب بل كان أيضا أديبا له شعر رائق حسن [(1)] قاله يستنفر فيه عرب إفريقية إلى غزو الأندلس لما عزم على العبور إليها عام538هـ/ 1144م ومنه:

أقيمُوا إلى العلياءِ هُوْجَ الرَّواحِلِ وُقودُوا إلى الهيجاءِ جُرْدَ الصوَاهل

وقُوموا لنصرِ الدين قومةَ ثائرٍ وشُدُّوا على الأعداء شَدَّةَ صائل[(2)]

كما وهب عبد المؤمن أحد الشعراء ألف دينار على بيت واحد أنشده أياه

ما هزّ عطفيه بين البيض والأسُلِ مثلُ الخليفة عبد المؤمن بن علي[(3)]

و لم يشذ شعراء المغرب الأوسط عن هذه القاعدة، فنبغ الكثير، فمنهم الأمراء الشعراء، ومنهم الأدباء، ومن بينهم، علي بن عمر الكومي وكان هذا السيد من الأمراء الأدباء، الذين ازدانت بهم تلمسان في العهد الموحدي خصوصا في ميدان الشعر [(4)] والأمير السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله الكومي بن عبد المؤمن(ت 604هـ/1207م)[(5)] كان هذا الأمير منذ صغره مكبا على طلب العلم شغوفا بالأدب وهو من الأدباء البلغاء والشعراء المجيدين [(6)] وكان كعبة القصاد من أدباء البلاد، يأتونه عاقدي الآمال على إلطافه وبره، فيصدرون عنه، وكلهم ألسنة مدح وثناء عليه [(7)]، وكان فصيح اللسان، وكاتبا ماهرا، له ديوان شعر نشر مؤخرا[(8)] وله أيضا مختصر الأغاني[(9)].

ومن الشعراء الذين حذقوا في الشعر عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت 561هـ/ 1165م)[(1)] له شرح في قصيدة الحصري ابن عساكر[(1)] وقال: سمع مني وكتب عني كتاباً ألفته لأجله

---

1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص203.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص158؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص372.

3) هو الفقيه الشاعر أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي.العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ج 1، ص128- 129؛ وبن خلكان: المصدر السابق،ج 3، ص239.

4) المقري: نفح الطيب، ج3، ص108-109؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص462-463.

5) ذكر أولاد عبد المؤمن ستة عشر ذكرا وأشار أن محمدا هو أكبر ولده، لا عبد الله .عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص 140، ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص131. وذكر صاحب الحلل الموشية أن عدد أبنائه الذكور نحو سبعين. مجهول، ص142.

6)ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص6؛ والود الود: البنية الإيقاعية في شعر الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص15.

7) ديوان الأمير أبو الربيع: المصدر السابق، ص12؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص168.

8) ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص 131-134 .اعتمدنا على هذا الديوان خلال البحث. وقد جمع ديوان شعره كاتبه محمد بن عبد ربه المالقي.عبد الله كنون : المرجع السابق، ج1، ص168.

9) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص168.

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص568؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16-17.وقد ترجم له العديد من المؤلفين منهم الذهبي في كتابه العبر، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وتاريخ ابن عساكر وغيرهم.

في من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة، وعلقت عنه شيئا من أخبار أبي الوليد الباجي، وكان أديبا له شعر جيد[2].

منهم كذلك أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، المعروف بابن قُرقُول(ت564هـ/1168م) من قرية حمزة من عمل بجاية[3] الذي حمل عن أبي إسحاق الخفاجي ديوانه الشعري، وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا[4].

والأديب الشاعر الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة(كان حيا سنة 585هـ/1189م)[5]، وكان متقدما في علم العربية والأدب، وتواشيحه في نهاية الحسن، وبها يضرب المثل، وقد جمع شعره في ديوان، رغم أنه لم يعثر عليه حيث يقول الغبيريني عنه"وقد قرأت بعض قطع مستحسنة من شعره وأنا أذكرها"[6] وقد امتدح بني غانية عند احتلال بجاية فتعرض للسجن من بني عبد المؤمن، وكانت له رحمة الله ابنة تسمى عائشة، كانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة وشاعرة مهمة[7].

ولأبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م) شعرا صوفيا رائعا، وله قصائد ومقطوعات كثيرة، وقد ذكر له المقري هذه القصيدة التي نسبت إليه ومنها قوله فيها:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا   مزمارنا التسبيح والأذكار
وشرابنا من لطفه وغناؤنا   نعم الحبيب الواحد القهار[8]

أما الذي يستحق لقب شاعر المغرب الأوسط فهو حسن بن علي بن عمر ابن الفكون هو أبو علي[9] القسنطيني، الشهير بابن الفكون(كان حيا سنة 602هـ/1205م)[1]، قال عنه المقري أنه أحد أشياخ العبدري[2]، شاعر المغرب الأوسط في وقته، كاتب وأديب بارع، من أهل قسنطينة، رحل إلى

---

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص56؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج 6، ص330؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص148.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص568.

3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص520؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص203-204.

4)ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص62.

5) عادل نويهض: المرجع السابق، ص241.

6) الغبريني: المصدر السابق، ص76-77.

7) نفسه، ص78-79.

8) المقري: نفح الطيب، ج7، ص143.

9) الغبريني: المصدر السابق، ص280؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص152.

1)عادل نويهض: المرجع السابق، ص 203-204؛ وأما العبدري في رحلته يقول: أنه سال عن تاريخ وفاة ابن الفكون، فلم يجده .أنظر: الرحلة المغربية، ص30-35.

2) وفهم المقري هنا إذ أن العبدري لما حل بمدينة قسنطينة سأل من لقيه"وهو الحسن بن بلقاسم ابن باديس" عن الأديب أبي علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني، فذكر ابن بلقاسم أنه أدرك الفكون طفل صغير، ولكنه لايحفظ عام ولادته أو وفاته.نفح الطيب، ج 2،

مراكش، ومدح خليفة بني عبد المؤمن الناصر [1] وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش، وقد وافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي[2]، ومن نظمه الشعرية قصيدة في بعض سادات بني عبد المؤمن، وهو يصف جمال قصر الرفيع في بجاية[3].

وقال عنه ابن قنفذ أنه امتدح الناصر يوم وصوله إلى قسنطينة سنة 602هـ/1205م، بقصيدة عظيمة، وله في ولاة بني عبد المؤمن ببجاية مدائح [4] وقال عنه الحفناوي"من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم وتروق أشعارهم، عزيز النظم والنثر وكأنهما أنوار الزهر[5].

كما ضمن رحلته هذه بذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش في قصيدة رائعة جاء فيها[6]:

فلما جئتُ مَيْلة خير دار	أمالتْني بكلّ رشا أبيّ
وَجئْتُ بِجَايَةً فَجَلَتْ بُدُورًا	يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّاوِيِّ
وفي أرضِ الجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي	بِمَعْسُولِ المَرَاشِفِ كَوْثَرِيَّ
وفي مَلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقاً	بلينِ العَطْفِ والقلْبِ القسِيِّ
وفي تَنَسٍ نَسِيتُ جَمِيلَ صَبْرِي	وهِمْتُ بكُلّ ذِي وَجْهٍ وَضِيِّ
وفي مَازُونَةٍ ، مازِلْتُ صَبًّا	بِوَسْنَانِ المَحاجرِ لوذعيِّ
وفي وَهْرَانَ قدْ أَمْسَيْتُ رَهْنًا	لِظَامِي الخصْرِ ذِي رِدْفٍ رَوِيِّ
وَأَبْدَتْ لي تِلمْسَانُ قُدُودًا	جَلَبْنَ الشَّوْقَ لِلقَلبِ الخَلِيِّ

كما أن القراءة المتأنية للتراجم تين لنا اشتراك العديد من الشخصيات في مختلف العلوم وعلى رأسها الشعر الذي يعتبر موهبة واستراحة خاطر قد يمارسها أي شخص ومنهم عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي (ت 627هـ/1229م)، نزيل تلمسان [1] قال فيه المقري: صاحب القلم

ص483.كما أخطأ ابن القاضي المراكشي عندما قال أخذ عنه العبدري، وربما قام ابن القاضي بالنقل عن المقري.درة الحجال، ج 1، ص236.

1) الغبريني: المصدر نفسه، ص280؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص203-204.

2)عمار هلال: المرجع السابق، ص152.

3) الغبريني: المصدر السابق، ص281؛ ومبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص337.

4) ابن القاضي: درة الحجال، ج1، ص236؛ المقري: نفح الطيب، ج2، ص483؛ والحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص124

5) الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص128.

6) العبدري: المصدر السابق، ص30-35.

1) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص585؛ ابن الأبار: وتحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 3، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص185.

الأعلى، والقدح المعلى، أبرع من ألف وصنف...فقد طاع القلم لبنانه، والنظم والنثر لبيانه...أما الأدب فلا يُسبق فيه مضماره، ولا يشق غباره، إن شاءَ إنشاءً أنشى ووشىًّ...أعجز بتلك المعجزات نظمًا ونثرًا، وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجلا سِحرًا، ورفع للقوافي راية استظهارٍ تخير فيها الأظهر...[1] وقد ترك هذا الأديب آثارا أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، وقد أُحصيت فبلغت173عملا بين قصيدة ومقطوعة، أما الرسائل فقد أحصيت منها 26 رسالة، ومن هذه المؤلفات"ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي(ص) والقصائد العشريات، وقصائد الشوق والغرام، والرسائل الاخوانية[2].

والأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي(ت 628هــ/1230م)، له في الأدب والشعر منها"شرح مقصورة ابن دريد"و"ديوان شعر"وشرح لقصيدة عمر بن أبي ربيعة: أمن آل نعم وكتاب عجالة المودع وعلالة المشيع في الأدب والشعر[3].

إضافة لأبي الخطاب ابن دحية (ت 633هــ/1235م) نزيل تلمسان وبجاية[4] ديوان شعر، جمع فيه ترجمة لشعراء المغرب بعنوان المطرب من اشعر أهل المغرب[5].

ومحمد بن عبد الله حافي رأسه (ت 680 هــ/1281م)[6]كان من أئمة عصره في العربية، إذ هو أحد النحاة الثلاثة المحمّدين في عصر واحد هو في الإسكندرية، وابن النحاس في مصر، وابن مالك في دمشق[1]، وله شعر جيد منه:

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري

يجر ذيول الكبر طالب رفعة ألا فأعجبوا من طلب الرفع بالجرّ [2]

---

1) المقري: نفح الطيب، ج4، ص468.

2) أبو زيد الفزازي: المصدر السابق، ص16-18؛ والزركلي: المرجع السابق، ج3، ص342.

3) ابن عبد الملك: المصدر سابق، السفر الثامن، ص 324؛ والسملالي: المرجع السابق، ج 4، ص187؛ والصمدي: المرجع السابق، ص220؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

5) المقري: نفح الطيب، ج2، ص104؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281؛ وابن دحية: المصدر السابق، ص33.

6) لقب بالحافي رأسه لأنه أقام مدة مكشوف الرأس، وقيل لحفرة كانت في رأسه، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثيابا جددا لبدنه، فقال هذا لبدني ورأسي حاف.ابن شاكر: المصدر السابق، ج2، ص257؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص119 و هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، الملقب بجمال الدين التلمساني.ابن شاكر: المصدر نفسه، ج 2، ص256.الشهير بحافي رأسه الزناتي أصلا، ولد بتلمسان عام 606هـــ/1209م، وقيل بتاهرت .عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 119.ودرس على يد علماء العهد الموحدي كمحمد بن مناداس، وعبد الرحمن بن الزيات، ثم ارتحل إلى المشرق، فتزل مصر واستقر بالإسكندرية، وتصدر لإقراء اللغة العربية، فتخرج عليه طلبة كثيرون، منهم تاج الدين الفاكهاني، وكانت وفاته عام 680هـــ/1281م.ابن شاكر: المصدر نفسه، ج3، ص410 .

1) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص290.

2) ابن شاكر: المصدر نفسه، ص455 .

أما بالنسبة للرثاء لم يكن من طبيعة شعرائنا، حيث لم نجده في هذه الفترة، وحتى بعدها بنحو قرنين من الزمان، إلا في أولائك الشعراء الذين اتصلوا بالأندلس فقلدوها[1].

إلى جانب ذلك لم تهمل الدولة الموحدية، الاعتناء الكبير باللغة البربرية، وعدم نسيانها لها [2]، حيث يقول ابن خلدون عن ابن تومرت"فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة، وبنى رابطة للعباد اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"[3].

وحتى بعد استقامة أمر الدولة ونجاح مطالبها، فقد بلغ من محافظتها عليها، وتكريمها لأهلها، أن حظرت الوظائف الدينية على من لا يحسن التعبير بها، بل عزلت الخطباء "فكان لا يؤم ولا يخطب إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري"[4] ثم ولت مكانتهم من يتقنهم، وينطق اللغتين معا[5].

هذا وغيره يفيدنا بالخبر اليقين عن عناية الموحدين بالأدب، ويدلك على نشاط الحركة الأدبية، ونفاق سوقها في هذا العهد الزاهر [6].

6 – التاريخ والسير

لم يكونا أقل حظا، و لا أبخس نصيبا من غيرهما من الآداب في الرواج والانتشار، ففي العهد الموحدي وضع أول تاريخ [1] نعرفه عن المغرب، حاملا هكذا اسم المغرب، الأمر الذي سيصبح تقليدا

---

1) محمد بن تاويت: المرجع السابق، ص94.

2) مجموع رسائل موحدية، جمع لفي بروفنسال، ص 131.يقول ابن أبي زرع عن ابن تومرت:"وعلمهم التوحيد باللسان البربري، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور، وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن، وإنما هو كافر... فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز...".أنظر: الأنيس، ص177.

3) أنظر: العبر، ج6، ص303.

4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص62، ص71.

5) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص114.

6) عبد الله كنون: المرجع نفسه،ج1، ص112.

متبعا في الكتب التي توضع بعده، وهذا التاريخ هو كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)، وإن كانت كتب أخرى في التاريخ والتراجم قد وضعت قبله، مثل تاريخ سبتة للقاضي عياض، إلا أنه ليس كتابا جامعا لتاريخ المغرب بصفته بلادا ذات وحدة وكيان[2].

أما ما يسجل لعلماء المغرب الأوسط، وبغاية من الإعجاب، هو هذا النوع من التآليف في السيرة النبوية، والذي يعد حدثا بديعا فيها.

وقد تألق في هذا العهد العديد من المؤرخين، وكتاب السير من المغرب الأوسط منهم البيذق أبو بكر الصنهاجي(ت بعد550هـ/1165م)[3] الذي أدرك الدولتين المرابطية و الموحدية و رافق محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق وألف كتاب ا وصف فيه الرحلة، و ضمنه بعض أخبار المهدي بن تومرت و عبد المؤمن، توفي حوالي سنة555ه/1160م[4] وكتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب[5].

يضاف إليه المؤرخ حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني (ت بعد 569هـ/1174م)[6] حيث كان ابن الأشيري يغلب عليه الأدب والتاريخ، كما كان ناظما ناثرا، ومن تآليفه كتاب مختصر في تاريخ الموحدين سماه"نظم اللآلي في فتوح الأمر العلي"معدود ضمن الكتب الضائعة وهو الأصل الذي استقى منه صاحب كتاب"الحلل الموشية"[1] وله مقطوعة يذكر فيها ما شاهده يوما من مجيء الشبل إلى مجلس الخليفة عبد المؤمن والنوم عند رجليه، ويصف طائرا يتكلم عليه:

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد   ورأى شبه أبيه فقصد

---

1) **التاريخ لغة:** هو الإعلام بالوقت. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ،تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص19-17.أما اصطلاحا هو الوقوف على أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم الفائدة.ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص13.

2) عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص112.

3) البيذق سمي بذلك إما لقصر قامته أو لتواضعه.ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص61.

قال عبد الحميد حاجيات: أنه لا نستبعد انتساب البيذق إلى صنهاجة المغرب الأوسط أو إفريقية، فكما أن ابن تومرت حضي بصداقة عبد المؤمن بن علي الكومي، وعبد الواحد الشرقي، والبشير الونشريسي، وكلهم من المغرب الأوسط أو إفريقية، فكذلك يحتمل أن يكون البيذق من صنهاجة أحد هذين القطرين.البيذق: أخبار المهدي، مقدمة المحقق، ص8.

4) المصدر نفسه، ص10.

5) تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

6) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن بن الأشيري، ولد بتلمسان، وبها نشأ وأخذ العلم عن ابن الحراز، ثم دخل الأندلس وتتلمذ لأبي الحجاج بن يسعون بمدينة المرية. ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص25-26؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص16؛ والحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص461.

1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 185-186.كما نقل عنه ابن عذارى في ذكر معركة تلمسان.البيذق: أخبار المهدي، هامش، ص85؛ والصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص203؛ محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع داود بريكسي حي الكيفان، ط1، تلمسان، 2001، ص136.

ودعا الطائر بالنصر لكم فقضى حقكم لما وفد [1]

كما كان للفقيه الاباضي أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني(ت 570هــ/1174م)[2] اهتمام كبير بالتاريخ ونقل الأخبار والسنن والآثار [3] ونُسب إليه كتاب خصه لأشهر مناطق التجمعات الإباضية بعنوان"التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ" [4] وفتوح المغرب[5].

ومن بين مؤلفي السير الاباضية أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني من علماء الطبقة الثانية عشر(550-600هــ/1155-1203م)[6] ينحدر من قبيلة وسيان الزناتية، قضى شبابه في وادي ريغ[7] ألف كتاب سير المشايخ[8].

منهم كذلك الفقيه يحي بن إبراهيم بن سليمان الورجلاني، أبو سهل(ت ق 6هــ/12م) أستاذ الدرجيني وشيخه كتاب مهم في السير يعرف بــ"العقيدة في علم التوحيد والعلم والسير"[9].

والفقيه جابر بن أحمد القريشي التلمساني(كان حيا سنة578هــ/1182م)[10] الذي أنشأ

فهرسة سميت بمعجم شيوخ ابن خير[1] و يصفه المقري بالتاريخي دون ذكر لبعض كتبه[2].

إضافة إلى الفقيه المتعدد المواهب عبد الحق الاشبيلي البجائي(ت 581 هــ/1185م) الذي ألف في السيرة من خلال كتابه"معجزات الرسول(ص)"في سفر واحد لكنه قيم جدا [3] وله"كتاب الأنيس في

---

1) البيذق: المصدر السابق، ص85-86؛ ومجهول: الحلل الموشية، ص150.

2) صنفه أبو العباس الدرجيني من علماء الطبقة الثانية عشر(550–600 هــ/ 1155-1203م).المصدر السابق، ج2، ص312-317.

3)الشماخي: السير، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1992، ج2، ص105.

4) ذكره تاديوس الكتابان على أنهما أحد مؤلفات أبي يعقوب، إلا أنه يصرح بعدم معرفته له، وإنما أخبره به جوزيف شاخت عندما كان في ميزاب عام(1952-1953م)، ويشك في نسبته له، من دون أن يعطي أدلة أو يدلي ببعض التفاصيل. تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص79.

5)عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341.

6) الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص335-336.

7) آسيا ساحلي: المرجع السابق، ص67.

8) حققه إسماعيل العربي تحقيق رديء، صادر عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، وأعاد تحقيقه عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، في رسالة دكتوراه عن جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2005- 2006.

9) وقد حققه المستشرق بيير كوبرلي تحقيقا مخلا وألحقه بأطروحته للدكتوراه باللغة الفرنسية. إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص154.

10) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص7.

1) عبد الله المرابط الترغي: المرجع السابق، جدول ص117، ص132.

2) المقري: نفح الطيب، ج4، ص468.

3) الصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

الأمثال والمواعظ والحِكَم والآداب من كلام النبي والصالحين"[1] وهو كتاب في السيرة، وكتاب"اختصار الرشاطي في الأنساب من القبائل والبلاد"وهو في سفرين[2].

كما نجد في بعض الحالات فقهاء ينحون نحو التاريخ من خلال تخليد حدث ما أثر فيهم فيكتبون تلك الحادثة كما هو الحال مع الفقيه أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت 582هـ/ 1186م)نزيل بجاية قال عن ابن عبد الملك"كان ذاكرا للتواريخ والقصص ممتع المجالسة، متين الأدب"[3] له كتاب سماه" مقالع الصلبان ومرتاع رياض أهل الإيمان" [4] حدثنا عنه أبو القاسم بن حوط الله [5] وله كتب في السيرة منها "قصد السبيل في معرفة آيات الرسول(ص)"و"مقام المدارك في إفحام المشرك" [6] ونفس الشيء حدث مع الفقيه التلمساني، محمد بن عبد الحق اليفرني (ت625هـ/1227-1228م) التلمساني[7] الذي ألف كتاب"فصل المقال في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضلال إلى طليطلة"في جزء واحد[8].

ومن مؤرخي المغرب الأوسط في العهد الموحدي محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله نزيل تلمسان(ت610هـ/1214م)[1] قال عنه ابن القاضي أنه اعتنى بالتاريخ [2]، وألف كتباً في مناقب وسير حفيدي رسول الله (ص) وسماه"مناقب السبطين الحسن والحسين"[3].

أما أهم مؤرخي المغرب الأوسط وهو أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/ 1230م)[4] ترك ميراثاً غزيراً جدًا في ميدان التاريخ [5] استفاد منه كل المؤرخون الذين جاءوا من بعده

---

1) حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23.

2) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج 2، ص648؛ وابن شاكر: المصدر السابق، ج 2، ص257؛ واليافعي: المصدر السابق، ص320.وذكر محمد حجي أن عنوانه مختصر اقتباس الأنوار – للرشاطي–يوجد بالقرويين، قيل عنه أنه أفيد من أصله. حجي محمد وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص23.

3) أنظر: الذيل والتكملة، السفر الأول، ص239.

4) ذكره ابن عبد الملك المراكشي بعنوان مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان، وذكر بأنه نكب ووقع في الأسر سنة 540هـ/ 1145م، وحمل إلى طليطلة وبها ألف هذا الكتاب للرد عل الروم وبعض القسيسين بطليطلة. الذيل والتكملة، السفر الأول، ص240.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)،ج1، ص105؛ والصمدي: المرجع السابق، ج1، ص207.

6) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، ج1، ص240؛ والصمدي: المرجع نفسه، ج1، ص207.

7) السملالي: المرجع سابق، ج4، ص184؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، 186.

8) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص 319.ربما كان هذا الكتاب يتعلق بغزوة المنصور اشبيلية و طليطلة سنة 592 هـ/1165 م وهي السنة المعروفة بسنة طليطلة.ابن عذارى: المصدر السابق، ص221-223.

1) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص193-194؛ والزركلي: المرجع السابق، ج6، ص191.

2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص277.

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص304؛ وابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر السادس، ص357.

4) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص323؛ والسملالي: المرجع السابق،ج4، ص187.

5) الغبريني:المصدر السابق، ص192؛ وابن قنفذ: المصدر السابق، ص311؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص197.

وعلى رأسهم ابن خلدون، وأهم مؤلفاته"الديباجة في أخبار صنهاجة إفريقية وبجاية" [1] ونشر منه المستشرق ليفي بروفنصال نبذة في كتاب أخبار البربر المنشور بالرباط(1933)[2] وكتاب"أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"[3] و"تلخيص تاريخ الطبري"[4]و"برنامج"ذكر فيه شيوخه ومقروآته من الكتب[5].

إضافة إلى المساهمة المهمة لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية (ت633هـ/ 1235م) نزيل تلمسان وبجاية [6] بكتبه التاريخية منها"النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس"و"تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم"و"أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين" [7] و لأبي الخطاب بن دحية السبتي أيضا كتاب"التنوير في مولد السراج المنير"ألفه للملك المعظم أبي سعيد التركماني، صاحب إيربل لما قدم عليه ووجده يحتفل بالمولد النبوي الشريف، فوضع له الكتاب المذكور، وقرأه عليه أثناء الاحتفال، فأعطاه ألف دينار، جائزة عليه، وأخذه عنه فسمعه منه الناس بعد ذلك، وممن سمعه منه المؤرخ ابن خلكان كما يذكر [1] و كتاب"سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب"، وكتاب"المستوفى من أسماء المصطفى"[2] وكتاب"نهاية السول في خصائص الرسول(ε)"[3] وكتاب البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البراءات[4].

كما أن الفقيه عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة بن عمر اللخمي(ت602هـ/1205م) من أهل مرسية وسكن تلمسان وأصله من أندة يعرف بابن الدبّاغ،

---

1) وهذا الكتاب غير النبذ المحتاجة، في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية.ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص324.وينسب صاحب مفاخر البربر كتاب النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة لمؤلفه أبي الحسن بن حمادوه الايلاني: المصدر السابق، ص65، ص171. واعتمد عليه ابن خلدون كثيرا في كثيرا في تدوين تاريخ هذه القبيلة وانتفع به كثيرا المستشرق لفي بروفنسال في كتابه"نبذة تاريخية في أخبار البربر المطبوع برباط الفتح 1352هـ/1933 م.عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص39.

2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص91.

3) ألفه في حدود 617 هـ/1220 م وقد نشره فون در هايدن M.Von der Heyden مع ترجمة فرنسية في باريس 1927 ضمن منشورات كلية الآداب بالجزائر (السلسلة الثالثة، النصوص المتعلقة بتاريخ شمال افريقية).كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمه السيد يعقوب بكر، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1959، ج6، ص31.

4) عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص290.حيث أنجز دراسة بعنوان أثر الطبري على المؤرخين المغاربة دراسة تطبيقية مقارنة مع ابن عذارى المراكشي.

5) الزركلي: المرجع السابق، ج 6، ص280؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1957، ج3، ص508؛ وعادل نويهض: المرجع نفسه، ص197.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص228؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1420.

7) المقري: نفح الطيب، ج2، ص104؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.

1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص449-450؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص281.

2)ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص218-219؛ وعبد الله كنون: المرجع السابق، ج1، ص160.

3) حسن السائح: المرجع السابق، ص104.

4)ابن عبد الملك المراكشي: المصدر نفسه، السفر الثامن، ص219.

ويكنى أبا الأصبغ، أجاز لأبي عبد الله بن الحسن القرطبي سنة 598هـ/1201م في التاريخ[1] مما يبين اختصاصه رغم عدم عثورنا على كتبه أو منجزاته.

ومن المساهمين في التاريخ محمد بن إبراهيم الغساني (ت 663هـ/1264م)[2] كان ذا حظ حسن، وواسع الاضطلاع في التاريخ، عالما بالأنساب[3].

وكل هؤلاء المؤرخون يعكسون الصورة الصادقة لإعجاب يوسف أشباخ بعلم التاريخ وانتشار تدوينه في عهد الدولة الموحدية[4].

ثانيا : العلوم العقلية

لم يعتن المغرب الأوسط في عهد الموحدين بالعلوم الإسلامية فقط بل والعقلية [1] و الفلسفية تفسيرا و حديثا، بين الناس، فحافظوا على جوهر الدين بنشر أصوله العقلية و النقلية وتركوا للعقول حريتها تجري طلقة العنان في ميادين البحث والاستنتاج[1].

---

1) عبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص167.

2) هو محمد بن إبراهيم الغساني، أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي، وابن عبد الحق وغيرهما، وبسبتة عن أبي العباس أحمد العزفي، وباشبيلية عن أبي بكر بن طلحة، وأبي علي الشلوبين واستوطن أسفي من بلاد المغرب الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص332.

3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص103 .

4) أنظر: تاريخ الأندلس، ج2، ص262، ص263.

1) هي العلوم التي تتطلب جهدا فكريا نظريا لاعتمادها على العقل واهتمامه بالبحث والنقاش والاختراع والاستكشاف.شقرون محمد: المرجع السابق، ص191.

فعرفت العلوم العقلية نهضة شاملة في عهد الموحدين، حيث كانت الدولة تعج بعدد من الأطباء والصيادلة، والفلاسفة والمهندسين، ووجد هؤلاء في الخلفاء الموحدين الذين رعوهم ميدانا رحبا لمزاولة نشاطهم، فأبدع كثير منهم، بل إن عددا من أعلام الفكر الإسلامي كان من هؤلاء العلماء[2].

بذلك انتشرت العلوم العقلية في المغرب والأندلس، انتشارا لم تبلغه من قبل في أي عصر آخر، حتى كان عصرها الذهبي، ولقد كانت العلوم الطبيعية والأنظار الفلسفية مرغوبا عنها بالمغرب خصوصا أيام المرابطين الذين حكموا الفقهاء في دولتهم فأرهقوا المفكرين خشية منهم على تعاليم الإسلام، ولما جاء الموحدون، وكان خلفاؤهم مشاركين في كل العلوم أحسنوا تمييز ما ينافي الدين منها مما لا ينافيه [3]

ويقول ابن خلدون في العلوم العقلية"و أما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل بوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم و يستوون في مداركها و مباحثها" [4]
و منها:

1 - الجغرافيا والفلك

كان المهدي محمد بن تومرت من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي و اصطفاه من بين التلاميذ ليكون خليفته " فنزل ابن تومرت -و هو آت من الشرق - بضيعة يقال لها ملالة(قرب مدينة بجاية بالمغرب الأوسط) [5] و بها لقيه عبد المؤمن بن علي [1] و هو إذ ذاك متوجه إلى المشرق في طلب العلم، فلما رآه محمد بن تومرت عرفه بالعلامات التي كانت عنده و كان ابن تومرت هذا أوجه عصره في علم خط الرمل"[2].

لقد اشتغل الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) حفيد عبد المؤمن بالتنجيم و وضع أبراجا فلكية عن كسوف الشمس و أمر بإقامة برج عال بجامع اشبيلية الأعظم للأذان و لرصد النجوم أيضا فكان أول مرصد أقيم في أوربا[3] لعلم الفلك[4].

---

1) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق،ج 2، ص335.
2) شفيق محمد: المرجع السابق ، ص 42.
3) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج 2، ص335.
4) ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص71.
5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص173.
1) ابن القطان: المصدر السابق، ص176.
2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127
3) عبد الله على علام: المرجع السابق، ص355.
4) علم الفلك هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص187.

أما المصنفات الجغرافية في هذه الفترة، فهي قليلة، ولا بأس أن نشير إلى الرحالتين العالميين، اللذين كانا في هاته الفترة وهم جزء من الوحدة التي عاشها المغرب والأندلس في الفترة الموحدية وهما: الشريف الإدريسي(ت560هــ /1164م)، وابن جبير(ت 614 هــ/1217م).

وكان المغرب الأوسط همزة وصل بين الأندلس و المشرق،كما كان المغاربة في مقدمة الشعوب المحبة للرحلات و الإطلاع إلى أحوال الأمم، وكان للدين الإسلامي الفضل الأكبر في غرس الرحلة في نفوسهم بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وطلب العلم و التجارة [1] ثم إلى الشام لزيارة الأماكن المقدسة.

كما قام يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني (ت 570هــ/1174م) برحلة مهمة نحو المشرق، ذكرها في قصيدته الحجازية، وهي قصيدة مؤلفة من 360بيتا تحتوي على وصف دقيق لرحلته من وارجلان إلى مكة، وطريق عودته[2].

مرهم كذلك رحالة المغرب الأوسط ابن فكون القسنطيني (كان حيا سنة 602هــ/1205م) و هو أبو علي حسن بن علي رحل إلى مراكش و مدح الخليفة الموحدي [3] و كتب حول سفره من قسنطينة إلى مراكش قصيدة رائعة، ذكرنا بعضها فيما سبق.

وللفلك في تاريخ العلوم في الإسلام مكانة متميزة وإضافات جيدة، وتقدم واضح في هذا العلم، لأسباب دينية في معرفة الأوقات واتجاه القبلة، وأسباب أخر ى حيث نجد في مدارس تلمسان عدة كتب في هذا العلم منها ما هو تأليف، ومنها ما هو شرح لمتون فلكية، كرسالة في الإسطرلاب لابن الصفّار أحمد بن عبد الله بن عمر الغافقي، أبو القاسم(ت 426هــ/1034م)[1].

2 - الطب والصيدلة

1) عواطف محمد يوسف : الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7ه و 8 ه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص77.

2) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص80؛ وعبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341.

3) خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية و حضارية، 632 هـ-681 ه/1235م-1282م، دار الريان للطباعة و النشر،بيروت، لبنان، 2005، ص31.

1) عمار طالبي: المرجع السابق، ص59.

الطب[1] من العلوم المهمة لأي دولة تهتم بصحة مواطنيها، والدولة الموحدية اهتمت بإنشاء المارستانات[2] التي أنشئت لعلاج المرضى والمصابين [3] ويشجعون الطب والأطباء بل يرفعونهم في بعض الأحيان إلى مرتبة الوزراء[4]كما كان للموحدين مختبر يعرف بخزانة الأشربة والمعاجين منذ أيام يوسف بن عبد المؤمن، وتولى إدارة هذه الخزانة أسرة أبي يحي بن القاسم الاشبيلي بالتعاقب[5].

كان للطب مجالس دراسة منظمة، كتلك التي كان يعقدها ابن زهر(ت 596هـ/ 1199م) [6] وكان يقصدها الطلبة من كل جهة، ويفتخرون بتلقي قواعد الطب فيها [7] وبذلك بدأت النهضة الطبية في عهد عبد المؤمن بفضل طبيبه الخاص هذا، أبو بكر بن زهر الذي يعتبر أعظم أطباء العصور الوسطى، و من أشهر كتب الطب،كتاب "القانون"لابن سينا الذي كان أكبر عمدة للطب في العالم الإسلامي و العالم الأوربي وكتابه الأخر"الرجز الطبي"[8].

وقد اهتم الخليفة الموحدي المنصور بالطب فكان يعتني بصحة الرعية اعتناءه بصحته، بنى بمدينة مراكش بيمارستان(مستشفى)"ما أظن أن في الدنيا مثله" [1]، حيث أجرى فيه مياها كثيرة، وغرس فيه أشجارا وزخرفة، وأمر كل يوم بثلاثين دينارا للأدوية..[2] كان أمينه و طبيبه أبو إسحاق إبراهيم الداني من بجاية[3] و من بجاية استقدم الموحدون أبا إسحاق هذا لإدارة مارستان مراكش[4].

---

1) هو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من أدوية.ابن خلدون : المقدمة، ج3، ص100.

2) **المارستان أو البيمارستان:** بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين(بيمار) وتعني مريض أو عليل(وستان) وتعني دار، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. أحمد عيسى بك: البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1981، ص51.

3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204.

4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص252.

5) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص409.

6) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي ولد سنة 507هـ/1113م وتوفي سنة595هـ/1198م، أخذ صناعة الطب عن أبيه، لقبه ابن العماد، بجالينوس زمانه، كما له شعر وموشحات يتغنى بها.ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة، لبنان، بيروت، 1956، ص521؛وابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 1987، ص55-56؛ وابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص523.

7) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص536.

8) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص258؛ ومحمد طمار: الروابط الثقافية، ص166.

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204.

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص204-205؛ والصفدي: المصدر السابق، ج28، ص98.

3) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص171.

4) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص 408.

وقد ظهر في هذا العهد عدد كبير من الأطباء الذين أشارت إليهم المصادر إلى حذقهم ومهاراتهم، وأغلبهم من الأندلس، وهذا لا يعفي المغرب الأوسط من المشاركة ومنهم:

عمر بن علي القلعي(ت 576هـ/1180م) الذي انتقل إلى دمشق وفتح عيادته هناك [1]ودفين تلمسان العابر مع جيش الناصر الموحدي أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرْج (ت 601 هـ/1204 م) أبو جعفر البلنسي الذهبي[2] ويكنى أبا العباس[3] كان من علماء الطب، حيث قال عنه ابن أبي أصيبعة"كان فاضلا عالما بصناعة الطب، جيد المعرفة لها، حسن التأني في أعمالها، وخدم المنصور بالطب وولد الناصر من بعده"[4].

ومساهمة الفقيه المحدث الطبيب البارع البلنسي المولد، التلمساني أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارتي (ت 610هـ/1213م)قال عنه ابن الأبار"وكان محدثا عدلا خيارا محترفا بالطب ماهرا فيه"[5].

كما أنه لا منازع للطبيب الفقيه محمد بن سحنون الندرومي [6] وهو طبيب عالم باللغة العربية وأسرارها ولد سنة 580هـ/1148م من قبيلة كومية، التي كانت مواطنها قرب تلمسان، هاجرت أسرته إلى الأندلس، فولد بقرطبة، ومنها انتقل إلى اشبيلية، حيث درس الطب على يد أبي الوليد بن رشد وغيره[7] كان من أطباء الناصر المؤمن محمد بن يعقوب (ت 610هـ/1213م) ثم من أطباء المستنصر يوسف بن محمد (ت 620هـ/1223م)، ثم المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود (ت634هـ/ 1236م)، قال عنه ابن أبي أصيبعة:"وهو جليل القدر، فاضل النفس، محب للفضائل، حاد الذهن، مفرط الذكاء، من جملة المتميزين في علم الأدب، وله من الكتب اختصار كتاب"المستصفى"للهُذَلي توفي رحمه الله سنة634هـ/1236م[1].

والفقيه الأصولي الذي استوطن بجاية أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت 660هـ/ 1261م) وعاش في الفترة الموحدية والحفصية قرأ بالأندلس وبمراكش، ولا زم الفقيه أبا عبد الله المؤمناني مدة عشرين سنة، وكان له مشاركة في الطب، وتوفي ببجاية[2].

---

1) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم،ج1، ص 408.

2) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

3) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص334.

4) أنظر: عيون الأنباء، ص497.

5) ابن الأبار: التكملة، (طبعة مدريد)، ج2، ص676-677؛ وعبد القادر بوباية: إسهام العلماء، ص165.

6) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون، الندرومي منسوبا إلى ندرومة –مدينة قرب تلمسان–وهو كومي نسبة إلى قبيلته.ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص537.

7) نفسه، ص537؛ وعمار هلال: المرجع السابق، ص25-26.

1) ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص537؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص330.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص100.

إضافة إلى الفقيه الطبيب العالم شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي(580-651هـ/ 1184م-1253م) ينسب إلى تيفاش وهي قرية صغيرة تقع حاليا بولاية سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري ولد في عهد دولة الموحدية، رحل إلى مصر لطلب العلم، ثم انتقل إلى دمشق وبرع في علم الطبيعة، وخاصة المعادن والأحجار الكريمة وتوفي بالقاهرة ودفن بها بمقبرة باب النصر، وهو طبيب وأديب وقاض، من كتبه "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار "ومنه نسخ مخطوطة فيها زيادات على المطبوع، و "الأحجار التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء " و "خواص الأحجار ومنافعها " وكتاب ضخم في الأدب في أربع وعشرين مجلدة " فصل الخطاب، في مدارك الحواس الخمس لأولي الالباب"[1] موسوعة كبيرة، اختصرها ابن منظور-صاحب لسان العرب- وسمى الجزء الأول منها "نثار الأزهار، في الليل والنهار" و "نزهة الألباب، فيما لا يوجد في كتاب"[2].

كما يشير الادريسي إلى جملة من النباتات الطبية في أكناف الجبال المطلة على بجاية ، والتي كانت تستعمل في التجارب والعلاج الطبي" مثل شجر الحضض، والسقولوفندوريون والبرباريس..."[3].

ويطلعنا صاحب عنوان الدراية، على صورة متدهورة لمهنة الطب، التي يتعاطاها من لا يحسنها- خلال العهد الحفصي-ما عدا أفرادا قلائل من الأطباء كانوا علماء مجيدين لمهنتهم [4]، كمحمد بن أحمد بن محمد الأموي المرسي (ت 674هـ/1275م بتونس)المعروف بابن أندراس، وكان طبيب الولاة ببجاية في العهد الموحدي، ثم بتونس في العهد الحفصي ورد على بجاية في 610هـ/1213م وتبسط للطب باحثا جيدا...وله رجز نظم فيه بعض الأدوية واستكمله، وهو ببجاية[5].

وعموما مؤلفات الطب هي أقل المؤلفات تداولا، حيث كان يُدرس كتاب أرجوزة ابن سينا في الطب التي تزيد على ألف بيت اختصر فيها كتابه القانون في الطب[1].

3- الفلسفة والمنطق

---

1) الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص188.

2) الحسني : المصدر السابق، ج1، ص274. عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص346.وكتاب نزهة الألباب فيما لايوجد في كتاب حقق مؤخرا من قبل جمال جمعة ،وصدر عن دار رياض الريس، لندن – قبرص، ط1، 1992.

3)أنظر: نزهة المشتاق(طبعةمكتبة الثقافة الدينية)،ج1، ص259.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص102 .

5) المصدر نفسه، ص101.

1) ابن مريم: المصدر السابق، ص163، ص246، ص314؛ وعمار طالبي: المرجع السابق، ص59.

شهد العهد الموحدي نشاطا في علمي الفلسفة [1] والمنطق، فلا تجد عصرا تآخت فيه الفلسفة والشريعة كعهد الدولة الموحدية، فهذا الحفيد ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام تجده أيضا من أعاظم حفظة الشريعة، ناهيك عن كتبه الدينية الأخرى[2].

فلزدهرت العلوم ونشطت الحركة التعليمية و كان من جملتها الفلسفة التي بلغت أوجها على يد ابن رشد و طلبته، فبعضهم كان من المغرب الأوسط و من أشهر الكتب و المؤلفات الدراســـية الرسالة لابن أبي رشد و المستصفي و إحياء علوم الدين للغزالي[3].

ويعتبر أهم مظهر من مظاهر التحرر الفكري في دولة الموحدين انتشار دراسة الفلسفة، حيث كانت من قبل لا تعني إلا الزندقة والإلحاد [4] ويعود اهتمام الموحدين بالفلسفة إلى الدعوة التي ثار المهدي بها على فقهاء عصره الذين حرموا العلوم العقلية، وترديد أقاويل السابقين [5] فأعطى ابن تومرت العقل حرية واسعة في ميدان العقائد"فبضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه"[6].

بذلك رعى الخلفاء الموحدون بعد المهدي الفلسفة واعتنوا بها، فقد انكب الخليفة يوسف أثناء ولايته على اشبيلية على دراسة فلسفة اليونان، ولا سيما فلسفة أرسطو، ولما ولي الخلافة"طمح به شرف نفسه، وعلو همته إلى تعلم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزائها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، ثم تخطى إلى ما هو أشرف منه، من أنواع الفلسفة، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي"[7].

كما يرجع الفضل إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف(ت 580هـ/1184م) في نشر فلسفة أرسطو بين الناس و شرحها بعد أن كانت غامضة مندثرة [1] و من أشهر فلاسفة المغرب

---

1) الفلسفة هي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية.الجرجاني: المصدر السابق، ص177.

2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص257؛ و مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج 2، ص335.

3) بناصر البُعزّاتي: العلم والفكر العلمي ، بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 94، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2001، ص37.

4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص221.

5) شفيق محمد: المرجع السابق، ص44.

6) أنظر: أعز ما يطلب، ص213.

7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 167-168.المستنصر بالله الأموي ولي سنة 350هـ/961م، وكان جامعا للعلوم محبا لها مكرما لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هناك، وذلك بشرائها من الأقطار بأغلى الأثمان، توفي سنة386هـ/996م.الضبي: المصدر السابق، ص40-42.

1) كان السلطان يعقوب المنصور شديد الرغبة في علوم الفلسفة، فلما أراد الجواز إلى الأندلس لقتال الإسبان الذين كانوا يلحون بالاستيلاء على المدن الأندلسية، من أيدي المسلمين، انبرى الفقهاء له وجعلوا يثبطون الناس عن الانضمام إلى جيش سلطان يقرب إليه الفلاسفة، ويشتغل بعلومهم المخالفة للدين، فاضطر المنصور إلى إرضائهم فأظهر التبرؤ من الفلسفة وأهلها، ونفى الفيلسوف ابن رشد، ثم تقدم إلى الناس بترك هذه العلوم جملة واحدة .عمر فروخ: المرجع السابق، ص 370 ثم أمر المنصور بإحراق كتب الفلسفة كلها، إلا ما كان من الطب والحساب، وما يتوصل به من علوم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار، وأخْذِ سَمْتِ القِبلة...لكن

الأوسط، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت570هـ/1174م) الذي له باع طويل في علم المنطق والفلسفة، وألف كتاب"مرج البحرين في علم المنطق"[1] و أبو حامد الصغير المسيلي(580هـ/1184م)[2] الذي شبه بغزالي المشرق لاجتهاداته المتنوعة في الفلسفة و الحكمة و الفقه و التوحيد[3] كما كان أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي طبيبا و فيلسوفا من تلامذة ابن رشد رائد الفلسفة بالأندلس[4].

كما تحدث أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت 581هـ/1145م) يصف صديقه العالم الآخر الذي سكن معه بجاية بأنه كان من أهل العلم وكان أكثر حاله النظر في المعقولات(المنطق) وهو العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر القريشي المعروف بابن قريشة[5] ويواصل الحديث عنه أنه له نظر جليل في التعليم[6].

إضافة إلى عالم جليل كان عابر سبيل مع الناصر في جيشه لكنه كتب له الله أن يتوفي بأرض المغرب الأوسط الطاهرة وهي تلمسان مخلفا وراءه مؤلفاته ليستفيد منها أبناء هذا القطر وهو أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جِرْج أبو جعفر البلنسي الذهبي[7]ويكنى أبا العباس[8] (ت601هـ/ 1204م) الذي مهر في علم النظر والفلسفة[1] فقال فيه أحد معاصريه: إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يَعْدُ ثلاثةً: أرسطو، وابن سينا وأبو جعفر الذهبي[2].

منهم كذلك علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي(ت 637هـ/ 1239م)[3] الذي جمع فنون العلم، من علم الأصول، ومعقولات الحكماء(المنطق)وله فيها تصانيف

بعد رجوعه إلى مراكش، نزع عن ذلك كله، وجنح إلى تعلم الفلسفة، وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراكش للاحسان إليه والعفو عنه. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص219.

1) إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص152-153.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص66.

3) نفس المصدر والصفحة؛ والحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص60.

4) محمد طمار: الروابط الثقافية، ص167.

5) لا ندري عنه شيء سوى ماذكره عنه الغبريني في هذه الأسطر، وعموما هو معاصر للفقيه عبد الحق الاشبيلي(581هـ/1145م) والفقيه حسن بن علي بن محمد المسيلي(580 هـ/1144م) .

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص69.

7) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

8) ابن الأبار: التكملة، (طبعة الجزائر)، ج 1، ص117؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص334؛ و السملالي: المرجع السابق، ج 2، ص107.

1) ابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

2) معاصره هذا هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي(ت629هـ/1231م).

3) الغبريني: المصدر السابق، ص154؛ والمقري: نفح الطيب، ج2، ص387؛ والتنبوكتي: نيل الابتهاج، ص318.

منها"المعقولات"وأما علم الطبيعيات والإلهيات فكان أعلم الناس بها [1] وتكلم في الكائنات وأمور الحدثان وأسرار الحروف، وصنف في المنطق[2].

وكان لا يسمح بتعلم المنطق، إلا بعد حفظ القرآن وتفسيره وحفظ الحديث والفقه، وقصة ابن زهر (ت596هـ/1199م) مع طالبان من مقربيه تؤكد ذلك[3].

بالإضافة إلى الفقيه الذي ذكرناه في الطب وهو أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت660هـ/1261م) الذي كانت له مشاركة في"الحكمة في الطبيعيات والإلهيات، جلس للإقراء ببجاية، وقُرأ عليه التنبيهات لابن سينا وكتاب الإرشاد، وكتاب المستصفى، توفي ببجاية"[4].

ومن أهم كتب الفلسفة والتصوف التي كانت تتداول، كتابي"مقاصد الفلاسفة، وميزان العمل" للغزالي[5] وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، حيث لقي اهتماماً منقطع النظير في العصر الموحدي، وخصوصا من رجال التصوف، وذلك من خلال شهادة أبي مدين شعيب بقوله"طالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الإحياء" [6] وتلخيص كتاب أرسطو لابن رشد، وكذلك كتاب الشفاء لابن سينا[7] وهو موسوعة فلسفية كبرى، إضافة إلى كتابين آخرين لابن سينا مهمين كذلك في الفلسفة وهما"النجاة"وكتاب"الإشارات والتنبيهات"[8] وخاصة ما تعلق منها بالطبيعيات والإلهيات [1] ومن أكثر مؤلفات المنطق انتشارا في هذا العهد كتاب الجمل للخونجي[2].

---

1) الغبريني: المصدر نفسه، ص146؛ والمقري: نفح الطيب، ج2، ص188؛ وصفية ديب: التربية والتعليم، ص115.

2) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص 337. والمنطق هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي.الجرجاني: المصدر السابق، ص251.

3) كان الطالبان يشتغلان على يده في صناعة الطب، فرأى بيد أحدهما كتاب صغير في المنطق، فطرهما فاعتذرا له فسمح لهم بالعودة، ولما امتثلوا لأمره وأتقنوا الحديث والتفسير وحفظ القرآن، أعاد لهم كتاب المنطق وسمح لهم بقراءته.ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص523.

4) الغبريني: المصدر نفسه، ص100.

5) ابن مريم: المصدر السابق، ص118.

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص56؛ والتادلي: المصدر السابق، ص214؛ والمقري: نفح الطيب، ج7، ص137.

7) ابن مريم: المصدر نفسه، ص165.

8) نفسه، ص118.

1) عمار طالبي: المرجع السابق، ص56.

2) ابن مريم: المصدر نفسه، ص142، 151، 155، 173، 211 .

4- الرياضيات

يبرز ميدان الرياضيات أكثر في دور بجاية الثقافي و الحضاري و مدى تأثيره على جنوب أور وبا و ايطاليا بالذات، فقد خطا المسلمون خطوات هامة في علوم الحساب [1] والهندسة[2] والجبر[3] والميكانيكا و حساب المثلثات [4] وكان للدراسات الرياضية الفلكية الإسلامية أثرها العميق في الدراسات الغربية أمثال كبلر و رجر باكون و البرتوماجنو و ليونارد فيبونوتشي و غيرهم[5].

ونبغ علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي(ت 551هـ/1156م) عالم بالحساب، من كبار فقهاء الشافعية، ولد بقلعة بني حماد، وبها نشأ وتعلم، رحل إلى المشرق واستوطن العراق، وأخذ عن جماعة من أكابر الفقهاء، ثم انتقل إلى خراسان ومات بأسفرائن، قال السمعاني"إمام فاضل، عالم بالمذهب، بحر في الحساب"[6].

لكن الغبريني، يقدم لنا صورة مغايرة حيث يقول"وكان الاهتمام بالرياضيات ضعيفا، و لم ينبغ فيها إلا عدد قليل" [7] ومنهم يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(ت 570هـ/ 1174م)[8] الذي سافر كثيرا لتوسيع حقل معرفته، حيث حج إلى مكة المكرمة، وانتقل بعد ذلك إلى قرطبة لدراسة اللغة العربية والحساب [1] حيث ألف كتاب"مرج البحرين، في المنطق والحساب والهندسة"[2].

والرياضي أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرْج (ت 601 هـ/ 1204م) أبو جعفر البلنسي الذهبي الذي كان مشاركا في بعض الرياضيات ويقرئ الحساب، وقد توفي في تلمسان وأكيد أنه وقع له اتصال هناك بطلبتها وفقهائها[3].

---

1) هو صناعة علمية في حسبان الأعداد بالضم والتفريق.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص78.

2) **العلوم الهندسية**: هي علم النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، أو منفصلة كالأعداد، وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية.ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص84.

3)هو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قِبَل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك ، فاصطلحوا فيها على جعل المجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب، أولها العدد، لأن به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسب المجهول إليه. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص80.

4) يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص259.

5) محمد عبد الله عنان: ازدهار الحضارة و الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغذية النهضة العلمية و الحضارة الأوربية ، مجلة الأصالة، العدد 26، 1976،ص14.

6) ابن العماد:المصدر السابق، ج6، ص263؛ وعادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص227.

8) عمر فروخ: المرجع السابق، ص368.

1) ليفيتسكي: المرجع السابق، ص78-80.

2)عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، ص341.

3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج43، ص64-47؛ وابن سعيد: المغرب، ج2، ص321.

أما أبا عبد الله محمد بن محمد القلعي (ت 665هـ/1270م)[1] كان له علم بالحساب، سبق فيه الأوائل، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه[2].

وبرز في هذا العلم أيضا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت 675هـ/1276م) إلى جانب أصول الفقه، والمنطق والتصوف والفرائض والحساب [3] قال عنه الغبريني سمعت كثيرا من أهل العلم يثنون عليه ويقولون أنه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله[4].

وهذا يعني أن علم الرياضيات نشط، ولو بالقدر القليل، ويشهد بذلك النشاط الصناعي، وحركة البناء والتعمير التي كانت في أيام الموحدين، إذ هي تمثل الجانب التطبيقي لهذا العلم، كما ساعد على نهوض هذا العلم حاجة الدولة الموحدية إلى ضبط أحكامها ومواردها ومصارفها واستخلاص الضرائب وكل ذلك يحتاج إلى دراية في علم الحساب على أن أهم عامل هو حاجة الناس لتطبيق تعاليم الإسلام والمعرفة الدقيقة بأوقات الصلاة والصيام وواجبات الإرث وتوزيعه[5].

ومن أهم المؤلفات الرياضية الأكثر تدريسا كتاب اليوناني إقليدس (ق 3 ق م)الذي يسمى"كتاب العناصر أو الأصول"(Eléments) الذي أسس مدرسة الإسكندرية، ونقل كتابه هذا إلى العربية، وعنى به المسلمون تدريسا وشرحا[6].

كما يعتبر كتاب"اللباب في مسائل الحساب"من الكتب المعتمدة آنذاك، وهو من تأليف علي بن محمد بن فرحون القرطبي (ت 601هـ/1204م)، حيث كان يدرس الحساب والفرائض بفاس، وانتشر كتابه في كل الغرب الإسلامي، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين (ت601هـ/1204م) له أرجوزة في الجبر والمقابلة [1] إضافة إلى كتاب ابن البناء أحمد بن محمد الموسوم"تلخيص أعمال الحساب"[2].

فهذا وغيره مما أغفلنا، فضلا عما جهلناه، يعطيك صورة واضحة لما كانت عليه هذه العلوم من الرواج والانتشار، في المغرب الأوسط على عهد الموحدين، والذين لم يألوا جهدا في البر برجالها والإحسان إليهم.

---

1) عادل نويهض: المرجع السابق، ص267.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص227.

3) الغبريني: المصدر نفسه، ص86.

4) نفس المصدر والصفحة.

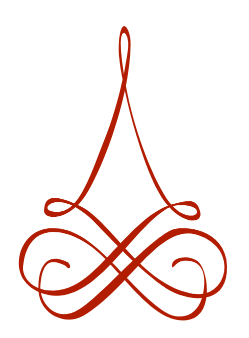
5) شقرون محمد: المرجع السابق، ص216-217.

6) عمار طالبي: المرجع السابق، ص58.

1) ابن الزبير: المصدر السابق، (تحقيق ليفي بروفنصال)، ص 118؛ وحسن جلاب: الفكر والأدب في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 249، يونيو1985، ص84.

2) ابن مريم : المصدر السابق، ص106، ص219.

الخاتمة



لقد خضت غمار البحث في كل الجوانب الثقافية والفكرية للمغرب الأوسط إبان العهد الموحدي، واستعرضت في ثنايا الموضوع كل القضايا الثقافية التي تخص هذه الفترة، متخطيًا بذلك الجانب المكاني والزماني، محاولا الوصول إلى حقائق تاريخية، نبرزها في النقاط التالية:

✓ عاش المغرب الأوسط حياة فكرية وثقافية مزدهرة خلال العهد الموحدي، رغم الوحدة السياسية إلا أنه حاول الحفاظ على الموروث الحضاري السابق، والتفاعل الإيجابي مع الرصيد الجديد، فاحتل مكانة رائدة ضمن المجال الموحدي بفضل النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها أهله و ولا ته، ورعايتهم للفنون والآداب والعلوم الشرعية، وتشجيعهم للعلماء والفقهاء واستقطاب مختلف حواضره لعلماء العالم الإسلامي ولا سيما من الأندلس .

✓بالرغم من ذهاب سلطان المرابطين على تلمسان، وزوال الحماديين من بجاية، إلا أن الناس لم يشعروا بضياع شيء، لأن حركة التقدم الفكري والإصلاح الديني ظلت مستمرة خلال العهد الموحدي، بل ظهرت نتائج تلك الحركة واضحة المعالم صافية الأديم، وازدهرت الحياة الثقافية ازدهارا عظيما، فأصبح لعلوم الفلسفة والطب والرياضيات والتنجيم وغيرها الحظ الأوفر، إلى جانب العلوم النقلية التي اعتمد فيها على الأخذ بالكتاب والسنة، فتجدد الاجتهاد، الذي تجمد خلال العهد المرابطي.

✓ ظهرت بالمغرب الأوسط مراكز علمية جديدة، بحكم موقعها وعلاقتها بمركز الخلافة الموحدية بمراكش، مع اختفاء وضعف للحواضر والمراكز العلمية القديمة، وهذا بسبب مجموعة من العوامل بما فيها الدور الذي لعبته القبائل العربية من بني هلال وبني سليم، فصارت كل من بجاية وتلمسان من أهم المراكز الفكرية ليس في المغرب الأوسط فحسب بل في العالم الإسلامي.

✓في عهد الموحدين ظهرت شخصية متميزة للمغرب الأوسط عن بقية الفترات السابقة واللاحقة في الجانب الفكري والثقافي، وقد ساعد على إذكاء جذوة الحركة الثقافية ظروف خاصة، منها:الرحلات العلمية التي كان لها الدور الكبير في الاحتكاك بمختلف الشيوخ والأخذ عنهم، بل والاستفادة من مختلف التجارب وحتى نقل الملل والنحل والتوجهات الفكرية والكلامية، كما تم نقل الكتب بين الشرق والغرب ومع العدوتين، ويتوج الدارس على أحد الشيوخ بإجازة تشهد له بدراسته لكتبه أو سماعه عنه، وقد انتشرت الإجازات العامة كثيرا في العهد الموحدي.

كما شهدت الحياة العلمية، مختلف المجالس، وعقد المناظرات العلمية والأدبية، حيث فتحت قصور الولاة في بجاية وتلمسان أبوابها لكل المناظرات، مما جعل الفترة من أغنى فترات التاريخ بالعلماء والأدباء، والمناظرات المتنوعة، فرفعت المستوى العلمي للفقهاء وأثارت حماس الشعراء والأدباء .

✓ كان الموحدون قد دعوا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد وأحرقوا كتب الفروع، واستمر الحال على عهدهم يسود فيه هذا النمط من التحرر الفقهي أو الأخذ بالمذهب الظاهري، كما يرى بعضهم .

✓ بنى الموحدون رصيدهم المعرفي –في كامل الغرب الإسلامي بما فيها المغرب الأوسط– على أساس التعليم، وقد بدأته دعوة المهدي بن تومرت، وثمنه خلفاؤه من بني عبد المؤمن، من خلال تشجيع العلوم، والعلماء، وعقد المجالس والمناظرات وتطوير حركة التأليف.

✓ تنوعت المؤسسات الثقافية والفكرية من بسيطة شعبية إلى مدارس منظمة حكومية، حيث يبدأها الطالب من الكتاب والمسجد، وصولا إلى المدرسة ثم الدراسات المتقدمة التي عادة ما تتم في الحواضر الكبرى وعلى يد شيوخ قديرين، وقد عملت الدولة على توجيه التعليم وجعله رسميا خادما لسياستها مع ترك الحرية للفكر والإبداع، فكانت مدارس ومساجد وزوايا مختلف حواضر المغرب الأوسط قبلة للطلاب والدارسين من مختلف الأقطار.

✓ اختلف المنهاج التعليمي بين المربين في ترتيب المواد خلال المراحل الأولى، ليتوحد في المراحل العليا بفضل نشاط حركة الرحلة العلمية، والمناهج التي حددها ابن تومرت وخلفاؤه، حيث شهدت مناهج خاصة بالجوامع والمساجد، وأخرى للمدارس.

✓ تنوعت طرق التعليم من الإلقاء والإملاء، إلى الحفظ والاعتماد على الاسترجاع، أو طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه أو نقده أو اختصاره، وصولا إلى طريقة المحاورة أو المناظرة، وكانت تربط الشيخ بطلبته علاقات طيبة كلها قائمة على التفاهم .

✓كما ازدهر فن النسخ والوراقة بمختلف مدن المغرب الأوسط، فكثرت بذلك المصنفات والمكتبات، التي كانت تحت تصرف الدارسين والطلاب .

✓ نالت الدراسات الدينية الحصة الكبرى، إذا ما قورنت بغيرها من الدراسات كالطب والهندسة والتنجيم والرياضيات، نظرا لقيام الدولة الموحدية على أساس ديني عقدي، وتطور خاصة علم الكلام والفلسفة من خلال كسر الجمود الفكري.

✓وأكبر دليل على ازدهار الحركة الثقافية في العهد الموحدي بالمغرب الأوسط، هو العدد الكبير من علمائه وفقهائه، والعدد الضخم من المؤلفات في جميع العلوم والفنون، وهذا ما نسميه النبوغ الفكري والمساهمة الفعلية والرائدة للمغرب الأوسط في صناعة سواء القرار السياسي أو العسكري أو الثقافي في الدولة الموحدية.

✓ كما يمكن أن نؤكد تبلور الفكر والثقافة في المغرب الأوسط، حيث كان مستمداً من الوحدة الحاصلة، والاتصال المستمر بالأندلس، والمغربين الأقصى والأدنى، والتأثير المشرقي وهو ما يوجز العلاقات الثقافية مع مختلف الأقطار الإسلامية، حيث ربط المغرب الأوسط علاقات روحية تمثلت في الجانب الديني المرتبط سواء بالطرق الصوفية أو بالميل والولاء للمدرسة سواء الشرقية أو الأندلسية، ولم تقف الحدود السياسية والجغرافية في الطريق لإقامة علاقات ثقافية متنوعة سواء بين حواضر المغرب الأوسط، أو مع المشرق والأندلس بل كان التأثير متبادلا مما ولد تفاعلا كبيرا في شتى المجالات العلمية .

✓ إن المتتبع لحركة علماء المغرب الأوسط نحو المشرق العربي يبين أنها زادت كثافة وتواجدا في الفترة المنحصرة بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين، أي السادس والتاسع الهجري، أي في الفترة الموحدية والزيانية.

✓أما علاقة المغرب الأوسط والدولة الموحدية عموما مع إفريقيا جنوب الصحراء ومع العالم المسيحي فقد كانت ذات طابع سياسي دبلوماسي أو تجاري في غالب الأحيان، و لم نعثر على تبادل للجانب الثقافي من خلال تواجد علماء من الطرفين في أرض الآخر .

وأختم بحثي بقول أحد الصلحاء من بجاية وهو يؤرخ لسقوط دولة بني عبد المؤمن بعد وفاة آخر خليفة وهو أبو العلاء إدريس الملقب بأبي دبوس(665-668 هـ/1266-1248م).

ملك بني مؤمن تولى	وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا	سبحـــان من لا يبيد ملكه[1]

بقي لنا ونحن نعيش على وقع سنة الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية أن نشيد بالدور التاريخي للمغرب الأوسط سواء في الفترات التي تمتع فيها بالاستقلال السياسي أو خلال الفترات التي اندمج فيها مع كيانات أخرى كالفترة الموحدية، حيث لا يسعنا إلا التنويه بتنوع الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط إبان العهد الموحدي، وبمساهمة المغرب الأوسط في إنشاء جزء من تراث هذ ه الفترة، بتخريجه العديد من الشيوخ والفقهاء والعلماء الذين تركوا تراثا ما زال يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب.

وقد أجهدت نفسي قدر الاستطاعة على المثابرة والكد، وتحري الحقيقة، كما حملتها على تحري الموضوعية والنزاهة في الأحكام قدر المستطاع، راجيا أن أبلغ في بحثي هذا مبلغ المجتهد المصيب.

وفي الأخير أقول أن هذه باكورة أعمالي البحثية، وأتمنى أن تكون بذرة خير وعلم تزرع في التربة لتكون شجرة يافعة في المستقبل بتشجيع وتوجيه الجميع، مع المثابرة والاجتهاد والبحث، وأنا لا أدعي باكتشافي أسرارًا مهمة وحقائق غائبة، وإنما حاولت تجميع معلومات دقيقة ومتناثرة هنا وهناك، وطرحها في شكل موضوع ممنهج ومرتب.

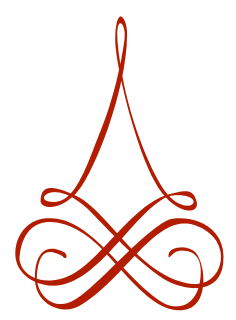
وبالتالي أعتذر عما يمكن أن يكون تقصيرا أو أخطاء، وسأعمل على تصحيحه وتداركه في القريب العاجل وكما يقول الشاعر

وأيُّ عيبٍ على مَنْ رامَ مجتهدًا	مثل الذي رمته فإعتاقه قدرُ
فاصدح أرمته والجهد مـــــبتذلاً	فالعجزُ بعد ابتذالِ الجهدِ مغتفرُ

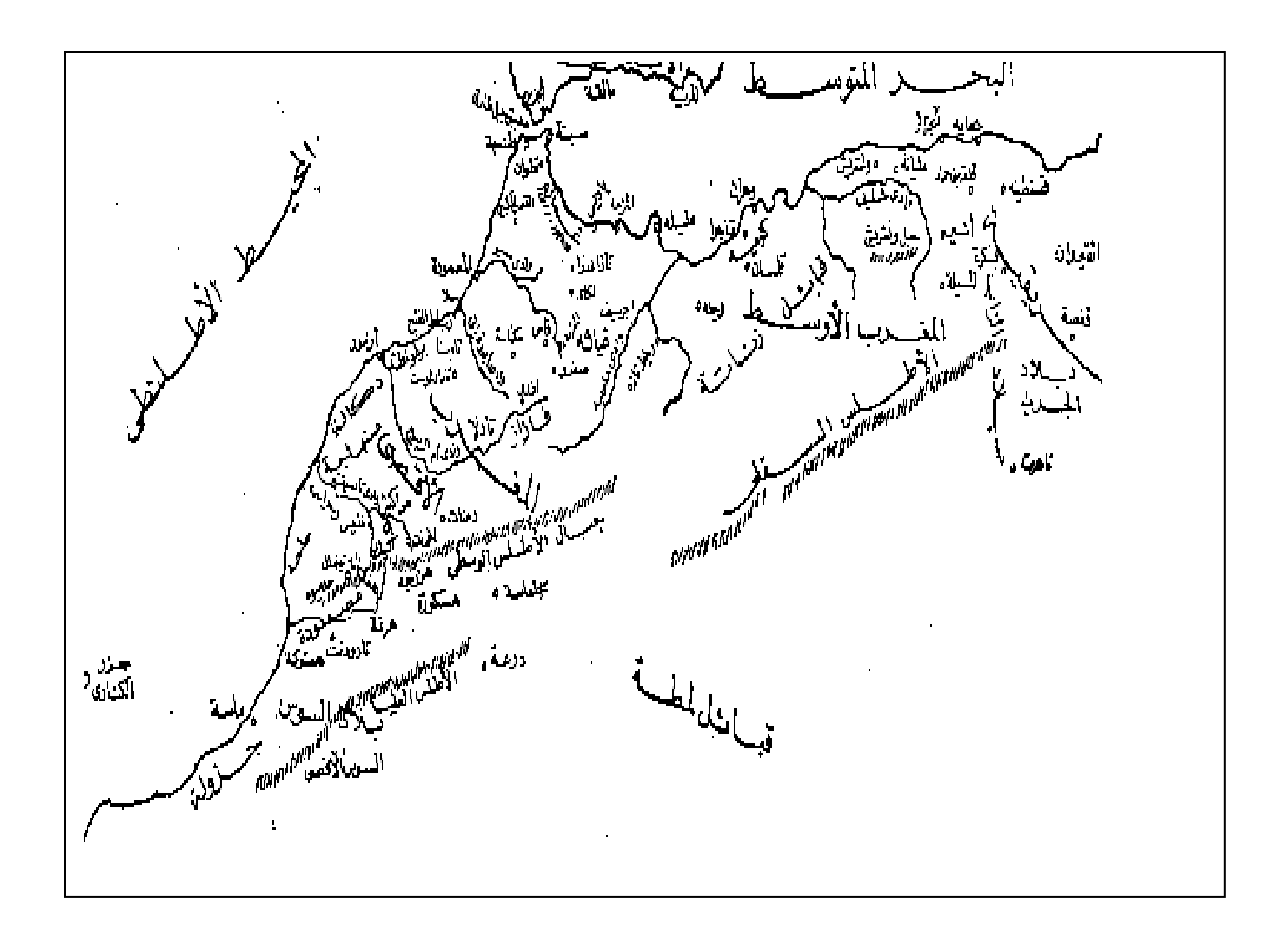
---

1) مجهول: الحلل الموشية، ص170.

الملاحق

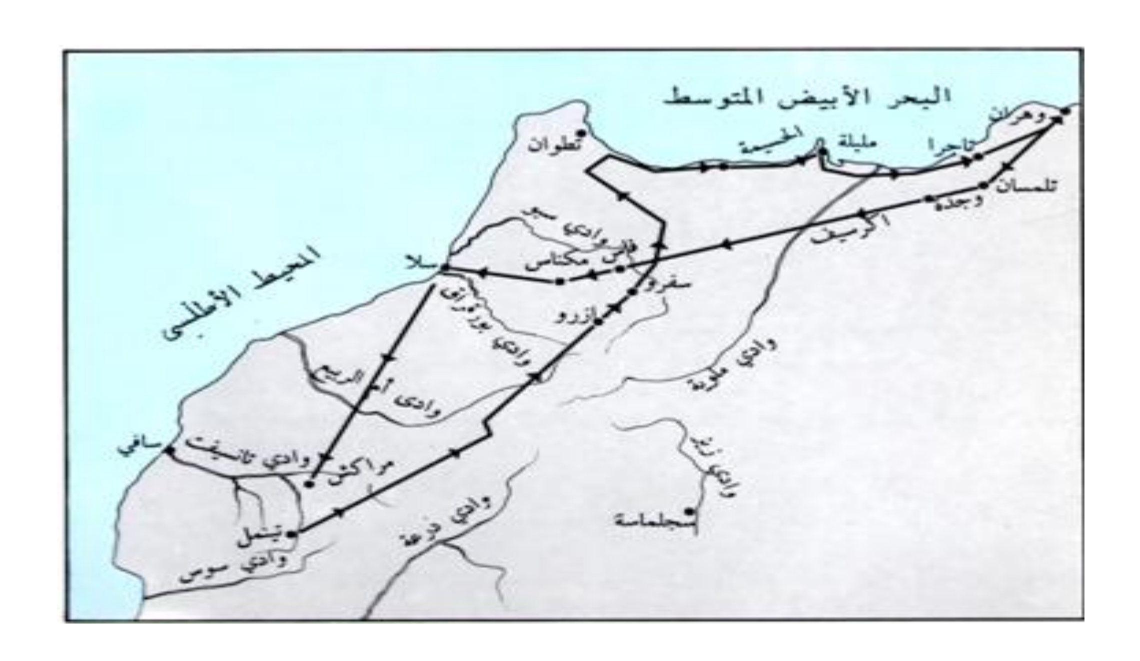


ملحق رقم1"بلاد المغرب وأهم قبائلها عند بداية الموحدين"[1]

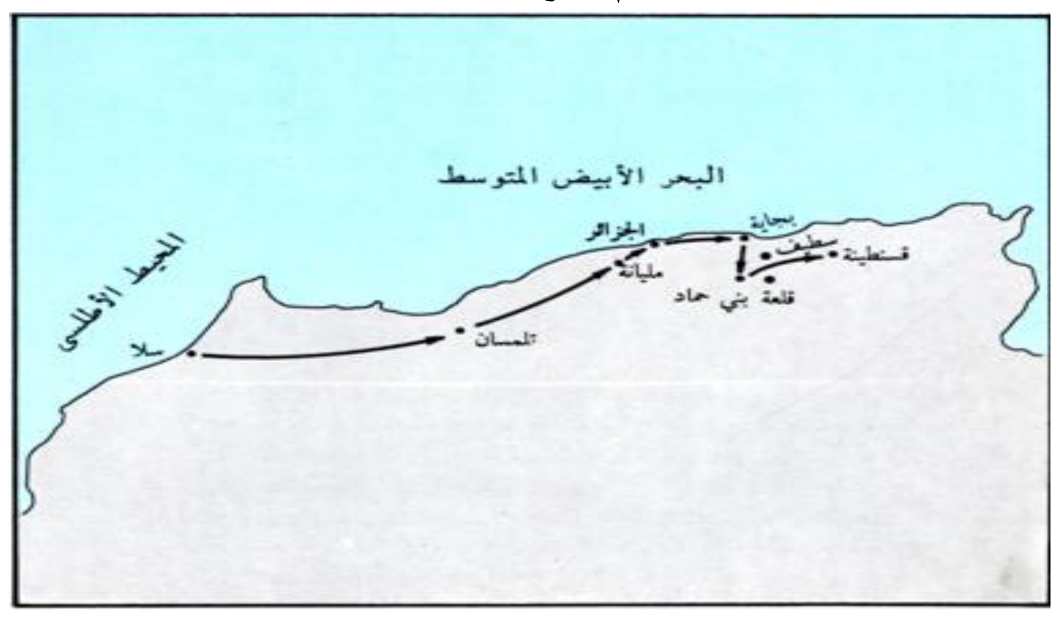


1) نقلا عن عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط2،بالقاهرة، 1990، ج1، ص181

ملحق رقم2"حرب سبع سنوات"[1]



ملحق رقم3"فتح المملكة الحمادية"[1]



---

1) نقلا عن رشيد بورويبة: عبد المؤمن، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976 ، ص20.

1) المرجع السابق، ص30.

ملحق رقم 04[1]

الرسالة السابعة"من إنشاء الكاتب أبو جعفر بن عطية"[1]

من أمير المؤمنين-أيده الله بنصره،وأمده بمعونته—إلى الشيوخ والأعيان وجميع من بقسنطينة— وفقهم الله لما يرضاه، وتولى بهم سبيل هداه—سلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله الذي أيد بنصره المؤمنين، وفتح لأوليائه الفتح المبين، وجعل لهذا الأمر المبارك التبشير والتيسير والتأمين...

ولما قضى الله سبحانه في فتح هذه البلاد المشرقية بخير قضائه، وأجرى لهذه الطائفة المباركة في الإظهار والإيثار معهود اختياره وارتضائه... رأينا أن نخاطبكم—أرشدكم الله-داعين إلى الله ورسوله، بما أوجبه سبحانه من الدعاء إلى سبيله، والتحريض على اعتماد الحق وقبوله، والتحذير من التوقف في مواقف إغواء الشيطان وتضليله...

فبادروا— وفقكم الله-إلى إجابة منادي الحق وداعيه ، واسعوا إلى الخير بأعماله المزلفة ومساعيه، وسارعوا بالتوبة النصوح تسارع الراغب...

وقد كان بهذ الأصقاع ، من آثار أهل الاختلاف والابتداع ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع، وكان الأشقياء من ولاتها يرون إيجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه، وواجبا يقدمونه ، ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكوات والأعشار، بل كانوا يطرحون ذلك اطراح أمثالهم من الفجار، وقد قطع الله بفضله أصولهم وفروعهم وأزاح عن عباده جوهرهم ونزعهم، ورد الأمر إلى أصله الأكرم ونصابه...

ولا يُلزم—ومعاذ الله- مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيمامما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه، ولكم في علم ذلك ومعرفته دليل على ما سواه، والله يهدي بهداه من اختاره وارتضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

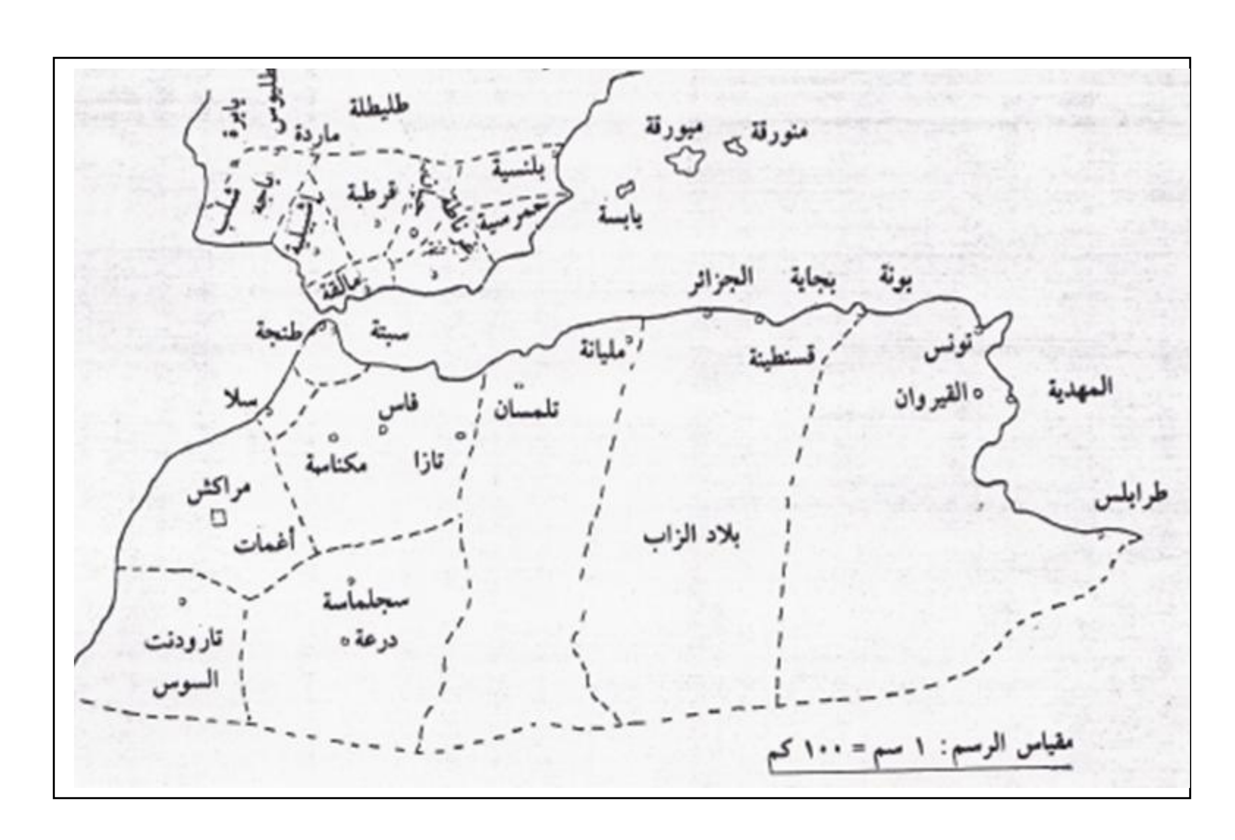
كُتب في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

---

1) رسائل موحدية، (جمع بروفنصال)، ص17-22.

1) هو أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية من أهل مراكش، أصله القديم من طرطوشة شرقي الأندلس، كان أبوه من أهل الحفظ للحديث، كتب لعلي بن يوسف المرابطي، ثم لابنه أحمد عن آخر أمراء المرابطين، وبعد فتح مراكش اختفى أحمد ضمن الجند الموحدي وشارك في حملة الشيخ أبي حفص على الثائر الماسي ، فكتب رسالة النصر عن الشيخ إلى الخليفة عبد المؤمن، فكانت هذه الرسالة طريقه إلى الكتابة لدى عبد المؤمن، ثم الكتابة والوزارة معا إلى أن تعرض للنكبة مع أخيه أبي عقيل فقتلا في آخر صفر سنة 553هـــ/1158م .رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق أحمد عزاوي، ج1، ص18-19.

ملحق رقم 05:"ولايات الدولة الموحدية في دور الازدهار"[1]



ملحق رقم 06"جدول ولاة تلمسان–انجاز خاص–"[1]

الخليفة	الوالي	مدة الولاية
عبد المؤمن(524-558هـ)	سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي	549-540
	أبو حفص عمر بن عبد المؤمن	571-549
يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ)	موسى بن عبد المؤمن	-- --
	أبو علي الحسن بن عمر بن عبد المؤمن	-- --
يعقوب المنصور(580-595هـ)	أبو زكريا بن عمر بن عبد المؤمن	-- 580هـ
	أبو إسحاق بن عبد المؤمن	584-580هـ
الناصر (595-610هـ)	أبو الحسن بن عمر بن أبي حفص	604-585هـ
	أبو الربيع سليمان	604-604هـ
	أبو عمران موسى بن عبد المؤمن	605-604هـ
المستنصر(610-620هـ)	أبو زيد بن يوجان	624-605هـ

---

1) نقلا عن عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص176.

1) مستخرج من المصادر خلال البحث.

عبد الواحد (620-621)		
العادل (621-624هـ)		
المأمون(624-630هـ)	أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور	630-624هـ
الرشيد (630-640هـ)	أبو زيد بن يوجان للمرة الثانية	633-630هـ

جدول ولاة بجاية [1]

الخليفة	الوالي	مدة الولاية
عبد المؤمن(524-558هـ)	أبو حفص عمر بن عبد المؤمن والي تلمسان	555-547هـ
	أبو محمد بن عبد الله بن عبد المؤمن	560-555هـ
يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ)	أبو زكريا يحي بن عبد المؤمن	566-561هـ
	سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن	576-566هـ
	أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن	580-576هـ
يعقوب المنصور(580-595هـ)	أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن	580-580هـ
	احتلال يحي بن غانية لمدة 6 أشهر	580هـ----
	أبو زكريا بن عمر بن عبد المؤمن	----581هـ
	أبو زيد عمر بن أبي حفص	582-581هـ
	أبو عبد الله بن أبي حفص	583-582هـ
	محمد بن أبي سعيد الجنفيسي	584-583هـ
الناصر (595-610هـ)	أبو الحسن علي بن أبي حفص	604-584هـ
المستنصر(610-620هـ)	أبو عبد الله بن يغمور	623-604هـ
عبد الواحد (620-621)		
العادل (621-624هـ)	يحي العطاس التنمالي بن أخي العادل	624-623هـ
المأمون(624-630هـ)	أبو عمران بن السيد أبي عبد الله الخرصاني	626-624هـ

1) مستخرج من المصادر خلال البحث.

ملحق رقم 07:

"طرق تحصيل العلم وصيغ أدائه"[(1)]

طرق التحميل	صيغة الأداء
السماع	" سمعت وحدثني "
القراءة	" أخبرني وقرأت " " قرئ عليه وأنا أسمع "
الإجازة	" حدثنا وأخبرنا " " أنبأني بالإجازة " " شافهني "
المناولة	" ناولني "
المكاتبة	" كتب إلي " " أخبرني فلان مكاتبة "
الوجادة	" وجدت بخط فلان " " ذكر فلان " " بلغني عن فلان "

1) محمد ضياء الأعظمي: الرجع السابق، ص233-236.

ملحق رقم 8: "طلب الإجازة"[1]

أبو عبد الله محمد بن محمد البجائي، من الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني (536-625هـ/1141-1227م:

" يرغب فلان الشيخ الأجل الفقيه الزكي العالم الحافظ المفيد المتقن العلامة الأكمل بقية الجلة الفضلاء الأكابر أهل العلم أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبي محمد عبد الحق بن سليمان (أكرمهم الله برضاه) وحرس مجدهم، وتولاه معظم مقدارهم وملتزم برهم ومقدارهم، وتوقيرهم، وإيثارهم العارف بحقهم العليم بتقديمهم وسبقهم محمد بن محمد الحسين الخشني في الأنعام عليه بإجازة هذا البرنامج الذي تضمن ذكر أشياخه الجلة الفضلاء رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين، بحيث يحمل ذلك عنكم، ويتشرف بأخذه منكم، وفضلكم بذلك كله كفيل وثوابكم عليه عند الله عز وجل جزيل، والله يبقي ببركاتكم الانتفاع، ويحسن عن أرجائكم الوقاع بمنه، وأفضل سلام الله عز وجل وأوفى تحياته وأزكاها، وأعطرها عرفا وأزكاها يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته"[1].

فأجابه بما نصه :

أجبتك بأحسن تحية، وامتثالا لما جاء به خير البرية، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبته إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق إنك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أدبك إجابة عامة، بشرطها فتلقها تلقى أمثالك، واعمل لحسابها عمل نظراتك، والعمل جمال العلم وخادم له مرتبط به لمن أراد السعادة، وسعى لها، قال الله تعالى: إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه"مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها، جعلنا الله وأياكم ممن استمع القول واتبع أجمله، وممن ختم بالحسنى عمله آمين، قاله وكتبه حامدا ومصليا على نبيه محمد بن عبد الحق بن سليمان، في ذي الحجة عام ثلاثة وستمائة603هـ/1206م.

---

1) الغبريني: المصدر السابق، ص220.

1) المصدر نفسه ص219.

ملحق رقم 09:

"قصيدة من نظم محمد بن حماد الصنهاجي، يشكر فيها أبا عبد الحق التلمساني على إجازة بعث بها إليه"[1]:

يا أيها الندب السري الأمجد	والعالم الحبر الفقيه الأوحد
يأأيها البحر المحيط معارفا	لا تنتهي، وفوائدا لا تنفذ
وصلت إجازتك المجيزة سيدي	نحو الذي أنحو إليه وأقصد
إن الدراية والرواية منتهى	أملي الذي أسعى إليه وأحفد
لا زلت لي متفصلا فأجزتني	بفوائد يفنى الزمان وتخلد
فجزاك عنا الله خير جزائه	فجزاء مثلك عندنا لا يوجد

1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مصدر سابق، السفر الثامن، ص325.

ملحق رقم 10

جدول لعلماء المغرب الأوسط في عهد الموحدين "العلوم النقلية "[1]

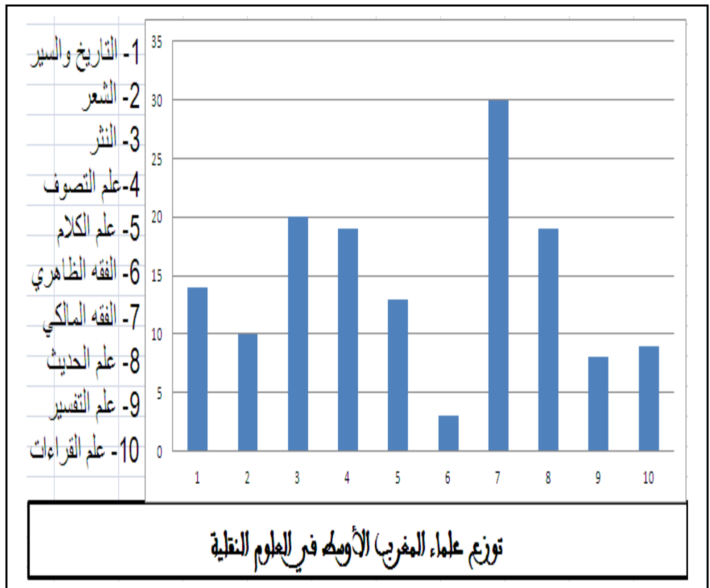
العلوم / العلماء	علم القراءات	علم التفسير	علم الحديث	فقهاء المذهب المالكي	فقهاء المذهب الظاهري	علم الكلام والأصول	علم التصوف	النثر الأدبي الفني	الشعر	التاريخ والسير
محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي	×			×						
أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي نزل تلمسان	×			×						
أحمد بن عتيق أبو جعفر البلنسي الذهبي(ت بتلمسان)	×			×						
أبو نصر فتح بن عبد الله المرادي	×									
محمد بن أحمد بن الحجام التلمساني	×						×			
محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني	×		×	×		×	×	×		×
أبو محمد المجاصي، عبد الله بن عبد الواحد البكاء	×									
أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي	×		×					×		
علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الخضار	×									
أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني		×	×			×				×
محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون و موسى بن الحاج بن أبي بكر الأشيري		×								
أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن بن عبد الرحمن		×								
أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني		×	×		×					
عثمان بن صاحب الصلاة		×	×							
أبو زكريا يحي بن علي الشهير بالزواوي		×		×			×	×		
علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي		×		×			×			
محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي		×		×		×	×	×		

1) ملاحظة : تبقى هذه الإحصائيات نسبية وتقريبية لتوضيح الفكرة لأنه قد يوجد هناك من نسيناه من العلماء .

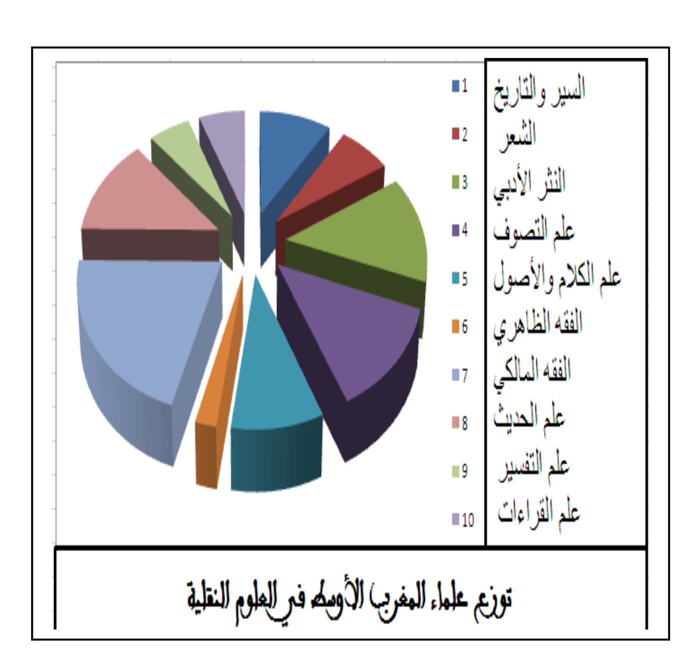
عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري			×					×	×	
أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الوهراني، المعروف بابن قُرقُول			×						×	
الحسن بن عبد الله التلمساني			×							
جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي، الحسني، من أهل تلمسان			×							×
عبد الحق الاشبيلي البجائي			×	×		×	×	×		×
أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ثم الفاسي البجائي			×							
أبو مدين شعيب بن الحسين			×	×			×	×	×	
محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله المرسي التلمساني			×	×		×	×			×
أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارتي			×							
محمد بن إسماعيل المتيجي			×							
عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليجفشي الفزازي القرطبي التلمساني			×	×		×	×		×	
محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي			×	×				×	×	×
ابن دحية السبتي البجائي والتلمساني			×		×	×		×	×	×
أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي			×	×						
الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة				×					×	
علي بن أبي قنون التلمساني				×			×			
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي				×		×	×			
وميمون بن جبارة التلمساني				×						
أبو الحسن القلبي				×						
الفقيه أبو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون الجزائري				×						
إبراهيم بن يحي بن محمد التجيبي										
شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري				×						
أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري				×			×			
أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك القلعي (ابن يبكى)					×					
أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصر الأزدي، البلنسي الجزائري				×		×				
حسن بن أبي زُكُون التلمساني				×		×				

أبو عمار عبد الكافي الورجلاني						×				
إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق المعروف بابن المرأة				×		×	×			
محمد بن إبراهيم الأصولي البجائي				×		×				
محي الدين بن عربي الأندلسي البجائي				×			×			
أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي				×			×			
يوسف بن علي بن جعفر التلمساني							×			
أبو موسى عيسى بن حماد الأوربي التلمساني							×			
أبو محمد عبد الله الشريف الشامي البجائي							×			
أبو عبد الله محمد بن سعادة				×			×			
محمد بن محرز بن محمد الوهراني "ركن الدين"								×		
محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي الأشيري								×		
خطاب بن أحمد بن عدي								×		
أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي البجائي ابن محشوة				×				×		
أبو علي الحسن بن حجاج الهواري البجائي								×		
أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحي البلوي								×		
مروان بن عمار البجائي								×		
أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح الجزائري				×				×		
أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيبي								×		
عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، القسنطيني								×		
أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني التلمساني								×		
علي بن عمر الكومي بن عبد المؤمن									×	
أبو الربيع سليمان بن عبد الله الكومي بن عبد المؤمن									×	
أبو علي حسن بن علي بن عمر ابن الفكون القسنطيني									×	
أبو بلئو الصنهاجي البيذق										×
حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني										×

أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني										×
أبو سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان الورجلاني، الدرجيني										×
أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي البجائي										×
عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن إبراهيم بن فيرة التلمساني										×
محمد بن إبراهيم الغساني										×
مجموع العلماء 78 علما	11	08	20	32	03	15	19	22	10	14



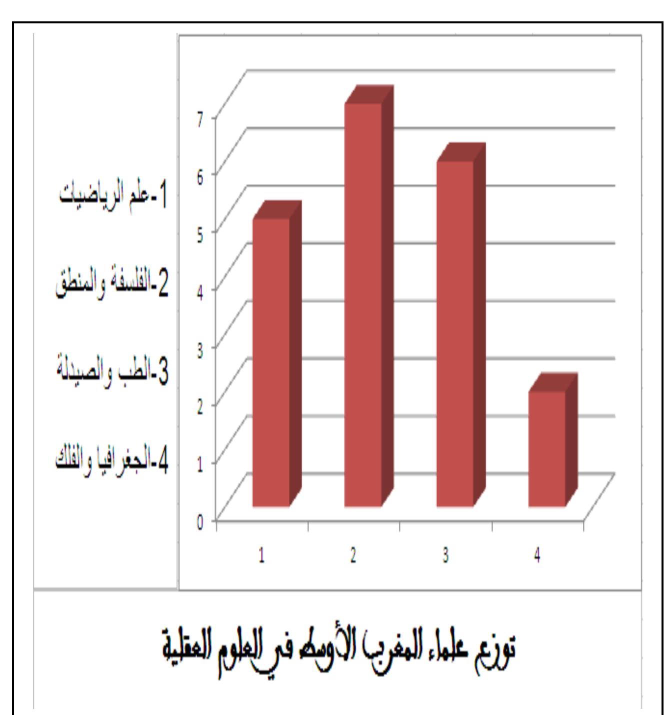
توزع علماء المغرب الأوسط في العلوم النقلية



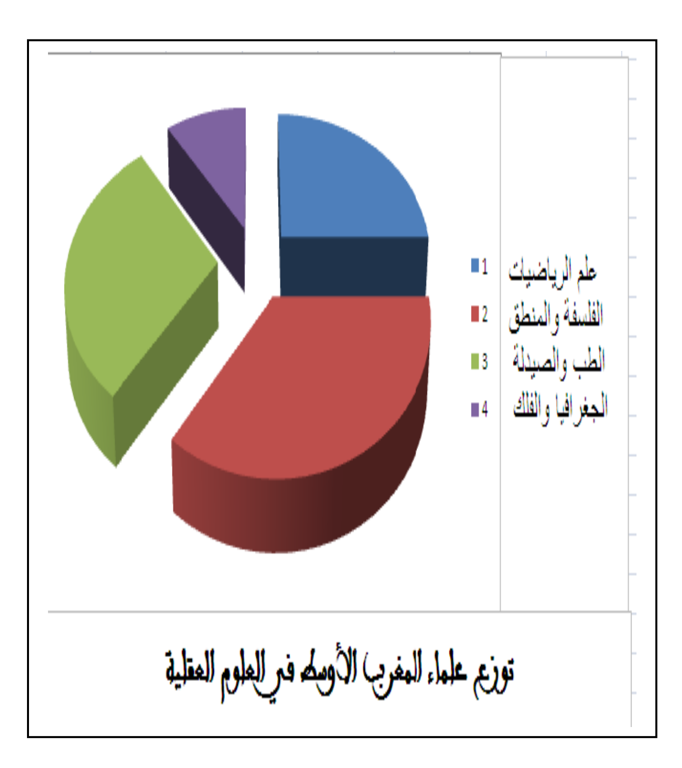
توزع علماء المغرب الأوسط في العلوم النقلية

جدول لعلماء المغرب الأوسط في عهد الموحدين "العلوم العقلية "[1]

العلوم / العلماء	علم الجغرافيا والفلك	الطب والصيدلة	الفلسفة والمنطق	الرياضيات
أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني	×		×	×
أبو علي حسن بن علي بن عمر ابن الفكون القسنطيني	×			
أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرْج التلمساني		×	×	×
أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارتي		×		
أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي		×	×	
أبو العباس أحمد بن خالد المالقي البجائي		×	×	
شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشي		×		
محمد بن أحمد بن محمد الأموي المرسي البجائي		×		
أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو حامد الصغير			×	
أبو عبد الله محمد بن عمر القريشي المعروف بابن قريشة			×	
علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي			×	
علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي				×
أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي				×
محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري				×
مجموع العلماء 14 عالما	02	06	07	05



توزع علماء المغرب الأوسط في العلوم العقلية



توزع علماء المغرب الأوسط في العلوم العقلية

1) انجاز خاص

ملحق رقم11:

"رسالة ابن دحية الكلبي إلى والي بجاية– أبو عبد الله بن حوشتي يرمور– يطلب تسريح خادمه جاء فيها"[1]:

" الشيخ الفقيه الأديب الجحجاح، الهرماس[2] أبو فلان جحمظ الله قعثبان[3] شفرته هذا الغطريس في اليم اخذ رجلا لايملك حد رفوتا[4] فيرى الزبرقان[5] فيخاله حواري[6]ويرى الجعل فيحسبه زعبجا[7] وله قرحة امحشت[8] من الحر وتعطل كبرها فابعث إلي هذا العتري[9] من يخضد شوكته والسلام"[10].

---

1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص229.

2) هو الأسد

3) هو الكثير من كل شيء

4) الظالم المتكبر

5) أي شيء

6) الدقيق الأبيض ولباب الدقيق

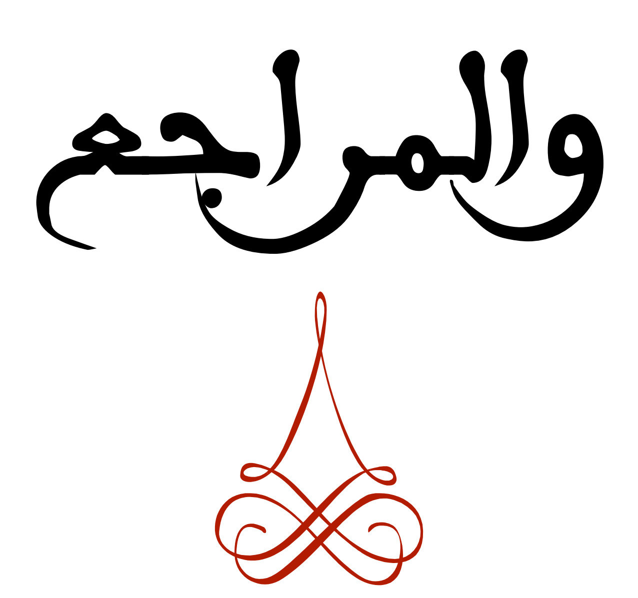
7) ضربا من الخنافيس حياته في الزبل

8) أحرقت

9) هو الذي لا يجد في طلب الدنيا ولا الآخرة

10) الغبريني: المصدر السابق، ص229.

قائمة المصادر والمراجع



1) المخطوطات :

1- البكري (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، ت ق14هـ/19م): **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار.

2- بوجندار (أبو عبد الله، محمد بن مصطفى بوجندار الرباطى، ت1345 هـ/1926م): **مخطوط الاغتباط بتراجم أعمال الرباط**، الخزانة العامة الرباط، رقم1287، ج1.

3- ابن مرزوق الخطيب (محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، ت780هـ/1378م): **المجموع**، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم رقم20.

4- النقاش (عبد الله محمد بن أبي العباس الأموي، ت منتصف ق8هـ/14م): **الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة**، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم2691.

2) المصادر

1- ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، ت658هـ/1260م): **التكملة لكتاب الصلة**، نشر فرانسيسكو قوديرا، مطبعة روخس، مدريد، 1886م.

2ــــــــ **التكملة لكتاب الصلة**، نشر ابن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا الشرقية، 1919م.

3ــــــــ **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

4ــــــــ **تحفة القادم**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

5- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، ت630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د ت.

6- ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري، ت810هـ/1407م): **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، المغرب، 1972م.

7ــــــــ **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، ط1، 2001م.

8- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة، لبنان، بيروت، 1956م.

9- ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، ت577 هـ/1181م): **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985م.

10- الإيلاني (أبو علي صالح بن عبد الحليم، كان حيا سنة712هـ/1312م): **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط2، 2008م.

11- البادسي (عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الغرناطي كان حيا سنة722هـ/1322م): **المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993م.

12- البرزلي (أبو القاسم بن محمد البلوي التونسي، ت841هـ/1438م): **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** (فتاوى البرزلي)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.

13- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي، ت578هـ/1182م): **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

14- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت555هـ/1160م): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية، 2007م.

15ــــــــــ **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

16- التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحي بن الزيات، ت628هـ/1230م): **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010م.

17- التجيبي السبتي(القاسم بن يوسف التجيبي، ت730هـ/1329م): **برنامج التجيبي**، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981

18 - التميمي (تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي، ت1005هـ/1596م ،أو 1010هـ/1601م): **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1970م.

19- التميمي (محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي أبوعبد الله، ت603هـ/1206م،أو 604هـ/1207م): المستفاد في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، ط1، 2002م.

20- التنبوكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي، ت1036هـ/1627م):**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق محمد مطيع، 2000م.

21ــــــــــ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م.

22- ابن تومرت المهدي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي السوسي، ت524هـ/1130م): **أعز ما يطلب**، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م.

23ــــــــــ **الموطأ**، نشر قولد زيهر، طبعة فونتانة، الجزائر، 1905م.

24ــــــــــ **كنز العلوم والدرر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة**، تحقيق أيمن عبد الجابر البحري، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.

25- الجراعي(أبو بكر تقي الدين بن زيد الجراعي الصالحي الحنبلي، ت883هـ/1477م): **تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد**، تحقيق صالح سالم النهام وآخرون، طبع المراقبة الثقافية، الفروانية، الكويت، ط1، 2004م.

26- الجرجاني (شريف علي بن محمد بن علي، ت816هـ/1413م):**كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1985م.

27- ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، ت833 هـ/1429م): **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق،ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

28- الجزنائي (أبو الحسن علي الفاسي، كان حياً سنة766هـ/1365م): **جنى زهر ة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1991م.

29- ابن جزي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، ت741هـ/1340م): **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية**، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008م.

30- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، ت737هـ/1336م): **المدخل**، دار التراث، القاهرة، مصر، د ت.

31- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي، ت1068هـ/1657م):**كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون**، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا، و رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت.

31- ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد الفاسي القرطبي، ت456هـ/1064م): **رسالة في مراتب العلوم**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

32- الحسيني (الحافظ عزالدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني، ت695هـ/1295م): **صلة التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008م.

33- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ت257هـ/870 م): **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.

34- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت626هـ/ 1228م): **معجم الأدباء**، المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

35- ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، ت776هـ/1378م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1974م.

36ـــــــــــ **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1895م .

37- ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

38ـــــــــــــ **المقدمة**، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.

39- ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي ، ت 780 هـــ / 1378 م) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، 1980

40- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت681هـــ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

41- ابن خير(أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الاشبيلي، ت575هـــ/1179م): **فهرسة ابن خير**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1989م.

42-الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القيرواني، ت699هـــ/1235م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق وتعليق محمد ماضود، المكتبة العتيقة تونس- مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1978م.

43- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي، ت633هـــ/1235م): **المطرب من اشعر أهل المغرب**، تحقق إبراهيم الابياري وآحران، دار العلم للجميع، بيروت لبنان، 1955م.

44- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، ت حوالي670هـــ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، د د، ط2، د ت.

45- الدووادي(شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن أحمد، ت945هـــ/1538م):**طبقات المفسرين**، تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، لبنان، 1983م.

46- **ديوان الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله**، تحقيق محمد بن تاويت وآخرون، منشورات كلية الآداب، الرباط، دت.

47- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي، ت748هـــ/1347م): **العبر في خبر من غبر**، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

48ـــــــــــــ**أهل المائة**، تحقيق أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

49ـــــــــــ **تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

50ــــــــــــ **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط18، 1955م.
51ــــــــــــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م.
52ــــــــــــ **طبقات القراء**، تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط1،1997م.
53- **رسائل موحدية، مجموعة جديدة**، نشر أحمد عزاوي: مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط1، 1995م.
54- الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الاشبيلي، ت666هــ/1267م): **برنامج شيوخه**، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.
55- ابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني، ت708هــ/1308م): **صلة الصلة**، نشر محمد بن شريفة، بذيل السفر الثامن من الذيل والتكملة، لابن عبد الملك، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م .
56ــــــــــــ **صلة الصلة**، تحقيق ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1938م.
57- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، كان حيا سنة726هــ/1326): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
59- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت794هــ/1391م): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1957م.
60- الزركشي (محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله، كان حيا سنة894هــ/1489م): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، .1966
61- الزياني محمد بن يوسف(ت13هــ/19م): **دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م.
62- ابن سحنون محمد (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون، ت256هــ/869م): **كتاب آداب المعلمين**، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.
63- السخاوي (أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين، ت902هــ/1497م): **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
64ــــــــــــ **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، تحقيق عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد آل فهد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط1، 2005 م.

65- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي، ت685هـ/1286م): **الغصون في محاسن شعراء المائة السابعة،** تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ط2، 1967م.

66ــــــــ **المغرب في حلى المغرب،** تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993م.

67ــــــــ **رايات المبرزين وغايات المميزين،** تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1987م.

68- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت911هـ/1505م): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط2، 1979م.

69ــــــــ **طبقات المفسرين،** تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، القاهرة، ط1، مصر، 1967م.

70- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، ت790هـ/ 1388م): **الاعتصام،** ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

71- ابن شاكر(محمد بن شاكر الكتبي، ت764هـ): **فوات الوفيات،** تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، د ت.

72- أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ت665هـ/1267م): **الذيل على الروضتين ، أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع،** تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، .2002

73ــــــــ **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،** تحقيق محمد حلمي، القاهرة، 1962م.

74- الشريسي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريسي، ت619هـ/1222م) **شرح مقامات الحريري،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م.

75- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت685هـ/1286م): **السير،** تحقيق أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1992م.

76- ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد الهنتاتي، كان حيا سنة861هـ/1457م): **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،** تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، 1984م.

77- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي، كان حيا594هـ/1198م): **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين،** السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م.

78- ابن صعد (محمد بن أحمد بن أبي الفضل، ت901هـ/1496م): النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق محمد أحمد الديباجي، دار صادر، ط1، بيروت، 2011م.

79- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت764هـ1362م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

80- الصنهاجي(أبو عبد الله محمد، ت628هـ/1230م): **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم**، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

81- الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد، ت599هـ/1202م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

82- طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى، ت968هـ/1560م): **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

83- العامري (أبو الحسن محمد بن يوسف، ت381هـ/992م): **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

84- ابن عباد الرندي (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن مالك إبراهيم النفزي الحميري الشاذلي ت1390/792م): **الرسائل الصغرى**، تحقيق الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974م.

85- ابن عبدون (أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الاشبيلي، من أهل القرن6هـ/12م): **رسالة في القضاء والحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

86- ابن عذارى(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، كان حيا سنة712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

87ـــــــــ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

88- ابن عسكر(محمد بن علي بن عبد الله الغساني المالقي، ت636هـ/1238م)، و ابن خميس (أبو بكر محمد بن محمد بن علي، كان حيا سنة638هـ/1240م): **أعلام مالقة**، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

89-ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الصالحي، ت1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1986م.

90- العماد الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت597هـ/1201م): **خريدة القصر وجريدة العصر،** قسم المغرب، الدار التونسية للنشر، ط2، 1986م.

91- ابن أبي العيش (محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي، التلمساني، ت بعد654هـ/ 1256م): **التذكرة في قبول المعذرة،** وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهيباوي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، ط1، 2008م.

92- ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي، ت919 هـ/1513م): **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،** د تح، مطبعة المامونية، الرباط، ط1، 1952م.

93ـــــــــ **فهرس ابن غازي،** تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطبع والنشر، تونس، ط1، 1984م.

94- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد، ت704هـ/1305م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،** تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

95- الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، ت832هـ/1428م): **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،** تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1985م.

96- ابن فرحون (إبراهيم بن نورالدين بن علي اليعمري المدني، أبو الوفا، ت799هـ/1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،** تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

97- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، ت403هـ/1061م): **تاريخ علماء الأندلس،** د تح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

98- الفزازي (أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليحفشي الفزازي القرطبي، ت627 هـ/ 1229م): **آثار أبي زيد الفزازي،** جمعها بعض تلاميذه، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1991م.

99- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، ت749هـ/1348م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** تحقيق عبد الله بن يحي السريحي، السفر الأول، المجمع الثقافي أبو ظبي، 2003م.

100ــــــــ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثامن"طوائف الفقراء– الصوفية–، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.

101- القابسي(أبو الحسن علي، ت403هــ/1012م): **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986م.

102- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، ت1025هــ/1616م): **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974م.

103ــــــــ **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة– المكتبة العتيقة تونس، ج1، 1970م.

104- ابن القاضي شهبة (تقي الدين ابن القاضي شهبة الأسدي الشافعي، ت851هــ/1447م): **طبقات النحاة واللغويين**، تحقيق محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1984م.

105- القاضي عياض(أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت544هــ/1149م): **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م.

106ــــــــ **الغنية**، فهرست شيوخه، تحقيق ما هر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

107ــــــــ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1 ،ج2، ط1، 1998م.

18ــــــــ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، المغرب، د ت، ج.5

109- القرافي (بدر الدين محمد بن يحي بن عمر القرافي، ت1008هــ/1599م): **توشيح الديباج**، وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

110- القسطلاني(الحافظ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ت923هــ/1517م): **السعي الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث**، تقديم وتحقيق بشير ضيف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991م.

111- القشيري (عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم، ت465هــ/1072م): **الرسالة القشيرية**، وضع حواشيها خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

112- القضاعي (محمد بن سلامة أبو عبد الله، ت454هــ/1062م): **مسند الشهاب**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985م.

113- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي، كان حيا سنة650هـ/1252م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.

114- القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت624هـ/1226م): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1986م.

115- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي الفزاري المصري، ت821هـ/1476م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب السلطانية، القاهرة، مصر، 1918م.

116-ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت810هـ/1407م): **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.

117______ **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م.

118______ **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

119- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي، ت774هـ/1373م): **البداية والنهاية**، تحقيق جودة محمد جودة، ومحمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

120- الماجري (أبو محمد صالح، ت631هـ/1233م): **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، دار الكتب العلمية**، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

121- **مجموع رسائل موحدية**، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.

122- مجهول مراكشي (كان حيا سنة587هـ/1191م): **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد—دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط2، 1986م.

123- مجهول (كان حيا سنة783هـ/1381م): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.

124-المراكشي بن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت703هـ/1303م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت.

125 ـــــــــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م.

126ـــــــــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

127ـــــــــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973م.

128ـــــــــ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

129- المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين، ت647 هـــ/1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.

130- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، ت 1014هـــ/1379م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق ومراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م

131- المطرزي (الإمام اللغوي أبو الفتح ناصر الدين، ت610هـــ/1213م): **المغرب في ترتيب المعرب**، وهو معجم، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سورية، ط1، 1979م.

132- المغراوي (أحمد بن أبي جمعة، ت920 هـــ/1514م): **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان**، تحقيق أحمد جلولي البدوي، ورابح بونا ر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

133- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني، ت1041هـــ/ 1632م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942م.

134ـــــــــ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

135- المقريزي(أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلي، ت845هـــ/1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" الخطط المقريزية"**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م.

136- ابن مكي الصقلي(أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي، ت501هــ/1107م): **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، ضبط وتقديم مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

137- ابن منجور(أبو العباس أحمد بن علي بن عبد اللّه (أو عبد الرحمن)، الفاسي المعروف بالمنجور، ت 995هــ/1587م): **فهرس ابن منجور**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976م.

138- ابن هبيرة (يحيب بن محمد بن هبيرة، ت560هــ/1164م): **الإفصاح عن معاني الصحاح**، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1996م.

139- الوادي أشي (شمس الدين محمد بن جابر التونسي، ت749هــ/1348م): **برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تحقيق محمد الحبيب الهيله، تونس، 1981م.

140- ابن أبي الوفاء (محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصراله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ت775هــ/1373م): **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، القاهرة، مصر، ط2، 1993م.

141- الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني، ت914هــ/1508م): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه محمد حجي وجماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، 1981م.

142- الوهراني (محمد بن محرز بن محمد ركن الدين، ت575هــ/1179م): رقعته عن مساجد دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965م.

143ـــــــــ منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان، القاهرة، 1968م.

اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، ت768هــ/1366م): **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

3) كتب الجغرافيا والرحلات

1- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني السبتي، المعروف بالشريف، ت560هـ/1165م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، قسم المغرب العربي، تحقيق محمد حاج صادق، د ط، الجزائر، 1983م.

2ــــــــ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ج1.

3- البكري (أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، د ط، د ت.

4- التجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ت717هـ/1317م): **الرحلة**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا— تونس، 1981م.

5- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي، ت614هـ/1217م): **الرحلة**، دار صادر، بيروت، 1959م.

6- ابن الحاج (إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري أبو القاسم، ت768هـ/1367م): **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

7- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت626هـ/ 1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

8- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي، ت727هـ/1327م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

9- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، البغدادي، النصيبي، ت367هـ/977م): **صورة الأرض**، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

10- ابن رشيد السبتي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، ت720هـ/1320م): **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

11ــــــــ ملء العيبة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ج5، 1988م.

12- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كان حيا سنة541هـ/1154م):**كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دت.

13- ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد، ت685هـ/1286م):**كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م .

14- العبدري (محمد العبدري البلنسبي، ت720هـ/1320م) :**الرحلة المغربية**، تحقيق بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 1964م.

15- الغرناطي(أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المازني القليسي الغرناطي الأندلسي، ت565 هـ/ 1170م): **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993

16- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، صاحب حماة، ت 732هـ/1331م): **تقويم البلدان**، اعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

17- القلصادي (أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، ت891هـ/1486م):**رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

18- مارمول كربخال(كان حيا سنة979هـ/1571م): **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرف، الرباط، 1984م.

19- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، ت379 هـ/989م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، طبع ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1909م.

20- الوزان (أبو علي الحسن بن محمد الفاسي، حي سنة957 هـ/1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

21- اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب ، ت284هـ/897م): **البلدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002 م.

4) القواميس والمعاجم

1- الجوهري (إسماعيل بن حماد أبو العباس، ت393هـ/1002م): **معجم الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.

2-الزبيدي مرتضى (ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ت1205هـ/1790م) : **تاج العروس**، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ج5، 1969م.

3ـــــــــ **تاج العروس**، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ج 14، 1974م.

4- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ت817هـ/1414م): **القاموس المحيط**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1933م.

5- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت285هـ/898م): **الكامل**، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.

6- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي التونسي، ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت.

5) المراجع

1- الإدريسي علي: **الإمامة عند ابن تومرت**، دراسة مقارنة مع الأمامية الاثنى عشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.

2- ارسلان شكيب: **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت .

3- الأعظمي محمد ضياء: **معجم مصطلح الحديث ولطائف الأسانيد**، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999م.

4- البغدادي إسماعيل باشا(ت1339هـ/1920م): **هدية العارفين**، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة1951م.

5- البقالي محمد: **الدولة والولاية في المغرب الوسيط**، علائق وتفاعلات، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، 1997م.

6- بكير أحمد: **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة، بيروت، 1990م.

7- بلعربي خالد: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، دراسة تاريخية و حضارية، 632-681ه/ 1235م-1282م، دار الريان للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2005م.

8- بورويبة رشيد: **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

9ـــــــــــ **قسنطينة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.

10- بوعزيز يحي: **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م.

11ــــــــــ **وهران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م.

12- بوعياد محمود: **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1982م.

13- بولطيف لخضر: **فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن–فرجينيا–الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2009م.

14- بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ/12و13م**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

15- التازي عبد الهادي: **أوقاف المغاربة في القدس، وثيقة تاريخية سياسية قانونية**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب،1981م.

16- الترغي عبد الله المرابط: **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، المغرب، ط1، 1999م.

17- التليدي عبد الله بن عبد القادر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان،ط4، الرباط، 2003م

18- توات الطاهر محمد: **أدب الرسائل في المغرب العربي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

19- التونجي محمد: **معجم المعربات الفارسية**، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1998م.

الجابري محمد عابد: **المثقفون في الحضارة العربية**، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

20- الجيلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994م.

21- حاجيات عبد الحميد: **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

22- الحجوي (أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ت1376 هـ/1956م): **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، طبعة البلدية، بفاس،المغرب، 1926م.

23- حجي محمد وآخرون: **تراث الأندلس تكشيف وتقديم**، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م.

24- حركات إبراهيم: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن9/15م**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.

25- ـــــــــ **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993م.

26- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2011م.

27- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

28- الحفناوي محمد (أبو القاسم محمد بن أبي القاسم، الديسي، ت1361هـ/1942م): **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م .

29- حليمي علي عبد القادر: **مدينة الجزائر**، نشأتها وتطورها، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.

30- خلفات مفتاح: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط**، ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

31- ديب صفية: **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، بين القرن6-7 هــ/12- 13م، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011 م.

32- ذنون طه عبد الواحد: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004 م.

33- الرقب شفيق محمد عبد الرحمن: **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984م.

34- ابن رمضان شاوش الحاج محمد: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م.

35- ابن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، طبع داود بريكسي حي الكيفان، تلمسان، ط1، 2001 م.

36- الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزِرِكْلِيّ الدمشقي، ت 1396هــ/ 1976م): **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2006م.

37- زنير محمد: **المغرب في العصر الوسيط، الدولة، المدينة، الاقتصاد**، مطبعة النجاح الجيدة، الرباط ،ط1، 1999م.

38- سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي**، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

39- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت1315هــ/1897م): **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.

40- السملالي (العباس بن إبراهيم قاضي مراكش، ت1379هــ/1959م): **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1998م.

41- السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.

42- شقرون محمد: **مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982م.

43- شلبي أحمد: **تاريخ التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر، ط5، 1976م.

44- الصغير عبد المجيد: **تجليات الفكر المغربي ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب**، الدار البيضاء، مطبعة المدارس، ط1، 2000م.

45- الصمدي خالد: **مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، من النشأة إلى نهاية القرن7هـ/14م(جذورها آثارها، مناهجها)**، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.

46- ضيف شوقي: **عصر الدول والإمارات**، دار المعارف،القاهرة، مصر، ط1، 1995م.

47- أبو ضيف مصطفى: **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

48- طمار محمد: **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010م.

49ـــــــــ **تلمسان عبر العصور**، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

50ـــــــــ **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

51- الطويل الطاهر:المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الهجري الخامس، نشر المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية،ط1، الجزائر، 2011م.

52- العبادي احمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت.

53- العربي إسماعيل: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

54- العريني يوسف بن علي: **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1995م.

55- عزاوي أحمد: **قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني**، طبع دار ربا نيت، ديور الجامع، الرباط، المغرب، ط1، 2010م.

56- علام عبد الله علي: **الدولة الموحدية بالمغرب**، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971م.

57- عمر موسى عزالدين: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

58ـــــــــ **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2003.م.

59ـــــــــ **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983م.

60- عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

61- عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق، الجزائر، ط1، 1980م.

62- عيسى بك أحمد: **البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

63- الغناي مراجع عقيلة: **سقوط دولة الموحدين**، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي، ليبيا، 1988م

64- فتحة محمد: **النوازل الفقهية والمجتمع**، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، من ق6–9هـ/12-18م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1999م.

65- فروخ عمر: **تاريخ الأدب العربي عصر المرابطين والموحدين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1985م.

66- الفيتوري عطية مخزوم: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء** ،جامعة قار يونس، بنغازي، ط1،1998م.

67-فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002 م.

68- فيلالي عبد العزيز، إبراهيم بحاز: **مدينة ميلة في العصور الوسطى**، دار البلاد للاتصال والخدمات، قسنطينة، 1998م.

69- القبلي محمد: **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م.

70- بن قربة صالح: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

71- الكتاني (أبوعبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي، ت1345 هـ/1926م): **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، ط5، 1993م.

72- الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير، ت1382هـ/1962م): **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

73- الكتاني يوسف: **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت.

74- كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1957م.

75ـــــــــ **أعلام النساء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994م.

76- الكعاك عثمان: **المراكز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، جامعة الدول العربية، 1984م.

77- كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961م.

78- لعرج عبد العزيز، وآخرون: **مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية،الجزائر، 2007،

79- بن عبد الله عبد العزيز: **معطيات الحضارة المغربية**، دار الكتب العربية، الرباط، ط3، 1963م.

80ـــــــــ **معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى**، دار الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1985م.

81- محمد هارون عبد السلام: **كناشة النوادر**، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط1، 1984م.

82- محمد يوسف عواطف: **الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين**7ه و8 ه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

83- مخلوف (أبو الفضل محمد بن محمد بن عمر بن على بن سالم التونسي المالكي، ت1360هـ/ 1941م): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م.

84- مرغي خلف الله ابتسام: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي**، دار المعارف، 1985م.

85- مزهودي مسعود وآخرون: **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.

86- محمد المغراوي: **الموحدون وأزمات المجتمع**، دار جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006م.

87- ملين رشيد: **عصر المنصور الموحدي، من سنة 580 هـ إلى سنة 595 هـ**، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، د ت.

88- ابن منصور عبد الوهاب: **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م.

89- المنوني محمد: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، .1989

90ـــــــــ **تاريخ الوراقة المغربية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991م.

91- موسى محمد منير: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1983م.

92-الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د ط .

93- النجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
94ـــــــــ **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1995م.
95- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، ط4، 1983م.
96- هلال عمار: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين9-20**م/3-14هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
97- ولد أباه محمد المختار: **تاريخ الحديث الشريف في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو- 2010م.

6) المراجع المترجمة

1- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م.

2- بالنثيا أنخل جنثالت: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1955م.

3- بروكلمان كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمه السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1959م.

4ـــــــــ **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تعريب بنية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968م.

5- برونشيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

6- بل ألفرد: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

7- جواتياين س د: **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

8- جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى1830**، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م.

9- روجي إدريس الهادي: **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري**، من القرن10، إلى القرن12م ، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992م.

10- لي تورنو رُوجر: **حركة الموحدين في المغرب**، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع"المدارس"الدار البيضاء، ط2، 1998م.

11- ليفيتسكي تاديوس: **المؤرخون الاباضيون وكتاب السير والرواة الاباضيون الوهبيون في إفريقيا الشمالية**، من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر ميلادي، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007م.

12- مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، دار المعارف، الإسكندرية، د ت.

13- هوبكنز ج، ف ، ب: **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1999م.

14- هويثي ميراندا أمبروسيو: **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة"مطبعة الزمن"، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م.

في لغتها الأصلية

1-Aschbach Joseph : Gechichte Spaniens und porbugals zur zeit der herrschaft der almorariden und almohaden .

2-Huici MirandaM Abrosio: Historia Politica Del Imperio Almohade,T.I.2004.

3- Le Tourneau , Roger :THE Almohad Movement in north Africa in the twelfth and thirteenth centuries.

4- Lewicki Tadeusz : Les Historiens Biographes et Traditionnistes Ibadites-Wahbites de L'Afrique du Nord du VIIIe au XVIe Siècle .

5- Palencia Angel Gonzalez : Historia de Literatura Arabigo- Espanola (Coleccion Labor no .164- 165) 2= edicion .Madrid 1945.

7) المراجع باللغة الأجنبية

1-Allaoua Amara : La Qal'a des Bani Hammad , l'histoire d'un déclin , .archéologie islamique, 11, 2001

2------------ La transmission du savoir historique en andalus et au maghreb .à la fin du moyen age , The Maghreb Review , vol 28 , Nos2-3, 2003

3-Bouruiba, Rachid: ABD AL – MU'MIN flambeu des almohades, 2e Ed, Alger: .S.N.E.D,1982.

4-Bourouiba ,Rachid :Ibn Tûmart, 2eEd, Alger ,S.N.E.D ,1982.

5-Talbi Mohamed :Ibn Tûmart, ou le parti avant la dynastie almohade, LES Africains, XI, 1978 .

8) الندوات والملتقيات والمؤتمرات

1- إبراهيم عبد النور: **إسهامات القيروان وبجاية في البناء المعرفي الإسلامي**، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول"الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي"21-22نوفمبر2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، 2011م

2- البُعزّاتي بناصر: **العلم والفكر العلمي، بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 94، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001م.

3- الخطيب إسماعيل: **الحياة الثقافية في سبتة في القرن السابع الهجري**، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، جمعية الثقافة الإسلامية تطوان، المغرب، 1979م.

4- ابن زين العابدين بن رستم محمد: **المساهمات المغاربية والأندلسية في شرح الصحيحين**، ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول"الإسهامات المغاربية في البناء المعرفي الإسلامي"21-22 نوفمبر2011، دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، 2011م.

5- الطالبي عمار: **الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي"أبو يعقوب الورجلاني نموذجا"**، ندوات ومناظرات رقم118، تحت عنوان الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2005م.

6- الطاهري عبد الحق: **الإمام ابن تومرت والمذهب المالكي**، أعمال الندوة الدولية حول المدرسة المالكية الفاسية أصالة وامتداد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس،2007، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2010م.

7- العبادي أحمد مختار: **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**، ندوة الحضارة الإسلامية 1976، نشر مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر، 2000م.

8- المنوني محمد: **كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته**، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، سبتة ودورها في إثراء الفكر الإسلامي، جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، المغرب، 1979م.

9- ميدون عزالدين: **عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري**، مؤسس الدولة الموحدية، سلسلة إصدارات الجمعية الموحدية، ندرومة، أعمال ملتقى 1998، دار السبيل للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2011م.

9) الرسائل الجامعية

1- إسكان حسن: **جوانب من التعليم في المغرب الوسيط**، من القرن7هـ/13م إلى القرن9هـ/15م، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988م.

2- إملولي حكيمة: **الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم"العهد الموحدي نموذجا"** مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.

3- بلغيث محمد الأمين: **الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1987م.

4- بن داود نصر الدين: **بيوتات العلماء بتلمسان ، من القرن7إلى10هـ**، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009-.2010.

5- بوتشيش أمينة: **بجاية دراسة تاريخية وحضارية ، بين القرنين و7هجريين**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2007–2008م.

6- بوشامة عاشور: **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس**، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986م.

7- رزيوي زينب: **مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط مابن القرنين السابع والتاسع الهجريين(13–15 م)**، مذكرة ماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009-2010م.

8- ساحلي آسيا: **إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط**، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008م.

9- السعيد عقبة: **الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري**، من خلال كتاب عنوان الدراية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008-2009م.

10- الطاهري عبد الحق: **بنية الحكم الموحدي ووسائله**، دكتوراه في التاريخ الوسيط، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط،2004-2005م.

11- عثمان عبد القادر : **الموحدون بإفريقية إلى سنة 627 هـ**، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991-1992م.

12- غربي بغدادي: **خطة الكتابة على عهد الموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة وهران للتاريخ والحضارة الإسلامية، 2006-2007م.

13- فيلالي بلقاسم: **التعليم والدعوة الموحدية**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003- 2004م.

14- قدور أحمد: **المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم**، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987-1988م.

15- لدرع أمال: **الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني633-962هـ/ 1236- 1555 م**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م.

16- مغراوي محمد: **العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001-2002م.

17________ **خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية**، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986-1987م.

18- واعظ نويوة: **أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007- 2008م.

19- الود الود: **البنية الإيقاعية في شعر الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد**، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م.

10) المجلات والمقالات

1- أعراب سعيد: **موقف الموحدين من فقه الفروع**، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد .249

2- الأندلسي علية: **نماذج من المعاهد والمجتمعات التعليمية الموحدية**، مجلة ميثاق الرابطة الإلكترونية، العدد 17 ، ماي2010م

3- الأهواني عبد العزيز:**كتب برامج العلماء في الأندلس،** مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1955م.

4- بحاز إبراهيم: **صور من الإباضية في عهد الموحدين،** مجلة الحياة، جمعية التراث، غرداية، العدد2، 1999م.

5- برادة رشيدة: **الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب الإسلامي**، مجلة الجامعة المغاربية، اتحاد المغرب العربي، طرابلس، ليبيا، العدد1، السنة الثانية، 2007م.

6- بلفراد محمد: **تلمسان،** مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية– أوت، 1975م.

7- بوباية عبد القادر: **إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن 7هـ/13م**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011م.

8ـــــــــــ **طرق التدريس في المغرب الإسلامي ، فاس وبجاية نموذجا**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد1، 2011م.

9- بوشقيف محمد: **المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8 هـ - 9هـ / 14-15** م، دورية كان التاريخية، العدد 11، مارس2011م.

10- بوعزيز يحي: **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية– أوت، 1975م.

11- بولطيف لخضر: **الفقيه محمد بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي**، صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان، مجلة عصور الجديدة، العدد2،جامعة وهران، الجزائر، 2011م.

12- بونابي الطاهر: **التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي**، مجلة عصور الجديدة، العدد2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2011م.

13ـــــــــــ **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد2، 2004م.

14- ابن تاويت محمد: **أصداء في الأدب الموحدي**، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة11، العدد9 –10، غشت/جمادى الأولى 1968م.

15- جلاب حسن: **الفكر والأدب في عهد الموحدين**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد249، يونيو1985م.

16- الجيلالي عبد الرحمن: **تلمسان والقدس الشريف**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26،جويلية–أوت، 1975م.

17- حاجيات عبد الحميد: **الحياة الفكرية في عهد بني زيان**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية–أوت، 1975م.

18______ **العلاقات بين تلمسان وغرناطة**، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج3-4، أفريل–ماي2011م.

19______ **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993م.

20- حسيس عبد الهادي: **موقف يعقوب المنصور من الظاهرية**، مجلة دار الحديث الحسنية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد2، 1981م.

21- حنشي محمد سعيد: **تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، العدد72، ديسمبر 2010م.

22- الخلادي عبد القادر: **أبو مدين الغوث**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية– أوت، 1975م.

23- ذنون طه: **القدس وعلماء الغرب الإسلامي**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد، 86-87، سنة 2002م.

24- زناتي أنور محمد: **فهارس علماء المغرب والأندلس**، دورية كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس 2011م.

25- السائح حسن: **الإمام البخاري في المغرب**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، المغرب، العدد9، السنة16، يناير1975م.

26- سعد قاسم علي: **قيمة الإسناد**، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد24، 2006 م.

27- الشافعي محمد أحمد: **الكناشة الأندلسية**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج29، 1997م.

28- صاحبي محمد: **من مصادر الثقافة والعلم**، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء، مجلة عصور، عدد13، 2003م.

29- طالبي عمار: **المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان**، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج3-4، أفريل-ماي2011م.

30- الطيار مساعد: **علوم القرآن**، تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، محافظة جدة، منطقة مكة، العدد1، 2006م.

31- عباس الخضري صالح مهدي: **النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية**، من خلال كتاب عنوان الدراية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات ع المتحدة، السنة العاشرة، العدد38، يوليو، 2003م.

32- عبد الملك محمد مروان: **صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية**، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، مج29، العدد1، 2001م.

33- العفاقي رشيد: **تلمسانيان في سبتة**، مجلة عصور الجديدة"خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية "، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011م.

34- علاوة عمارة: **الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي**، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

35- عنان محمد عبد الله: **ازدهار الحضارة و الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغذية النهضة العلمية و الحضارة الأوربية**، مجلة الأصالة، العدد 26، 1976م.

36- فيلالي عبد العزيز: **تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية**، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أفريل-ماي2011م.

37- الكعاك عثمان: **تلمسان ونشأة الدولة الموحدية**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975م.

38- لعرج عبد العزيز: **تلمسان**، عمرانها وعمارتها الدينية، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، عدد3-4، أفريل-ماي،2011م.

39- لقبال موسى: **زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية-أوت، 1975م.

40- لواح محمد: **المراكز التعليمية في العهد المريني**، مجلة دار الحديث الحسينية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد9، 1991م.

41- المسلوتي مصطفى: **الإجازة العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب**، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد السادس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م.

42- مصطفاوي رشيد: **بجاية في عهد الحماديين**، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد1، مارس1971م.

43- المنوني محمد : **الكناشات المغربية** ، مجلة المناهل ، الرباط ، العدد 2 ، 1975.

44- ميقاري عيسى: **سيد العارفين وشيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي التلمساني**، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج3-4، أفريل-ماي2011م.

45- وزارة الإعلام والثقافة: **بجاية، سلسلة الفن والثقافة**، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.

فهرس الموضوعات